



دولة ماليزيا

وزارة التعليم العالي (MOHE)

جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية

قسم القرآن الكريم وعلومه

القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية

دراسة موضوعية

بحث مقدم لنيل درجة العالمية (الدكتوراة) في القرآن الكريم وعلومه

إعداد الطالب: السيد سعيد محمد سعيد

الرقم الجامعي: PTF123AV457

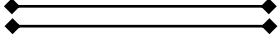
تحت إشراف الدكتور

السيد سيد أحمد نجم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد في جامعة المدينة العالمية

كلية العلوم الإسلامية - قسم القرآن الكريم وعلومه

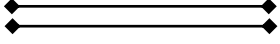
العام الجامعي: ١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



APPROVAL PAGE: صفحة الإقرار :

تمّ إقرار بحث الطالب: السيد سعيد محمد سعيد

من الآتية أسماؤهم:

The thesis ofhas been approved by the following:

المشرف على الرسالة *Supervisor Academic*

المشرف على التصحيح *Supervisor of correction*

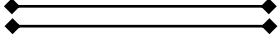
رئيس القسم *Head of Department*

عميد الكلية *Dean, of the Faculty*

قسم الإدارة العلمية والتخرج *Academic Managements & Graduation Dept*

عمادة الدراسات العليا *Deanship of Postgraduate Studies*





القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



إقرار

أقررتُ بأنّ هذا البحث من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، والنقل والاقتباس من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوعه.

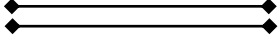
اسم الطالب: السيد سعيد محمد سعيد

التوقيع

التاريخ: ١٩ / ٨ / ١٤٣٥ هـ.

٢١ / ٦ / ٢٠١٤ م





DECLARATION

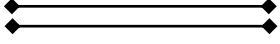
I hereby declare that this dissertation is result of my own investigation, except where otherwise stated.

Name of student:- sayed said mohammad said

Signature;

Date: 19/ 8/ 1435h

21/ 6 / 2014m



جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٤ © محفوظة

السيد سعيد محمد سعيد

القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أي شكل أو صورة من دون إذن مكتوب موقع من الباحث إلا في الحالات الآتية:

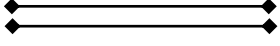
- ١- يمكن الاقتباس من هذا البحث بشرط العزو إليه.
- ٢- يحق لجامعة المدينة العالمية ماليزيا الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك لأغراض تعليمية، لا لأغراض تجارية أو تسويقية.
- ٣- يحق لمكتبة جامعة المدينة العالمية بماليزيا استخراج نسخ من هذا البحث غير المنشور؛ إذا طلبتها مكاتب الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكد هذا الإقرار: السيد سعيد محمد سعيد

التاريخ: ١٩ / ٨ / ١٤٣٥ هـ

التوقيع:

٢١ / ٦ / ٥٢٠١٤



ملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبعد
هذا البحث الذي بين أيديكم يُعنى باستخراج القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية دراسةً
موضوعيةً استنباطيةً؛ وذلك لأهمية الأمثال القرآنية في المجتمع المسلم، وأثرها في حياة الفرد
والمجتمع. وكان الهدف من هذه الدراسة بيان أهمية الأمثال القرآنية فهي أعظم الأساليب التي
اعتنت بها العرب في تقريب المعاني وإبرازها، وسرعة تفهيم المخاطب، وإيصال المعنى المراد له،
واستخلاص الفوائد التربوية والإيمانية المعينة على إصلاح النفوس وتهذيبها من خلال إبراز القدوة
الحسنة، والتحذير من القدوة السيئة. وهذا البحث يُجيبُ على إشكالياتٍ عدة من أهمها: ما هي
القيم التربوية والإيمانية الواردة في الأمثال القرآنية المضروبة لأصناف البشر (المنافقين، والكافرين،
والمشركين، والمؤمنين)؟، وما الصفات الواردة في الأمثال لكل قسم مما تقدم؟، وما هي
الوسائل الوقائية والعلاجية لمعالجة ظاهرة النفاق؟، وما هي الوسائل الوقائية والعلاجية لمعالجة
ظاهرة الشرك؟ وما هي سبل وركائز دعوة الكافرين؟ وما هي الوسائل المعينة على زيادة الإيمان؟
وكان منهجي في هذا البحث هو منهج موضوعي استنباطي وقسمت البحث إلى باين تسبقهما
مقدمة وتمهيد وتعقبهما خاتمة وفهارس. وقسمت البحث إلى موضوعات مستقلة، ويندرج تحت
كل موضوع الأمثال المتعلقة به. ثم بدأت بالمنافقين ثم بالكافرين ثم بالمشركين ثم بالمؤمنين على
حسب الورود في القرآن، وأبرزت المحور الرئيس للمثل، ومناسبة المثل لما قبله وما بعده وبيان
أسباب التزول إن وجد، ثم بيان أقوال أهل العلم في المثل، ثم استخلاص القيم التربوية والإيمانية
للمثل. وفي ختام كل موضوع أبين الظواهر السلبية وطرق علاجها كما في الموضوعات الثلاثة
وأما عن المؤمنين فبينتُ عوامل زيادة الإيمان.

وأهم ما خلصت إليه في هذا البحث أن للأمثال القرآنية أثراً في حياة الفرد والمجتمع فيستفاد
منها التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقدير، وإقامة الحجة على العباد،
وتقريب المعقول وجعله في صورة حسية، وشحذ ذهن المخاطب للتفكير والتذكر.
وإبراز ما تضمنته الأمثال القرآنية الواردة في المنافقين والكافرين والمشركين من صور حسية وذلك
بغرض ذكر قبائح الباطل والتنفير منه.

ثم إبراز أهم الصفات التي اشتملت عليها الأمثال الواردة في المنافقين والكافرين والمشركين، ومن



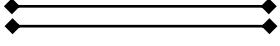
القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



هذه الصفات: إدعاء الإيمان كذباً، والخداع والمراوغة، ومرض القلب، وإظهار الصلاح مع إفسادهم في الأرض، ومن صفاتهم السخرية من المؤمنين ودينهم، والحلف الكذب، وكذلك التقليد والتبعية، والعمى والصمم عن الحق، ومشاهدة الأنعام.

ثم إبراز صفات المؤمنين ومنها: شدتكم على أهل الكفر والنفاق مع رحمتهم بالمؤمنين، ومداومتهم على العبادة، وإخلاصهم لله في كل صغيرة وكبيرة مع صلاح الظاهر والباطن.

ثم إبراز الوسائل التربوية والإيمانية لمواجهة هذه الصفات الذميمة سواء كانت وقائية أو علاجية ومنها التنفير من صفاتهم المتقدمة، والتحذير من الاعتزاز بهم، وتخويفهم بالله والبراءة منهم وهجرهم، ومقاطعة مجالسهم، وإتباع طريقة القرآن الكريم ببيان الحجج الناصعة والبراهين الساطعة بدلالاتها القويمة. ثم إبراز أسباب زيادة الإيمان ومنها معرفة الله بأسمائه وصفاته وطلب العلم الشرعي، والإكثار من ذكر الله تعالى، والبعد عن المعاصي، ومجالسة الصالحين، وتقديم محبة الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - على ما عداهما.



Abstract

Allpraise is due to Allahand peace be upon His Messenger. The research before you aims at extracting the educational and faith values of the Quranic analogies by means of an objective and deductive study. This is because of the importance of the Quranic analogies on the individual and Muslim society. The main objective of this study is to highlight the significance of the analogies in Quran which are considered a stylistic tool used by the Arabs to simplify and accentuate meanings, communicate meaning to the addressee easily, get the intended meaning across and extract specific educational and faith values that lead to cleansing and purifying souls by means of focusing on the role models and forewarning bad role models.

Among the several problematic topics this study attends to, is the educational and faith values inthe Quranic analogies set for the different categories of people (hypocrites, disbelievers, polytheists and believers) and the attributes stated in the Quranic analogies of each of the above mentioned categories. The study also aims to illustrate the protective and curative measures of polytheism, the main means and pillars of calling the disbelievers to Islam and the means of increasing faith.

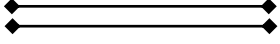
My research methods, in this study, are objective and deductive as I divided the study into two parts preceded by a preface and an introduction and followed by a conclusion and references. I also divided the study into independent topics under which the relevant analogies are stated. After that, I investigated the hypocrites, disbelievers, polytheists and believers respectively, illustrated the main focus of each analogy, how it fits with what is mentioned before and after it, the reasons for revelation, if there is any, the interpretation of scholars, and the educational and faith values of it. Finally, I highlighted the negative attributes and how to treat them as in the three topics. As for the believers, I illustrated the means of



increasing faith.

The main findings of this study is that Quranic analogies have an impact on the individual and society through preaching, sermonizing, urging, discouraging, taking lessons, approving, giving clear proofs to people, facilitating comprehension by giving the abstract a physical image, and challenging the addressee's mind to think and reflect. The main findings also included an illustration of what the Quranic analogies, set for the hypocrites, disbelievers and polytheists, contain of tangible images to highlight the ugliness and repulsiveness of their wrongdoing. They also included the main attributes included in the analogies for the hypocrites, disbelievers and polytheists such as their untruthful claim of believing, deceiving, evasiveness, ill intention, showing righteousness while corrupting the earth, mocking at the believers and their religion, swearing falsely, dependence and imitation, not hearing or seeing the truth and their resemblance of cattle.

Major findings also involved emphasizing the attributes of the believers which include their strength in dealing with the hypocrites and disbelievers while showing mercy to the believers, the continuity of their worship, devotion to Allah and their inner and outer goodness. Another finding is highlighting the educational and faith protective and curative means of confronting these ugly attributes which include repulsion of the above mentioned attributes, forewarning people of them, warning them of Allah's wrath and punishment, disavowing them, abandoning them, not sitting with them, following the Quranic way through providing fool-proof and clear evidence and emphasizing the means of increasing faith which include knowing Allah the Almighty, His names and Supreme Attributes, seeking religious knowledge, making abundant mention of Allah, avoiding sins, accompanying righteous people, and favoring the preferences of Allah and His Messenger to one's own preferences.



الإهداء

أهدي هذا العمل إلى روح أمي وأبي رحمهما الله تعالى

.....

أهدي هذا العمل إلى زوجي الحبيبة أم أحمد

.....

كما أهديه إلى أولادي الدكتور أحمد والأستاذ محمد والدكتورة إيمان والآنسة

رحمة.....

كما أهديه إلى شياخي الكريم الدكتور / السيد سيد أحمد نجم

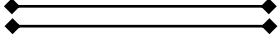
.....

كما أهديه إلى مشايخي الذين تربيت على أيديهم ونهلت من

علمهم.....

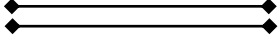
كما أهديه إلى كل طالب علم يجب الطلب ويحرص

عليه.....



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية





شكر وتقدير

الحمد والشكر أولاً وأخيراً لله تعالى المستحق للثناء والحمد؛ فهو سبحانه و تعالى ميسر النعم وصاحب الفضل، فالحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، واقتداءً بهدي- النبي صلى الله عليه وسلم- القائل "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"^(١) ومن هذا المنطلق.

أتوجه بالشكر والتقدير والدعاء لزوجي الحبيبة أم أحمد التي أسأل الله تعالى أن يجعل كل ما تقدمه لي ولأولادي في ميزان حسناتها، ولابنتي الغالية رحمة التي ساعدتني كثيراً.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لسعادة الدكتور محمد خليفة التميمي على إرساء قواعد هذه الجامعة وتشجيعه وفتح بابه للطلاب، وتذليل العقبات أمامهم.

كما أتوجه بالشكر والتقدير لسعادة الدكتور /السيد سيد أحمد نجم المشرف على البحث على صبره علي وتوجيهه الدائم وملاحظاته القيمة.

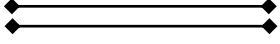
كما أتوجه بالشكر والتقدير لسعادة الدكتور /عبد الناصر خضر ميلاد الذي لا يدخر جهداً في مساعدة طلاب مركز المدينة المنورة وتذليل كل الصعاب لهم.

كما أتوجه بالشكر لسعادة الدكتور/ نبيل الجوهرى الأستاذ بالجامعة الإسلامية على توجيهاته القيمة والاستفادة من علمه الجم نفع الله به الإسلام والمسلمين كما أتوجه بالشكر لكل من قدم لي يد العون والمساعدة من إخواني والله أسأل أن يجزي الجميع خير الجزاء.

١- سنن الترمذي _ كتاب البر والصلة (٢٤) - باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك (٣٥) - حديث (١٩٥٤)

وقال أبو عيسى حديث حسن صحيح.





فهرس الموضوعات

١	المقدمة
٣	مشكلة البحث
٤	أهداف البحث
٥	الدراسات السابقة
٧	منهجية البحث
٨	هيكل البحث
١٥	التمهيد وهو عبارة عن خمسة مباحث
١٥	المبحث الأول : المعنى الرئيس للفظ المثل لغةً واصطلاحاً
١٧	المطلب الأول : المعنى الرئيس للفظ المثل لغةً
١٩	المطلب الثاني : المثل في الاصطلاح
٢٣	المبحث الثاني : أقسام الأمثال القرآنية
٢٣	القسم الأول : الأمثال الظاهرة المصرح بها
٢٤	القسم الثاني : الأمثال الكامنة
٢٧	المبحث الثالث : الأهمية التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية
٣١	المبحث الرابع : الخصائص التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية
٣٢	أولاً: دقة التصوير وصدق المماثلة
٣٣	ثانياً: التصوير المتحرك الحي الناطق
٣٤	ثالثاً: التنوع في الممثل به
٣٥	رابعاً: تكرار الأمثال
٣٦	خامساً: التشويق وإبعاد النفرة
٣٩	المبحث الخامس : الأغراض التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية
٤٠	الغرض الأول : تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب
٤٠	الغرض الثاني : وهو الإقناع بفكرة من الأفكار
٤١	الغرض الثالث : ضرب الأمثال لغرض الإقناع بذكر محاسن الحق والترغيب فيه



- ٤٣ الغرض الرابع: وهو شحذ ذهن المخاطب
- ٤٤ الغرض الخامس: الدلالة على كثرة الفوائد العلمية والحكم
- ٤٤ الغرض السادس: تقديم أفكار غزيرة بعبارة قصيرة
- ٤٥ الغرض السابع: الترتيب بإبراز القدوة الحسنة
- ٤٧ الباب الأول: القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للمنافقين والمشركين وفيه فصلين
- ٤٨ الفصل الأول: القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للمنافقين
- ٤٨ المبحث الأول: النفاق لغة واصطلاحاً
- ٤٨ المطلب الأول: النفاق لغةً
- ٤٩ المطلب الثاني: النفاق شرعاً
- ٥١ المطلب الثالث: خلاصة القول في العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحى للنفاق
- ٥٢ المبحث الثاني: دراسة المثلين في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾
- ٥٢ المطلب الأول: مناسبة المثالين
- ٥٢ أسباب نزولهما
- ٥٢ تعلقهما بما قبلهما من الآيات
- ٥٨ المطلب الثاني: تفسير المثلين وبيان أقوال أهل العلم فيهما
- ٦٣ المطلب الثالث: نوعا المثلين
- ٦٥ الغرض الذي من أجله ضرب المثلين
- ٦٦ المطلب الرابع: الفوائد البلاغية والتربوية والإيمانية للمثلين
- ٧٦ المبحث الثالث: دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكَافِرَاتِ نَارَ جَهَنَّمَ﴾
- ٧٦ المطلب الأول: مناسبة المثل لأسماء السورة
- ٨١ تعلق المثل بما قبله من الآيات
- ٨٢ تعلق المثل بما بعده من الآيات
- ٨٣ المطلب الثاني: تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه



- المطلب الثالث : الغرض الذي من أجله ضرب المثل
٨٦
- الفوائد التربوية والإيمانية للمثال
٨٨
- المبحث الرابع : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ لَا يُقَنِّلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ
٨٩
مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ ﴾
المطلب الأول : مناسبة المثل وأسبابه فيمن نزل
٨٩
تعلق المثل بما قبله من الآيات
٩٩
المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في تفسير المثل
١٠١
المطلب الثالث : نوع المثل
١٠٦
الغرض من ضرب المثل
١٠٧
المطلب الرابع : الفوائد الإيمانية والتربوية للمثل
١٠٧
المبحث الخامس : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ
١١٣
يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾
المطلب الأول : مناسبة المثل لاسم السورة
١١٣
المناسبة بين السورة وسابقتها
١١٣
أسباب نزول آيات المثل وفيمن نزلت
١١٣
تعلق المثل بالآيات بما قبله وما بعده من الآيات
١١٣
المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في تفسير المثل
١١٦
المطلب الثالث : نوع المثل
١١٩
الغرض الذي من أجله ضرب المثل
١٢٠
المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل
١٢١
المبحث السادس : وفيه بيان صفات المنافقين من خلال الأمثلة السابقة والوسائل
١٣٢
الشرعية لمواجهة النفاق وأساليبه
المطلب الأول : صفات المنافقين كما جاءت في الأمثال القرآنية
١٣٢
الصفة الأولى : إدعاء الإيمان كذباً
١٣٣



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



- ١٣٣ الصفة الثانية : الخداع والمراوغة
- ١٣٤ الصفة الثالثة : مرض القلب
- ١٣٥ الصفة الرابعة : إظهار الصلاح مع إفسادهم في الأرض
- ١٣٦ الصفة الخامسة : السخرية من المؤمنين ودينهم
- ١٣٧ الصفة السادسة : الحلف الكاذب والتستر بالإيمان
- ١٣٨ الصفة السابعة : الخوف الدائم من أن يفضح الله أمرهم للناس
- ١٣٩ الصفة الثامنة : الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، ومحبة نشر الفاحشة في المؤمنين
- ١٤٠ الصفة التاسعة أخوتهم اليهود ومناصرتهم لهم
- ١٤٠ الصفة العاشرة : الاستكبار عن قبول الحق ، والإعراض عن التوبة
- ١٤١ الصفة الحادية عشر : حسن المظهر وسوء المخبر
- ١٤١ الصفة الثانية عشر : التواصي بالحصار الاقتصادي على المؤمنين حتى يتركوا دينهم
- ١٤٢ الصفة الثالثة عشر : التذبذب في المواقف وعدم الثبات على الرأي
- ١٤٣ الصفة الرابعة عشر : البخل بما في أيديهم ، ولمز الباذلين من المؤمنين واتهام نواياهم
- ١٤٣ الصفة الخامسة عشر : إيذاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بوصفه بما لا يليق ، ولمزه في الصدقات ، واتهامه في عرضه
- ١٤٤ المطلب الثاني : الوسائل التربوية والإيمانية لمواجهة النفاق وأساليبه
- ١٤٤ القسم الأول : وسائل وقائية
- ١٤٤ التنفير من النفاق والمنافقين ، والتحذير من الاغترار بهم
- ١٤٦ التذكير بشدة عقوبتهم وعظيم عذابهم
- ١٤٦ إعداد القوة المادية المحسوسة لإرهاب المنافقين
- ١٤٨ تنقية وسائل التأثير في المجتمع كالجيش والإعلام والتعليم من المنافقين وأفكارهم
- ١٤٨ عدم تعيين من ظهرت عليه علامات النفاق في المناصب المؤثرة
- ١٤٨ مراقبة تصرفات من يظن فيه النفاق والحذر منه
- ١٤٩ القسم الثاني : وسائل علاجية
- ١٤٩ وعظهم وتذكيرهم ، وتخويفهم بالله ، وبما أعد للمنافقين من العذاب الأليم



- ١٥٠ البراءة منهم وهجرهم ، ومقاطعة مجالسهم وعدم موالاتهم ومحبتهم
- ١٥١ حرمانهم من قبول مشاركتهم مع المسلمين في الجهاد والأعمال التي ظاهرها الخير
بعد أن يعلم بنفاقهم
- ١٥٣ عدم الرضا عنهم أو قبول اعتذار من يثبت كذبه منهم
- ١٥٤ جهادهم وإظهار الغلظة عليهم
- ١٥٦ تهديدهم بفضح خباياهم أمام المسلمين ، ونفيهم وقتلهم
- ١٥٦ عدم الاستغفار لهم والترحم عليهم أو الصلاة على ميتهم
- ١٥٨ الباب الأول : الفصل الثاني : القيم التربوية والإيمانية المضروبة للكفار
- ١٥٨ المبحث الأول : تعريف الكفر لغةً واصطلاحاً
- ١٥٨ المطلب الأول : تعريف الكفر لغةً
- ١٦٠ المطلب الثاني : تعريف الكفر اصطلاحاً
- ١٦٠ المطلب الثالث : العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي
- ١٦١ المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً ﴾
- ١٦١ المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله
- ١٦٢ أثر المناسبة
- ١٦٢ مناسبة المثل لما بعده وأثر المناسبة و العبرة من المثل
- ١٦٣ المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم في ذلك
- ١٦٦ المطلب الثالث : نوع المثل
- ١٦٧ الغرض الذي من أجله ضرب المثل
- ١٦٧ المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل
- ١٧٢ المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى ﴾
- ١٧٢ المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله



- ١٧٣ مناسبة المثل لما بعده
- ١٧٣ المطلب الثاني : تفسير أهل العلم للمثل وأقوال السلف
- ١٧٦ المطلب الثالث : نوع المثل والغرض منه
- ١٧٨ المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل
- ١٨٣ المبحث الرابع : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾
- ١٨٣ المطلب الأول : مناسبة الآية لما قبلها
- ١٨٣ مناسبة الآية لما بعدها
- ١٨٣ المطلب الثاني : تفسير الآية وبيان أقوال أهل العلم فيها .
- ١٨٥ المطلب الثالث : نوع المثل
- ١٨٦ الغرض من ضرب المثل
- ١٨٦ المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل
- ١٩٠ المبحث الخامس : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾
- ١٩٠ المطلب الأول : أسباب نزول الآيات
- ١٩٠ المناسبة بين الآيات وما قبلها
- ١٩١ المناسبة بين الآيات وبين محور السورة
- ١٩٢ المطلب الثاني : تفسير آيات المثل وبيان أقوال السلف فيها
- ١٩٤ المطلب الثالث : نوع المثل
- ١٩٥ الغرض من ضرب المثل
- ١٩٥ الآثار التربوية للمثل
- ١٩٦ المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل
- ٢٠٣ المبحث السادس : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوْحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ ﴾
- ٢٠٣ المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات



- ٢٠٣ مناسبة المثل لما بعده من الآيات
- ٢٠٤ المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال السلف فيه
- ٢٠٥ المطلب الثالث : نوع المثل
- ٢٠٥ الغرض من ضرب المثل
- ٢٠٦ المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل
- ٢٠٩ المبحث السابع : أهم صفات الكافرين وسبل وركائز الكافرين للإسلام
- ٢٠٩ التقليد والتبعية
- ٢١٠ العمى والصمم
- ٢١١ وصف الكافرين بالأنعام
- ٢١٢ ثانياً : سبل وركائز دعوة الكافرين للإسلام
- ٢١٤ الباب الثاني : الفصل الأول : القيم التربوية والإيمانية المضروبة للشرك
- ٢١٥ المبحث الأول : تعريف الشرك لغةً واصطلاحاً :
- ٢١٥ المطلب الأول : الشرك تعريفاً لغةً واصطلاحاً
- ٢١٦ المطلب الثاني : أنواع الشرك
- ٢٢٢ المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا
 وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ۚ ﴾
- ٢٢٢ المطلب الأول : مناسبة الآيات ومحور السورة
- ٢٢٢ ثانياً : مناسبة الآيات لما قبلها
- ٢٢٣ ثالثاً : دلالة السياق الذي ورد فيه المثل
- ٢٢٣ المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم
- ٢٢٦ المطلب الثالث : نوع المثل
- ٢٢٧ الغرض الذي من أجله ضرب المثل
- ٢٢٧ المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل
- ٢٣٢ المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾
- ٢٣٢ المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها وما بعدها



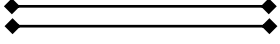
- ٢٣٣ مناسبة المثل لما لحقه في السياق من الآيات
- ٢٣٣ العبرة من المثل
- ٢٣٤ المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم
- ٢٣٦ المطلب الثالث : بيان نوع المثل وبيان الممثل به وصورة الممثل له
- ٢٣٧ الغرض الذي من أجله ضرب المثل
- ٢٣٨ المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل
- ٢٤٣ المبحث الرابع: دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾
- ٢٤٣ المطلب الأول: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل
- ٢٤٦ المطلب الثاني : تفسير آية المثل وبيان أقوال أهل العلم
- ٢٤٨ المطلب الثالث: نوع المثل
- ٢٤٨ صورة الممثل به
- ٢٤٩ الغرض الذي من أجله ضرب المثل
- ٢٤٩ المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل
- ٢٥٣ المبحث الخامس : دراسة المثليين في قوله تعالى : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْآ رِزْقًا حَسَنًا﴾
- ٢٥٣ المطلب الأول : دلالة السياق الذي ورد فيه المثليان
- ٢٥٦ المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم
- ٢٦٠ المطلب الثالث : بيان نوع المثليين
- ٢٦٠ الغرض الذي ضربا من أجله المثليين
- ٢٦١ المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثليين
- ٢٦٦ المبحث السادس : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿حَتَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾
- ٢٦٦ المطلب الأول : تعلق المثل بما قبله من الآيات
- ٢٦٨ تعلق المثل بما بعده من الآيات



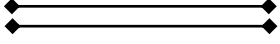
- ٢٦٩ المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم
- ٢٧١ المطلب الثالث : نوع المثل
- ٢٧٢ الغرض الذي من أجله ضرب المثل
- ٢٧٣ المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل
- ٢٧٦ المبحث السابع : دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾
- ٢٧٦ المطلب الأول : مناسبة المثل بينه وبين محور السورة
- ٢٧٦ مناسبة المثل لما بينه وبين محور السورة
- ٢٧٧ مناسبة المثل لما قبله وما بعده
- ٢٧٨ المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم
- ٢٧١ المطلب الثالث : بيان نوع المثل
- ٢٧٢ الغرض الذي من أجله ضرب المثل
- ٢٨٢ المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل
- ٢٨٨ المبحث الثامن : دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾
- ٢٨٨ المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات
- ٢٨٨ مناسبة المثل لما بعده
- ٢٨٩ المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه
- ٢٩١ المطلب الثالث : نوع المثل
- ٢٩١ الغرض الذي ضرب من أجله
- ٢٩٢ المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية
- ٢٩٧ المبحث التاسع : دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾
- ٢٩٧ المطلب الأول : سبب التزول
- ٢٩٧ مناسبة المثل لما قبله



- ٢٩٧ مناسبة المثل لما بعده
- ٢٨٩ المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه
- ٢٩١ المطلب الثالث : نوع المثل
- ٢٩١ الغرض الذي ضرب من أجله المثل
- ٢٩٢ المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل
- ٣٠٦ المبحث العاشر دراسة المثل في قوله تعالى ﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾
- ٣٠٦ المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله
- ٣٠٧ مناسبة المثل لما بعده
- ٣٠٧ علاقة المثل بمحور السورة
- ٣٠٧ المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه
- ٣١٠ المطلب الثالث : نوع المثل
- ٣١٠ الغرض الذي من أجله ضرب المثل
- ٣١٠ المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل
- ٣١٣ المبحث الحادي عشر : بيان خطر الشرك ومفاسده وأساليب القرآن في التحذير من الشرك والوسائل التربوية النبوية لسد جميع أبواب الشرك
- ٣١٤ المطلب الأول : أولاً بيان خطر الشرك ومفاسده
- ٣١٥ ثانياً: أساليب القرآن في التحذير من الشرك
- ٣١٧ ثالثاً: الوسائل التربوية النبوية لسد جميع أبواب الشرك
- ٣٢٠ الباب الثاني : الفصل الثاني : القيم التربوية والإيمانية المضروبة للمؤمنين
- ٣٢١ المبحث الأول : الإيمان لغة
- ٣٢٢ الإيمان اصطلاحاً:
- ٣٢٥ المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾



- المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات ٣٢٥
- مناسبة المثل لما بعده من افتتاحية سورة الحجرات ٣٢٦
- المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم ٣٠٧
- المطلب الثالث : نوع المثل ٣٣١
- الغرض الذي من أجله ضرب المثل ٣٣٢
- المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل ٣٣٣
- المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ٣٣٧
- أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ ﴿**
- المطلب الأول : المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها ٣٣٧
- مناسبة المثل لما قبله من الآيات ٣٣٧
- المناسبة بين المثل ومحور السورة ٣٣٨
- المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم ٣٣٨
- المطلب الثالث : الغرض الذي من أجله ضرب المثل ٣٤١
- المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل ٣٤٢
- المبحث الرابع : بيان الصفات الجامعة للمؤمنين وأسباب زيادة الإيمان ٣٤٧
- المطلب الأول : الصفات الجامعة للمؤمنين ٣٤٧
- الصفة الأولى : أشداء على الكفار رحماء بينهم ٣٤٧
- الصفة الثانية : مداومتهم على العبادة ٣٤٨
- الصفة الثالثة : ابتغواهم ما عند الله ٣٤٩
- الصفة الرابعة : صلاح الظاهر ٣٥١
- الصفة الخامسة : البراءة من المشركين ٣٥٣
- المطلب الثاني : أسباب زيادة الإيمان ٣٥٤
- أولاً : معرفة الله جلا وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى ٣٥٤
- ثانياً : طلب العلم الشرعي ٣٥٥
- ثالثاً : التأمل في آيات الله الكونية ومخلوقاته جل وعلا ٣٥٦



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



٣٥٧	رابعاً: الإكثار من ذكر الله تعالى
٣٥٧	خامساً: تقديم ما يحبه الله ورسوله على هوى النفس
٣٥٨	سادساً: حضور مجالس الذكر والحرص عليها
٣٦٠	سابعاً: البعد عن المعاصي
٣٦١	ثامناً: الإكثار من النوافل والطاعات
٣٦٢	تاسعاً: سؤال الله تعالى زيادة الإيمان وتجديده
٣٦٣	الخاتمة
٣٦٦	أهم التوصيات
٣٦٧	الفهارس العامة
٣٦٨	فهرس الآيات القرآنية
٣٨٥	فهرست الأحاديث
٣٨٦	فهرست الآثار
٣٨٩	ثبت المراجع والمصادر
٣٩٨	المواقع الإلكترونية





المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده و نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله - ﷺ - وإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار^(١). ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^(٢)، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنَسَاءً ؕ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ؕ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^(٣)، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾^(٤) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^(٥).

أما بعد: فإن الاشتغال بكتاب الله تعالى تعلماً وتعليماً، فهماً، وتفسيراً، قراءةً وتطبيقاً من أجل القربات وأكمل الطاعات، فالسعادة كل السعادة لمن يتعلم القرآن ويفهمه ويعمل به، وطوبى لمن يتدبره ويستخرج منه الدرر الثمينة والجواهر البديعة. تبرز أهمية علم التفسير من خلال مكانته المرموقة، ومترلته العالية من بين علوم القرآن خاصة والعلوم الشرعية عامة باعتباره أول العلوم الإسلامية؛ إذ هو الأصل في فهم القرآن وتدبره، وعليه يتوقف استنباط الأحكام، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، وبه يعرف الحلال والحرام، والطيب من الخبيث، والنافع من الضار، ومنه تُستخرج أصول الشرع وقواعده. وتزداد أهمية الموضوع من حيث تعلقه بأشرف العلوم وهو علم التفسير الذي هو بيان لكلام رب العالمين؛ إذ شرف العلم بشرف المعلوم، وهذا البحث

١- هذه خطبة الحاجة التي كان الرسول يبدأ بها خطبه ويعلمها أصحابه كما يعلمهم التشهد، أخرجها مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والجمعة: حديث جابر بن عبد الله وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

٢- سورة آل عمران الآية: ١٠٢

٣- سورة النساء الآية: ١

٤- سورة الأحزاب الآية: ٧٠، ٧١



الذي يبحث في الأمثال القرآنية ويستخرج منها القيم التربوية والإيمانية دراسة موضوعية كما أمرنا الله تعالى في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^(٢)

وقال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٣)

وأخرج "البيهقي" عن "أبي هريرة" قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن القرآن نزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال "^(٤).

ومن الأساليب العظيمة التي تخاطب العقول لتجلية الحسن ، وتشبيهه بأحسن التشبيهات والتنفير من القبيح ، وتشبيهه بأقبح التشبيهات؛ لتدرك القلوب الواعية ذلك البون الشاسع بين الأمرين ، والفرق الواسع بين الحالين والضدين هو (الأمثال القرآنية) ، ولما كانت الأمثال وضررها من الأهمية بمكان في أوساط الأساليب البلاغية ، فهي من أقوى الأساليب في تقريب المعاني وإبرازها ، وسرعة تفهيم المخاطب وإيصال المعنى المراد له ؛ فقد اعتنى بها كتاب الله أيما عناية فالأمثال جزء من البيان الإلهي ، تسهم في إبراز الحقائق الإيمانية من خلال أسلوبها المتميز الفعال في تشخيص الحقائق والإقناع ، والفصل عند الاشتباه والخلاف ، وخاصة قضايا الإيمان التي وقع فيها الخلاف : كالأصول التي ينبني عليها الإيمان بالله ، وأسباب الهدى والضلال ، وبيان حال المؤمنين والفسجار

١-سورة الزمر آية: ٢٧-

٢-سورة العنكبوت: ٤٣.

٣-سورة النور آية: ٣٥.

٤-في الشعب (٢/ ٤٢٧) ب : في تعظيم القرآن ، فصل في قراءة القرآن بالتفحيم ، ح ٢٢٩٣ ، ضعيف في إسناده

معراك بن عباد أو ابن عبد الله العبدى ، ضعيف كما في التقريب . ص ٩٥١ برقم ٦٧٩١ ، والمعنى في الضعفاء للذهبي (٢ /



وكذا حال المنافقين والمشركين وبيان الوسائل التربوية والإيمانية سواء كانت وسائل وقائية أو وسائل علاجية لمواجهة هذه الآفات التي متى انتشرت في مجتمع أذنت بنهايته ، وبيان العبر والمواعظ المرادة من هذه الأمثال.

مشكلة البحث

مع عظم أهمية الأمثال القرآنية إلا أني لم أجد دراسة فيما وقفت عليه في التفسير الموضوعي تضمنت أصناف البشر وتجب على الأسئلة التالية :-

- ١- ما هي أصناف البشر التي وردت في الأمثال القرآنية ؟
- ٢- ما هي القيم التربوية والإيمانية الواردة في الأمثال القرآنية للمنافقين ؟
- ٣- ما هي القيم التربوية والإيمانية الواردة في الأمثال للكفار ؟
- ٤- ما هي القيم التربوية والإيمانية الواردة في الأمثال للمشركين ؟
- ٥- ما هي القيم التربوية والإيمانية الواردة في الأمثال للمؤمنين ؟
- ٦- ماهي الخصائص والصفات لكل صنف من هذه الأصناف من خلال دراسة الأمثال الواردة في كتاب الله تعالى ؟
- ٧- ما هي الوسائل الوقائية والعلاجية التي تستنبط من خلال شرح وعرض هذه الأمثال للصفات السلبية للمشركين والمنافقين والكفار ؟
- ٨- ما هي الوسائل المعينة والمستفادة من ضرب أمثال المؤمنين في زيادة الإيمان وتثبته في قلوب أهله ؟



أهداف البحث

- ١- إنَّ هذا العمل أعتبره - قبل كل شيء - خدمةً لكتاب الله -تعالى-، وخدمة كلام الله الحميد من أعظم العبادات، وأقرب القربات، وأكمل الطاعات، فأرجو ألاَّ أُحرم الأجرَ بإذن الله تعالى.
- ٢- إنَّ للأمثال القرآنية أهميةً ومكانةً كبيرةً في القرآن ولا أدل على ذلك من أن الله تعالى أكثر منها في كتابه حتى بلغت كلمة (مثل) ومشتقاتها أكثر من المائة إضافة إلى عشرات الأمثال التي ذكرت دون استعمال لفظة مثل ومشتقاتها وهي تدخل تحت اسمه قال "الماوردي" - رحمه الله - : "من أعظم علوم القرآن علم أمثاله ، والناس في غفلة عنه لانشغالهم بالأمثال وإغفال المثالات والمثل بلا مثل كالفرس بلا لجام والناقة بلا زمام"^(١).
- ٣- ومما يؤكد على أهمية هذا الموضوع أنه يُعنى بأسلوب طالما اعتنى به العرب ، لما له من أثر في إيضاح المعاني ، وتقريبها في ذهن السامع ، مما يؤدي إلى سرعة الفهم ووضوح الأمر ، هذا الأسلوب هو أسلوب ضرب الأمثال . قال "الماوردي" - رحمه الله - : "وللأمثال من الكلام موقع في الأسماع وتأثير في القلوب ، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ، و لا يؤثر تأثيرها لأن المعاني بها لائحة ، والشواهد بها واضحة والنفوس بها وامقة ، والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة ، فلذلك ضرب الله الأمثال في كتابه العزيز، وجعلها من دلائل رسله، وأوضح بها الحجة على خلقه ، لأنها في العقول معقولة ، وفي القلوب مقبولة"^(٢).
- ٤- ومما يزيد الأمر أهمية : أنَّ الله - عز وجل - قد امتدح من عقل الأمثال الواردة في كتابه الكريم

١-السيوطي ،أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،الإتقان في علوم القرآن ،طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عام ١٤٢٦هـ - (١٩٣٣ /٥) .
٢- الماوردي ،علي بن محمد بن حبيب، أدب الدنيا والدين ،دار اقرأ بيروت ، الطبعة الرابعة لعام ١٤٠٥- ١٩٨٥ص ٢٩٦ .



قال جل شأنه: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) (١)

قال الشيخ "عبد الرحمن السعدي" - رحمه الله - : " وهذا مدح للأمثال التي يطرحها وحث على تدبرها وتعقلها وأنه عنوان على أنه من أهل العلم فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين " (٢) ٥- ومن ذلك أن للأمثال القرآنية فوائد تربوية كثيرة يزيد من أهميتها كأسلوب تربوي قائم بذاته، فهي من أفضل السبل للتربية وتقويم المسالك وإصلاح النفوس وصقل الضمائر وتهذيب الأخلاق وتنمية الفضائل السامية (ويقول العلامة "أبو السعود": " التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم وقمع سورة الجاحم الآبي كيف لا ؟ وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية ، وإبرازها في معرض المحسوسات الجليلة ، وإبداء للمنكر في صورة المعروف وإظهار للوحشي في هيئة المؤلف " (٣).

قال ابن المقفع : " إذا جعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق وأنق للسمع وأوسع لشغوف الحديث " (٤)

الدراسات السابقة

لقد بحثت في هذا الموضوع ولم أقف على تفسير موضوعي متكامل للأمثال القرآنية، ولكن وجدت جملة من الدراسات كلاً منها في مجال معين لم تشمل كل الموضوعات ومن تعرض فيها إنما يكون الغالب عليه التفسير التحليلي ومن هذه الدراسات السابقة ما هو رسائل محكمة ومنها كتب سابقة منها القديم ومنها الحديث وأهمها :-

١- سورة العنكبوت آية : ٤٣ .

٢- السعدي ،عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة ط١- ١٤٢٣هـ ص(

٦٣١) .

٣-هامش تفسير الفخر الرازي :١/١٥٦ المطبعة الخيرية ط الأولى ، مصر ١٣٠٨هـ .

٤-همزاي ، يزيد ، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية دراسة تحليلية لنصوص القرآن رسالة ماجستير ، جامعة

الجزائر عام ٢٠٠٥ ص١٢ .



١- "الأمثال من الكتاب والسنة" : أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي : دار بن زيدون : بيروت : ط ٢ : ١٩٨٧ : تحقيق :- د. السيد الجميلي .

٢- كتاب "الأمثال الكامنة في القرآن الكريم" تأليف الحسين بن الفضل. طبعة مكتبة التوبة. الطبعة الأولى ١٤١٢هـ. وهو مقتصر على الأمثال الكامنة فحسب .

٣- كتاب " الأمثال في القرآن " لابن القيم -رحمه الله- وهو جزء من كتابه الماتع (إعلام الموقعين).

٤- "أمثال القرآن" للدكتور محمود الشريف. دار مكتبة الهلال بيروت الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ

٥- كتاب "أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع" لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. طبعة دار القلم . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٢م . وهو كتاب جيد تضمن سرداً تفصيلياً للأمثال مع

الاهتمام بالناحية اللغوية والبلاغية .

٦- (الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله) رسالة دكتوراه بقسم الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية . إعداد الطالب عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع عام ١٤١٤هـ . وهي قاصرة

على الأمثال القرآنية لمسائل الإيمان بالله وبالأخص الأمثال الواردة في سورة النور .

٧- (الأمثال القرآنية في سورتي البقرة وآل عمران دراسة تحليلية موضوعية) رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا جامعة الأزهر. للطالب أحمد حامد محمد سعيد. وهي تفسير

تحليلي للأمثال الواردة في السورتين . عام ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

٨- (المدلولات التربوية للأمثال القرآنية دراسة تحليلية لنصوص القرآن الكريم) رسالة ماجستير بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة الجزائر. للطالب يزيد حمزاوي عام ٢٠٠٥م. وهي رسالة

عامة في المدلولات التربوية القرآنية وهي مختصرة وقعت في ١٣٩ صفحة وركزت على الأهداف التربوية والعقائدية والسلوكية بصفة عامة .

٩- (آيات الأمثال في القرآن الكريم من أول الأنعام حتى آخر القرآن دراسة تحليلية وموضوعية) رسالة الدكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا جامعة الأزهر. للطالب محمد عبد



الكريم محمد مراد كساب. عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. وهي عبارة عن تفسير تحليلي للأمثال الواردة في هذه السور .

١٠- (الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضافه من الشرك) رسالة ماجستير بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية. إعداد الطالب إبراهيم عبد الله الجربوع عام ١٤٣٠ هـ . واقتصرت هذه الرسالة على الأمثال المتضمنة لتوحيد العبادة وكذا الأمثال المتضمنة للشرك وأهله.

منهجية البحث

سيكون منهجي بإذن الله في هذه الدراسة معتمداً على التفسير الموضوعي (استقرائي - تحليلي - استنباطي) للأمثال القرآنية وذلك على النحو التالي:-

(١) تقسيم الأمثال إلى مواضيع مستقلة ، ويندرج تحت كل موضوع الأمثال القرآنية المتعلقة بهذا الموضوع .

(٢) إبراز المحور الرئيس للمثل .

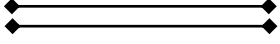
(٣) مناسبة الآيات التي ورد بها المثل ، وأسباب التزول وبيان مفردات اللغة.

(٤) دراسة السياق الذي ورد فيه المثل وتحديد دلالاته ، والاستفادة منها في تحديد المعاني المرادة ، والترجيح بينها .

(٥) إيراد شواهد المعاني المختارة من أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم ، والتركيز على التفاسير التي تعني بالتفسير بالمأثور ، وأقوال السلف الصالح ، والمعاني المستفادة من أقوالهم ، والاستفادة من التفاسير الأخرى بقدر ما تدعو إليه الحاجة، و لا ألتزم بذكر جميع الأقوال الواردة في ألفاظ المثل .

(٦) بيان أهمية المثل والغرض الذي ضرب من أجله .

(٧) استنباط أهم الفوائد الإيمانية التي دل عليها المثل ، والكلام عليها بالقدر الذي أرى أنه يفيد



باستخلاص العبرة والحكمة منها.

- ٨) استنباط أهم الفوائد التربوية التي دل عليها المثل .
- ٩) الالتزام بقواعد التفسير المأثور.
- ١٠) الاعتماد على المراجع التفسيرية بالدرجة الأولى.
- ١١) العمل بالضوابط التي وضعها العلماء للتفسير بالرأي المحمود.
- ١٢) عزو الآيات المستشهد بها إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ١٣) تخريج الأحاديث الواردة في البحث، وعزوها إلى مصادرها وذلك حسب ضوابط وأصول التخريج ونقل أقوال العلماء في الحكم على الأحاديث في غير الصحيحين إن أمكن.
- ١٤) عزو الأقوال المقتبسة إلى أصحابها، وذلك في مواضع الاقتباس ، وتوثيقها حسب الأصول.
- ١٥) إعداد مجموعة من الفهارس العلمية وهي كما يلي: -
 - أ) فهرست للآيات القرآنية حسب ترتيبها في القرآن.
 - ب) فهرس للأحاديث الشريفة والآثار .
 - ج) ثبت المصادر والمراجع.
 - د) الفهرست العام.

هيكل البحث

ينقسم هذا البحث إلى: بابين تسبقهما مقدمة وتمهيد وتعقبهم خاتمة وفهارس .

المقدمة:-

وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وهيكل البحث، ومنهج البحث.

التمهيد: وهو عبارة عن خمسة مباحث:-

المبحث الأول: المعنى الرئيس للفظ (المثل) لغةً واصطلاحاً.



المبحث الثاني: أقسام الأمثال القرآنية .

المبحث الثالث: الأهمية التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .

المبحث الرابع : الخصائص التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .

المبحث الخامس : الأغراض التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .

الباب الأول: القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للمنافقين والكفار وفيه فصلان:-

الفصل الأول: القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للمنافقين وفيه ستة مباحث:-

المبحث الأول: تعريف النفاق لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني:- دراسة المثليين في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا

حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ

مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءِ آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ

﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ

وَأَبْصَرِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ (١)

المبحث الثالث :- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ

جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا

أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ (٢)

المبحث الرابع:- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿لَا يُقَنِّطُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ

١-سورة البقرة آية : ١٧- ١٨ .

٢-سورة التوبة آية : ٦٨- ٦٩ .



وَرَأَى جَدْرًا بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدًا تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴿١﴾.

المبحث الخامس:- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهمُ حُشْبٌ مِّنْ سِنْدَةٍ يَحْسَبُونَ كُلَّ صِحْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَقُولُوا﴾ ﴿٤﴾ ﴿٢﴾.

المبحث السادس:- وفيه بيان أهم صفات وخصائص المنافقين من خلال الأمثلة السابقة والوسائل الشرعية لمواجهة النفاق وأساليبه

الفصل الثاني: القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للكفار وفيه سبعة مباحث:-

المبحث الأول: تعريف الكفر لغةً وشرعاً.

المبحث الثاني:- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٧١﴾ ﴿٣﴾.

المبحث الثالث:- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾ ﴿٤﴾.

المبحث الرابع:- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ﴿٤٤﴾ ﴿٥﴾.

١-سورة الحشر آية : ١٤ - ١٧ .

٢-سورة المنافقون آية : ٤ .

٣-سورة البقرة آية:- ١٧١ .

٤-سورة هود آية:- ٢٤ .

٥-سورة الفرقان آية: ٤٤ .



المبحث الخامس: دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي وَهِيَ رَمِيمٌ

﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾^(١).

المبحث السادس: - دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ

وَأَمْرَاتَ لُوطٍ لَوَّطُنَّ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ

أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾^(٢).

المبحث السابع: - أهم صفات الكافرين من خلال الأمثلة السابقة الواردة في الباب وسبل

وركان دعوة الكافرين .

الباب الثاني: القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للمشركين والمؤمنين وفيه فصلان :-

الفصل الأول: - القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للمشركين وفيه أحد عشر مبحثاً .

المبحث الأول: تعريف الشرك لغةً وشرعاً وبيان أنواعه

المبحث الثاني: - دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ

عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَىٰ الْهُدَىٰ

أَتَيْنَا قُلِّ إِنَّكَ هُدَىٰ اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾^(٣)

المبحث الثالث: وفيه دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ وَأَتَلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنسَلَخَ

مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ

هَوْنَهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ

١-سورة يسن آية: ٧٨- ٧٩ .

٢-سورة التحريم آية: ١٠ .

٣-سورة الأنعام آية: ١٠ .



كذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَقْصِصْ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٧٦﴾ (١).

المبحث الرابع :- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ

شَيْءٌ إِلَّا كِبَاسٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (٢).

المبحث الخامس :- دراسة المثليين في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى

شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقِنَا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ

أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ (٣).

المبحث السادس :- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿حُفَنَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا

خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ (٤).

المبحث السابع :- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ

مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ (٥).

المبحث الثامن :- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ (٦).

المبحث التاسع :- دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَّا

١-سورة الأعراف الآيتان : ١٧٥، ١٧٦ .

٢-سورة الرعد آية: ١٤ .

٣-سورة النحل آية: ٧٥، ٧٦ .

٤-سورة الحج آية: ٣١ .

٥-سورة الحج آية: ٧٣ .

٦-سورة العنكبوت آية: ٤١ .



مَلَكَتْ أَيْمَانَكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ
كَذَلِكَ نَفِصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ (١) .

المبحث العاشر: - دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُدَشِّكُسُونَ وَرَجُلًا
سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٢٩﴾ (٢) .

المبحث الحادي عشر: - بيان خطر الشرك ومفاسده وأساليب القرآن في التحذير من الشرك
والوسائل التربوية لسد أبواب الشرك.

الفصل الثاني: - القيم التربوية والإيمانية للأمثال المضروبة للمؤمنين وفيه أربعة مباحث :-
المبحث الأول: - تعريف الإيمان لغةً وشرعاً .

المبحث الثاني: - دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ
شَطْرَهُ فَتَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ﴿٢٩﴾ (٣) .

المبحث الثالث: - وفيه دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ
فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبِخْنِي مِنَ الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ
رَبِّهَا وَكُتِبَ لَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾ ﴿١٢﴾ (٤) .

المبحث الرابع: - بيان الصفات الجامعة للمؤمنين من خلال الأمثال القرآنية المتقدمة، وبيان
أسباب زيادة الإيمان

١-سورة الروم آية: ٢٨ .

٢-سورة الزمر آية: ٢٩ .

٣-سورة محمد آية: ٢٩ .

٤-سورة التحريم آية: ١٢، ١١ .



ملاحظة: خطة البحث قابلة للتعديل والإضافة بالتنسيق مع المشرف على حسب سير البحث.
الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي تضمنها البحث وكذا المقترحات التي يتوصل إليها بعد الانتهاء من البحث .

الفهارس :-

١ - فهرست الآيات القرآنية.

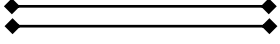
٢ - فهرس الأحاديث والآثار.

٣ - ثبت المصادر والمراجع.

٤ - الفهرست العام.

والله أسأل أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، صوباً على سنة سيد المرسلين

نبينا محمد ﷺ .



التمهيد: وهو عبارة عن خمسة مباحث:-

- المبحث الأول: المعنى الرئيس للفظ (المثل) لغةً واصطلاحاً .
- المبحث الثاني: أقسام الأمثال القرآنية .
- المبحث الثالث: الأهمية التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .
- المبحث الرابع : الخصائص التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .
- المبحث الخامس : الأغراض التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية .



المبحث الأول: المعنى الرئيس للفظ (المثل) لغةً واصطلاحاً:-

لقد ذكر أهل اللغة والمعاجم معاني كثيرة لكلمة (مَثَلٌ) مما يدل على ثراء هذا اللفظ وجزالته ولذا كان لابد من التوقف مع أهل اللغة ومعرفة المعاني الرئيسة .

" لاشيء أخطر من تصور سهولة تقرير معاني الكلمات ، وخاصة إذا كانت كثيرة التداول بين الناس " (١).

ولفظة (مثل) بصيغها المختلفة من أكثر الألفاظ تداولاً وشيوعاً ، فقد لاكتها ألسن العامة والخاصة على حدٍ سواء . لذا فإن تصور سهولة تقرير معناها ، لم يكن بمنحى عن تلك الخطورة؛ فصار لزاماً على باحث الأمثال أن يقف ويظيل الوقوف على مختلف الجهود التي بُذلت للكشف عن دلالتها أو تقرير معناها ، بل المجازفة بتقرير معنى بعينه أو دلالة بذاتها (٢) .

ولما كانت الأمثال قد نالت اهتمام اللغويين ، والمفسرين ، والبلاغيين والذين عُنُوا بجمعها ، أو دراستها ، وحظيت بجهود هؤلاء كلهم ،فليس لنا أن نغض الطرف عن كل تلك الجهود ، أو بعضها ، في الوقت الذي نستشعر فيه مثل هذه الصعوبة ، وندرك أن جهود كل فئة ممن حظيت باهتمامهم قد لا تغني عمّا بذلته الأخرى . وإذا كان من الطبيعي أن يعود باحث الأمثال إلى معاجم اللغة لمعرفة دلالة اللفظة لغةً ، ويعود إلى كتب البلاغة والأمثال ؛ ليتبين مدى العلاقة بين معناها اللغوي والاصطلاحي ، فإنّ من الطبيعي كذلك أن يعود باحثها وباحث الأمثال القرآنية منها على وجه الخصوص إلى كتب التفسير ؛ لكثرة ورود اللفظة في القرآن الكريم ، ومحاولة المفسرين إيضاح معناها فيما وردت فيه من آيات . والذي يزيد في

١- ناصف ، الدكتور مصطفى ، نظرية المعنى في النقد العربي ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٥ : ص ١٥١ .

٢- الفياض ، دكتور محمد جابر ، الأمثال في القرآن الكريم ، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ص



ضرورة الرجوع إلى كتب التفسير ، والوقوف على ما قاله المفسرون فيها ، إن أصحاب المعاجم اللغوية كانوا قد أخذوا معظم ما ضمنوه معاجمهم تحت هذه المادة من الاستعمال القرآني لها ^(١)

ولذا أحببت أن أقف على ما قيل عنها في المعاجم اللغوية ، وكتب التفسير وما قاله فيها من كان له فضل السبق في بحثها ، ودراستها ثم أذكر خلاصة القول فيه .

المطلب الأول :- المعنى الرئيس للفظ المثل لغةً :-

"قال الزبيدي : فقال (المثلُ ، بالكسرِ ، والتَّحريكِ ، وكأَميرِ : الشَّبهُ) ، يُقالُ : هذا مِثْلُه ومِثْلُه ، كما يُقالُ : شَبَّهُه وشَبَّهُه .

قال ابنُ بَرِّي : الفرقُ بينَ المِثَالَةِ والمِساوَةِ أنَّ المِساوَةَ تُكونُ بينَ المُختَلِفِينَ في الجنسِ والمتفقين ؛ لأنَّ التَّساوي هو التَّكافؤُ في المقدارِ لا يزيدُ ولا ينقصُ ، وأمَّا المِثَالَةُ فلا تُكونُ إلا في المتَّفِيعِينَ ، تُقولُ : نَحْوُه كَنَحْوِه وفِيقُه كَفِيقِه ولوئِه كَلوئِه وطَعْمُه كَطَعْمِه فإذا قيلَ : هو مِثْلُه ، على الإطلاقِ ، فمعناه أَنَّهُ يَسُدُّ مَسَدَّهُ ، وإذا قيلَ : هو مِثْلُه في كَذَا فهو مُساوٍ لَهُ في جِهَةٍ دُونَ جِهَةٍ . انتهى . " ^(٢) . والمثلُ ، مُحَرَّكَةً : الحُجَّةُ وأيضاً : (الحَدِيثُ) نَفْسُه ، وقولُه عزَّ وجلَّ :

﴿ **وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى** ﴾ ^(٣) جاء في التفسير أَنَّهُ قولُ " لا إِلَهَ إِلا اللهُ " ، وتَأويلُه أَنَّ اللهُ أَمَرَ بالتَّوْحِيدِ ونفى كُلِّ إِلَهٍ سِوَاهُ ، وهي الأمثالُ ^(٤) .

والمثلُ أَيْضاً (الصِّفَةُ) كما في الصَّحاحِ ، قال ابنُ سَيِّدِه : ومنه قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي**

١- المصدر السابق ص ٢٧ .

٢- الزبيدي، السيد محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس طبعة التراث العربي بالكويت لعام ١٤٢١هـ ،

مادة م ث ل ٣٠ / — ٣٨٠ ، ٣٧٩

٣- سورة النحل ، الآية ٦٠ .

٤- الزبيدي ، مرجع سابق ، ٣٠ / ٣٨٠ .



وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴿١﴾ قَالَ اللَّيْثُ مِثْلُهَا هُوَ الْحَبْرُ عَنْهَا (٢).

والمثال بالكسر (المقدار) وهو من الشبه والمثل ما جعل مثالا أي مقدارا لغيره. يُحَدَى عليه والجمع أمثلة ومثُل ومنه أمثلة الأفعال والأسماء في باب التصريف (٣).

وَقَدْ يَكُونُ المِثْلُ بِمَعْنَى العِبْرَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ (٤)، فَمَعْنَى السَّلَفِ أَنَا جَعَلْنَاهُمْ مُتَقَدِّمِينَ يَتَّعِظُ بِهِمُ الغَابِرُونَ وَمَعْنَى قَوْلِهِ وَمَثَلًا أَي عِبْرَةً يَعْتَبَرُ بِهَا المتَأَخِّرُونَ (٥). وَيَكُونُ المِثْلُ بِمَعْنَى الآيَةِ قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِي صِفَةِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -

﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٦)، أَي آيَةً تَدُلُّ عَلَى نُبُوَّتِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا

ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (٧) فَقَدْ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّ كِفَارَ قُرَيْشٍ خَاصَمَتِ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمَّا قِيلَ لَهُمْ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللهِ حَصْبٌ جَهَنَّمَ﴾ (٨)، قَالُوا: قَدْ رَضِينَا أَنْ تَكُونَ آهْتُنَا بِمَنْزِلَةِ عِيسَى وَالْمَلَائِكَةِ، الَّذِينَ عُبِدُوا مِنْ دُونِ اللهِ، فَهَذَا مَعْنَى ضَرْبِ المِثْلِ بِعِيسَى (٩).

وقيل الأمثل: الأفضل وهو من أمثالهم وذوي مثالتهم. يُقَالُ: فُلَانٌ أَمْثَلُ مِنْ فُلَانٍ أَي أَفْضَلُ مِنْهُ، قَالَ الأَيَادِيُّ: وَسئِلَ أَبُو الهَيْثَمِ عَنْ مَلِكٍ قَالَ لِرَجُلٍ: ائْتِنِي بِقَوْمِكَ فَقَالَ إِنَّ قَوْمِي

١-سورة محمد: الآية ١٥ .

٢- الزبيدي، مرجع سابق، ٣٠ / ٣٨١ .

٣- الزبيدي، مرجع سابق، ٣٠ / ٣٨٢ .

٤-سورة الزخرف: جزء من الآية ٥٦ .

٥-ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، طبعة دار المعارف، ١ / ٤١٣٤ .

٦-سورة الزخرف: جزء من الآية ٥٩ .

٧-سورة الزخرف جزء من الآية: ٥٧ .

٨-سورة الأنبياء الآية: ٩٨ .

٩-ابن منظور، لسان العرب، ١ / ٤١٣٤ .



مُثْلٌ ، قال أَبُو الهَيْثَمِ : يُرِيدُ أَنَّهُمْ سَادَاتُ لَيْسَ فَوْقَهُمْ أَحَدٌ^(١) . وحقيقة المثل ما جعل كالعلم للتشبيه بحال الأول كقول كعب بن زهير :-

كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلاً
وما مواعيدُهُ إلا الأباطيل^(٢)

المطلب الثاني : المثل في الاصطلاح :-

إذا كانت كلمة المصطلح تدل على لفظ علمي يؤدي المعنى بوضوح ودقة ، ويكون غالباً متفقاً عليه عند علماء علم من العلوم أو فن من الفنون^(٣) .

لقد تحدث مقاتل بن سليمان البلخي (المتوفى عام ١٥٠هـ) عن معنى المثل في القرآن وبيّن في حديثه وجوه دلالة المثل في الاستعمال القرآني فحدّد ذلك بأربعة وجوه :-

الوجه الأول:- ويعني الشّبه ومنها قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ﴾

^(٤) أي: الأشباه نصفها للناس، وقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾^(٥) .

أي : شبههُمْ .

الوجه الثاني :- يعني التّسير، قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ

خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾^(٦) . أي سير المؤمنين من الأمم الخالية .

الوجه الثالث :-يعني العبرة كقوله تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴾^(٧) . أي

١-المرجع السابق /١ /٤١٣٤ .

٢-السكري ، شرح ديوان كعب بن زهير طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٠م ص ٨ .

٣-د. إميل يعقوب - د. بسام بركة - مي شيخاني ، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، دار العلم للملايين ،

ص ٣٦٢ .

٤-سورة العنكبوت :جزء من الآية ٤٣ .

٥-سورة الفتح :جزء من الآية : ٢٩ .

٦-سورة البقرة :جزء من الآية ٢١٤ .

٧-سورة الزخرف:جزء من الآية ٥٦ .



عبرة لمن جاء بعدهم وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٥٩) (١)، أي عبرة : لبني إسرائيل .

الوجه الرابع :- يعني عذاباً كقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ﴾ (١) ، أي : وصفنا له العذاب ، وقوله تعالى: ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ (٤٥) (٣)، أي : وصفنا لكم العذاب. وللمثل في القرآن معنى آخر وهو: الصفة أو الهيئة المميزة للشيء ، وقد قال بهذا المعنى كلٌّ من :-

- ١- "ابن قتيبة" (م سنة ٢٧٦هـ) (٤) .
 - ٢- "ابن رشيقي" (م سنة ٤٥٦هـ) (٥) .
 - ٣- "الطبرسي" (م سنة ٥٤٨هـ) الذي أضاف إلى ذلك المعنى عين الشيء وشبهه (٦)
 - ٤- "أبو الحسن الفتوي العاملي" (م سنة ١١٣٨هـ) (٧) .
 - ٥- "الصاوي" (م سنة ١٢٤١هـ) (٨) .
- وتجاوز فريق آخر هذا المعنى إلى أن لفظ المثل في القرآن يستعار للحال أو للصفة أو للقصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة ويمثل هذا الرأي كلٌّ من :-

-
- ١-سورة الزخرف:جزء من الآية ٥٩ .
 - ٢-سورة الفرقان:جزء من الآية ٣٩ .
 - ٣-سورة إبراهيم :جزء الآية ٤٥ .
 - ٤-الطبرسي ، أبوعلي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ومطبعة العرفان صيدا ، ط سنة ١٣٣٣هـ ، (٢٩٦/٣) .
 - ٥-القيرواني ، أبو علي الحسن بن رشيقي ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،العمدة في صناعة الشعر ونقده ، دار الجليل بيروت ط ٤ ، سنة ١٩٧٢م ، (٢٨/١) .
 - ٦-مرجع سابق ، الطبرسي ، (٤٣٨/٣) .
 - ٧-الفتوي ، أبو الحسن العاملي ،مرآة الأنوار ومشكاة الإسراء ، طهران مطبعة الأفتاب سنة ١٣٧٤هـ ، ص ٣٠٣ .
 - ٨-الصاوي ، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين ، مكتبة محمد علي صبيح أولاده ، (١٢/١) .



١- "الزمخشري" (م سنة ٥٣٨هـ) إذ يقول في قوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾^(١). يقول : (قد استعير المثل استعارة الأسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة إذا كان لها شأن وفيها غرابة كأنه قيل :- حالهم العجيب الشأن كحال الذي استوقد ناراً)^(٢) .

٢- "الرازي" (م سنة ٦٠٦هـ)^(٣) .

٣- "البيضاوي" (م سنة ٦٨٥هـ)^(٤) .

٤- "النيسابوري" (م سنة ٧٢٨هـ)^(٥) .

٥- "الزركشي" (م سنة ٧٩٤هـ) إذ يقول: (والمثل هو المستغرب، قال الله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾^(٦) وقال تعالى: ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٧). ولما كان

كان المثل السائر فيه غرابة استعير لفظ المثل للحال أو الصفة أو القصة ، إذا كان لها

شأن وفيها غرابة^(٨). وقدمثل "الزركشي" لاستعارة المثل للحال بقوله تعالى: ﴿ مَثَلُهُمْ

١-سورة البقرة: الآية ١٧ .

٢-الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل ،
حقيق الرواية محمد الصادق قمحاوي ط الآخيرة ١٩٧٢م ، (١/١٩٥) .

٣-الرازي ، فخر الدين ، مفاتيح الغيب ، دار الطباعة العامرة ، استانبول ، ط سنة ١٣٠٧هـ ، ٢٩٣/١ .

٤-البيضاوي ، أبي سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي ، أنوار التنزيل ، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده ، مصر ط ٢، سنة
سنة ١٩٥٥م ، ٩١/١ .

٥-النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين ، غرائب القرآن و رغائب الفرقان ، ت إبراهيم عطوة عوض
مطبعة مصطفى الحلبي

القاهرة ، ط سنة ١٩٦٤م

٦-سورة النحل :جزء من الآية ٦٠ .

٧-سورة الرعد : جزء من الآية ٣٥ .

٨-الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، دار التراث ، ٤٨٨/١ .



مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴿١﴾، كذلك مثل لاستعارة لفظ (المثل) للوصف بقوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ﴾^(٢).

ونلتقي بتعريف آخر للمثل في تفسير العلامة "أبي السعود" يقول :- (.....) وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات الخفية، وإبراز لها في معرض المحسوسات الجلية ، وإبداء المنكر في صورة المعروف ، وإظهار الوحشي في هيئة المؤلف)^(٣) .

وبهذا التعريف يتفق مع "الزمخشري" في قوله :- (ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي، في إبراز خبيات المعاني ورفع الأستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتغيب والغائب كأنه مشاهد)^(٤) .

خلاصة ماسبق :- أن المثل قد استعمل في القرآن الكريم بمعنى الشبه ، وبمعنى التسيير أو العبرة أو العذاب ، واستعمل أيضاً بمعنى الصفة أو الحال ، وقد فرق القائل بهذا الرأي^(٥) بين الصفة والحال ، وبين أن الصفة تكون في الأمور التي لا تتغير مع تغيير الأزمان والأطوار، أما الحال فهي التي تتغير من حين إلى آخر وفقاً لتغير المؤثرات . كذلك جاء المثل في القرآن بمعنى الآية ، واستعمل أيضاً في كل قصة ذات شأن عظيم وخطر جليل^(٦) .

١-سورة البقرة :جزء من الآية ١٧ .

٢-سورة الرعد :جزء من الآية ٣٥ .

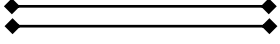
٣-الطحاوي ، محمد بن محمد ، ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبي السعود على حاشية التفسير الكبير للفخر

الرازي ، المطبعة المصرية ببولاق ١٢٨٩هـ ، ١٥٠/١ .

٤- رزق ، سميرة عدلي محمد ، وجوه البيان في أمثال القرآن ، رسالة دكتوراة عام ١٤٠٦/١٤٠٧هـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة ص-٨.

٥-الزرکشني ، مرجع سابق ، ٤٨٩/١ بتصريف .

٦-رزق ، مرجع سابق ، ص-٩ .



المبحث الثاني :- أقسام الأمثال القرآنية :-

ذهب كثير من أهل العلم ومنهم "بدر الدين الزركشي" وكذا "السيوطي" وكذلك "جعفر السبحاني" وغيرهم أن الأمثال تنقسم إلى قسمين .

" يقول "محمد أبو النيل" (من الملاحظ من تعريف العلماء للمثل أن الأمثال تشمل التشبيه ، وهو ما استخدمت فيه كاف التشبيه أو كلمة مثل أو أحد مشتقاتها أو هما معاً ، أو اكتفى فيه بذكر التشبيه والمشبه به دون أداة، وتشمل كذلك النوع الثاني وهو المثل السائر في القرآن لأنه في الأصل تشبيه حالة المضروب له بحالة من قيل فيه ، ولذلك قسم "السيوطي" أمثال القرآن إلى قسمين :- ظاهر وهو المصرح به ، وكامن وهو من لا ذكر للمثل فيه"^(١).

وذكر "بدر الدين الزركشي" أن الأمثال على قسمين :- ظاهر وهو المصرح به ، وكامن وهو الذي لا ذكر للمثل فيه وحكمة حكم الأمثال وقد نقل السيوطي ذلك النص بنفسه وحاول تفسير المثل الكامن^(٢). وسيأتي بإذن الله -تعالى - ذكر ذلك ونجد أن أقسام الأمثال القرآنية قسمين :-

القسم الأول :- الأمثال الظاهرة المصرح بها :-

وهي ما صرح فيها بلفظ المثل أو ما يدل على التشبيه وهي كثيرة في القرآن نورد منها ما يأتي :- ومنها قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ** ^ط﴾^(٣). أو قوله تعالى :

١- حمزاوي ، يزيد ، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية دراسة تحليلية لنصوص القرآن رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر عام ٢٠٠٥ ص ٢٦ ، ٢٧

٢- السيوطي ، أبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الإتيان في علوم القرآن ، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عام ١٤٢٦هـ ، (٥ / ١٩٣٣) .

٣- سورة آل عمران : جزء من الآية ٥٩ .



﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا ﴾^(١). أو قوله تعالى : ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾^(٢) كَأَمْثَلِ اللَّوْلِ الْمَكْنُونِ

﴿ ٢٣ ﴾^(٣). ومن الأمثال الظاهرة كذلك تلك التي صرح فيها بالتشبيه والقياس ، سواء كان

ذلك بكاف التشبيه أو غيرها من الأدوات الدالة على التشبيه والقياس، كقوله تعالى:

﴿ فَمَا هُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴾^(٤) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ﴿٤٩﴾. وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾^(٥).

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾^(٦). ويدخل في هذا النوع

أمثال لا أداة فيها للقياس والتمثيل إطلاقاً ، لكن معنى الآية يدل على أنه مثل قياس ظاهر ،

منه قوله تعالى : ﴿ أَيُّجِبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾^(٧). ويأذن الله تعالى

سيكون هذا القسم هو محل البحث والتحقيق في هذه الرسالة بإذن الله تعالى .

القسم الثاني : الأمثال الكامنة :-

وهي التي لم يصرح فيها بلفظ التمثيل ، ولكنها تدل على معانٍ رائعةٍ في إيجاز يكون لها

وقعها إذا نُقلت إلى ما يشبهها^(٨) .

وهي أيضاً تلك الأمثال التي لا تدل على التشبيه ، و لا تستخدم أدواته ، و لا تدل كذلك

على القياس وإنما هي أشبه بالأمثال السائرة ، ويمثلون لهذا النوع بأمثلة منها :-

١-سورة البقرة : جزء من الآية ١٧ .

٢-سورة الواقعة : الآية ٢٢ ، ٢٣ .

٣- سورة المدثر : جزء من الآية ٤٩ ، ٥٠ .

٤-سورة البقرة : جزء من الآية ٢٧٥ .

٥-سورة القارعة : جزء من الآية ٤ .

٦-سورة الحجرات : جزء من الآية ١٢ .

٧-القطان ، مناع ، مباحث في علوم القرآن ، طبعة مكتبة وهبة ص ٢٧٩ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



ما في معنى قولهم "خير الأمور الوسط" ،بقوله تعالى: ﴿لَا فَاْرِضْ وَلَا يَكْرُ عَوَانُ﴾^(١) .
وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٢) . وكذلك
ما في معنى " لا يُلدغ المؤمن من جُحر مرتين " ، قوله تعالى على لسان يعقوب :
﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾^(٣) . وما في معنى قولهم " كما
تدين تدان " قوله تعالى ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾^(٤) . ومن أمثلتها في القرآن قوله
تعالى: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾^(٥) . ويقابله المثل السائر " ليس الخبر كالمعاينة "
وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاِجْرًا كَفَّارًا﴾^(٦) . ويقابله " لا تلد الحية إلا حية " وغيرها
من الأمثال السائرة الكثيرة^(٧) .

نكته: - واختلّفوا في هذا النوع من الآيات الذي يسمونه إرسال المثل ، ما حكم استعماله
في الأمثال ؟

فراه بعض أهل العلم خروجاً عن أدب القرآن ، قال الرازي في تفسيره قوله تعالى :
﴿لِكُؤْمِنِكُمْ وَلِي دِينِ﴾^(٨) . "جرت عادة الناس بأن يتمثلوا بهذه الآية عند المتاركة وذلك
وذلك غير جائز؛ لأنه تعالى ما أنزل القرآن لتمثل به، بل يتدبر فيه، ثم يعمل بموجبه ورأى
آخرون أنه لا حرج فيما يظهر أن يتمثل الرجل بالقرآن في مقام الجحد، كأن يأسف أسفاً

-
- ١-سورة البقرة جزء من الآية : ٦٨ .
 - ٢-سورة الإسراء جزء من الآية : ١١٠ .
 - ٣-سورة يوسف جزء من الآية : ٦٤ .
 - ٤-سورة النساء جزء من الآية : ١٢٣ .
 - ٥-سورة البقرة جزء من الآية : ٢٦٠ .
 - ٦-سورة نوح جزء من الآية : ٢٧ .
 - ٧-همزاي ،مرجع سابق ، ص٢٨ .
 - ٨-سورة الكافرون : الآية ٦ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



شديداً لتزول كارثة قد تقطعت أسباب كشفها عن الناس فيقول: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ

﴿٥٨﴾^(١) أو يحاوره صاحب مذهب فاسد يحاول استهواؤه إلى باطله، فيقول: ﴿لَكُمْ

دِينِكُمْ وَإِلَى

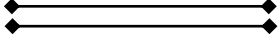
دِينِ ﴿٢﴾^(٢). والإثم الكبير في أن يقصد الرجل إلى التظاهر بالبراعة فيتمثل بالقرآن حتى في مقام

مقام الهزل والمزاح^(٣).

١-سورة النجم : الآية ٥٨ .

٢-سورة الكافرون :الآية ٦ .

٣- القطان ،مباحث في علوم القرآن ، ص ٢٨١ .



المبحث الثالث : الأهمية التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية:-

الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حسي يُقرها إلى الإفهام بقياسها على المعلوم اليقيني ، والتمثيل هو القالب الذي يُبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان ، بتشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس ، وقياس النظير على النظير ، وكم من معنى جميل أكسبه التمثيل روعةً وجمالاً ، فكان ذلك أدعي لتقبل النفس له ، واقتناع العقل به ، وهو من أساليب القرآن الكريم في ضروب بيانه ونواحي إعجازه^(١) .

وقد أجمل الإمام "الزركشي" بيان أهمية الأمثال في القرآن فقال " وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ ، والحث ، والزجر ، والاعتبار ، والتقدير وترتيب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس ، بحيث يكون نسبه للفعل كنسبة المحسوس إلى الحسن . وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب ، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر ، قال تعالى :

﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ۝٤٥ ﴾^(٢) ، فامتحن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد ، وقال تعالى

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾^(٣) . وقال تعالى :

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾^(٤) والامثال مقادير الأفعال

١- المرجع سابق صـ ٢٧٤ .

٢- سورة إبراهيم : جزء من الآية ٤٥ .

٣- سورة الروم : جزء من الآية ٥٨ .

٤- سورة العنكبوت : الآية ٤٣ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



، والممثل كالصانع الذي يقدر صناعته ، كالحياط يُقدِّر الثوب على قامة المخيط ، ثم يغريه ، ثم يقطع ، وكلُّ شيء له قالب ومقدار ، وقالب الكلام ومقداره الأمثال ^(١) .
وأهمية أمثال القرآن كثيرة جداً منها :-

١- أن الله تعالى نسب ضرب هذه الأمثال لنفسه فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ^(٢)؛ وضمنها أشرف كتبه، مما يدل على تفخيم شأنها، وسمو منزلتها ، وعظيم موقعها بين أساليب القرآن المتنوعة .

٢- أن الله أقام بها الحجج على عباده ، قال تعالى: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ﴾ ^(٣) قال "الشوكاني" - رحمه الله - (وضربنا لكم الأمثال) في كتب الله وعلى ألسن رسله ، إيضاحاً لكم وتقريراً ، وتكميلاً للحجة عليكم ^(٤) .

٣- أن الأمثال جزء من الميزان ، وهو العدل الذي أنزله الله لعباده ، ليسروا به بين المتماثلات ويفرقوا بين المختلفات قال شيخ الإسلام - رحمه الله - وضرب المثل مما يظهر به الحال ، وهو القياس العقلي الذي يهدي به الله من يشاء من عباده ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ^(٥) وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ^(٦)، وهذا من الميزان الذي أنزله الله كما

١- الزركشي ، مرجع سابق ، ص ٤٨٧، ٤٨٦ .

٢- سورة البقرة : جزء من الآية ٢٦ .

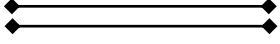
٣- سورة إبراهيم : الآية ٤٥ .

٤- الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير . مطبعة مصطفى

الحلي ، مصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٣-١٩٦٤ م ، (٣/ ١١٦) .

٥- سورة الزمر : الآية ٢٧ .

٦- سورة العنكبوت : الآية ٤٣ .



قال تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ ﴾^(١) .^(٢)

٤- أنها من وسائل إيضاح الدِّين والدعوة إليه، فهي تقرب المعقول وتجعله في صورة المحسوس^(٣). قال الحكيم الترمذي -رحمه الله - فالأمثال نموذجات الحكمة لما غاب عن الأسماع والأبصار ، لتهدي النفوس بما أدركت عياناً ، فمن تدبير الله لعباده أن ضرب لهم الأمثال من أنفسهم لحاجتهم إليها ، ليعقلوا بها فيدركوا ما غاب عن أبصارهم وأسماعهم الظاهرة^(٤).

٥- أنها تشحذ الذهن للتفكير والتذكر ، كما قال الله (لعلهم يتفكرون) وقوله :

(لعلهم يتذكرون) وذلك أنها بينت العلة التي من أجلها ضربَ الله الأمثال للناس وصرفها لهم في كتابه العزيز ؛ وهي رجاء تفكيرهم وتعقلهم لها ثم تذكيرهم بمعرفة الحق الذي ضربت له والانتفاع به فالأمثال تسهل للناس التفكير والتعقل بما تشتمل عليه من مقايسة الأمور وإلحاق النظر بنظيره ، والمساواة بين المتشابهات في الأحكام وتوضيح الغامض أو المجهول بالمعلوم المحسوس أو المعقول ، وهذا هو الاعتبار المؤدي إلى استخلاص العبر والحكم مما ورد في الكتاب الكريم من الأمثال بمختلف أنواعها^(٥) .

٦- ومن أهميتها ومزيد شرفها تخصيص أهل العلم بتعقلها مما يدل على علو قدرها؛ فأهل العلم هم الطالبون لها المدركون لأهميتها والمتدبرون لها، والمتفجعون بها، ومن جهة أخرى فإن من عَلِمَهَا واعتني بها كان ذلك دليلاً على علمه وفقهه كما قال تعالى: (وما يعقلها إلا

١-سورة الشوري: جزء من الآية ١٧ .

٢-الجربوع ،إبراهيم عبد الله ، الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاده من الشرك ،رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية قسم العقيدة عام ١٤٢٩/١٤٣٠هـ ص ٣٦ .

٣-القياس في القرآن الكريم والسنة النبوية ص٢٨٩.

٤-الترمذي ،أبي عبد الله محمد بن علي ، الأمثال من الكتاب والسنة ، ت مصطفى عبد القادر عطا ،مؤسسة الكتب الثقافية ط أولى عام ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م ، ص١٣.

٥-الجربوع ،مرجع سابق ١/١٤٤.



العالمون). وقد عدها الأمام "الشافعي" - رحمه الله - مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن فقال: (ثم معرفة ما ضرب فيه من الأمثال ، الدوال على طاعته ، المثبتة لاجتناب معصيته ، وترك الغفلة عن الحفظ والازدياد من نوافل الفضل^(١)). قال الشيخ "عبد الرحمن السعدي" - رحمه الله - في قوله تعالى (وما يعقلها إلا العالمون) وهذا مدح للأمثال التي يضر بها، وحث على تدبرها وتعقلها ومدح لمن يعقلها، وأنه عنوان على أنه من أهل العلم، فعلم أن من لم يعقلها ليس من العالمين والسبب في ذلك، أن الأمثال التي يضرها الله في القرآن إنما هي للأمر الكبار ، والمطالب العالية، والمسائل الجلية، فأهل العلم يعرفون أنها أهم من غيرها، لاعتناء الله بها ، وحثه عباده على تعقلها ، وتدبرها ، فيبدلون جهدهم في معرفتها ، وأما من لم يعقلها مع أهميتها ، فإن ذلك دليل على أنه ليس من أهل العلم ؛ لأنه إذا لم يعرف المسائل المهمة فعدم معرفته غيرها من باب أولى وأخرى ، ولهذا ، أكثر ما يضر الله الأمثال في أصول الدين ونحوها^(٢).

١-السيوطي ، مرجع سابق ، (٤٨٦/١).

٢-السعدي، مرجع سابق ١٣١٥/١٣١٦.



المبحث الرابع : الخصائص التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية :-

تتميز الأمثال القرآنية بجملة من الخصائص التربوية أو الصفات التي تعينها على التأثير على المخاطبين أكثر من الكلام السردى ، أو غيرها من أساليب الخطاب ويمكن جمع هذه الخصائص من خلال كلام أهل العلم في خمس خصائص وهي : دقة التصوير مع صدق المماثلة ، والتصوير المتحرك الحي الناطق ، وتنوع الممثل به ، وتكرار المثل ، وتشويق المثل مع بعده عن النفرة^(١).

أولاً: دقة التصوير وصدق المماثلة :-

تتميز الأمثال القرآنية بميزة دقة التصوير وصدق المماثلة ؛ مما يعين على التأثير وتحقيق الهدف والغرض التربوي لضربها . يقول "الميداني" : " من تتبع الأمثال القرآنية يستطيع اكتشاف خاصية دقة التصوير مع إبراز العناصر المهمة في الصورة التمثيلية ، والتصوير المتحرك الحي الناطق ذو الأبعاد المكانية والزمانية ، والتي تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية والحركات الفكرية للعناصر الحية في الصورة مع صدق المماثلة بين المثل والممثل به له^(٢) .
وهذه الأمثال التي أودعها الله كتابه تحمل إعجازاً في تراكيبها البلاغية وصورها النفسية ، فالمثل يهدف إلى الغوص في أعماق النفس والدخول في شغاف القلب ليحقق غايته في الإصلاح ، وإبراز النموذج الأكمل في الذات الإنسانية ، ولعل البيان في أساليب المجاز والاستعارة والتشبيه ، توفر الوسائل الناجحة لنقل العواطف وإثارة الإحساس وبهما تتجاوب الأصداء، وتلتقي الأصوات، وتتحرك الكلمات، فمثلاً حينما يصور المثل أعمال

١- حمزاوي ، مرجع سابق ، ص ١٠٣ .

٢- الميداني ، عبد الرحمن حسن حبنكة ، أمثال القرآن ، دار القلم ، ط ٢ ، ١٤١٢ هـ - ص ٨٤ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



الكافرين التي لا وزن لها و لا فائدة ترجى منها في الحياة الأخرى ، فإنه يشبهها بذرات الرماد المتناثرة والمتطايرة هنا وهناك في مهب الريح ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (١٨) . وفي مثل آخر يقول الله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٧٦) (٢)

ويكشف هذا المثل الأبعاد النفسية ، التي اشتملت عليها شخصية الذي يتخلى تماماً عن آيات الله البينات ويعرض عنها ، ابتغاء عرض زائل ومتاع قليل ، وقد استعار كلمة "انسلخ" وعبر بها تعبيراً دقيقاً عن مدى التصميم في الإعراض والتخلي ، وصور بذلك حالة التزاع الشديد في مفارقتها ، فهذا التجرد من عناصر الحيز حتى عادت إلى حقيقة أخرى جوفاء مترهلة ، وتأتي الصور متقاطرة العبارات مجلجلة الواقع ، فيعقب صورة الكلب اللاهث في حالته وإخلاله إلى الأرض ، وهي شديدة الأثر في تحويرها لشأن المشبه وإظهارها لضياعه وتشرده وضلاله^(٣) . ومن الأمثلة على هذه الخاصية قوله تعالى :

﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِينَ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٤) ، ويلاحظ في هذا المثل دقة التصوير وصدق المماثلة بين المثل والممثل له ، ففي

١-سورة إبراهيم : الآية ١٨ .

٢-سورة الأعراف: الآيات ١٧٥، ١٧٦ .

٣-حمزاوي ، مرجع سابق، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

٤-سورة هود : الآية ٢٤ .



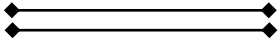
الآية تمثل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالأعمى والأصم ، وتمثيل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا إلى ربهم بالبصير والسميع ؛ وذلك لأن الكافرين صرفوا أبصارهم عن رؤية آيات الله ، وتراكت عليها غشاوة أهوائهم وشهواتهم ورغبات متاع الحياة الدنيا ، وصرفوا أسماعهم عن تفهم كلام الله وكلام رسوله ، فكانوا بسبب ذلك كمن هو مصاب بالعمى والصم ، أما الذين آمنوا فقد رأوا آيات الله فانتفعوا بها وآمنوا بربهم وتدبروا كلام الله وكلام رسوله ففهموا وانتفعوا واستجابوا ، فمثلهم بالنسبة لذا القسم من المعارف الربانية كالبصير حديد البصر والسميع شديد السمع^(١).

ثانياً: التصوير المتحرك الحي الناطق :-

وهذا التصوير ذو الأبعاد المكانية والزمانية ، والذي تبرز فيه المشاعر النفسية والوجدانية والحركات الفكرية للعناصر الحية في الصورة ومثل هذه الخاصية تتضح جوانبها في قوله تعالى ﴿: ﴿الله نُّورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾^(٢). يقول الميداني : " فالواحة التمثيلية قد استكملت كل عناصرها بدقة تامة وهذا يكشف لنا انطباق عنصرا آخر من عناصر خصائص الأمثال القرآنية، وهو دقة التصوير مع إبراز العناصر المهمة من الصورة التمثيلية ، يضاف إلى ذلك بعض الأبعاد المكانية والزمانية . فما أنزل الله من هداية قد جاء من مصدر كامل ، وجاء مدده كاملاً ، وظهر نوره لأهل الأفهام السليمة صافياً ، وقد وضع ضمن كلام بليغ متصف بالكمال ، مشع بالنور من كماله ، وقد وضع في المكان المناسب له ، إذ أنزل على العرب وبلغتهم الدقيقة ،

١-الميداني ، مرجع سابق ، بتصرف ص ١١٧، ١١٨ .

٢-سورة النور: الآية ٣٥ .

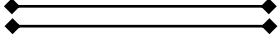


أو وضع في قلب المؤمن يهديه وينير له السبيل " (١).

ثالثاً: التنوع في الممثل به :-

ومن الخصائص التي تميزت بها الأمثال القرآنية تنوعها من حيث الممثل به ؛ وذلك لتحقيق الأغراض والأهداف التربوية ، مما يجعل تلك الأمثال تمتاز بالثراء في الألفاظ والكلمات والعبارات والمفاهيم و المعاني التي تضع أمام المخاطب عرضاً متنوعاً من تلك الأمثال ، مما يثري رصيده اللغوي والمعرفي ، فلا غرابة أن أشهر الأدباء في العالم الإسلامي قديماً وحديثاً هم أولئك الذين تشبعوا بأمثاله الفصيحة وتشبيهاته البليغة ، فتنوع الأمثال هو تنوع في الأسلوب التعليمي، الذي يقدم زاداً من المعلومات والمعارف المقدمة بشكل بلاغي إعجازي جميل يحمل دلالات لغوية، ومعرفية، وشرعية ، ترشحها لتكون أسلوباً تربوياً راقياً . وتنوع الممثل به أو الأمثال عموماً ، وتعدد أوجه التشبيه وأدواته ، يعين في تعليم المخاطب والتأثير فيه من حيث أنه إذا استشكل ممثلاً به أو تشبيهاً ، بسبب عدم إدراكه له ، أو بسبب افتقاره له في مخزونه المعرفي ، لعدم وجود ذلك الممثل به في بيئته التي يعرفها ، جاء مثل آخر بتشبيه آخر بممثل آخر يعرفه المخاطب فيستعوض به عما يجهله ، فالله تعالى يضرب المثل بالعنكبوت والحمار والجمل والفراش المبتوث والنحل وغيرها من المثلثات التي يكثر وجودها في البادية وفي الصحراء ، أو في بيئة معينة ، وقد يكون المخاطب يعيش في مدينة ، لا يعرف عن قرب تلك المثلثات ، فتأتي أمثال أخرى من المطر والغيث والسحاب والبحر والنور وغيرها مما هو موجود في بيئته ، فيفهم المثل ، ويتحقق مطلوب الرسالة القرآنية . فالقرآن إذاً يجوي كماً كبيراً من الأمثال التي استقاها الله من البيئة المشاهدة وغير المشاهدة للإنسان ، التي تعين على تقريب المعنى وتكثيف الصور المحسوسة أمام المتعلم ، من خلال تنوع عناصر التمثيل

١-الميداني، مرجع سابق ، بتصرف ص١٢٧، ١٢٨ .



المستوحاة من بيئة الإنسان^(١).

رابعاً تكرار الأمثال :-

من الفوائد الهامة للأمثال القرآنية أنها تمتاز بخاصية التكرار ، وهي كغيرها من الآيات القرآنية تكررت عدة مرات في مناسبات عديدة عبر كتاب الله ، وذهب بعض العلماء إلى أن من القرآن ما تكرر نزوله ، وقد يتكرر نزول الآية على سبيل التذكير والموعظة بما يكون باعثاً للسامعين على الأثر والاستجابة . والأمثال القرآنية مواقف نفسية تصف الشخصيات المختلفة ، سواء الصالحة كالرسل والأنبياء أو النماذج الفاسدة كالكفار والمنافقين و العصاة ، وقد تكررت هذه المواقف النفسية في العديد من الآيات والأمثال ، علماً أن ورود التكرار وورود الموقف النفسي ليس تكراراً تطابقياً للموقف للكلمات والجمل كما يتبين ذلك من مقارنة النصوص القرآنية للموقف الواحد ، وإن الورد المتكرر لبعض المواقف ذو أهمية نفسية وتربوية مزدوجة كما يلي :-

١-تكرار يؤكد وظيفة نفسية للمواقف القرآنية ، إذ يؤدي التكرار إلى إبراز جانب مهم في كل مرة يقدم بها القرآن ذلك الموقف بتسليط الأضواء المكثفة عليه ، بحيث عندما تتجمع تلك الجزئيات الموزعة فإنها تتعاون على تقديم الموقف النفسي العام ، بصورة متكاملة في جميع النصوص القرآنية الواردة .

٢-يؤدي التكرار وظيفة تربوية إذ يعمل على تثبيت الفكرة العامة للموقف النفسي وقوة استحضارها ؛ لتكون ملازمة لذهن الإنسان مؤثرة في سلوكه العام ، فالقرآن الكريم ليس كتاب سجل لتدوين أحداث التاريخ الإنساني ، وإنما هو كتاب هداية وإرشاد يتخذ من مواقف الإنسان منطلقات نفسية تربوية، وتشريعية لتكوين الإنسان الفاضل

١-حمزاوي، مرجع سابق ص—١٠٧، ١٠٨ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



والمتكامل^(١). ويلاحظ في الأمثال القرآنية أن بعضها يتكرر معناه دون لفظه ، وبعضها يتكرر لفظه ، لكنه تكرر يشعر بالجدّة وليس بالملل وكأن كل مثل يُقرأ لأول مرة وهذه بعض الشواهد على تكرار الصيغ المتعلقة بالأمثال ، وهي غيض من فيض .

الشاهد الأول :- **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾ (٨١)** ^(٢).

الشاهد الثاني :- **قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ يَقُولنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴾ (٥٨)** ^(٣).

أما من ناحية المعنى فثمة أمثال تكررت لأداء معنى واحد وتحقيق هدف واحد ، ومن الشواهد . الشاهد الأول : **قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ ﴾ (٤)**.

فمثلاً حينما يصور المثل أعمال الكافرين التي لا وزن لها و لا فائدة ترجي منها في الحياة الأخرى ، فإنه يشبهها بذرات الرماد المتناثرة والمتطايرة هنا وهناك في مهب الريح ، كما في قوله تعالى : **﴿ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴾ (١٨)** ^(٥).

خامساً : التشويق وإبعاد النفرة :-

١- لمحات نفسية القرآن الكريم عبد الحميد الهاشمي ص ١٣٣-١٣٦ .

٢- سورة الإسراء الآية : ٨٩ .

٣- سورة الروم الآية : ٥٨ .

٤- سورة البقرة جزء من الآية : ٢٦١ .

٥- سورة إبراهيم الآية : ١٨ .



يجمع علماء التربية على أن من العوامل المساعدة على التعلم استخدام الأساليب والوسائل المشوقة ، التي تبعث بدورها النشاط والحركة باتجاه الاستيعاب والفهم ، وإن المناهج العلمية والمعلومات والمعارف التي تقدم بأساليب غير مشوقة ، وبطريقة فجة تؤدي بالمتعلم إلى النفور من التعليم ، أو على الأقل إلى النفور من المادة أو الموضوع الذي يراد تعليمه إياه ؛ لذا فكافة النظريات والتجارب التربوية الحديثة في التعلم تجعل هذا العامل محورياً في نظيراتها ، حتى إن بعض تلك النظريات ذهبت بعيداً إلى حد اقتراح وسائل تعليمية تجمع بين الدراسة واللعب ، خصوصاً عند الأطفال كما في طريقة "ديكرولي" DECROLY التي رفعت شعار "الطفل الذي ينشط وهو مرح" (١) . وكذلك تركيز المربية "ماريا مونتسوري" على المثيرات والمنبهات التي تثير الاهتمام لدى الطفل ، والتي دعته "المثيرات اللذيذة والممتعة التي تغلب على الكراهية الطبيعية للجهد" (٢) . وكذلك المبادئ النفسية التربوية عند "فروبل" الذي أهتم كثيراً بالألعاب والوسائل التربوية ، التي تجعل الفرد يتعلم الأمور الجدية من خلال الوسائط الممتعة والمبهجة (٣) . إن الله سبحانه وتعالى خالق البشر ويعلم أنهم ، بضعفهم ، يتعرضون للملل والخمول والكسل والنفرة الأمر الذي يعيق تعلمهم وفقهم الآيات القرآنية ؛ لذا لم يرد الله أن تكون آياته كلها على نسق واحد من الأمر والنهي والزجر والتخويف والتعقيد ، وإنما أرادها عرضاً مشوقاً ميسراً للذكر يقتل الملل ، ويبعث على النشاط المتزايد المعين على التدبر ، حتى يقطع على المعرضين كل ذريعة لرفض رسالة الإسلام . ومما يزيد القرآن تشويقاً في قراءته ألفاظه الجميلة وانسياب آياته وفواصلها ، وبركتها ، إذ أن القرآن آيات مباركة ، حتى إن هذا القرآن صار وسيلة مسكنة لألم النبي - صلى الله عليه

١- التربية عبر التاريخ لعبد الله عبد الدايم ص ٥٦٢ .

٢- المصدر السابق ص ٥٥١

٣- المصدر السابق ص ٤٤٦ - ٤٤٧ .



وسلم- فقد كان يركن إلى ترتيل القرآن كلما هممه أو أفرعه أو أحزنه أمر فتسليه تلاوته ، ويواسيه ويخفف عنه وطأة المصائب ، وكان يحب أن يسمعه من غيره ، وبالأخص أبي موسى الأشعري فقال له يوماً: "لقد أوتيت مزمراً من مزامير آل داود"^(١) . والأمثال القرآنية من أكثر الآيات التي تتميز بخاصية التشويق يقرأها القارئ أو يستمع لها المستمع وهو متلذذ بألفاظها ومستمتع بحروفها^(٢). والتشويق ودفع الملل المتوافر في الأمثال القرآنية ، ليس هدفاً في ذاته ؛ لكنه معين على التعقل والتدبر وهو الهدف الأساسي ، قال "ابن القيم": إن الأمر قد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره ومثيله ، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير ، ففي الأمثال القرآنية من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لها أمر لا يجحده أحد^(٣) .

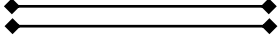
كما يبين "الغامدي" في مقاله عن الأمثال القرآنية: (أن المثل القرآني يبعد النفرة والوحشة، وهي معين على الأنس والتقبل للقضية المطروحة ، فالأمثال تنوع في الحديث، وتلون في العرض، ودفع للملل وبعث للنشاط يجعل النفس في تقبل وإقبال ، وفي الأمثال مجال للتجديد مما يجعل النفوس تلتفت إليها، وتستفيد منها، ويصعب تقديم شواهد محددة من الأمثال على هذه الخاصية ، فكل الأمثال القرآنية تصلح أن تكون شاهداً على التشويق ودفع النفرة والملل وشد انتباه المتعلم^(٤) .

١- متفق عليه ، رواه البخاري في فضائل القرآن برقم (٥٠٤٨)، ومسلم صلاة المسافرين برقم (٧٩٣).

٢- حمزاوي، مرجع سابق ، ص—١١٥، ١١٦ .

٣- الجربوع، مرجع سابق ، ١٤/١

٤- حمزاوي، مرجع سابق ، ص—١١٦، ١١٧ .



المبحث الخامس: الأغراض التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية :-

إن المتكلم الفصيح الذي يلجأ إلى الأساليب غير المباشرة - ومنها الأمثال - في وصف وبيان ما يريد ، إنما يفعل ذلك لحكمة وغرض معين . والأمثال القرآنية ضربت لأغراض سامية ، وكل تلك الأغراض تدور حول غرض أساسي ، هو البيان والإيضاح لمراد - الله عز وجل - والبلاغ لحقيقة دينه ، وحقيقة ما يضاده ، وكل ما يحتاج إليه البشر للتعرف على حق الله - عز وجل - وما يترتب على القيام به من كرامة الله في الدنيا والآخرة ، والتعرف على ضده وما يترتب على من سلكه من سخط الله .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٨٩﴾^(١). وغاية ذلك البيان هو الترغيب في الحق والحث على اعتناقه ، والترهيب من الباطل والتنفير منه ، والأمثال من رحمة الله - عز وجل - بعباده حيث يسر بها وبغيرها من ضروب القول كلامه للتذكر والتدبر ، كما قال سبحانه ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ۝١٧﴾^(٢). وقد جمع الأغراض التي تضرب لأجلها أمثال القرآن الكريم للإمام بدر الدين الزركشي بقوله " وضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور كثيرة : التذكير ، والوعظ والحث ، والزجر ، والاعتبار ، والتقدير، وترتيب المراد للعقل ، وتصويره في صورة المحسوس وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر ، وعلى المدح والذم ، وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره ، وعلى تحقيق أمر أو إبطال أمر قال تعالى:

١-سورة الإسراء الآية : ٨٩ .

٢-سورة القمر الآية : ١٧ .



﴿ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ﴾ (٤٥) (١). فامتن علينا بذلك لما تضمنت هذه الفوائد (٢).

والمتبع للأمثال القرآنية يجد أن أهم الأغراض التي جاءت لها الأمثال هي :-

الغرض الأول : تقريب صورة الممثل له إلى ذهن المخاطب عن طريق المثل :-

قال "الميداني": " قد يكون لدي المخاطب نوع جهالة حول الممثل له ويراد رفعها عنه والتمثيل قد يكون وسيلة سهلة للتعليم ورفع الجهالة ، بل ربما كان أحسن الوسائل عند تعذر إحضار الممثل له ، أو إحضار صورته بالفعل ، أمام المخاطب الذي يراد رفع الجهالة عنه . لكن الممثل له قد لا يكون ذا صورة مادية يمكن أن تدرك بالحس الظاهر، بل أمراً فكرياً ذهنياً ، أو أمراً وجدانياً وقد يكون ذا صورة مادية يمكن أن تدرك بالحس الظاهر ويراد من المثل في الحالة الأولى تقريب الصورة الذهنية أو الوجدانية وفي الحالة الثانية تقريب الصورة المادية لذهن المخاطب " (٣).

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ﴾ (٢٢) كَأَمْثَلِ اللَّوْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿ (٢٣) (٤).

فضرب الله مثلاً لألوان بشرتهم ونعومتها ، ولمشهد توزعهم في الجنة للخدمة باللؤلؤ المنتور وهو مثل تقريبي ، والحقيقة أعظم من ذلك وأرفع .

الغرض الثاني :- وهو الإقناع بفكرة من الأفكار :-

الإقناع بفكرة من الأفكار قد يصل إلى مستوى الحججة البرهانية وقد يقتصر على مستوى الحججة الخطابية ، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة والحجة البرهانية هي الحججة الملزمة التي تفيد اليقين . أما الحججة الخطابية فهي حجة إقناعية ظنية تفيد

١-سورة إبراهيم جزء من الآية : ٤٥ .

٢-الزركشي ،مرجع سابق ، (٤٨٦/١ ، ٤٨٧) .

٣-الميداني ،مرجع سابق ، ص ٦١ .

٤-سورة الواقعة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .



الظن الراجح ، ولفت النظر يكفي فيه إيراد المثل المشابه ولم يشتمل على أية حجة^(١). ومن الشواهد القرآنية على الأمثال التي يقصد منها الإقناع بفكرة من الأفكار، وهذا الإقناع يشتمل على حجة برهانية ما ضربه الله المثل ببدء الخلق لإثبات قدرته على إعادة خلق الأحياء بعد أماتهم وفناء أجسادهم قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾^(٣) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ. قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ^(٤) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ^(٥) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ^(٦) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ^(٧) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ^(٨) ﴿٨٢﴾^(٩) فضرب الله في هذه النصوص مثلاً ببدء الخلق وضرب مثلاً بخلقه للسموات والأرض الذي هو أكبر من خلق الناس ؛ دليلاً على قدرته سبحانه وتعالى على إعادة خلق الناس بعد فناء أجسادهم . وضرب المثل بكل من الأمرين قد تضمن حجة برهانية على قدرة الخالق في إعادة الخلق بعد فناءه ، لأن من قدر على ابتداء الخلق لا بد أن يكون قادراً على إعادته لاستواء البدء والإعادة في الواقع بالنسبة إلى قدرة الخالق القادر ، الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له : كن ، فيكون الشيء . ولأن من قدر على خلق الشيء العظيم الكبير، لا بد أن يكون قادراً على خلق ما هو أقل وأصغر منه^(٤) .

الغرض الثالث :- ضرب الأمثال لغرض الإقناع بذكر محاسن الحق والترغيب فيه وذكر

١-الميداني ، مرجع سابق ، ص ٦٦ .

٢-سورة الأنبياء : الآية : ١٠٤ .

٣-سورة يسن الآيات : ٧٧ - ٨٢ .

٤-الميداني ، مرجع سابق ، ص ٦٦ ، ٦٧ .



قبائح الباطل والتنفير منه :-

هذا الغرض قد أستأثر بحظٍ وافٍ من أمثال القرآن الكريم ، فكثير من الناس قد ينخدع بظاهر الأمر دون أن يسبر غوره ، ويتعرف على خطاياها ، فإذا كشفت له تلك المساوئ المستورة ومثلت له بمثال معقول مطابق ، اقتنع به واستدل به على الحكم الصحيح الذي يجب أن يصير إليه من معرفة حقيقة ذلك الأمر ، وعدم الانخداع بظواهره الخلابة . ومن الأمثال التي تهدف إلى الإقناع بالحق عن طريق ذكر محاسنه ومزاياه ما ورد لتصوير حال الموحد من اطمئنان نفسه ووضوح الرؤية لديه ، وثباته على الصراط المستقيم ، واستمساكه بالعروة الوثقى ، كما في قوله تعالى :- ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾^(١) . وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) .

ومنها ما ورد لتصوير حال الكافر ، والمشرك ، والمنافق ، من حيرته وقلق نفسه وتخبطه في الظلمات ، وسرعة استجابته للفتن والمهلكات . وقد ورد في هذا المعنى كثير من الأمثال القرآنية منها ما تقدم في قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ ﴾^(٣) ومنها ما ورد لتصوير حال الكافر ، والمشرك ، والمنافق من حيرته وقلق نفسه وتخبطه في الظلمات ، وسرعة استجابته للفتن والمهلكات وقد ورد في هذا المعنى كثير من الأمثال القرآنية السابقة . ومنها ما ورد في بيان قبح حال من آمن بكتب الله ثم أعرض عنها لا يتعلمها ولا يعلمها مع قدرته على التعليم ، وتوفير أسبابه ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ

١-سورة البقرة الآية : ٢٥٦ .

٢-سورة إبراهيم الآيتان : ٢٤ ، ٢٥ .

٣-سورة الزمر جزء من الآية : ٢٩ .



يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾^(١). ومثله ما ورد في بيان قبح حال من تعلم ولم يعمل بعلمه كما في قوله تعالى: ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾^(٢)، ويدخل في هذا الغرض ماورد من الأمثال بقصد المدح أو الذم لكن لا يراد به الإقناع وإنما يراد به الإشادة بالممدوح، وعيب المذموم ، ويصاحب هذا الغرض غرض آخر هو: نصب القدوة الصالحة للاقتداء بالممدوح والتنفير من المذموم ومما ورد في المدح قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾^(٣). ومما ورد في الذم قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ﴾^(٤). ومما تقدم يتضح أن من أغراض الأمثال القرآنية: الإقناع بحسن الأمر الممثل له ، بإبراز محاسنه ومزاياه ، أو الإقناع بقبحه وفساده ، بإبراز محاسنه ومزاياه ، أو الإقناع بقبحه وفساده ، بإبراز مساويه ، وخزاياه . كما تأتي الأمثال لغرض مدح الممثل له ، والإشادة به ، ونصبه قدوة أو ذم الممثل له وعييه والتحذير منه ومن طريقه^(٥).

الغرض الرابع :- وهو شحذ ذهن المخاطب ، وتحريك طاقاته الفكرية ، أو استرضاء

ذكائه ، لتوجيه عنايته حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكير :-

١-سورة الجمعة الآية: ٥ .

٢-سورة الأعراف الآيتان : ١٧٥ ، ١٧٦ .

٣-سورة الفتح جزء من الآية : ٢٩

٤-سورة التحريم جزء من الآية : ١٠ .

٥-الجربوع ،مرجع سابق ، (١٦١/١-١٦٦) .



هذا النوع من الأمثال يخاطب به الأذكياء وأهل التأمل والتفكير، ومعلوم أن استخدام الأساليب الذكية التي يحتاج إدراك المراد منها إلى ذكاء، مما يُرضي الأذكياء، ويُحرِّك طاقاتهم الفكرية، ويُلَفِّتُ أنظارهم بقوة، ويدفعهم إلى توجيه عنايتهم، لإدراك المراد بالتأمل وإمعان النظر.

ونظيره في آداب الناس ما يضربونه من أمثال في الأحاجي والألغاز، يستخرج الأذكياء المراد منها، وليقاس بها مقدار ذكاء المخاطبين أو سرعة انتباههم. ومن الأمثال القرآنية التي قد تصلح شاهداً لهذا، قوله الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(١)

إن إنزال القرآن على جبل من الجبال ليس من خبرات الناس، حتى يضرب المثل به للإقناع، وللتقرب أو لغير ذلك من الأغراض التي سبق شرحها لكنه مثل يحرك في الأذكياء طاقاتهم الفكرية ويوجه عنايتهم حتى يتأملوا ويتفكروا ويدرسوا ويتابعوا البحث، رجاء أن يصلوا إلى معارف يجلون بها لغز هذا المثل^(٢).

الغرض الخامس: - الدلالة على كثير من الفوائد العلمية والحكم -

تشتمل الأمثال على كثير من الفوائد العلمية، في جوانب كثيرة منها العقائد وهي أكثرها، والأحكام الشرعية، قال "الزركشي": "فإن آيات القصص والأمثال وغيرها، يستنبط منها كثير من الأحكام"^(٣). والحكم والعبرة، وبعض الحقائق العلمية في الأمور الدنيوية، والظواهر الكونية وغير ذلك.

الغرض السادس: - وهو تقديم أفكار غزيرة بعبارة قصيرة -

١-سورة الحشر الآية : ٢١ .

٢-المليداني، مرجع سابق، ص—١٠٤، ١٠٥.

٣-الزركشي، مرجع سابق، (٤/٢).



إن تقديم المثل لموضوع من الموضوعات يُعني عن شرح هذا الموضوع بكلام كثير ، قد يكتب في صفحات ، وقد يكتب في سفر كبير ، وقد يكتب في مجلدات ، وهو نظير النماذج التي تقدم للأشياء بالوسائل التعليمية التي تدرك بالحواس الظاهرة . فلو أراد المعلم شرح النموذج الحسي بالكلام لاحتاج دروساً عديدة ، ولما وصل بعد الشرح الطويل في إفهام تلاميذه إلى مثل ما يدركونه بدقائق معدودات حين يشاهدون النموذج الحسي للشيء المراد التعريف به كذلك قد يعني المثل هذا الغناء نفسه ، فيقوم بتقديم المثل مقام شرح طويل جداً^(١) . ومن ذلك التشبه بالأعمى يعني عن شرح طويل يفصل فيه حالة الكافر في الحياة الدنيا ، إذ يتخبط على غير هدى في كل تصرفاته .

الغرض السابع : التربية بإبراز القدوة الحسنة ، والحث على الاقتداء بها ، والتنفير من

ضدها :- الأمثال من أفضل السبل للتربية ، وتقويم المسالك ، وإصلاح النفوس ، وصقل الضمائر ، وتهذيب الأخلاق، وتنمية الفضائل السامية. ويكون ذلك بتقديم النماذج البشرية الصالحة والنماذج البشرية الطالحة ، بقصد توجيه النفوس المخاطبة إلى الاقتداء بالصالحين وتنفيرها من الطالحين . قال تعالى : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾^(٢) قال الشيخ "عبد الرحمن السعدي" - رحمه الله - في قوله تعالى (كذلك يضرب الله للناس أمثالهم) حيث بين لهم تعالى أهل الخير وأهل الشر ، وذكر لكل منهم صفة يعرفون بها ويتميزون ،

﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾^{(٣)(٤)} .

وقال الشيخ أحمد بن محمد طاحون " وفي ميدان الهداية إلى الخير ، والتنفير من الشر يقدم

١- طاحون ، أحمد بن محمد ، أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم ، ص ٥ .

٢- سورة محمد الآية : ٣ .

٣- سورة الأنفال جزء من الآية : ٤٢ .

٤- السعدي ، مرجع سابق (١٦٥٣)



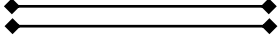
القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



القرآن الكريم نماذج لنفوس بشرية ، وإن في دراستها لعبرة ، وفي تدبرها عظة ، وكم في القرآن الكريم من نماذج لأولياء الله الصالحين : من النبيين ، والحكماء ، والصديقين ، والربانيين ، إنها النماذج الصالحة في معتقداتها ، ومسالكها ، وأخلاقها ، في قلوبهم نور وفي عملهم نور وفي أقوالهم نور ، كما قدم الكتاب العزيز نماذج لنفوس انطوت على الشر والسوء ونفوس انسلخت مما يدعو إليه العلم النافع ، والآيات البينات بعد أن علموها ، فلم يشرفها العلم لأنهم لوثوا أنفسهم بالعجب والغرور ، وطلب الدنيا وإيثارها على الآخرة ؛ وقدم نماذج تتلون كما تتلون الحرباء ، ظاهرها يسرٌ ، وباطنها شرٌ وضُرٌّ^(١). وأمثلة هذا النوع كثيرة في القرآن : منها القصص ، فكل قصص القرآن أمثال منصوبة للاعتبار والافتداء بالصالحين وتحري طريقهم والابتعاد عن طريق الضالين المهالكين ، سواء ما نص منها على أنها مثل أم لم ينص^(٢).

١- طاحون ، مرجع سابق ص ٨

٢- الجربوع ، مرجع سابق ، (١/١٦٨) .



الباب الأول : القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة

للمنافقين والمشركين وفيه فصلين :

الفصل الأول : القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للمنافقين .

الفصل الثاني : القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للكفار .



الفصل الأول : القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية المضروبة للمنافقين وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : النفاق لغةً واصطلاحاً : وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : النفاق لغةً :

اختلف أهل اللغة في أصل النفاق فقال أبو عبيدة : "سمي المنافق مُنَافِقًا لَأَنَّهُ نَافَقَ كَالْيَرْبُوعِ وَهُوَ دُخُولُهُ نَافِقَاءَهُ . يُقَالُ لَهُ الْقَاصِعَاءُ ، فَإِذَا طُلِبَ قَصَعٌ فَخَرَجَ مِنَ الْقَاصِعَاءِ ، فَهُوَ يَدْخُلُ فِي النَّافِقَاءِ وَيَخْرُجُ مِنَ الْقَاصِعَاءِ ، أَوْ يَدْخُلُ فِي الْقَاصِعَاءِ وَيَخْرُجُ مِنَ النَّافِقَاءِ ، فَيُقَالُ هَكَذَا يَفْعَلُ الْمُنَافِقُ ، يَدْخُلُ فِي الْإِسْلَامِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ مِنْ غَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ"^(١).

وقال "ابن الأثير" في النهاية : "والنفاق مصدرٌ : نَافَقَ - يُنَافِقُ نِفَاقًا وَمَنَافَقَةً وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنَ النَّافِقَاءِ : أَحَدُ مَخَارِجِ الْيَرْبُوعِ مِنْ جُحْرِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا طُلِبَ مِنْ وَاحِدٍ هَرَبَ إِلَى الْآخَرَ وَخَرَجَ مِنْهُ - وَقِيلَ هُوَ مِنَ النَّفَقِ ، وَهُوَ السَّرْبُ الَّذِي يَسْتَتِرُ فِيهِ"^(٢).

وقال "أبو زيد" عن الأصل اللغوي بكلمة نَفَقَ ومما قاله : "نَفَقَ الْيَرْبُوعُ تَنْفِيقًا بِالْكَسْرِ وَنَافَقَ أَي دَخَلَ فِي نَافِقَائِهِ وَمِنْهُ اشْتَقَّ الْمُنَافِقُ فِي الدِّينِ ، وَالنِّفَاقُ بِالْكَسْرِ فِعْلُ الْمُنَافِقِ ، وَالنِّفَاقُ الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ وَجْهِ وَالخُرُوجُ عَنْهُ مِنْ آخَرَ مُشْتَقٌّ مِنْ نَافِقَاءِ الْيَرْبُوعِ ، وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ ذَكَرَ النِّفَاقَ وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهُ اسْمًا وَفِعْلًا ، فَهُوَ اسْمٌ إِسْلَامِي لَمْ تَعْرِفْهُ الْعَرَبُ بِالْمَعْنَى الْمَخْصُوصِ بِهِ وَهُوَ الَّذِي يَسْتَرُ كُفْرَهُ وَيُظْهِرُ إِيمَانَهُ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ مَعْرُوفًا يُقَالُ : نَافَقَ يُنَافِقُ مُنَافِقَةً وَمَنَافِقَةً وَنِفَاقًا وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنَ النَّافِقَاءِ لَا مِنَ النَّفَقِ وَهُوَ السَّرْبُ الَّذِي يَسْتَتِرُ فِيهِ لِسِتْرِهِ كُفْرَهُ"^(٣).

وقال الراغب في غريب القرآن : "وقيل أنه مأخوذ من نفاق اليربوع ولكن لا من جهة أن المنافق

١- ابن منظور، مرجع سابق ، مادة نفاق (٤٥٠٨) .

٢- ابن الأثير ، النهاية ، (٩٥/٥) .

٣- ابن منظور ، مرجع سابق ، مادة نفاق (٤٥٠٨) .



يظهر خلاف ما يبطن ولكن من جهة أنه يدخل في الإسلام ثم يخرج منه من غير الوجه الذي دخل فيه ^(١) وأكثر علماء اللغة على أنه مأخوذ من نفاق اليربوع لا من النفق ^(٢). وهو الراجح لأن النفق ليس فيه إظهار شيء وإبطان شيء آخر كما هو الحال في النفاق. وكونه مأخوذاً من النفاق باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يضمّر أقرب من كونه مأخوذاً منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه لأن الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النفاق والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء آخر إضافة إلى أن المنافق لم يدخل في الإسلام دخولاً حقيقياً حتى يخرج منه ^(٣).

المطلب الثاني: النفاق شرعاً :

هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشر. سُمِّيَ بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب، ويخرج منه من باب آخر. قال "ابن جريج": " (المنافق يخالف قوله فعلة وسره علانيته، ومدخله مخرجه، وشهده معينة) ^(٤) وقال "ابن كثير": (النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب) ^(٥). وقال شيخ الإسلام "ابن تيمية": "النفاق كالكفر ولهذا كثيراً ما يقال: كفر ينقل عن الملة، وكفر لا ينقل، ونفاق أكبر، ونفاق أصغر" ^(٦).

-
- ١-الراغب، أبي القاسم الحسين بن محمد، تحقيق محمد سيد كيلاني، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت - لبنان ص ٥٥٧
- ٢-مقاييس اللغة، لسان العرب، تاج العروس.
- ٣-الحميدي، الدكتور عبد العزيز عبد الله، المنافقون في القرآن الكريم، دار المجتمع للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.
- ٤-ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة قرطبة ط ١ عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، (٢٨٢/١).
- ٥-ابن كثير، الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة قرطبة ط ١ عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، (٢٨١/١).
- ٦-ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد، مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة،



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



وقال "الكرماني": "إن النفاق علامة عدم الإيمان ، أو ليعلم منه أن بعض النفاق كفر دون بعض ، والنفاق لغة مخالفة الباطن للظاهر ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق لكفر وإلا فهو نفاق العمل ويدخل فيه الفعل والترك وتتفاوت مراتبه" (١).

وخلاصة القول أن النفاق هو القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد أو هو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه ، وهو اسم إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً . والمنافق لابد وأن تختلف سريرته وعلايته وظاهره وباطنه ، ولهذا يصفهم الله في كتابه بالكذب كما يصف المؤمنين بالصدق ، قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا يَكْذِبُونَ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ (٣). وأمثال هذا كثير ، إذ أحص وأهم ما يميز المنافقين الاختلاف بين الظاهر والباطن ، وبين الدعوى والحقيقة كما قال الله تعالى :

﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) قال الإمام "الطبري" - رحمه الله - : أجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق ، وأن هذه الصفة صفتهم . وقال الإمام "ابن القيم" - رحمه الله - : " في بيان مراتب المكلفين في الدار الآخرة وطبقاتهم: الطبقة الخامسة عشر: طبقة الزنادقة وهو قوم أظهروا الإسلام ومتابعة الرسل ، وأبطنوا الكفر ومعادة الله ورسوله ، وهؤلاء المنافقون ، وهم في الدرك الأسفل من النار فالكفار المجاهرون لكفرهم أخف ، وهم فوقهم في دركات النار . لأن الطائفتين اشتركتا في الكفر ومعادة الله ورسوله ، وزاد المنافقون عليهم بالكذب والنفاق

عام ١٤٢٥هـ (٥٢٤/٧)

١- ابن حجر ، الحافظ أحمد بن علي العسقلاني ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار طيبة ، ط ١٤٢٦هـ ، (١٦٦/١ ، ١٦٧).

٢- سورة البقرة : جزء من الآية ١٠ .

٣- سورة المنافقون : الآية ١ .

٤- البقرة : جزء من الآية ٨ .



وبلية المسلمين بهم أعظم من بليتهم بالكفار المجاهرين ولهذا قال تعالى في حقهم: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾^(١)، ومثل هذا اللفظ يقتضي الحصر، أي لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد ها هنا حصر العداوة فيهم وأنهم لا عدو للمسلمين سواهم، بل هذا من إثبات الأولوية والأحقية في هذا الوصف^(٢).

المطلب الثالث: خلاصة القول في العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للنفاق:

إن المتتبع لأقوال أهل اللغة يجد إن القول الراجح في تعريف النفاق مأخوذ من نفاقاء اليربوع لا من النفق، لأن النفق ليس فيه إظهار شيء وإبطان شيء آخر كما هو الحال في النفاق، وكونه مأخوذاً من النفاقاء باعتبار أن المنافق يظهر خلاف ما يضمّر أقرب من كونه مأخوذاً منه باعتبار أنه يخرج من غير الوجه الذي دخل فيه، لأن الذي يتحقق فيه الشبه الكامل بين النفاقاء والنفاق هو إظهار شيء وإخفاء شيء وأيضاً في تعريف النفاق لغة أنه مأخوذ من النفاقاء: أحد مخارج اليربوع من جحره، فإنه إذا طُلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه. وفي الاصطلاح هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشر. سُمِّيَ بذلك لأنه يدخل في الشرع من باب ويخرج منه من باب، وعلى ذلك نبه الله تعالى بقوله:

﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) أي الخارجون من الشرع وجعل الله المنافقين شراً

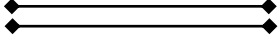
من الكافرين فقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾^(٤) . ومن ذلك يظهر الترابط القوي بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي والله تعالى أعلم .

١ - سورة المنافقون : جزء من الآية ٤ .

٢ - ابن القيم ، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي ، طريق المهجرتين وباب السعادتين ، مكتبة المتنبى القاهرة ، ص ٤٢٦ .

٣ - سورة التوبة : جزء من الآية ٦٧ .

٤ - سورة النساء : الآية ١٤٥ .



المبحث الثاني : دراسة المثلين في قوله تعالى :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيٓءَآذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾^(١)

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مناسبة المثالين وأسباب نزولهما وتعلقهما بما قبلهما من الآيات .

مناسبة المثالين لما قبلهما : أن الله سبحانه لما ذكر فيما قبلهما بعض أحوال المنافقين الذين يظهرون بوجهين ، ويتكلمون بلسانين ، أراد أن يضرب لهم الأمثال ؛ لأن نهج القرآن الكريم ، كنهج لغات العرب في أساليبها ، فقال تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾^(٢) .

فضرب الأمثال التي تُجَلِّي المعاني أتم جلاء ، وتحدث في النفوس من الأثر ، ما لا يقدر قدره و لا يُسَبِّر غوره ؛ لما فيها من إبراز المعقولات الخفية في معرض المحسوسات الجليّة ، وإظهار ما ينكر في لباس ما يعرف ويشهر . وعلى هذا السنن ضرب الله سبحانه مثل المنافقين ، فمثل حالهم حينما أسلموا أولاً ، و دخل نور الإيمان في قلوبهم ، ثم دخلهم الشك فيه فكفروا به ، إذ لم يدركوا فضائله ، ولم يفقهوا محاسنه ، وصاروا لا يبصرون مسلكاً من مسالك الهداية ، و لا يدركون وسيلة

١- سورة البقرة : الآيات من ١٧ : ٢٠ .

٢- سورة البقرة : الآيات من ١٧ : ١٨ .



من وسائل النجاة ، وقد أضاء ذلك النور قلوب من حولهم من المؤمنين المخلصين بحال جماعة أوقدوا ناراً ؛ لينتفعوا بها في جلب خير ، أو دفع ضرر ، فلما أضاءت ما حولهم من الأشياء أو الأماكن جاءها عارض خفي ، أو أمر سماوي ، كمطرٍ شديدة ، أو ريحٍ عاصف ، حرفها وبددتها فأصبحوا في ظلامٍ دامس ، لا يتسنى لهم الإبصار بحال ، ثم جعلهم مرة أخرى كالصم البكم العمي الذين فقدوا هذه المشاعر والحواس ، إذ هم حين لم ينتفعوا بآثارها فكأنهم فقدوها ، فما فائدة السمع إلا الإصاغة إلى نصح الناصح وهدى الواعظ ، و ما منفعة اللسان إلا الاسترشاد بالقول ، وطلب الدليل والبرهان ، لتتجلى المعقولات وتتضح المشكلات ، وما مزية البصر إلا النظر والاعتبار ، لزيادة الهدى والاستبصار ، فمن لم يستعملها في شيء من ذلك فكأنه فقدها ، وأن مثله أن يخرج من ضلالة أو يرجع إلى هدى"^(١).

وقال البقاعي - رحمه الله - : " ولما افتتح سبحانه بالذين وطأت قلوبهم ألسنتهم في الإيمان ، وثنى بالمجاهرين من الكافرين الذين طابق إعلانهم إسرارهم في الكفران ؛ أتبعه ذكر الساترين الذين خالفت ألسنتهم قلوبهم في الإذعان ، وهم المنافقون وأمرهم أشد لإشكال أحوالهم والتباس أقوالهم وأفعالهم ، فأضر الأعداء من يريك الصداقة فيأخذك من المأمن ، وما أحسن ما ينسب إلى الإمام أبي سليمان الخطابي في المعنى :

وإن أظهروا فيك المودة أعداء

تحرز من الجهال جهدك أنهم

فكل لذيد الطعم أو حله داء"^(٢)

وإن كان فيهم من يسرك فعله

لا جرم ثنى سبحانه بإظهار أسرارهم وهتك أستارهم في سياق شامل لقسميهم ، فقبح أمورهم ووهى مقاصدهم وضرب لهم الأمثال"^(٣).

١ - الهري : محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي ، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، دار طوق النجاة (١ / ١٦٠ ، ١٥٩) .

٢ - البقاعي : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر ، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ط ١ (١ / ١٠٠ ، ٩٩) ولم يخرج له .

٣ - المصدر السابق (١ / ١٠٠ ، ٩٩) .



أثر المناسبة :

فيتضح مما سبق أن بيان حال المنافقين ، والتحذير منهم ، بعد بيان حال المؤمنين ، ثم الكافرين ، فيه مزيد تحذير وتنبية من شرهم ، نظراً لخطورتهم على المجتمع ، ولو سماهم الله تعالى بالمنافقين من أول وهلة لما كان في السياق ما يدعو على التنبية ، لكن أشار إليهم بأنهم يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر كما يقول المؤمنون ، وبالتالي يصعب على المؤمن تمييزهم ، فكان من الضروري أن يبين الله حقيقتهم في هذا الموضوع .

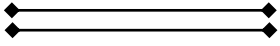
أما أسباب التزل :

قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ^(١) .

هذا مثل ضربه الله للمنافق لأنه أظهر الإسلام فحقن به دمه ومشى في حرمة وضيائه ثم سلبه في الآخرة عند حاجته إليه روي معناه عن الحسن ، وهذه الأقاويل على أن ذلك نزل في المنافقين وهو مروى عن ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي ومقاتل . أخرج ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ^(٢) . الآية قال : " إن ناساً دخلوا في الإسلام عند مقدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، ثم نافقوا ، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة ، فأوقد ناراً فأضاءت ما حوله من قذى أو أذى ، فأبصره حتى عرف ما يتقى ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، فأقبل لا يدري ما يتقى من أذى فكذلك المنافق ، كان في ظلمة الشرك فأسلم ، فعرف الحلال من الحرام ، والخير من الشر ، فبينما هو كذلك إذ كفر ، فصار لا يعرف الحلال من الحرام ، ولا الخير من الشر ، وأما النور ، فالإيمان بما جاء به محمد - صلى الله عليه

١ - سورة البقرة : الآية : ١٧ - ١٨ .

٢ - سورة البقرة : الآية : ١٧ .



وسلم - وكانت الظلمة نفاقهم" (١). وأخرج ابن جرير أيضا عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ (٢). " ضربه الله مثلاً للمنافق . قوله :

﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ (٣). قال : أما النور ، فهو إيمانهم الذي يتكلمون به ، وأما الظلمة ، فهي ضلالتهم وكفرهم يتكلمون به ، وهم قوم كانوا على هدى ثم نزع منهم ، فعتوا بعد ذلك" (٤). وأخرج ابن جرير أيضاً عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٥).

" وأن المنافق تكلم بلا إله إلا الله ، فأضأت له في الدنيا ، فناكح بها المسلمين وغازى بها المسلمين ووارث بها المسلمين ، وحقن بها دمه وماله فلما كان عند الموت سلبها المنافق ، لأنه لم يكن لها أصل في قلبه و لا حقيق في علمه" (٦). وأخرج ابن جرير أيضاً عن الربيع بن أنس قال : " ضرب مثل أهل النفاق فقال تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ (٧). قال : "إنما ضوء النار ونورها ما أوقدتها ، فإذا خمدت ذهب نورها . كذلك المنافق ، كلما تكلم بكلمة الإخلاص أضأت له ، فإذا شك وقع في الظلمة . وأيضاً روى ابن جرير عن عبد الرحمن بن زيد في قوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ (٨) إلى آخر الآية ، قال "هذه صفة المنافقين. كانوا قد آمنوا حتى أضأت

١ - الطبري : مرجع سابق (١/٣٢٢).

٢ - سورة البقرة آية : ١٧ - ١٨ .

٣ - سورة البقرة جزء من آية : ١٧ .

٤ - الطبري : ابن جرير ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، دار هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى

، ١٤٢٢ ، (١ / ٣٢٢) .

٥ - سورة البقرة جزء من آية : ١٧ .

٦ - الطبري : مرجع سابق (١ / ٣٢٢ - ٣٢٣) .

٧ - سورة البقرة : الآية : ١٧ .

٨ - سورة البقرة : الآية : ١٧ .



الإيمان في قلوبهم ، كما أضاءت النار لهؤلاء الذين استوقدوا ، ثم كفروا فذهب الله بنورهم فانتزعه ، كما ذهب بضوء هذه النار ، فتركهم في ظلمات لا يبصرون " (١) .

أما سبب نزول قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۝١٩ ﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيُّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠ ﴾ (٢) . قال

السيوطي : في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ ﴾ الآية " كان رجلان من المنافقين من أهل المدينة هربا من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المشركين ، فأصابهم هذا المطر الذي ذكر الله ، فيه رعد شديد وصواعق وبرق ، فجعلا كلما أصابهما الصواعق يجعلان أصابعهما في آذانهما من الفرق أن تدخل الصواعق في مسامعهما فتقتلهما ، وإذا لمع البرق مشياً في ضوءه ، وإذا لم يلمع لم يبصرا قاما مكانهما لا يمشيان ، فجعلا يقولان : ليتنا قد أصبحنا فنأتي محمداً فنضع أيدينا في يده فأصبحا فأتياه ، فأسلما ووضعنا أيديهما في يده ، وحسن إسلامهما ، فضرب الله شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين بالمدينة " (٣) .

قال أبوحيان " ضرب الصيب مثل لما أظهر المنافقون من الإيمان ، والظلمات بضلالهم وكفرهم الذي أبطنوه وما فيه من البرق بما علاهم من خير الإسلام وعلتهم من بركته واهتدائهم به إلى منافعهم الدنيوية وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وما فيه من الصواعق بما اقتضاه نفاقهم ، وما هم صائرون إليه من الهلاك الدنيوي والأخروي " (٤) .

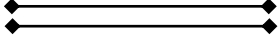
ومن أقوال أهل العلم وعلماء التفسير المتقدمين يتبن لنا أن أسباب نزول الآيات وما سبقها من الآيات اعتباراً من الآية الثامنة وحتى نهاية الآية العشرون نزلت لتبيين وتفضح أحوال المنافقين

١ - الطبري مرجع سابق (١ / ٣٢٤) .

٢ - سورة البقرة: الآيات ١٩ - ٢٠ .

٣ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي (١ / ١٧١ ، ١٧٢) .

٤ - البحر المحيط (١ / ٢٢٤) .



وصفاتهم

تعلق آيات المثلين بما قبلهما :

ف نجد أن في سورة البقرة نفى الحق سبحانه عن الكتاب الذي أنزله على عبده الريب من جميع الأحوال، نظماً وأسلوباً ، وهداية ومنهجاً ثم ذكر الحق جل شأنه موقف الناس منه ، ومدى انتفاعهم بهدايته ، ومقدار إيجابتهم لدعوته فقسّمهم إلى ثلاث طوائف : طائفة تؤمن به ، وأخرى كافرة ، وثالثة مترددة حائرة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

وبداً بذكر أوصاف الطائفة الأولى ، وبيان حقيقتهم وما يؤل إليه أمرهم في الآخرة ، لأن الحديث عنهم يعد تمة للحديث عن القرآن نفسه ، إذ هو (هدى للمتقين) الموصوفين بالأوصاف المذكورة في الآية الثالثة ، والرابعة ، والخامسة .

ثم انتقل الحق جل شأنه إلى الطائفة الكافرة المجاهرة بالكفر والعناد ، فبين ما انطوت عليه نفوسهم من صلف وغرور ، وإصرار على التحدي والمكابرة ، وعدم الاستجابة إلى الهدى الذي جاءهم به الرسول - صلى الله عليه وسلم - من ربه ، فهم لا يؤمنون ولو جاءهم كل آية ، حتى يروا العذاب الأليم ، فقلوبهم مطبوعة على الكفر مغلقة أمام كل دعوة إلى الحق ، وأسماعهم موصدة عن سماع النصيح والإرشاد ، وعلى أبصارهم غشاوة حالت بينهم وبين النظر في آيات الله الكونية الدالة على وحدانية الله وقدرته وربوبيته .

ثم انتقل الحديث إلى بيان أوصاف الطائفة الثالثة ، وكشف أعايبهم ، واستخفافهم بالإسلام

والمسلمين ، فقال جل شأنه : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا

وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ

۝١١﴾ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا

ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۝١٣﴾ وَلَا يَشْعُرُونَ ۝١٤﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَأَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ



شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رِيحَتْ بِجَدَرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾^(١). ولما كان أمر هذه الطائفة الثالثة يدعو إلى الغرابة ، والعجب لشذوذه ، وغموضه ، ضرب الله جل جلاله لبيان شأنهم هذين المثليين ، وهما في بيان موقف المنافقين جميعاً على السواء من قضية الإيمان كما قال بعض المفسرين ، وعلى ذلك يكون المثل الثاني توكيداً للأول ومن باب التفنن في التصوير ، والتنوع في الأساليب البيانية ، مبالغة في التحدي ، وإمعاناً في الإعجاز .

المطلب الثاني: تفسير المثليين وبيان أقوال أهل العلم فيهما:

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ضُمُّ بِنُورِهِمْ عَمَىٰ فَهَمٌّ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾^(٢) .

قال العلامة الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - " وتقرير هذا المثل : أن الله ، سبحانه ، شبههم في اشتراهم الضلالة بالهدى ، وحيوررتهم بعد التبصرة إلى العمى ، بمن استوقد ناراً ، فلما أضاءت ماحوله وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله ، وتأنس بها فبينما هو كذلك إذا طفت نار ، وصار في ظلمة شديدة لا يبصر ولا يهتدي ، وهو مع ذلك أصم لا يسمع ، أبكم لا ينطق ، أعمى لو كان ضياء لما أبصر ؛ فلهذا لا يرجع إلى ما كان عليه قبل ذلك ، فكذلك هؤلاء المنافقون في استبدالهم الضلالة عوضاً عن الهدى ، واستحبابهم الغي على الرشيد ، وفي هذا المثل دلالة على أنهم آمنوا ثم كفروا ، كما أخبر عنهم تعالى في غير هذا الموضع والله أعلم

»^(٣) .

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية : " هذا ما وقع في القرآن من الأمثال

١ - سورة البقرة : الآيات من ٨ - ١٦ .

٢ - سورة البقرة : الآيات من ١٧ - ١٨ .

٣ - شاكر . العلامة المحقق الشيخ أحمد شاكر ، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، دار الوفاء ، (١ / ٨٨ ، ٨٧) .



التي لا يعقلها إلا العالمون فإنها تشبيه شيء في حكمه ، وتقريب المعقول من المحسوس ، أو أحد المحسوسين من الآخر ، واعتبار أحدهما بالآخر ، فضرب للمنافقين بحسب حالهم مثلين : مثلاً نارياً ومثلاً مائياً ، لما في النار والماء من الإضاءة والإشراق والحياة ، فإن النار مادة النور والماء مادة الحياة، وقد جعل الله سبحانه الوحي الذي أنزله من السماء متضمناً لحياة القلوب واستنارتها ، ولهذا سماه روحاً ونوراً ، وجعل قابليه أحياء في النور ، ومن لم يرفع به رأساً أمواتاً في الظلمات .

وأخبر عن حال المنافقين بالنسبة إلى حظهم من الوحي ، وأنهم بمرتلة من استوقد ناراً لتضيء له وينتفع بها ، وهذا لأنهم دخلوا في الإسلام فاستضاءوا به ، وانتفعوا به ، وآمنوا به ، وخالطوا المسلمين ، ولكن لما لم يكن لصحبتهم مادة من قلوبهم من نور الإسلام ؛ طفئ عليهم وذهب الله بنورهم ولم يقل : بنارهم ، فإن النار فيها الإضاءة والإحراق ، فذهب الله بما فيها من الإضاءة ، وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق ، وتركهم في ظلمات لا يبصرون .
فهذا حال من أبصر ثم عمى ، وعرف ثم أنكر ، ودخل في الإسلام ثم فارقه بقلبه فهو لا يرجع إليه، ولهذا قال : {فهم لا يرجعون} ^(١) .

وجاء في التفسير الموضوعي لسور القرآن " فالمثل الأول للكفار وهو يشبه حالهم بحال رجل استوقد النار للقافلة التي كانت في تيه الظلمة ، فلما أضاءت النار ما حوله من الأماكن وتمكنوا من الانتفاع بضوئها ولم ينتفعوا بدعوته لهذا النور ، وظلوا في دياجير الظلام لا يبصرون من نور الحق شيئاً ؛ فالنور نور الإيمان ، قال تعالى : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۗ فَوَيْلٌ لِلْفُتَيَّةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْتَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ ^(٢) ، وذهاب النور يكون في الدنيا بالعمى والجهل والتخبط في أودية الضلال . وإنما قال ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ للدلالة على

١ - ابن القيم ، العلامة ابن القيم الجوزية ، بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن القيم ، دار الجوزي (١ / ٩٨ ،



أنه سبحانه كان معهم بمعونته وتوفيقه عندما استوقدت لهم النار فأضاءت ، فلما عرضوا عن النور غرقوا في ظلمات بعضها فوق بعض ، وأمثال هؤلاء لا يرجى لهم اهتداء ابتداءً ؛ لأنهم سدوا على أنفسهم مفاتيح الخير ، قال تعالى : ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝١٨ ﴾ فهم لا يسمعون الوعظ و لا يطلبون بياناً و لا يبصرون فيعتبروا أو يتزجروا . فقد فقدوا كل وسائل التعقل ؛ ولذلك فإنهم لا يرجعون عن الجهالة و لا يهتدون من الضلالة ، فكيف لتائه ضل الطريق عامداً وهو لا يسمع ، ولا يبصر ، ولا ينطق كيف له أن يرجع " (١) .

وهذه بعض آثار السلف التي ذكرها ابن جرير - رحمه الله تعالى - في تأويل هذا المثل فمنها : ما رواه ابن جرير بسنده عن ابن عباس ، قال : ضرب الله للمنافقين مثلاً فقال : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ۝١٧ ﴾ . أي يبصرون الحق ويقولون به ، حتى إذا خرجوا به من ظلمة الكفر ، أطفئوه بكفرهم به ونفاقهم فيه ، فتركهم في ظلمات الكفر ، فهم لا يبصرون هدى و لا يستقيمون على حق وأيضاً روى ابن جرير عن قتادة في تفسير المثل قال : " وهي لا إله إلا الله ، أضاءت لهم فأكلوا بها وشربوا وآمنوا في الدنيا ونكحوا النساء وحقنوا دماءهم ، حتى إذا ماتوا ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون ، وروى ابن جرير ذلك عن جمع من الصحابة والتابعين منهم ابن عباس وابن مسعود وقتادة ، ومزاحم ، ومجاهد والربيع بن أنس ، وعبد الرحمن بن زيد . والمعنى كله يدور حول أن الله جل ثناؤه إنما ضرب هذا المثل للمنافقين الذين وصف صفتهم وقص قصصهم " (٢) .

أما أقوال أهل العلم في تفسير قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ

١ - نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن ، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، طبعة كلية الدراسات العلمية والبحث العلمي ، جامعة الشارقة ، طبعة ١٤٣٠ (١ / ٥٠ ، ٥١) .

٢ - ابن جرير ، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، دار هجر للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ ، بتصرف (١ / من ٣٢٢ إلى ٣٤٢) .



أَصْبَعَهُمْ فِيءِ إِذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ

لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

﴿٢٠﴾ (١). يقول ابن كثير - رحمه الله تعالى - " وهذا مثل آخر ضربه الله - تعالى - لضرب

آخر من المنافقين ، وهم قوم يظهر لهم الحق تارة ، ويشكون تارة أخرى ، فقلوبهم في حال

شكهم وكفرهم وترددهم (كصيب) والصيب : المطر ، قاله ابن مسعود ، وابن عباس ،

وناس من الصحابة ، وأبو العالية ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير وعطاء ، والحسن البصري ،

وقتادة وعطية العوفي الخراساني ، والسدي ، والربيع بن أنس .

وقال الضحاك : هو السحاب والأشهر هو المطر نزل من السماء ، في حال ظلمات ، وهي

الشكوك ، والكفر ، والنفاق و (رعد) وهو ما يزعج القلوب من الخوف ، فإن من شأن

المنافقين الخوف الشديد والفرع ، كما قال تعالى : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ (٢) وقال تعالى :

﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ بِمِنكُمْ وَاللَّكِنَّمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ (٥٦) لَوْ يَحِيدُونَ مَلْجَأًا أَوْ

مَغْرَبًا أَوْ مُدْخَلًا لَوْلَا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ (٣) و (رعد) وهو ما يزعج القلوب من الخوف

، فإن من شأن المنافقين الخوف الشديد والفرع " (٤) .

وقال - رحمه الله - البرق : هو ما يلعب في قلوب هؤلاء الضرب من المنافقين في بعض الأحيان

، من نور الإيمان ولهذا قال تعالى : ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيءِ إِذَانِهِمْ مِنَ الصَّوْعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ

بِالْكَافِرِينَ﴾ (١٩) أي : و لا يجدي عنهم حذرهم شيئاً ؛ لأن الله محيط بهم بقدرته وهم تحت

مشيئته وإرادته ، كما قال : ﴿هَلْ أَنْتَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾

١ - سورة البقرة الآيتين : ١٩ ، ٢٠ .

٢ - سورة المنافقون آية : ٤ .

٣ - سورة التوبة آية : ٥٦ .

٤ - ابن كثير ، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي ، مؤسسة قرطبة (١ / ٣٠٠ ، ٣٠١) .

وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾^(١) . ثم قال: ﴿يَكَادُ الْبَرُّ يُخْطَفُ أَبْصَرُهُمْ﴾^(٢)

(أي لشدته) وقوته في نفسه ، وضعف بصائرهم ، وعدم ثباتها للإيمان ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿يَكَادُ الْبَرُّ يُخْطَفُ أَبْصَرُهُمْ﴾ ، يقول : يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين وقال ابن إسحاق : حدثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس :

﴿يَكَادُ الْبَرُّ يُخْطَفُ أَبْصَرُهُمْ﴾ أي : كلما ظهر لهم الشكوك أظلمت قلوبهم فوقفوا حائرين . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ﴾ ، يقول : كلما أصاب المنافقين من عز الإسلام اطمأنوا إليه وإذا أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر ، كقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ﴾^(٣) ، وقال محمد بن إسحاق عن محمد (بن أبي محمد) عن عكرمة أو سعيد (بن جبير) عن ابن عباس :

﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشْوًا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾^(٤) ، أي : يعرفون الحق ويتكلمون به ، فهم في قولهم به على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه إلى الكفر (قاموا) أي : متحيرين . وهكذا قال أبو العالية والحسن البصري وقتادة (والربيع بن أنس) والسدي بسنده عن الصحابة، وهو أصح وأظهر والله أعلم " (٤) .

ويقول ابن كثير - رحمه الله - وذهب ابن جرير ومن تبعه من المفسرين إلى أن هذين المثليين

مضروبان لصنف واحد من المنافقين، وتكون " أو " في قوله تعالى ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾

١ - سورة البروج الآيات : ١٧ : ٢٠ .

٢ - سورة البقرة الآية : ٢٠ .

٣ - سورة الحج الآية : ١١ .

٤ - ابن كثير ، مرجع سابق تفسير (١ / ٣٠١ ، ٣٠٢) .



بمعنى الواو كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطَعِّمْنَهُمْ إِثْمًا أَوْ كُفْرًا﴾^(١)، أو تكون للتخيير ، أي :
اضرب لهم مثلاً بهذا أو إن شئت بهذا .

قال "القرطبي" : " أو " للتساوي ، مثل جالس الحسن أو ابن سيرين ، على ما وجهه
الزمخشري أن كلاً منهما مساوي للآخر في إباحة الجلوس إليه ، ويكون معناه على قوله :
سواء ضربت لهم مثلاً بهذا أو بهذا فهو مطابق لحالهم . وهذا يكون باعتبار جنس المنافقين ؛
فإنهم أصناف ، ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله تعالى في سورة براءة ، ومنهم ، ومنهم ،
ومنهم ، يذكر أحوالهم وصفاتهم وما يعتمدونه من الأفعال ، والأقوال ، فجعل هذين المثليين
لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم ، والله أعلم " (٢) .

وقال "ابن القيم" - رحمه الله تعالى - : " وشبه نصيب المنافقين من هذا الهدى بنصيب من لم
يحصل له نصيب من الصيب إلا ظلمات ورعد وبرق ، و لا نصيب له فيما وراء ذلك ، مما هو
المقصود بالصيب ، من حياة البلاد والعباد ، والشجر ، والدواب ، فإن تلك الظلمات التي فيه
، وذلك الرعد والبرق مقصود لغيره ، وهو وسيلة إلى كمال الانتفاع بذلك الصيب ، فالجاهل
لفرط جهله يقتصر على الإحساس بما في الصيب من ظلمة ورعد وبرق ولوازم ذلك : من برد
شديد وتعطيل مسافر عن سفره ، وصانع عن صنعته ، و لا بصيرة له تنفذ إلى ما يؤول إليه أمر
ذلك الصيب من الحياة والنفع العام " (٣) .

المطلب الثالث : نوعا المثليين والغرض الذي من أجله ضرب المثليين :

أما عن نوعي المثليين: فيقول الدكتور "محمد بكر إسماعيل" - رحمه الله - " والمثل الأول والثاني
من قبيل التشبيه التمثيلي وهو الذي يكون وجه الشبه فيه منتزعاً من عدة أوصاف تمثيل صورة

١ - سورة الإنسان الآية : ٢٤ .

٢ - ابن كثير ، مرجع سابق التفسير (١ / ٣٠٦) .

٣ - ابن القيم ، مرجع سابق بدائع التفسير (١ / ٣٠٦) .



كلية لا يمكن انفكاكها تجد فيها الصوت واللون والحركة ففي المثل الأول يشبه الله - تعالى - حال من كفر به سراً وعلانية بحال قوم أوقد لهم رجلٌ منهم ناراً ينتفعون بها ويسرون على ضوئها فلما أضاءت النار ما حوله ، لم يفتح بعض القوم أعينهم لهذا الضوء الباهر ، بل الأمر ما سلبوا نور أبصارهم ، وتعطلت حواسهم عند هذه المفاجأة ، فذلك مثل النور الذي طلع به محمد - صلى الله عليه وسلم - في تلك الأمة الأمية ، على فترة من الرسل فتفتحت له البصائر المستنيرة هنا وهناك ، بيد أن بعض من كتب الله عليهم الشقاء في الدنيا والآخرة ، وطمست بصائرهم وعميت عن الحق قلوبهم ، لم يلقوا بهذا الضياء بالاً ، ولم يفتحوا أعينهم إليه ، فأخذوا يتخبطون في الظلمات لا يبصرون ما يحرق بهم من الخطر"^(١) .

أما نوع هذا التشبيه فهو تمثيلي ليس ذلك لجرد تصريحه بلفظ المثل في أول الآية وإنما لأننا نلاحظ ما في السياق من تشبيه صورة بصورة أو مجموعة أشياء يقابلها مجموعة أخرى و لا يصح تجزئة عناصر كل صورة وتشبيهها بما يقابلها . كذلك نلاحظ أن وجه الشبه أيضاً قد جاء هيئة حاصلة من عدة أمور ، أما إذا أحببنا أن نجري التشبيه ونوضح هذين الطرفين المركبين وهيئة وجه الشبه والأداة لادرناها جميعاً . وبهذا يمكننا أن نقول في إجراء التشبيه : شُبِّهتْ حال المنافقين في ترددهم وحيرتهم وضياعهم وشدة الأمر عليهم بحال من انطفأت ناره بعد إيقادها في ظلمة الليل وكذلك شبه بحال من أخذته السماء في ليلة مظلمة فيها رعد قاصف وبرق خاطف وخوف شديد من الصواعق .

أما وجه الشبه فهو : الهيئة الحاصلة من عدة أمور مجتمعة يتبعها حيرة وضياع وتخبط وندم في ظلمة حالكة .

وهكذا نلاحظ أنه لا يصحُّ تجزئته تلك الصورة والهيئات إلى أجزاء متعددة بحيث كل منها له ما يشبهه لأننا إن فعلنا ذلك أفقدنا الصورة جمالها وحيويتها التي جاءت عليها .

١ - إسماعيل ، د. محمد بكر ، الأمثال القرآنية دراسة تحليلية ، ص ٧٠ ، ٧١ .



قال "الزمخشري" : أن المثلين جميعاً من جهة التمثيلات المترتبة ، دون المفرقة ، لا يتكلف لواحد واحد شيء بقدر شبهه فيه وهذا القول الفحل ، والمذهب الجزل ، بيانه : أن العرب تأخذ أشياء فرادى معزولاً بعضها من بعض ، لم يأخذ هذا بحجزة ذاك . فتشبهها بنظائره ، كما جاء في القرآن حيث شبه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامنت و تلاصقت حتى عادت شيئاً واحداً بأخرى مثلها .

الغرض الذي من أجله ضرب المثلين :

لقد تقدم معنا في التمهيد أن هناك أغراض متعددة لضرب الأمثال في القرآن الكريم وقد تعدد الأغراض في المثل الواحد كما نجد في هذين المثلين أنه تعددت الأغراض، فمن هذه الأغراض في هذين المثلين ضرب المثل لتقريب المعنى للمخاطب فقد جاء المثلين بشكل ملموس ومحسوس للمخاطبين ، وهو أهم الأغراض التربوية على الإطلاق في القرآن ، فقد جاء المثلين كأسلوب لتقريب المعاني الغامضة وتصوير ما هو معقول ليصير محسوساً في متناول إدراك كل إنسان إمعاناً في إقامة الحجة على العباد والبرهنة على صحة الدين ، وتذليلاً لطريق التوحيد والعبودية للعباد .

ونجد أن هذين المثلين من أبواب التشبيه ، وهي صورة بيانية تتضح منها الحقائق الظاهرة، والمعاني الغامضة ، كأنها أمور محسوسة مرئية وهو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة سواء ذلك بالمثل النار من النار، والنور، والظلمات، أو المثل المائي من الصيب وكذا الخوف من البرق والرعد، ووضع الأيدي في الأذان وغيرها من الصور المحسوسة، وقد تنبه علماء التربية المسلمون إلى هذا الغرض التربوي فينبوه في دراساتهم ، فنجد مثلاً الأستاذ "سعيد إسماعيل على" في دراسته عن الأصول الإسلامية للتربية ، يقول : إن القرآن يستخدم التشبيه والتمثيل كي يقرب المعاني ، ويشير إلى أمور حسية لشرح أفكار مجردة ، فالقرآن لا يخاطب فئة المثقفين بلغته الأدبية ؛ التصوير هو الأداة المفضلة في الأسلوب القرآني ، فهو يعبر بالصورة المحسوسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة



البشرية .

وأيضاً من الأغراض الرئيسة لهذين المثلين شحذ ذهن المخاطب ، وتحريك طاقاته الفكرية أو استرضاء ذكائه ، لتوجيه عنايته ، حتى يتأمل ويتفكر ويصل إلى إدراك المراد عن طريق التفكير . والأمثال التي يدفع إليها هذا الغرض يخاطب بها الأذكياء ، وأهل التأمل والنظر والبحث العلمي ، وكبراء القوم .

يقول الميداني : " لكن كلمات المثل في القرآن اقتصر من الممثل به على عبارة : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ ، ووقف النص هنا في إيجاز بديع ، وترك لذكاء المتدبر الحصيف أن يملأ بقايا هذا اللقطة من الممثل به " (١) .

ويقول أيضاً " لكن هذا الذي استوقد النار اتخذ وسائل ليتخلص من ضوئها الذي كشف له ما حوله فدلّه على خلاف ما يهوى ، إما بعصب عينه ، وإما بإطفاء النار ، وإما بالفرار من موقفها إلى موقع آخر . إن تحديد وسيلة التخلص من ضوء النار لا تتعلق به أهمية حتى تذكر والتعميم أولى ليشمل كل الصور . كل هذا يدركه الفكر الذكي المتدبر اللماح من دون أن يذكر في العبارة " (٢) .

المطلب الرابع : الفوائد البلاغية والتربوية والإيمانية للمثليين :

أولاً : يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - " من فوائد الآيتين بلاغية القرآن ، حيث يضرب للمعقولات أمثالاً محسوسات ، لأن الشيء المحسوس أقرب إلى الفهم من الشيء المعقول حتى يدركها الإنسان جيداً ، كما قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ (٤٣) (٣) (٤) .

١ - الميداني ، مرجع سابق أمثال القرآن ص ٣٥٣ .

٢ - الميداني ، المرجع السابق ص ٣٥٤ .

٣ - سورة العنكبوت الآية : ٤٣ .

٤ - ابن عثيمين ، محمد بن صالح العثيمين ، تفسير القرآن الكريم ، دار ابن الجوزي (١/٦٤ ، ٦٥) .



ثانياً : ومنها : " ثبوت القياس ، وأنه دليل يؤخذ به ؛ لأن الله أراد منا أن نقيس حالهم على حال من يستوقد ؛ وكل مثل في القرآن فهو دليل على ثبوت القياس " (١).

ثالثاً : وتأمل قوله : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ ، ولم يقل : بنارهم ، ليطابق أول الآية ؛ فإن النار فيها إشراق وإحراق ؛ فذهب بما فيها من الإشراق - وهو النور - وأبقى عليهم ما فيها من الإحراق ، وهو النارية . تأمل كيف قال ﴿ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم يقل : بضوئهم ، مع قوله : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ . لأن الضوء هو زيادة في النور . فلو قال : ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة فقط دون الأصل ، فلما كان النور أصل الضوء كان الذهاب به ذهاباً بالشيء وزيادته " (٢).

رابعاً : قال بعض أهل العلم : " أفرد النور ؛ لكون الحق واحد وهو صراط الله المستقيم ، وجمعت الظلمات ؛ لأن طرق الباطل متعددة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (٣) (٤) .

خامساً : التشبيه التمثيلي في قوله : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ . وكذلك في قوله : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ ﴾ . والتشبيه التمثيلي : هو أن يكون وجه الشبه منتزِعاً من أمور متعددة ، فقد شبه في المثال الأول المنافق بالمستوقد للنار ، وإظهاره الإيمان بالإضاءة ، وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار وفي المثال الثاني شبه الإسلام بالمطر ؛ لأن القلوب تحيا به ، كحياة الأرض بالمطر ، وشبهه شبّهات الكفار بالظلمات ، وما في القرآن من الوعد والوعيد ، بالرعد والبرق ، وما يصيب الكفرة من الفتن ، والبلايا بالصواعق " (٥).

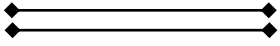
١ - ابن عثيمين ، المرجع السابق ، (١ / ٦٤) .

٢ - ابن القيم ، مرجع سابق (١ / ٩٩) .

٣ - سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

٤ - العدوي ، أبي عبد الله مصطفى ، التسهيل لتأويل التتريل ، مكتبة الهدى ، طبعة أولى ١٤١٦ ، (١ / ٢٢٣) .

٥ - الهري ، محمد الأمين ، مرجع سابق (١ / ٢١٩ ، ٢٢٠) .



سادساً : المخالفة بين الضميرين ، فقد وجد الضمير في قوله ﴿أَسْتَوْقَدُ﴾ وفي قوله :

﴿مَا حَوْلَهُ﴾ نظراً إلى جانب اللفظ ؛ لأن المنافقين كلهم على قول واحد وفعل واحد ، وجمع في

قوله : ﴿بِنُورِهِمْ وَتَرَكَّهُمْ﴾ رعاية للمعنى لكون المقام مقام تقبيح أحوالهم ، وبيان صفاتهم وضلالهم ،
فإثبات الحكم لكل فرد منهم واقع ^(١).

سابعاً : تعريف السماء في قوله : ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ ، للإيدان بأن انبعاث الصيب ليس من أفق واحد ، فإن كل أفق من آفاقها سماء على حده ، والمعنى أنه نازل من غمام مطبق ، آخذ بأفاق السماء كلها .

ثامناً : التعبير بالأصابع دون الأنامل في قوله : ﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ﴾ إشارة إلى أنهم لشدة حيرتهم ودهشتهم ، يدخلون أصابعهم كلها في أذانهم لا أناملهم فقط كما هو المعتاد .

تاسعاً : الإظهار في موضع الإضمار في قوله : ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ حيث لم يقل : والله محيط بهم بالضمير الراجع إلى أصحاب الصيب ؛ إيداناً بأن مادهمهم من الأمور الهائلة المحكية بسبب كفرهم .

عاشراً : إثثار المشي في قوله : ﴿مَشَوْا فِيهِ﴾ على ما فوقه من السعي والعدو للإشعار بعدم استطاعتهم لهما لكمال دهشتهم وحيرتهم .

حادي عشر : ما في المثليين من شد انتباه السامع إلى المتكلم ، وحمله على التفاعل مع الموضوع المثار ، وهذا أول ما ينبغي أن يحرص عليه المتكلم ، أن يشد انتباه السامعين ، ويشير اهتمامهم بما يقول ، ويجذب أنظارهم إلى حديثه ..

ثان عشر : التلوين في أسلوب المتكلم ، مما يدفع الملل والسآمة عن السامعين ويجعلهم في نشاط متجدد ، لاستيعاب الفكرة ، وفهم أبعادها ، وإدراك آثارها ..

١ - الهري ، محمد الأمين ، مرجع سابق (١ / ٢٢) .



ونجد أن المثليين محل الدراسة جمعاً لنا هذين الأثرين الظاهرين ، فقد جاء في وصف المنافقين في مقدمات سورة البقرة ، فقد عدد الله تعالى صفاتهم ، في تسع آيات ، تفضح طويتهم ، وتكشف عن زيفهم ، وتناقش فساد مواقفهم وقررت الآيات حقائق عنهم ، وحاورتهم وردت عليهم ، ثم ضرب الله لنا مثليين عنهم ، يجمعان ما تقرر من حقائق ، ويصفان حالتهم النفسية ، وما يعانونه من عذاب نفسي مرير ، وصراع داخلي عميق ، يكاد يفجر قلوبهم ، ويفصم شخصيتهم ، ويمزق كيانهم ، ولعذاب الآخرة أكبر

فاقرأ هذه الآيات بتدبر ، وانظر إلى الأثرين السالفين ، البارزين الجليين من عرض المثليين عن المنافقين في نهاية الحديث عن صفاتهم ، فكأن الحوار العقلي بلغ غايته ، وكأن السامع يخشى عليه ألا يبقى مشدوداً كما كان أول عهده بالفكرة ، فجاءت الأمثال لتشد انتباهه من جديد ، ولتعطى تلويحاً في الأسلوب القرآني ، يختتم به الحديث ، كأحسن ما ابتدأ .

ثالث عشر: التأثير الوجداني في السامع لغرس القناعة العقلية . لقد كانت وظيفة القرآن الكريم أن ينشئ العقيدة الخالصة ، وموطن العقيدة هو الضمير والوجدان ، وأقرب الطرق إلى الضمير هو البداهة ، وأقرب الطرق إلى الوجدان هو الحس وما الذهن في هذا المجال إلا منفذ واحد من منافذ كثيرة وليس هو على أية حال أوسع المنافذ ، ولا أصدقها ، ولا أقربها طريقاً .

وبعض الناس يكبرون من قيمة هذا الذهن في هذه الأيام ، بعد ما فتن الناس بآثار الذهن في المخترعات والمصنوعات والكشوف ، وبعض البسطاء من أهل الدين تبهره هذه الفتنة ؛ فيؤمن بها ، ويحاول أن يدعم الدين بتطبيق نظرياته على قواعد المنطق الذهني ، أو التجريب العلمي إن العقل الإنساني ما هو إلا كوة واحدة من كوى النفس الكثيرة ، ولن يعلق إنسان على نفسه هذه المنافذ إلا وفي نفسه ضيق ، وفي قواه انحسار ، لا يصلح بهما للحكم في هذه الشؤون الكبار فلندع الذهن يدبر أمر الحياة اليومية الواقعة ، أو يتناول من المسائل ما هو بسبب من هذه الحياة ، فأما العقيدة ، فهي من أفقها العالي هناك ، لا يرقى إليه ، إلا من يسلك سبيل البداهة ، ويهتدي بهدي البصيرة ، ويفتح حسه وقلبه ، لتلقى الأصدقاء والأضواء .



رابع عشر : إن هذين المثليين يعرضان بإشارات سريعة مواطن التأثير الوجداني والنفسي في هذين المثليين، ودورهما في فضح مواقف المنافقين والتنفير من فساد طويتهم وسلوكهم فنلاحظ في هذين المثليين ما يلي :

- أثر المقابلة بين : ﴿ أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ﴾ وبين ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ وبين ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

- ذكر الصمم والبكم والعمى ، ومناسبة ذكر العمى خاصة لفقد النور .
- ذكر الظلمات في الصيب ، وكذلك الرعد والبرق ، وأثر ذلك على النفسي ، إذ إنها أمور مخوفة مرهوبة ...

- صورة جعلهم أصابهم في آذانهم من الصواعق ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ والأثر النفسي لخوف الموت في النفس البشرية ، كل نفس عموماً .

-المقابلة بين : ﴿ أَضَاءَ لَهُمْ ﴾ وبين ﴿ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ﴾ .

-الأثر النفسي بالخوف من ذهاب الله بالسمع والأبصار... وبعد استعراض هذه النقاط التفصيلية عن هذين المثليين ، نلاحظ أنها كلها يجمعها تأثير وجداني عميق ، وأنها ذات أثر نفسي فعال، لما أنها تعرض صوراً تنفر منها النفس البشرية ، وتحذر الوقوع فيها ، هي مثال ما عليه المنافقون ، وما تنطوي عليه سرائرهم من فساد عميق ، وخبث مستعص ، وسلوك متخبط حيران ^(١) .

خامس عشر : أن هؤلاء المنافقين ليس في قلوبهم نور؛ لقوله تعالى ﴿ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ فهؤلاء المنافقون يستطعمون الهدى ، والعلم ، والنور ، فإذا وصل إلى قلوبهم بمجرد ما يصل إليها يتضاءل ، ويزول ؛ لأن هؤلاء المنافقين إخوان للمؤمنين من حيث النسب وأعمام ، وأحوال ، وأقارب ، فربما يجلس إلى المؤمن حقاً ، فيتكلم له بإيمان حقيقي ، ويدعوه ، فينقدح في قلبه هذا

١ - البيانوني ، عبد المجيد البيانوني ، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره ، دار القلم ، الطبعة الأولى ١٤١١



الإيمان ، ولكن سرعان ما يزول " (١).

سادس عشر: يقول الشيخ "ابن عثيمين" - رحمه الله - ومن فوائد الآيتين : أن الإيمان نور له تأثير حتى في قلب المنافق ، لقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ۖ ﴾ الإيمان أضاء بعض الشيء في قلوبهم ؛ ولكن لما لم يكن على أسس لم يستقر ؛ ولهذا قال تعالى في سورة المنافقين وهي أوسع ما تحدث الله به عن المنافقين : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ (٢)

سابع عشر: "قال ابن القيم" - رحمه الله - "وقد اشتمل هذان المثلان على حكم عظيمة منها : أن المستضيء بالنار مستضيء بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه ، فإذا ذهبت تلك النار بقى في ظلمة ، وهكذا المنافق لما أقر بلسانه من غير اعتقاد ومحبة بقلبه وتصديق جازم كان ما معه من النور كالمستعار" (٣).

ثامن عشر: ومنها : أن ضياء النار يحتاج دوامه إلى مادة تحمله ، وتلك المادة للضياء بمتزلة غذاء الحيوان . فكذلك نور الإيمان يحتاج إلى مادة من العلم النافع والعمل الصالح ، يقوم بها ويدوم بدوامها . فإذا لم توجد مادة الإيمان طفئ كما تطفأ النار بفراغ مادتها .

تاسع عشر: ومنها : أن الظلمة نوعان ، ظلمة مستمرة لم يتقدمها نور ، وظلمة حادثة بعد النور ، وهي أشد الظلمتين وأشقهما على من كانت حظه . فظلمة المنافق ظلمة بعد إضاءة ، فمثلت حاله بحال المستوقد للنار ، الذي حصل في الظلمة بعد الضوء ، وأما الكافر فهو في الظلمات لم يخرج منها قط " (٤).

عشرون: ومنها يقول "أبو حبان" " أن مستوقد النار يدفع بها الأذى فإذا انطفأت عنه وصل الأذى

١ - ابن عثيمين ، مرجع سابق (١ / ٦٤) .

٢ - سورة المنافقون : آية ٣ .

٣ - ابن القيم ، مرجع سابق ، التفسير القيم ص ١١٥ ، ١١٦ بتصرف .

٤ - ابن القيم ، مرجع سابق ، بدائع التفسير (١ / ١٠٢) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



إليه كذلك المنافق يحقن دمه بالإسلام ويبيحه بالكفر" (١) .

واحد وعشرون: ومنها أن في هذا المثل إيداناً وتنبهاً على حالهم في الآخرة ، وأنهم يعطون نوراً ظاهراً ، كما كان نورهم في الدنيا ظاهراً . ثم يطفأ ذلك أحوج ما يكونون إليه إذ لم تكن له مادة باقية تحمله ، وبقوا في الظلمة على الجسر ، لا يستطيعون العبور ، فإنه لا يمكن لأحدٍ عبوره إلا بنور ثابت يصحبه حتى يقطع الجسر. فإن لم يكن لذلك النور مادة من العلم النافع، والعمل الصالح ، وإلا ذهب الله تعالى به أحوج ما كان إليه صاحبه. فطابق مثلهم في الدنيا بحالتهم التي هم عليها في هذه الدار، وبحالتهم يوم القيامة عندما يقسم النور . ومن ها هنا يعلم السر في قوله تعالى : ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ (٢) ولم يقل : أذهب الله نورهم .

ولم يقل : ذهب نورهم ، وفيه سر بديع وهو انقطاع سر تلك المعية الخاصة التي هي للمؤمنين من الله تعالى ، فإن الله تعالى مع المؤمنين و ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ (٤) ، فذهاب الله بذلك النور هو انقطاع المعية التي خص بها أوليائه فقطعها بينه وبين المنافقين ، فلم يبق عندهم بعد ذهاب نورهم و لامعهم ، فليس لهم نصيب من قوله تعالى :

﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٥) ولا من قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (٦) والله تعالى أعلم .

ثامناً : ومنها : ما قاله ابن القيم " أن المثل الأول متضمن لحصول الظلمة ، التي هي الضلال

١ - ابن حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي ، تفسير البحر المحيط ، دار الكتب العلمية بيروت (٢٠٩ / ١) .

٢ - ابن القيم ، مرجع سابق ، بدائع التفسير (١٠٣ / ١) .

٣ - سورة البقرة : الآية ١٥٣ .

٤ - سورة النحل : الآية ١٢٨ .

٥ - سورة التوبة : الآية ٤٠ .

٦ - سورة الشعراء : الآية ٦٢ .



والحيرة التي ضدها الهدى ، والمثل الثاني : متضمن لحصول الخوف الذي ضده الأمن . فلا أمن و لا هدى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾^(١) قال "ابن عباس" وغيره من السلف : مثل هؤلاء في نفاقهم كمثل رجل أوقد ناراً في ليلة مظلمة في مفازة فاستضاء ورأى ما حوله . فاتقى ما يخاف ، فبينما هو كذلك إذ طفئت ناره ، فبقى في ظلمته خائفاً متحيراً . كذلك المنافقون بإظهار كلمة الإيمان أمنوا على أموالهم وأولادهم ، وناكحوا المؤمنين ووارثوهم ، وقاسموهم الغنائم ، ذلك نورهم ؛ فإذا ماتوا عادوا إلى الظلمة والخوف^(٢) .

اثني عشر وعشرون : قال الشيخ "ابن عثيمين" - رحمه الله - " ومن فوائد الآيتين : تخلي الله عن المنافقين ، لقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ ويتفرع على ذلك : أن من تخلى الله عنه فهو هالك . ليس عنده نور ، و لا هدى ، و لا صلاح ؛ لقوله تعالى ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾^(٣) .

ثلاثة وعشرون : وقال الشيخ "ابن عثيمين" - رحمه الله - أيضاً : " ومن فوائد الآيتين : أن هؤلاء المنافقين أصم الله تعالى آذانهم فلا يسمعون الحق ، ولو سمعوا ما انتفعوا ، ويجوز أن يُنفى الشيء لانتفاء الانتفاع به ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾^(٤) .

﴿ ﴾^(٤) . ومنها أن هؤلاء المنافقين لا ينطقون الحق . كالأبكم . ومنها أنهم لا يبصرون الحق كالأعمى . ومنها أنهم لا يرجعون عن غيهم ؛ لأنهم يعتقدون أنهم محسنون ، وأنهم صاروا أصحاباً للمؤمنين ، وأصحاباً للكافرين : هم أصحاب للمؤمنين في الظاهر ، وأصحاب للكافرين في الباطن ؛ ومن استحسناً شيئاً فإنه لا يكاد أن يرجع عنه^(٥) .

أربعة وعشرون : قال الشيخ "مصطفى العدوي" : " قال بعض أهل العلم : أفرد النور ؛ لكون الحق

١ - سورة الأنعام : آية ٨٢ .

٢ - ابن القيم ، مرجع سابق ، بدائع التفسير (١ / ١٠٤) .

٣ - ابن عثيمين ، مرجع سابق ، (١ / ٦٥) .

٤ - سورة الأنفال : آية ٢١ .

٥ - ابن عثيمين ، مرجع سابق (١ / ٦٥ ، ٦٦) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



واحد وهو صراط الله المستقيم ، وجمعت الظلمات ؛ لأن طرق الباطل متعددة ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾^(١) . وقال بعض العلماء : أفرد النور لفضله ، وجمعت الظلمات لنقصها ، واستدل له بقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفَيوُا ظِلَّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴾^(٢) فأفرد اليمين وجمعت الشمائيل ، وقال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا ءَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتٍ عِمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّتِكَ وَبَنَاتٍ خَالَكَ وَبَنَاتٍ خَلَّكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾^(٣) ، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾^(٤)^(٥) .

خمسة وعشرون : أن الصيب مثل للإسلام ، والظلمات مثل لما في قلوبهم من النفاق ، والرعد والبرق مثلان لما يخوفون به .

سادس وعشرون : قال "أبوحيان" - رحمه الله - " أنه مثل الدنيا وما فيها من الشدة ، والرخاء ، والنعمة ، والبلاء بالصيب الذي يجمع نفعاً بإحيائه الأرض ، وإنباته النبات ، وإحياء كل دابة ،

١ - سورة الأنعام : الآية ١٥٣ .

٢ - سورة النحل : الآية ٤٨ .

٣ - سورة الأحزاب : الآية ٥٠ .

٤ - سورة البقرة : الآية ٢٥٧ .

٥ - العدوي ، مرجع سابق (٣/ ٢٢٣ ، ٢٢٤) .



والانتفاع به للتطهير وغيره من المنافع، وضرر بما يحصل به من الإغراق والإشراق و ما تقدمه من الظلمات والصواعق بالإرعاد والإبراق، وأن المنافق يدفع أجلاً بطلب عاجل النفع فيبيع آخرته وما أعد الله له فيها من النعيم بالدنيا التي صفوها كدر، ومآله بعد إلى سقر" (١) .

سابع وعشرون: قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - "من فوائد الآيتين : تهديد الكفار بأن الله محيط بهم ؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ (١١) ، ومنها أن البرق الشديد يخطف البصر ؛ ولهذا يُنهي الإنسان أن ينظر إلى البرق حال كون السماء تبرق ؛ لئلا يُخطف بصره " (٢) .

ثامن وعشرون: ويقول الشيخ "ابن عثيمين" - رحمه الله - : ومنها : " أن من طبيعة الإنسان اجتناب ما يهلكه ؛ لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ، ومنها أيضا : إثبات مشيئة الله ؛ لقوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ (٣) .

تاسع وعشرون: ومنها " أنه ينبغي للإنسان أن يلجأ إلى الله عز وجل أن يمتعه بسمعه ، وبصره ؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ ؛ وفي الدعاء المأثور : " متعنا بأسماعنا ، وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا " (٤)(٥) .

ثلاثون : ومنها : " أن من أسماء الله أنه قدير على كل شيء ومنها عموم قدرة الله تعالى على كل شيء ؛ فهو جل وعلا قادر على إيجاد المعدوم ، وإعدام الموجود ، وعلى تغيير الصالح إلى فاسد ، والفساد إلى صالح ، وغير ذلك " (٦) .

١ - أبو حيان ، مرجع سابق (١ / ٢٢٤) .

٢ - ابن عثيمين ، مرجع سابق (١ / ٧١) .

٣ - المرجع سابق (١ / ٧٢) .

٤ - أخرجه الترمذي ص ٢٠١٢ كتاب الدعوات باب ٧٩ : اللهم اقسم لنا من خشيتك حديث رقم ٣٥٠٢ قال

الألباني في صحيح الترمذي حسن [٣ / ١٦٨ ، حديث رقم ٢٧٨٣] .

٥ - المرجع السابق (١ / ٧١) .

٦ - المرجع السابق (١ / ٧٢) .



المبحث الثالث :- دراسة المثل في قوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (٦٨) كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِمَخْلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِمَخْلَقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٦٩) أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٧٠) ﴿ (١).

المطلب الأول :مناسبة المثل لأسماء السورة وتعلقه بما قبله من الآيات وما بعده من الآيات .

أولاً : مناسبة المثل لأسماء السورة : إن هذا المثل يدور حول المنافقين وصفاتهم وسياق المثل فيما قبله وما بعده يتناول صفات أهل النفاق كما سيأتي بحثه في موضعه وقد جاءت أسماء هذه السورة متسقة مع هذا المثل حيث دلت أسماء هذه السورة على معاني متعددة تدور جميعها حول فضح أهل النفاق ومن ذلك :

١-المقشقة : أي أنها تقشقش من النفاق بمعنى تبرئ منه ومن أهله . فعن زيد بن أسلم رضي الله عنه " أن رجلاً قال لعبد الله : سورة التوبة ؟ قال ابن عمر : وهل فعل بالناس الأفاعيل إلا هي ، ما كنا ندعوها إلا المقشقة " (٢).

١ - سورة التوبة الآيات من ٦٨ : ٧٠

٢ - أورده السيوطي في الدر المنثور (٤/١٢١) وعزاه لأبي الشيخ وابن مردويه .



٢- المخزية : وسميت المخزية لأنها تخزي الكافرين والمنافقين ، فالله مخزيهم حيث وجدوا لثباتهم على الشرك واستكبارهم عن الحق الذي جاءهم وذكر هذا الاسم بعض المفسرين كالزمخشري ، والرازي ، والنسفي ، والحازن ، والبيضاوي ، وأبي السعود ، والجمل ، والشوكاني ، والألوسي ، كما ذكرها السخاوي ، والسيوطي ولم ينسبها أحد إلى قائل (١) .

٣- الفاضحة : وسميت بالفاضحة لفضحها سلوك المنافقين وما انطوت عليه صدورهم من الخسة والندالة ، وقد جاء عن بعض الصحابة تسميتها بالفاضحة ففي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال " قلت لا بن عباس سورة التوبة ؟ قال : التوبة هي الفاضحة ما زالت تترل : ومنهم ومنهم حتى ظنوا أنها لم تبق أحداً منهم إلا ذكر فيها الحديث " (٢) .

٤- الكاشفة : لكشفها عيوب الكفار والمنافقين ولايتهم بعضها بعضاً ضد الإسلام والمسلمين (٣) .

٥- المشردة : بمعنى تشرد المنافقين، وتفلج شكيمتهم لتفتيت عصبتهم وعزلهم عن موالاته بعضهم بعضاً ، وسميت بذلك لأنها شردت جموع المنافقين وفرقتهم قاله "الحازن" (٤) .

٦- المبعثرة : لكونها تبعثر عن أسرار المنافقين ، أي تبحث عنها وتثيرها ليقف الجميع على معاول هدمهم وسمها بهذا الاسم ابن عباس ، وعن محمد بن إسحاق قوله : " كانت براءة تسمى في زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - المبعثرة لما كشفت من سرائر الناس " (٥) . وعن ثابت بن الحارث الأنصاري أنه قال : " وما كانوا يدعون سورة التوبة إلا المبعثرة ، فإنها تبعثر أخبار المنافقين " (٦) .

٧- الحافرة : وسميت بذلك بسبب حفرها عن قلوب المنافقين وإثارة أسرارهم لكشف ظاهر

١ - الدوسري ، منيره محمد ناصر ، أسماء سور القرآن وفضائلها ، دار ابن الجوزي ، الطبعة ١٤٢٦ هـ ،

٢ - أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة الحشر حديث رقم (٤٨٨٢) .

٣ - مسلم ، د. مصطفى ، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم ، (٣/١٨٧) .

٤ - تفسير الحازن (٢ / ٣٣٢) .

٥ - أخرجه ابن المنذر كما في الدر المنثور (٤ / ١٢١) .

٦ - مصدر سابق ، أسماء سور القرآن وفضائلها ص — ٢١٤ ، ٢١٥ .



سلوكهم وباطنه بعد أن أقاموا على النفاق ، ونسب " الألو سي " هذه النسبة إلى الحسن البصري وذكرها ابن الفرس كما قال صاحب الإتيان وذكرها بعض المفسرين "كالزمخشري" والطبرسي" وابن الجوزي" والرازي" والنسفي" والبيضاوي" وأبي السعود" ، "والجمل" وذكرها "السخاوي" والفيروزي آبادي"^(١).

٨- المثيرة : وسميت بذلك لأنها أثارت عورات المنافقين وأظهرتها للمسلمين ، ليحسنوا مقارعتهم استعداداً لاستئصالهم لكونهم متناهين في النفاق والبعد عن الإيمان وسماها بهذا الاسم قتادة ، كما أخرج ابن أبي حاتم عنه قال " كانت هذه السورة تسمى الفاضحة ، فاضحة المنافقين ، وكان يقال لها : المثيرة ، أنبأت بمثلهم وعوراتهم "^(٢).

٩- المنكلة : لإعلانها الحرب بشدة على المنافقين والمشركين والدعوة للتنكيل بهم وقتلهم حيث ثقفوا ، لظلم الواحد منهم لنفسه ، ولغيره ، لما فعلوه من الكفر بالله وعدم الانقياد له ولنبيه وقد وقعت هذه التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن وهذا الاسم أيضاً لم ينسب إلى قائل "^(٣)

١٠- المدممة : أي تدمدم المنافقين بمعنى تهلكهم وتطوي صفحة مكرهم ، لاستمرارهم سلوك النفاق الذي أحدثوه واستدعوه بعد الهجرة^(٤) . نسبها "الألو سي" إلى سفيان بن عيينة وذكرها كثير من المفسرين في كتبهم كما ذكرها "السخاوي" والسيوطي" في كتابهما^(٥).

١١- البحوث : بفتح الباء لأنها ما انفكت تسعى للبحث عن جيوب النفاق وأهله، لكشف أسرارهم استعداداً لضربهم والتخلص منهم. وسماها بذلك "المقداد" كما أخرج عنه أنه قيل له: لو قعدت العام عن الغزو قال " أتت علينا البحوث يعني سورة التوبة قال الله عز وجل ﴿ أَنْفِرُوا

١ - مصدر سابق ، أسماء سور القرآن وفضائلها ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

٢ - الإتيان (١ / ١٧٣) .

٣ - مصدر سابق أسماء سور القرآن وفضائلها ص ٢١٨ .

٤ - التحرير والتنوير ابن عاشور (١٠ / ٩٧) .

٥ - الاتقان (١ / ١٧٣) .



خَفَافًا وَثِقَالًا ﴿١﴾.

١٢-العذاب : سميت بذلك بسبب براءة السورة من المنافقين والمشركين ، ودعوتها لقتالهم دون رحمة ، بغية تعذيبهم لأجل مخرجات سلوكهم ، وكفرهم لتقصيرهم بحق الله .وسماها بعض الصحابة (سورة العذاب) فعن حذيفة- رضي الله عنه- قال : " التي تسمون سورة التوبة هي سورة العذاب ، والله ما تركت أحداً إلا نالت منه ، و لا تقرؤون منها مما كنا نقرأ إلا ربعا " (٢) ١٣-المنقرة : لأنها نقرت عما في قلوب المشركين وكشفه للمسلمين ، والتسمية ههنا من نقر الطير للخشب أو للحصى ، وفيها من حكمة مفاجأتهم بالخفي من أقوالهم وأفعالهم ، بما لم يتوقعوه أو يألفوه (٣) وأسماها بالمنقرة عبد الله بن عبيد بن عمير كما أخرج عنه أبو الشيخ قال : " كانت براءة تسمى المنقرة ، نقرة عما في قلوب المشركين " (٤) .

فهذه جملة من الأسماء الاجتهادية التي سميت بها هذه السورة ومما سبق يتضح أن جميع هذه الأسماء تنصب وتقع على هذه الصفات التي جمعها المثل من صفات المنافقين وتواليهم بعضهم بعضاً . أما تعلق المثل بما قبله :فإن في هذا المثل تحذير للمنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة وقد سبق هذا المثل بيان شافي ووافي لصفات المنافقين .

يقول سيد قطب - رحمه الله - "ثم يجيء المقطع الرابع في سياق السورة وهو أطول مقاطعها ، وهو يستغرق أكثر من نصفها في فضح المنافقين في غزوة تبوك وقبلها وفي أثنائها و ما تلها ، وكشف حقيقة نواياهم وحيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف ، وإيذاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والخُص من المؤمنين . يصاحب هذا

١ - سورة التوبة جزء من آية : ٤١ .

٢ - أخرج الحاكم في المستدرک ، كتاب التفسير ، تفسير سورة التوبة ، حديث رقم (٣٢٧٤) (٣٦١/٢) ، وأبو عبيد في فضائله ، باب (فضل سورة براءة) ص ١٣ وأورده السيوطي في الدر (٤ / ١٢٠) وعزاه للطبري وأبي الشيخ وابن مردويه .

٣ - تفسير المنار ، محمد شيد رضا (١٤٦/١١) .

٤ - الدر المنثور (٤ / ١٢١) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



الكشف تحذير الخلصاء من المؤمنين من كيد المنافقين ، وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء ، والمفاصلة بين الفريقين وتمييز كل منهما بصفاته وأعماله.... وهذا القطاع يؤلف في الحقيقة جسم السورة ، ويتجلى من خلاله كيف عاد النفاق بعد فتح مكة فاستشرى بعد ما كاد أن يتلاشى من المجتمع المسلم قبيل الفتح" (١).

ويقول أيضاً سيد قطب - رحمه الله - " من هنا يبدأ الحديث عن الطوائف التي ظهرت عليها أعراض الضعف في الصف وبخاصة جماعة المنافقين ، الذين اندسوا في صفوف المسلمين باسم الإسلام ، بعد أن غلب وظهر ، فرأى هؤلاء أن حب السلامة وحب الكسب يقتضيان أن يحنوا رؤوسهم للإسلام ، وأن يكيدوا له داخل الصفوف بعد أن عز عليهم أن يكيدوا له خارج الصفوف ولن نملك أن نستعرض هنا هذا القطاع بطوله فنكتفي بفقرات منه تدل على طبيعته :

﴿ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشَّقَّةُ وَسَيَّحِلَفُونَ بِاللَّهِ لَوْ
أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾

﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا
مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ
وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونِ ﴿٤٨﴾ ﴾

﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَسْأَلُكَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجُبٌ مُّجْزِئَةٌ وَلَا يَتَذَكَّرَ فِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ
بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسَبِّحْهُم بِحَمْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَقُلْ إِنَّهَا مِنْ عِندِ اللَّهِ قَدْ أَخَذْنَا
أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ﴿٥١﴾ لَوْ يَحِدُّونَ مَلَجًا أَوْ

١ - قطب ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط ٣٢ لسنة ١٤٢٤ / ٢٠٠٣ ، (١٥٦٧) .

مَغْرَبٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوْلَا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْحَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

﴿ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

﴿ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَتَى لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ ﴾

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا إِلَيَّ اللَّهُ مُخْرَجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾

فمن جملة هذه الآيات السابقة للمثال تبين صفات النفاق والمنافقين وسيأتي بينها ولكن المقصود أن ما تعلق بالمثال قبله يرتبط بهذه الصفات التي جاءت في الآيات السابقة من صفات المنافقين قبل المثال وما يتعلق بعده .

فقد جاءت الآيات بعد المثال أيضاً ترتبط بهذه الصفة وهذه القضية قضية النفاق فيها نحن نرى أن



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



الآيات جاءت متعلقة بنفس قضية المثل والقضية الأساسية التي جاءت في السورة فكما سبق أن ذكرنا أن هذه السورة الكريمة تسمى الفاضحة لأنها بينت أسرار المنافقين ، وهتكت أستارهم ، فما زال الله تعالى يقول : ومنهم ومنهم ويذكر أوصافهم إلا أنه لم يعين أشخاصهم .

تعلق المثل بما بعده من الآيات وفي سياق ذلك جاءت الآيات بعد المثل متعلقة بهذه القضية فمن ذلك :

﴿ يَتَأَيَّبُ النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾
يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ أُولُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ۗ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَعْذِبْنَهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۝

﴿ وَمَنْهُمْ مَنَّ عَاهَدَ اللَّهُ لَنْ نَأْتِيَنَّكَ مِنْ فَضْلِهِ ۚ لَنَصَدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ بَخِلُوا بِهِ ۚ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ۝

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٨﴾ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ ۝

﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعَذُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ نَخْرُجَ مَعَكُمْ أَبَدًا وَلَنْ نُقَاتِلَ مَعَكُمْ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخُلَفَاءِ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ



اللَّهُ أَنْ يَعِدَّ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكْفِرُونَ ﴿٨٥﴾ .

وهذه الحملة الطويلة الكاشفة تُشي بما كان للمنافقين في هذه الفترة من محاولات كثيرة لإيذاء الصف المسلم وفتنه وشغله بشتى الفتن والدسائس والأكاذيب عن وجهته^(١).

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه :

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حِطَّةٌ آَعَمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ﴿٦٦﴾^(٢).

والمعنى والله تعالى أعلم قل يا رسول الله لهؤلاء المنافقين والمنافقات والكفار الساخرين منك المستهزئين بدينك الذي جنتهم به ، المكذبين للقرآن الجاحدين لوحداية الله - عز وجل - قل لهم شأنكم في هذا كله شأن الذي سبقوكم من أهل الكفر كانوا أقوى منكم وأعز نفراً ، وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بديناهم وحظوظهم فيه ورضوا بما بديلاً عن النصيب الأخرى ، فالخلاق هذا النصيب ، أي أنهم استمتعوا بنصيبهم الذي كان لهم في الآخرة إن هم آمنوا ، استمتعوا به في الدنيا ولم يلقوا للآخرة بالاً ، فسلكتم مسلكهم وسرتم سيرهم ، واستمتعوا بنصيبكم في الدنيا وبحظوظكم فيها تاركين أمر الله وراء ظهوركم كما استمتع الذين من قبلكم بحظوظهم ، وخضتم في التكذيب والسخرية و الاستهزاء والكفر والعناد خوفاً كالذين خاضه أولئك فقد كانوا مكذبين معاندين ساخرين مستهزئين ، فأولئك الذين هذه سبيلهم حبطت أعمالهم ، ذهب ثوابها (في الدنيا) فلن يجمدوا عليها واستوفوا باستمتاعهم حظوظهم فيها (والآخرة) أي في الآخرة أعمالهم تكون هباء منثوراً ، ذهب ثوابها وأولئك هم الخاسرون ، خسروا

١ - قطب ، سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط ٣٢ لسنة ١٤٢٤ / ٢٠٠٣ م ، (١٥٦٩ / ١٥٦٨)

بتصريف .

٢ - سورة التوبة الآية : ٦٩ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



أنفسهم ، وخسروا أعمالهم .

وبنحو هذا قال أهل العلم

قال الطبري - رحمه الله - " يقول تعالى ذكره لنبية محمد - صلى الله عليه وسلم - قل يا محمد ،

لهؤلاء المنافقين الذين قالوا : ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ ، من الأمم الذين فعلوا فعلكم ، فأهلكهم الله ، وعجل

لهم في الدنيا الخزي ، مع ما أعد لهم من العقوبة والنكال في الآخرة . يقول لهم جل ثناؤه :

واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حل بهم ، فإنهم كانوا أشد منكم قوة وبطشاً ،

وأكثر منكم أموالاً وأولاداً ، ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ ﴾ ، يقول : فتمتعوا بنصيبتهم وحظهم من

دنياهم ودينهم ، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضاً من نصيبهم في الآخرة ، وقد سلكتهم ،

أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بخلاقتكم ، يقول : فعلمت بدنياكم ودنياكم ، كما استمتع الأمم

الذين كانوا من قبلكم بنصيب من دنياهم ودينهم ، ﴿ وَخَضْتُمْ ﴾ ، في الكذب والباطل على الله ،

﴿ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ ، يقول : وخضتم أنتم أيضاً ، أيها المنافقون ، كخوض تلك الأمم

قبلكم^(١) . وأما قوله ﴿ أُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ ، " فإن معناه : هؤلاء الذين قالوا : ﴿ إِنَّمَا

كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ ، وفعلوا في ذلك فعل الهالكين من الأمم قبلهم ،

﴿ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ ، يقول : ذهبت أعمالهم باطلاً . فلا ثواب لها إلا النار ، لأنها كانت فيما

يسخط الله ويكرهه ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ يقول : وأولئك هم المغبونون صفقتهم ،

بيعتهم نعيم الآخرة بخلاقتهم من الدنيا اليسير الزهيد^(٢) .

١ - الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، مكتبة هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، لعام

٥١٤٢٢ (١١ / ٥٥٠ ، ٥٥١) .

٢ - الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تفسير الطبري ، مكتبة هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط ١ ، لعام

٥١٤٢٢ (١١ / ٥٥٣) .



قال ابن الجوزي - رحمه الله - " وموضع الكاف في قوله ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ نصب أي : وعدكم الله على الكفر به كما وعد الذين من قبلكم وقال غيره : رجع عن الخير عنهم إلى مخاطبتهم وشبههم في العدول عن أمره بمن كان قبلهم من الأمم الماضية . قوله تعالى : ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ ﴾ قال ابن عباس : استمتعوا بنصيبتهم من الآخرة في الدنيا وقال الزجاج : بحظهم من الدنيا . قوله تعالى : ﴿ وَخُضْتُمْ ﴾ أي في الطعن على الدين وتكذيب نبيكم كما خاضوا ﴿ وَأُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴾ لأنها لم تقبل منهم وفي الآخرة لأنهم لا يثابون عليها ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ بفوت الثواب وحصول العقاب ^(١) .

ويقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - "مخذراً للمنافقين أن يصيبهم ما أصاب من قبلهم من الأمم المكذبة " قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات " ؛ أي : قرى قوم لوط . فكلهم أتاهم رسلهم بالبيانات أي : بالحق الواضح الجلي ، المبين لحقائق الأشياء ، فكذبوا بها ، فجرى عليهم ما قص الله علينا فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم ، ﴿ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ ﴾ أي : بنصيبتكم من الدنيا ، فتناولتموه على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه ، واستعنتم به على معاص الله ، ولم تتعد هممتكم وإرادتكم ما حولتم من النعم ، كما فعل الذين من قبلكم ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ ، أي : وخضتم بالباطل والزور ، وجادلتم بالباطل لتدحضوا به الحق ، فهذه أعمالهم وعلومهم ، استمتاع بالخلق ، وخوض بالباطل ، فاستحقوا من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم ، ممن فعلوا كفعالهم ، وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبتهم ، وما حولوا من الدنيا ، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله ، وأما علومهم فهي علوم الرسل ، وهي

١ - الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ، زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي)



الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية ، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل .

قوله : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ إذا أوقع بهم من عقوبته ما أوقع ﴿ كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾
وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿ حيث تجرعوا على معاصيه ، وعصوا رسلهم واتبعوا أمر كل جبار
عنيذ " (١) .

وهذه بعض آثار السلف في تفسير هذه الآيات :

روى الطبري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري ، عن أبي هريرة ، عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال : لتأخذن كما أخذ الأمم من قبلكم ، ذراعاً بذراع ، وشبراً بشبراً ، وباعاً بباع ، حتى لو
أن أحداً من أولئك دخل حجر ضب لدخلتموه ! قال أبو هريرة " اقرءوا إن شئتم القرآن ﴿
كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ
بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ قالوا : يارسول
الله ، كما صنعت فارس والروم ؟ قال : فهل الناس إلا هم " (٢) (٣) .

وعن ابن عباس قوله ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ الآية قال ، قال ابن عباس : ما أشبه الليلة بالبارحة
! ﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم ، لا أعلم إلا أنه قال : والذي نفسي
بيده ، لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم حجر ضب لدخلتموه " (٤) (٥) .

١ - العثيمين ، محمد بن صالح ، تفسير القرآن الكريم ، دار الهداية ، اليمن ، (٥ / ١٣٣) .

٢ - قال الشيخ محمود شاكر في الأثر إسناده ضعيف فيه " أبو معشر " هو نجيح بن عبد الرحمن السندي " منكر الحديث
ولكن هذا الخبر له أصل في الصحيح فقد رواه البخاري في صحيحه من طريق أحمد بن يونس (الفتح : ١٣ / ٢٥٤) .

٣ - الطبري ، أبي جعفر محمد بن جرير ، تفسير الطبري ، مكتبة ابن تيمية (١٤ / ٣٤١) .

٤ - قال الشيخ محمود شاكر في تحقيق تفسير الطبري ، فهذا إسناد ضعيف أيضاً ، ولكن له أصل في الصحيح ، كما

سلف قبل .

٥ - الطبري ، مصدر سابق (١٤ / ٣٤٢) .



روى الطبري عن الحسن ﴿فَأَسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ﴾ قال : بدينهم^(١).

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض الذي من أجله ضرب المثل :

ونلاحظ أن الغرض من هذا المثل هو الغرض الثالث والذي جاء في التمهيد وهو " الإقناع بذكر قبائح الباطل والتنفير منه " .

ولذا نجد أن هذا المثل قد سبق بذكر صفات متعددة تفضح تناقض المنافقين ووصف أحوالهم النفسية والعملية ، وكشف حقيقة نواياهم وحيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف ، وإيذاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والخلص من المؤمنين يصاحب هذا الكشف تحذير الخالصاء من المؤمنين من كيد المنافقين ، وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء وهذه إشارة إلى بعض هذه الصفات :

١- عدم إعدادهم العدة للخروج مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وكرههم لظهور أمر الله تعالى .

٢- ومن صفاتهم أيضاً أنهم يريدون الفتنة وقلب الحقائق .

٣- ومن صفاتهم سعادة أهل النفاق بمصائب المسلمين .

٤- ومن صفاتهم عدم قبول نفقات المنافقين .

٥- ومن صفاتهم الطعن في أمانة الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

٦- ومن صفاتهم أذى المنافقين لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وانتقاصه والقول عليه بأنه أذن

٧- ومن صفاتهم أيضاً الحلف الكذب ليرضوا المسلمين .

٨- ومن صفاتهم أنهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف .

٩- ومن صفاتهم أيضاً الاستمتاع بالدنيا وحظوظها على حساب الآخرة .

١٠- ومن صفاتهم أنهم ينقضون العهود مع الله .

١- الطبري ، مصدر سابق (١٤ / ٣٤٣) .



وهذه الحملة الطويلة الكاشفة بذكر قبائح أهل النفاق والتنفير من هذه الأفعال والأقوال المتلاحقة للمنافقين وذلك هو الغرض بذكر هذا المثل وبيان قبح من ذكر في المثل من أهل الكفار من قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات وهذه صفات جامعة بين أهل الكفر وأهل النفاق .

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثال :

إن المتتبع لهذا المثل وما سبقه من آيات متعلقة به وكذا ما تبعه من آيات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوع المثل فكثير من أهل العلم وخاصة من صنف في التفسير الموضوعي فنجد "الهرري" - رحمه الله - في تفسيره يقسم الموضوع إلى مقاطع مترابطة فنجد أنه عند تفسير آيات المثل بدأ من قوله تعالى:

﴿ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٧٢) . وكذا أيضاً نجد أن أبا حيان في تفسيره يبدأ المقطع من قوله تعالى: ﴿ وَمَنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ التوبة: ٦١ . دلالة على تعلق الآيات بالمثال ولذا نستخرج الفوائد من المقطع ككل وليس آية المثل فحسب .

أولاً : إفراد الضمير في قوله ﴿ يَرْضُوهُ ﴾ إما للتعظيم للجناب الإلهي بإفراده بالذكر أو لكونه لا فرق بين إرضاء الله وإرضاء رسوله ، وإرضاء الله لإرضاء لرسوله - صلى الله عليه وسلم - أو المراد : الله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، كما قاله سيبويه ورجحه النحاس (١) .

ثانياً : وفي قوله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا ﴾ أي : ألم يعلم هؤلاء المنافقون ، وهو استفهام ، معناه

١ - الهرري ، مصدر سابق (١٦ / ٣٢٣) .



التوبيخ والإنكار ، وقرأ الحسن والأعرج { ألم تعلموا } بالتاء الفوقية على الخطاب ، فالظاهر أنه التفات ، فهو خطاب للمنافقين ، قيل ويحتمل أن يكون خطاباً للمؤمنين فيكون معنى الاستفهام التقدير وإن كان خطاباً للرسول ... فهو خطاب تعظيم والاستفهام للتعجب^(١) .

ثالثاً : قال "الألوسي" -رحمه الله - " في قوله تعالى: ﴿ نُئِبْتُهُمْ ﴾ كقول : المراد بالتنبيه المبالغة في كون السورة مشتملة على أسرارهم كأنها تعلم من أحوالهم الباطنة ما لا يعلمونه فتنبئهم بها وتنعي عليهم قبائحهم ، وجوز أن يكون الضميران الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين ، وتفكيك الضمائر ليس بممنوع مطلقاً بل هو جائز عند قوة القرينة في ظهور الدلالة عليه"^(٢) .

رابعاً : قال "الهرري" -رحمه الله - تعالى " في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ وفي هذه الآية وما في معناها : دليل على أن إيذاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - كفر إذا كان فيما يتعلق برسالته ، لأن ذلك ينافي الإيمان ، وأما إيذاؤه في شؤونه البشرية والعادات الدنيوية ، فحرام لا كفر ، كإيذاء الذين كانوا يطيلون الجلوس في بيوته لدى نسائه بعد الطعام ، وفيهم نزل ﴿ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ ﴾^(٣) وإيذاء الذين كانوا يرفعون أصواتهم في ندائه ويسمونه باسمه ، كما قال تعالى ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾^(٤) وإيذاؤه -صلى الله عليه وسلم - بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ، كإيذاؤه في حال حياته ، كالحوض في أبويه ، وآل بيته بما يُعلم أنه يؤذيه لو كان حياً فالإيمان به -صلى الله عليه وسلم - مانع من تصدي المؤمن لما يُعلم أو يظن أنه يؤذيه صلوات الله وسلامه عليه إيذاءً ما ، فهذا الذنب من أكبر الذنوب

١ -الهرري ، مصدر سابق (١٦ / ٣٢٤) .

٢ -الألوسي ، روح المعاني ، دار إحياء التراث العربي (١٠ / ١٣٠) .

٣ -سورة الأحزاب جزء من آية: ٥٣ .

٤ -سورة الحجرات آية: ٢ .



ومعصية من أعظم المعاصي " (١) .

خامساً : ومن الفوائد التربوية هو أن نحلل تحليلاً سيكولوجي (نفسي) لشخصيات المنافقين في مختلف طبقاتهم ، وما طرحوه من مسوغات تبريرية كاذبة لتخلفهم ، إذ من عجيب أمرهم أن ليس فيهم من تنسحب عليه أعداء القعود كالضعفاء والمرضى والفقراء لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١) . وفيما يلي عرض لجماعات المنافقين وما زعموه من أقوال في بيان تخلفهم ومكرهم ، ظناً منهم أنهم يخادعون الله ورسوله :

١- قال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا في الحر إعراضاً عن الجهاد .

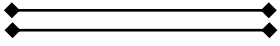
٢- اتحل بعض المنافقين الأعداء الكاذبة وجاءوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - يخلفون بالله تعالى كاذبين إنهم تخلفوا لأسباب وجيهة وهم متمسكون بحبهم للنبي - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله تعالى فيهم ﴿وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْقَهُونَ﴾ (٥٦) .

٣- أخذ بعض المنافقين يروج الشائعات الباطلة من باب الحرب النفسية ، ليزرع الخوف والتردد في نفوس المؤمنين ، لتفزيعهم وإضعافهم وتثنيهم عن الخروج إلى الجهاد إرجافاً وترهيباً لهم . إذ قال بعضهم لبعض (أتحسبون قتال بني الأصفر "الروم" كقتال العرب بعضهم بعضاً ، والله لكأن بكم غداً مقرنين في الجبال أتظنون أنكم قادرون على فتح قصور الروم وحصونها ؟ هيهات هيهات ، فأطلع الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - على ما قالوا فأنكروا وقالوا إنما نخوض ونلعب فأنزل الله فيهم ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

١- الهجري ، مصدر سابق (١٦ / ٣٢٢) .

٢- سورة التوبة آية : ٩١ .

٣- سورة التوبة آية : ٥٦ .



تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ (١)(٢).

سادساً : قال "السعدي" - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنْفِقُونَ أَنْ نُنزَلَ

عَلَيْهِمْ سُورَةً يُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ (٣).

" كانت هذه السورة الكريمة تسمى "الفاضحة" لأنها بينت أسرار المنافقين ، وهتكت أستارهم ،

فما زال الله يقول : ومنهم ومنهم ويذكر أوصافهم ، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين :

إحداهما : أن الله ستير يحب الستر على عباده .

والثانية : أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين ، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم

إلى يوم القيامة ، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب ، حتى خافوا غاية الخوف " (٤) .

سابعاً : قال "الهرري" - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ

نَارَ جَهَنَّمَ ﴿٥﴾ "وقدم المنافقين في الوعيد على الكفار للإيذان بأنهم وإن أظهروا الإيمان وعملوا

أعمال الإسلام شر من الكفار ، ولا سيما المتدينين منهم بأديان محرفة أو منسوخة ، كأهل الكتاب

وفي هذه الآية دليل على أن وعد يقال في الشر ، كما يقال في الخير. " (٦) .

ثامناً : قال ابن عاشور - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ

مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ﴿٧﴾" قيل هذا الخطاب التفات ، عن ضمائر الغيبة الراجعة إلى

المنافقين ، إلى خطابهم لقصد التفريع والتهديد بالموعظة ، والتذكير عن الغرور بما هم فيه من نعمة

١ - سورة التوبة آية : ٦٥ .

٢ - التفسير الموضوعي . (٣/ ٢٤٠ ، ٢٤١) .

٣ - سورة التوبة آية : ٦٤ .

٤ - السعدي ، مصدر سابق (٣٨٠) .

٥ - سورة التوبة جزء من آية : ٦٨ .

٦ - الهرري ، مصدر سابق (١١/ ٣٣٠) .

٧ - سورة التوبة جزء من آية : ٦٩ .



الإمهال بأن آخر ذلك حبط الأعمال في الدنيا والآخرة ، وأن يحق عليهم الخسران " (١).

تاسعاً : قال الزمخشري " فإن قلت أي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم ، وقوله (كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) مغن عنه ، كما أغنى كالذي خاضوا؟ قلت : فائدته أن قدم الأولين بالاستمتاع ما أوتوا من حظوظ الدنيا ، ورضاهم بها والتهائم فشبها لهم الفانية عن النظر في العاقبة ، وطلب الفلاح في الآخرة ، و أن يخسس أمر الاستمتاع ويهجن أمر الراضي به ، ثم شبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما يريد أن ينبه بعض الظلمة على سماجة فعله ، فيقول : أنت مثل فرعون ، كان يقتل بغير جرم ، ويعذب ويعسف وأنت تفعل مثل فعله . ويقول أيضا : شبه استمتع المنافقين باستمتع الذين من قبلهم بالاسم الظاهر ، فقال: ﴿ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ ﴾ ولم يكن التركيب : كما استمتعوا بخلاقهم ليدل بذلك على التحقير ، لأنه كما يدل بإعادة الظاهر مكان المضمرة على التفضيم والتعظيم ، كذلك يدل بإعادته على التحقير والتصغير بشأن المذكور ، كقوله تعالى: ﴿ يَأْتِي لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ (٢). وكقوله تعالى:

﴿ إِنَّكَ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣). ولم يأت التركيب إنه كان ولا أنهم هم " (٤).

عاشراً : قال "أبو حيان الأندلسي" -رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ يَأْتِيَنَّهُمْ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٥).

" لما شبه المنافقين بالكفار المتقدمين في الرغبة في الدنيا ، وتكذيب الأنبياء ، وكان لفظ الذين من

١- ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٥٦/١٠) .

٢ -سورة مريم آية : ٤٤ .

٣ -سورة التوبة جزء من آية : ٦٧ .

٤ -أبو حيان ، مصدر سابق (٦٩ / ٥) .

٥ -سورة التوبة آية : ٧٠ .



قبلكم فيه إيهام نص على طوائف بأعيانها ستة ، لأنهم كان عندهم شيء من أنبيائهم ، وكانت بلادهم قريبة من بلاد العرب ، وكانوا أكثر الأمم عدداً ، وأنبيائهم أعظم الأنبياء ، نوح أول الرسل ، وإبراهيم الأب الأقرب للعرب و مايليها من الأمم مقاربون لهم في الشدة ، وكثرة المال والولد ، فقوم نوح أهلكوا بالغرق وعاد بالريح، وثمود بالصيحة ، وقوم إبراهيم بسلب النعمة عنهم حتى سلطت البعوضة على نمرود ملكهم ، وأصحاب مدين بعذاب يوم الظلة ، والمؤتفكات يجعل أعالي أرضهم أسافل وإمطار الحجارة عليهم" (١).

حادي عشر : قال الإمام "ابن القيم" - رحمه الله - " أن الله أخبر أن في هذه الأمة من يستمتع بخلاقه ، كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم ، ويخوض كخوضهم ، وأنهم لهم من الذم والوعيد كما للذين من قبلهم ، ثم حضهم على القياس ، والاعتبار بمن قبلهم ، فقال ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَنْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٢).

فتأمل صحة هذا القياس وإفادته لمن علق عليه من الحكم وأن الأصل والفرع قد تساويا في المعنى الذي علق عليه به العقاب ، وأكده كما تقدم بضرب من الأولى ، وهو شدة القوة وكثرة الأموال والأولاد فإذا لم يتعذر على الله عقاب الأقوى منهم بذنبه ، فكيف يتعذر عليه عقاب من هو دونه ؟! (٣).

ثان عشر : قال "ابن القيم" - رحمه الله - " والمقصود أنه سبحانه جمع الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض بالباطل لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به ، وهو الخوض أو يقع في العمل بخلاف الحق والصواب ؛ وهو الاستمتاع بالخلاق .
فالأول : البدع .

١ - أبو حيان الأندلسي ، مصدر سابق (٧٠/٥) .

٢ - سورة التوبة آية : ٧٠ .

٣ - ابن القيم ، مصدر سابق ، بدائع التفسير (١٩/٢) .



والثاني : إتباع الهوى .

وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء و بهما كذبت الرسل و عُصي الرب ، ودُخِلت النار و حلت العقوبات. فالأول من جهة الشبهات والثاني من جهة الشهوات ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين :صاحب هوى فتنة هواه ، وصاحب دنيا أعجبتة دنياه ، وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر ، والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون . فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ويعملون بخلافه ، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم (١) .

ثالث عشر : إن من المنافقين من انتظمت قصته في السورة للعة والاعتبار فقد أعطى الله عهده وميثاقه لئن أغناه الله من فضله ليصدقن من ماله و ليكونن من الصالحين ، فلما آتاه الله المال واستروح نعيم الترف تناسى ما وعد به أنفأ ، فما وفى بما قال و لا صدق فيما ادعى فقد سكن النفاق قلبه فسكرته خمرة الغنى وسار في الناس في كبر و خيلاء ، فأنزل الله سبحانه وتعالى فيه

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِنۡ ءَاتٰنَا مِنۡ فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنُ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتٰهُمْ مِّنۡ فَضْلِهِۦ بَخِلُوْا بِهٖ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ ﴿٧٦﴾ فَاَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِىۡ قُلُوْبِهِمْ اِلَىۡ يَوْمٍ يَّلْقَوْنَهٗۤ اِىۡمًا اٰخَلَفُوْا اللّٰهَ مَا وَعَدُوْهُ وَبِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ﴿٧٧﴾ اَلَمْ يَعْلَمُوْا اَنَّ اللّٰهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَاَنَّ اللّٰهَ عَلٰمُ الْغُيُوْبِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٢) .

رابع عشر : أن منهم طائفة ظهر فيهم من القرائن ما يبين أنهم قصدوا عدم الخروج للجهاد عن سابق إصرار وعناد وهم أصحاب الهوى ، وأهم مهما أنفقوا من نفقة طائعين أو مكرهين فلن تقبل منهم ، لأنهم فاسقون والله طيب لا يجب إلا طيباً . ونفقتهم هذه لا يرجون منها طاعة الله ورسوله والدليل على ذلك تناقلهم في الجهاد ، وتكاسلهم في الصلاة ، فهؤلاء بطلت مساعيهم في

١ - المصدر السابق (١٨/٢) .

٢ - سورة التوبة الآيات من ٧٥ - ٧٨ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



النفقة والصلاة ، فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة وما أموالهم في الحياة الدنيا إنما يريد الله أن يعذبهم بها ، وهي حسرة عليهم في الآخرة لأنهم عصوا الله لأجلها لما أهتم عن ذكر الله ، ولهذا أنزل الله فيهم قوله تعالى:

﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُنْقَبَلَ مِنْكُمْ إِلَّا تَنْقَبَلُ مِنْكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهِونَ ﴿٥٤﴾ ﴾^(١). ولتأكيد ذلك خاطب الله عز وجل رسوله - صلى الله عليه وسلم - ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾^(٢) وكرر ذلك في الآية ٨٥ من باب العظة والاعتبار في أموالهم وأولادهم " (٣).

خامس عشر : قال "الهرري" - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ﴾^(٤) أي : متشابهون في صفة النفاق والأفعال الخبيثة ؛ أي : أن أهل النفاق رجالاً ونساءً يتشابهون في صفاتهم وأخلاقهم وأعمالهم ، كما قال تعالى في آل إبراهيم وآل عمران ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٥). وقال الشاعر :

تلك العصا من هذه العصية
هل تلد الحية إلا حية^(٦)

ثم بين ذلك التشابه فقال: ﴿ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ ﴾ ، أي: إن بعضهم يأمر بعضاً بالمنكر ، وهو كل قبيح عقلاً أو شرعاً كالكذب والخيانة ، وإخلاف الوعد ، ونقض العهد ، كما جاء في الحديث الصحيح " آية المنافق ثلاثاً : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أُوْتمن خان "

١ - سورة التوبة الآيات من ٥٣ - ٥٤ .

٢ - سورة التوبة آية : ٥٥ .

٣ - مسلم ، مصدر سابق ، (٢٤٦/٣ ، ٢٤٧) .

٤ - سورة التوبة جزء من آية : ٧١ .

٥ - سورة آل عمران آية : ٣٤ .

٦ - الهاشمي ، السيد أحمد ، جواهر الأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، الباب الثاني في فنون الإنشاء ص ٢٥٦ .



(١) عن أبي هريرة -رضى الله عنه- ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ أي : وينهى بعضهم بعضاً عن المعروف ، وهو كل حسن عقلاً أو شرعاً كالجهاد وبذل المال في سبيل الله للقتال ، كما حكى الله تعالى عنهم ، بقوله ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾؛ أي : وينهى بعضهم بعضاً عن المعروف ، وهو كل حسن عقلاً أو شرعاً كالجهاد وبذل المال في سبيل الله للقتال ، كما حكى تعالى عنهم ، بقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۗ وَاللَّهُ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (٢)(٣).

سادس عشر : قال "ابن القيم" -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٤) تأمل كيف جاء بالرضوان مبتدأ منكرًا مخبراً عنه بأنه أكبر من كل ما وعدوا به ، فأيسر شيء من رضوانه أكبر من الجنات ، وما فيها من المساكن الطيبة وما حوته ، ولهذا لما يتجلى لأوليائه في جنات عدن ويمنيهم أي شيء يريدون ، " فيقولون : ربنا أي شيء يزيد أفضل مما أعطيتنا ؟ فيقول تبارك وتعالى : إن لكم عندي أفضل من ذلك، أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً" (٥).

سابع عشر : قال "ابن القيم" في تفسيره لقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ (٦) "فجهد المنافقين أصعب من جهاد الكفار، وهو جهاد خواص

١ - صحيح البخاري ، باب علامة المنافق ، (١ / ٢٧) ، رقم الحديث ٢٣ .

٢ - سورة المنافقون آية :٧ .

٣ - المهري ، مصدر سابق (١٦ / ٣٢٨ ، ٣٢٩) .

٤ - سورة التوبة آية : ٧٢ .

٥ - ابن القيم ، مصدر سابق ، بدائع التفسير (٢ / ١٩ ، ٢٠) .

٦ - سورة التوبة آية : ٧٣ .



خواص الأمة وورثة الرسل، والقائمون به أفراد في العالم، والمشاركون فيه والمعاونون عليه، وإن كانوا هم الأقلين عدداً فهم الأعظمون عند الله قدراً" (١).

ثامن عشر : قال "ابن عاشور" - رحمه الله - في قوله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ (٢) "والوعد أعم من الوعيد فهو يطلق على الإخبار بالتزام المخبر للمخبر بشيء في المستقبل نافع أو ضار أو لا نفع فيه و لا ضرر ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ ﴾ (٣). والوعيد خاص بالضرار وفعل الماضي هنا : إما للإخبار عن وعيد تقدم وعده الله المنافقين والمنافقات تذكيراً به لزيادة الحقيقة وإما لصوغ الوعيد في الصيغة التي تنشأ بها العقود مثل (بعت ووهبت) إشعاراً بأنه وعيد لا يتخلف مثل العقد والالتزام . والإظهار في مقام الإضمار لتقرير المحكوم عليه في ذهن السامع حتى يتمكن اتصافهم بالحكم" (٤).

تاسع عشر : قال "ابن عاشور" - رحمه الله - في قوله تعالى ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥) قال: وصيغة القصر في ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ قصر ادعائي للمبالغة لأهم لما بلغوا النهاية في الفسوق جعل غيرهم كمن ليس بفاسق. والإظهار في مقام الإضمار في قوله ﴿ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ ﴾ لزيادة تقريرهم في الذهن لهذا الحكم. ولتكون الجملة مستقلة حتى تكون كالمثل" (٦).

١ - المصدر السابق (٢٠/٢) .

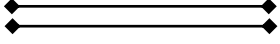
٢ - سورة التوبة آية : ٦٨ .

٣ - سورة يسن جزء من آية : ٥٢ .

٤ - ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٥٥/١٠) ، ٢٥٦) .

٥ - سورة التوبة جزء من آية : ٦٧ .

٦ - ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٥٥/١٠) .



المبحث الرابع : دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿لَا يُقَدِّرُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾^(١).

المطلب الأول : مناسبة المثل وأسباب نزوله، وفيمن نزل وتعلقه بما قبله من الآيات :

مناسبة المثل : تبين لنا الآيات المجيدة ما حصل فعلاً بين المسلمين وبني النضير من اليهود . إذ لما وقع المسلمون في الضائقة بعد معركة أحد ، وما عقبها من الأحداث ، رأي المنافقون واليهود في المدينة أن الفرصة مؤاتية لضربة قاضية على " محمد " - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين فدبروا مؤامرة لاغتيال رسول الله - صلى الله عليه - ؛ إلا أن ربه العلي القدير أوحى إليه بتأمرهم عليه ، فبعث إليهم الرسول يأمرهم بالخروج من المدينة ، لأنهم نقضوا عهده ، وقطعوا الميثاق الذي أمنهم فيه ولكن صلافة بني النضير كانت أكبر من أن تجعلهم يطيقون الرضوخ لأمره ، وخاصة بعدما حرضهم عبد الله بن أبي بن سلول على عدم الخروج، ووعدهم بأن ينصرهم مع بني قومه من الخزرج في مقاتلة المسلمين ، إذا أقدموا على قتالهم وحاصرهم المسلمون في ديارهم ، فلم يقدم لهم ابن سلول المنافق ولا أبناء ملتهم من اليهود أي عون أو مساعدة لفك الحصار عنهم . فلما وجدوا أنفسهم وحيدين ، و لا نصره لهم من أحد ؛ نزلوا على حكم الله ورسوله ، وخرجوا

١ - سورة الحشر الآيات من ١٤ - ١٧ .



من ديارهم وخلفوا وراءهم جميع ممتلكاتهم .

ولذلك لم يكن غريباً من يهود بني النضير ، ومن حرصهم من المنافقين ، ذلك الموقف من التناصر الكاذب ، الذي أدى بهم إلى الخروج من المدينة ، ومن غير أن يعتبروا بما حلّ ببني قينقاع من إخوانهم اليهود ، عندما نقضوا عهد رسول الله - صلى عليه وسلم - ، فاضطر إلى إجلائهم عن المدينة قبل هؤلاء بزمن يسير ، وكان مثل بني النضير في سماعهم الوعود الكاذبة من المنافقين والركون إلى ادعاء اليهود الآخرين بنصرتهم ، ثم ما حلّ بهم وقت الحشر - أي عند حصار المسلمين لهم وإخراجهم من ديارهم وممتلكاتهم ، والحسرة تأكلهم - ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥ ﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ١٦ ﴾^(١) فقد جعل القرآن الكريم ابن أبي في وعوده لبني النضير بالنصرة ، كالشيطان في وعوده الكاذبة للإنسان ، فكما يُضل الشيطان الإنسان ويُغويه ثم يتخلى عنه عندما يوقعه في المعصية ، كذلك فعل ابن أبي ومن معه من المنافقين^(٢) .

أما أسباب نزول المثل وفيمن نزل :

روى "الطبري" بسنده عن ابن عباس - رضي الله عنه - قول : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٥ ﴾ ، يعني بني قينقاع وقال آخرون عني بذلك مشركوا قريش ببدر ثم ساق بإسناده عن مجاهد في قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ . قال كفار قريش ببدر .

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال إن الله عز وجل مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مذيقهم من نكاله بالذين من قبلهم ، من مكذبي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، الذين

١ - سورة الحشر الآيات من ١٥ - ١٦ .

٢ - الزين ، سميح عاطف ، الأمثال والمثل والمثلاث في القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني ص ٤١٨ ،



أهلكهم بسخطه ، وأمر بني قينقاع ووقعة بدر كانا قبل جلاء بني النضير وكل أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم ولم يخصص الله عز وجل منهم بعضاً في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض ، وكل ذائق وبال أمره ، فمن قرأت مدته منهم قبلهم فهم ممثلون بهم فيما عنوا به من المثل " (١).

وأما سبب قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) (٢). "ذهب مجاهد وجمهور من التأولين إلى أن الشيطان والإنسان في هذه الآية اسم جنس ، فكما أن الشيطان يغوي الإنسان ، ثم يفر عنه بعد أن يورطه كذلك أغوى المنافقون بني النضير وحرصوهم على الثبوت ، ووعدوهم النصر ، فلما نشب بنو النضير ، وكشفوا عن وجوههم تركهم المنافقون في أسوأ حال " (٣)، وإما أن الآية نزلت في جنس الإنسان أو في إنسان بعينه وقد جاءت الآثار ولكنها ضعيفة في أنه نزلت كما روى "الطبري" من أثر ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : كانت امرأة ترعى الغنم ، وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب قال : فترل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل مصدق يسمع كلامك فقتلها ثم دفنها ، قال فأتى الشيطان إخوتها في المنام ، فقال لهم ، إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ، ثم دفنها في مكان كذا وكذا ، فلما أصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا وما أدري أقصها عليكم أم أترك؛ قالوا : لا بل قصها علينا ، قال : فقصها ، فقال الآخر ، وأنا والله لقد رأيت ذلك فأتوه فانزلوه ، ثم انطلقوا به ، فاستعدوا ملكهم على ذلك فأتوه فأنزلوه ، ثم انطلقوا به ، فلقبه الشيطان فقال : إني الذي أوقفك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنا أنجيك مما

١ - الطبري ، مصدر سابق ، دار هجر ، (٢٢/٥٣٩ ، ٥٤٠) .

٢ - سورة الحشر ، الآية ١٦ .

٣ - الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، تفسير الثعالبي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ط أولى ١٤١٨ هـ .



أوقعتك فيه، قال : فسجد له فلما أتوا ملكهم تبرأ منه، وأخذ فقتل"^(١)

فيمن نزلت الآيات :

قال " المهرري " : "نزلت هذه الآيات في رهط من بني عوف ، منهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعه بن مالك وسويد وداعس ، بعثوا إلى بني النضير أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لا نسلمكم ، وإن قوتلتهم... قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم... خرجنا معكم ، فتربصوا . ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله -صلى الله عليه وسلم - أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة ؛ ففعل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته فيضعه على ظهر بعير فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام"^(٢).

تعلق الآيات بما قبلها وبما بعدها :

لما ذكر الله تعالى ما حدث لبني النضير من الاستسلام خوفاً ورهبةً لما قذفه في قلوبهم من الرعب ، ثم ذكر مصارف الفيء التي تقدمت أردفه بذكر ما حصل من مناصحة المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول ، ورفقته لأولئك اليهود ، وتشجيعهم لهم على الدفاع عن ديارهم ، ومحاربتهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما قصه الله علينا وفصله أتم تفصيل ليكون في ذلك عبرة لنا . وإنا لنشاهد كل يوم أن الناس يضل بعضهم بعضاً ويغوونهم ثم يتركونهم في حيرة من أمرهم لا يجدون لهم مخلصاً مما وقعوا فيه .

وأما تعلق الآيات بما بعدها :

أن الله سبحانه لما ذكر المضلين من المنافقين ، وبين أن ما يقولون غير ما يبيتون ، وأن مثلهم كمثل الشيطان في الإغواء والإضلال ، ثم أعقبه بذكر الضالين من بني النضير ، وكيف خدعوا بتلك الوعود الخلابة التي كانت عليهم وبالاً ونكالاً ، وكان فيهم سوء حالهم في دنياهم ودينهم

١ - الطبري ، مصدر سابق ، دار هجر ، (٥٤٢/٢٢).

٢ - المهرري ، مصدر سابق (١٤٠/٢٩ ، ١٤١).



..... شرع ينصح المؤمنين بلزوم التقوى ، وأن يعملوا في دنياهم ما ينفعهم في آخرهم حتى ينالوا الثواب العظيم والنعيم المقيم ، وأن لا ينسوا حقوق الله فيجعل الله الران على قلوبهم ، فلا يقدموا لأنفسهم ما به رشادهم وفلاحهم .

**المطلب الثاني : أقوال أهل العلم في تفسير المثل قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاتُوا
وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٥)** (١).

والمعنى والله تعالى أعلم : مثل اليهود والمنافقين في تكذيبهم لنبينا -صلى الله عليه سلم - كمثل المكذبين له من الكفار الذين مضوا منذ زمن قريب ومثلهم فيما سيصنعه الله بهم من الانتقام كالذي صنعه الله بهؤلاء الكفار الذين مضوا قريباً . قال فريق من العلماء: إنهم المشركون من أهل مكة الذين أحل الله بهم بأسه ونقمته وعقوبته يوم بدر وقال آخرون : إنهم يهود بني قينقاع وأما قوله تعالى ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ
الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) (٢). أن مثل هؤلاء المنافقين ، في خداعهم لليهود وتخليهم عنهم عند الشدائد ، وتوليهم عنهم عند الملمات والمصائب ، ومثلهم أيضاً معهم في تحريضهم على الشر كمثل الشيطان . فشبّه أهل النفاق هنا بالشيطان الذي يزين للناس الكفر والفواحش ويعددهم ويمنيهم وشبّه اليهود بالإنسان . فلما استمع الإنسان أمر الشيطان وأجابته وكفر وجاء وقت حلول العذاب تخلى عنه الشيطان وقال إني بريء منك وكذا أمر الله عز وجل وتولى عنهم أهل النفاق وأنكروهم .

وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك

قال "السعدي" -رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ﴾ (٣): وهم كفار قريش ، الذين ﴿ وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ ﴾

١ -سورة الحشر الآية : ١٥ .

٢ -سورة الحشر الآية : ١٦ .

٣ -سورة الحشر جزء من الآية : ١٥ .



فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفُتَاتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ ﴿١﴾. فغرتهم أنفسهم ، وغرهم من غرهم ، الذين لم ينفعوهم ولم يدفعوا عنهم العذاب ، حتى أتوا بدرأً بفخرهم وخيالاتهم ، ظانين أنهم مدركون برسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين أمانتهم ، فنصر الله رسوله والمؤمنين عليهم ، فقتلوا كبراءهم وصناديدهم ، وأسروا من أسروا منهم ، وفرَّ من فرَّ ، وذاقوا بذلك وبال أمرهم وعاقبة شركهم وبغيهم هذا في الدنيا ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾. ومثل هؤلاء المنافقين الذين غروا إخوانهم من أهل الكتاب ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ أي : زين له الكفر وحسنه ودعاه إليه ، فلما اغتر به وكفر وحصل له الشقاء لم ينفعه الشيطان الذي تولاه ودعاه إلى ما دعاه إليه بل تبرأ منه، ﴿قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾. أي : ليس لي قدرة على دفع العذاب عنك ، ولست بمغن عنك مثقال ذرة من الخير . ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾. أي : الداعي الذي هو الشيطان والمدعو الذي هو الإنسان حين أطاعه، ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾؛ كما قال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ٦ ﴿٢﴾. ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ ٧ : الذين اشتركوا في الظلم والكفر ، وإن اختلفوا في شدة العذاب وقوته . وهذا دأب الشيطان مع كل أوليائه ، فإنه يدعوهم ويدليهم بغرور إلى ما يضرهم، حتى إذا وقعوا في الشباك ، وحق بهم أسباب الهلاك ، تبرأ منهم وتخلي عنهم ، واللوم كل اللوم على من أطاعه ؛ فإن الله قد حذر منه وأندر ، وأحبر بمقاصده وغاياته ونهايته ، فالمقدم على طاعته عاص على بصيرة لا عذر له " (٣).

وقال "الثعالبي" - رحمه الله - في تفسير قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾. قال : " ابن عباس " هم بنو قينقاع ، لأن النبي - صلى الله عليه - أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير ، والوبال :

١ - سورة الانفال جزء من الآية : ٤٨ .

٢ - سورة فاطر جزء من الآية : ٦ .

٣ - السعدي ، مصدر سابق ، دار ابن الجوزي ص ١٠١٣ ، ١٠١٤ .



الشدة والمكروه ، وعاقبة السوء والعذاب الأليم : هو في الآخرة .

وقوله سبحانه : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ معناه : أن هاتين الفرقتين من المنافقين وبني النضير ، كمثل الشيطان مع الإنسان ؛ فالمنافقون مثلهم الشيطان ، وبنو النضير مثلهم الإنسان وذهب مجاهد وجمهور من المتأولين إلى أن الشيطان والإنسان في هذه الآية اسم جنس فكما أن الشيطان يغوي الإنسان ، ثم يفر عنه بعد أن يورطه ؛ كذلك أغوى المنافقون بني النضير وحرصوهم على الثبوت ، ووعدوهم النصر، فلما نشب بنو النضير ، وكشفوا عن وجوههم تركهم المنافقون في أسوأ حال ، وذهب قوم من رواة القصص إلى أن هذا في شيطان مخصوص مع عابد مخصوص ؛ اسمه " برصيصة" استودع امرأة جميلة ، وقيل : سقت إليه ليشفيها بدعائه من الجنون ، فسول له الشيطان الوقوع عليها ، فحملت منه، فخاف الفضيحة ، فسول له قتلها ودفنها، ففعل ، ثم شهره ، فلما استخرجت المرأة وحُمل العابد شر حمل جاءه الشيطان فقال له : اسجد لي سجدة وأنا أخلصك ، فسجد له ، فقال له الشيطان : هذا الذي أردت منك أن كفرت بربك إني برئ منك ، فضرب الله تعالى هذا المثل ليهود بني النضير والمنافقين ، وهذا يحتاج إلى صحة سند ، والتأويل الأول هو وجه الكلام "(1)".

ذكر كلام بعض السلف في ذلك :

قال "الطبري" - رحمه الله تعالى - عن "ابن عباس" قوله : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ﴾ . يعني بني قينقاع وكذا ساق الطبري بسنده عن "مجاهد" في قوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴾ . قال : كفار قريش بيدر .

ثم قال "الطبري" - رحمه الله - وأولى الأقوال بالصواب أن يقال : أن الله عز وجل مثل هؤلاء الكفار من أهل الكتاب مما هو مديقهم من نكاله بالذين من قبلهم ، من مكذبي رسول الله -

١ - الثعالبي ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف ، تفسير الثعالبي ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ ، بيروت ،

ط ١٤١٨ هـ ، (٤١٢/٥)



صلى الله عليه وسلم - الذين أهلكهم بسخطه ، وأمر بني قينقاع ووقعة بدر كانا قبل جلاء بني النضير ، وكل أولئك قد ذاقوا وبال أمرهم ، ولم يخصص الله عز وجل منهم بعضاً في تمثيل هؤلاء بهم دون بعض وكل ذائق وبال أمره ، فمن قربت مدته منهم قبلهم فهم ممثلون بهم فيما عُنوا به من المثل . قال " الطبري " - رحمه الله تعالى - عن " مجاهد " ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ ﴾ : عامة الناس " (١) .

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض من ضرب المثل :

أما عن نوع المثل: فهو تشبيه تمثيلي يقول الدكتور " محمد بكر إسماعيل " - رحمه الله - " فقد شبه الله المنافقين وأهل الكتاب معاً أولاً ممن سبقوهم في كل ما عرفوا به جميعاً من كذب وغش وخداع وجبن وسفه ورعب ، وسوء أدب مع الله ، ومع رسوله - صلى الله عليه وسلم - وفي كل ما جبلوا عليه من دناءة النفس ، وخسة الطبع ، وقسوة القلب ، وبذاءة اللسان ، والجهل المركب ، والملق والمداهنة ، وتقلب الأمور ، وإلباس الباطل ثوب الحق ، وسوء العاقبة . والذين سبقوهم هم بنو قينقاع ، فقد نقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأجلاهم المسلمون عن المدينة . وقيل هم أهل بدر ، والأول أظهر والله أعلم . وشبه حال المنافقين الذين قالوا لإخوانهم من أهل الكتاب ما قالوا بحال الشيطان يغر الإنسان ، ويجدعه ، ويزين له القبيح حتى يراه حسناً ، ويهون عليه الأمر حتى يظنه سهلاً ، ويخطو به إلى الكفر خطوة بعد خطوة ، حتى إذا كفر تبرأ منه ، وأراه سوء صنيعه ، فيندم حتى لا ينفعه الندم ، ويدوق ألم وخز الضمير ، وقد لا يشعر بذلك ، فيتمادى في كفره والشيطان يسخر منه ، ويستهزئ به ، ويشمت فيه ، ويدوق حلاوة الظفر به والنصر عليه . وفي هذا التشبيه ، يمثل المنافقون دور الشيطان فهم يعرفون طريق الحق ويحيدون عنه ، وهم يزينون الشر لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ، ويدعونهم إلى محاربة الله ورسوله ، ويشدون ظهرهم في كيدهم للنبي - صلى الله عليه وسلم -

١ - الطبري ، مصدر سابق (٢٢ / ٤٤٥) بتصريف .



وخلافهم له ، حتى إذا وقعت الواقعة بهم ، نظر إليهم هؤلاء المنافقون نظر الشيطان إلى صاحبه الذي استجاب له ، وأروهم أنهم لا يستطيعون أن يخفوا إلى نجدتهم، وأنهم يخافون النبي -صلى الله عليه وسلم - والمسلمين ، كما يخاف الشيطان الله رب العالمين . وهنا نذكر قول الله للمؤمنين عن المنافقين : ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ﴾^(١). ومن هذا التشبيه ثلاثة أطراف ... الشيطان والإنسان الذي أضله الشيطان، والله ، الذي يخافه الشيطان . وفي مقابل هذه الأطراف المنافقون ، وإخوانهم اليهود، والنبي وأصحابه الذين يخافهم المنافقون^(٢).

الغرض الذي من أجله ضرب المثل : وهو الغرض الثالث الذي قدمه في المقدمة وهو ضرب الأمثال لغرض الإقناع بذكر قبائح الباطل والتنفير منه . فكثير من الناس قد ينخدع بظاهر الأمر دون أن يسر غوره ، ويتعرف على خطاياها ، فإذا كشفت له تلك المساوئ المستورة ومثلت له بمثال معقول مطابق ، اقتنع به واستدل به على الحكم الصحيح الذي يجب أن يصير إليه من معرفة حقيقة ذلك الأمر ، وعدم الانخداع بظواهره الخلاية . وكذلك ما ورد لتصوير حال المنافق من حيرته وقلق نفسه وتخبطه في الظلمات ، وسرعة استجابته للفتن والمهلكات وما جاء من بيان قبح حال هذا المنافق وبيان مآله وقد جاء في هذا المثل بيان لصفات متعددة للمنافق ومن هذه الصفات المذمومة خوفهم ورهبتهم من المؤمنين أشد رهبة من الله تعالى ولو خافوا الله ما خافوا أحداً من عباده . ويمضي يقرر القرآن حالة قائمة في نفوس المنافقين والذين كفروا من أهل الكتاب ، تنشأ من حقيقتهم السابقة ، ورهبتهم للمؤمنين أشد من رهبتهم لله . ثم قوله تعالى : ﴿لَا يَقْنَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(٣). وما تزال الأيام تكشف حقيقة الإعجاز في تشخيص حالة

١ - سورة الحشر جزء من الآية : ١٣ .

٢ - إسماعيل ، محمد بكر ، مصدر سابق ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

٣ - سورة الحشر الآية : ١٤ .



المنافقين وأهل الكتاب حيثما التقى المؤمنون بهم في أي زمان وفي أي مكان . بشكل واضح للعيان . ولقد شهدت الاشتباكات الأخيرة في الأرض المقدسة بين المؤمنين الفدائيين وبين اليهود مصداق هذا الخبر بصورة عجيبة، فما كانوا يقاتلونهم إلا في المستعمرات المحصنة في أرض فلسطين ، فإذا انكشفوا لحظة واحدة ولو الأدبار كالجرذان حتى لكأن هذه الآية نزلت فيهم ابتداء . وسبحان العليم الخبير ! وتبقى الملامح النفسية الأخرى ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ ... ﴿تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ على خلاف المؤمنين الذين تتضامن أجيالهم وتجمعهم آصرة الإيمان من وراء فواصل الزمان والمكان ، والجنس والوطن والعشيرة ... ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ويضرب للمنافقين الذين أغروا إخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب بالمقاومة ، فانتهوا بهم إلى تلك النهاية البائسة . يضرب لهم مثلاً بحال دائمة ، حال الشيطان مع الإنسان ، الذي يستجيب لإغرائه فينتهي وإياه إلى شر مصير " (١) .

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل:

أولاً : قال "الميداني" في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ . "فلاستفهام هنا ليس

لطلب الفهم ، بل هو مستعمل مجازاً لأغراض أخرى ، منها ما يلي :

- ١ - الإعلام بالمستفهم عنه وبيان حصوله .
- ٢ - لفت النظر إلى المستفهم عنه لمعرفة .
- ٣ - التنبيه على المستفهم عنه لاستحضاره في الذهن .

وكل ذلك يكون بمثابة التمهيد لما يراد التعرف به وبيانه من قضايا تتعلق بالمستفهم . " (٢)

ثانياً : وقال "ابن عاشور" - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ والجملة

١ - قطب ، مصدر سابق (٦ / ٣٥٢٩) .

٢ - مسلم ، مصدر سابق (٨ / ٧٥) .



استئناف ابتدائي والاستفهام مستعمل في التعجب من حال المنافقين فبني على نفي العلم بحالهم كناية على التحريض على إيقاع هذا العلم كأنه يقول تأمل الذين نافقوا في حال مقاتلتهم لإخوانهم ولا تترك النظر في ذلك فإنه حال عجيب" (١).

ثالثاً: قال ابن "عاشور" - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾، والمراد بإخوانهم بنو النضير وإنما وصفهم بالإخوة لهم لأنهم كانوا متحدين في الكفر برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - وليست هذه أخوة النسب فإن بني النضير من اليهود، والمنافقين الذين بعثوا إليهم من بني عوف من عرب المدينة وأصلهم من الأزد. وفي وصف إخوانهم - الَّذِينَ كَفَرُوا - إيماء إلى أن جانب الأخوة بينهم هو الكفر إلا أن كفر المنافقين كفر الشرك وكفر إخوانهم كفر أهل الكتاب وهو الكفر برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - (٢).

رابعاً: وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١١) فإذا أخرج اليهود فلن يخرج المنافقون معهم، ولئن قوتلوا من قبل المسلمين فلن يقاتل المنافقون إلى جانب اليهود، وقد تم ما أخبر الله عنه وفي هذا دليل على صحة نبوة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - من جهة علم الغيب، لأنهم أخرجوا فلم يخرجوا وقوتلوا فلم ينصروهم فتحقق قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١١) أي: في قولهم وفعلهم" (٣).

خامساً: وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١١) (٤). قال "ابن عاشور" - رحمه الله تعالى - "وسمى الله الخبر شهادة لأنه خبر عن يقين بمتزلة الشهادة التي لا يتجازف المخبر في شأنها" (٥).

١ - مسلم، مصدر سابق (٧٥ / ٨).

٢ - ابن عاشور، مصدر سابق (٩٩ / ٨).

٣ - مسلم، مصدر سابق (٧٢ / ٨).

٤ - سورة الحشر جزء من الآية: ١١.

٥ - ابن عاشور، مصدر سابق (١٠٠ / ٢٨).



سادساً : وفي قوله تعالى: ﴿لَيْنَ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْنَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾. قال

" ابن عاشور " بيان لجملة ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١١)، واللام موطئة للقسم وهذا تأكيد من الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - أنهم لن يضروه شيئاً لكيلا يعبأ بما بلغه من مقاتلتهم .
وضمير ﴿أُخْرِجُوا﴾ و﴿قُوتِلُوا﴾ عائدان إلى ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أي الذين لم يخرجوا ولما يقاتلوا وهم قريظة وخيبر ، أما بنو النضير فقد أخرجوا قبل نزول هذه السورة فهم غير معينين بهذا الخير المستقبل . والمعنى : لئن أخرج بقية اليهود في المستقبل لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا في المستقبل لا ينصروهم . وقد سلك في هذه البيان طريق الإطناب . فإن قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١١) جمع ما في هاتين الجملتين فجاء بيانه بطريقة الإطناب لزيادة تقرير كذبهم .^(١)

سابعاً : قال "البقاعي" - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ ذلك بأنهم قوم لا يفقهون^(١٣) . " أنتم يا معشر المسلمين أشد خوفاً وخشية في قلوب المنافقين واليهود من الله فهم يرهبون ويخافون منكم أشد من رهبتهم من الله لأنهم لا يفقهون قدرة الله وعظمته ، والإشارة بذلك إلى ما ذكر من كون رهبتهم منكم أيها المسلمون أشد من رهبتهم من الله بسبب أنهم قوم لا يفقهون عظمة الله فيخشونه حق خشيته والفقهاء : العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلي وغامضة الخفي بيقظة وقريحة " ^(٢) .

ثامناً : وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُقْنِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^(١٤) . قرأ "ابن كثير" و"أبو

١ - ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨ / ١٠٠) .

٢ - مسلم ، التفسير الموضوعي ، مصدر سابق (٧٢ / ٨) .

٣ - سورة الحشر آية : ١٤ .



عمرو" ﴿جُدِّمْ﴾^(١) على الجمع فعلى الأفراد المعنى لا يقاتلونكم حتى يكون بينكم وبينهم حاجز من حصن أو سور ، وعلى الجمع لا يقاتلونكم إلا في قرى محصنة ، فكما أن القرى جماعة كذلك الجدر جماعة متعددة ، ويشهد لذلك حال الأحفاد من يهود اليوم حيث يقاتلون بحصون مشيدة من الطائرات والدبابات والسيارات المصفحة ، فإن كانوا في ساحة الوغى بسلاح المشاة فروا لجنبهم ، والأحداث المعاصرة تشهد بذلك".

تاسعاً: قال "سيد قطب" - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى : ﴿بِأَسْمِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾. وتبقى الملامح النفسية الأخرى على خلاف الذين تتضامن أجيالهم ، وتجمعهم أصرة الإيمان من وراء فواصل الزمان ، والمكان ، والجنس ، والوطن ، والعشيرة

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ والمظاهرة قد تخدع فترى تضامن الذين كفروا من أهل الكتاب فيما بينهم ، ونرى عصبيتهم بعضهم لبعض ، كما نرى تجمع المنافقين أحياناً في معسكر واحد ، ولكن الخبر الصادق من السماء يأتينا بأنهم ليسوا كذلك في حقيقتهم ؛ إنما هو مظهر خارجي، خادع . وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخداع ، فيبدو من ورائه صدق الخبر في دنيا الواقع المنظور ، وينكشف الحال عن نزاع في داخل المعسكر الواحد ، قائم على اختلاف المصالح وتفرق الأهواء ، وتصادم الاتجاهات ، وما صدق المؤمنون مرة ، وتجمعت قلوبهم على الله حقاً إلا وانكشف المعسكر الآخر أمامهم عن هذه الاختلافات وهذا التضارب وهذا الرياء الذي لا يمثل حقيقة الحال . وما صبر المؤمنون وثبتوا إلا وشهدوا مظهر التماسك بين أهل الباطل يتفسخ وينهار ، وينكشف عن الخلاف الحاد والشقاق والكيد والدس في القلوب الشتيتة المتفرقة^(٢).

عاشراً: وفي قوله تعالى : ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١٥) والوبال أصله وخامة المرعى المستلذ به للماشية ، تمس به الإبل فيمرضها أو يقتلها ، فشبه إقدامهم على حرب المسلمين

١ - ابن الجزري ، شهاب الدين أبي أحمد بن محمد ، شرح طيبة النشر ، دار الكتب العلمية ص ٣١٨ .

٢ - قطب ، مصدر سابق (٦ / ٢٥٢٩) .



وخيانتهم مع الجهل بعاقبة تلك الحرب بإبل ترامت على مرعى وبيل فهلكت ، وأمرهم هو شأنهم وما دبروه ، وذلك أنهم أوقعوا أنفسهم بالجلاء وترك الديار وما فيها ، والعطف بالواو بين ذوق الوبال والعذاب الأليم يدل على التغاير والاشتراك بينهما وعليه فذوق الوبال كان في الدنيا والعذاب الأليم كان في الآخرة والتعبير بالذوق للدلالة على أن العذاب مأخوذ من أعذبه إذا أزال عذوبته لأنه به تزول حلاوة العيش فينس العذاب ما حال بالإنسان من نعيم سابق" (١).

حادي عشر: قال " ابن عاشور " - رحمه الله - وفي قوله تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا ﴾ وجملة

﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا ﴾ إلى آخرها استئناف عن جملة ﴿ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ﴾ لأنه قد يسأل السائل : كيف ذلك ونحن نراهم متفقين ؟ فأجيب بأن ظاهر حالهم حال اجتماع واتحاد وهم في مواطنهم مختلفون فأراؤهم غير متفقة لا إلفة بينهم لأن بينهم إحنا وعداوات فلا يتعاضدون والخطاب لغير معين لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يحسب ذلك . وهذا تشجيع للمسلمين على قتالهم والاستخفاف بجماعتهم . وفي الآية تربية للمسلمين ليحذروا من التحالف والتدابير ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر يرون رأياً متماثلاً في أصول مصالحها ولا تفرق جماعتها ، وأنه لا يكفي في الاتحاد توافق الأقوال و لا التوافق على الأغراض إلا أن تكون الضمائر خالصة من الإحن والعداوات . والقلوب : المعقول والأفكار ، وإطلاق القلب على العقل كثير في اللغة" (٢).

ثان عشر : قال " ابن عاشور " في قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ (٣) " والمراد أن حالهم المركبة من التظاهر بالبأس مع إضممار الخوف من المسلمين ، ومن التفرق بينهم وبين إخوانهم من أهل الكتاب ، ومن خذلان المنافقين إياهم عند الحاجة، ومن

١ - مسلم، مصدر سابق (٧٥ / ٨) .

٢ - ابن عاشور، مصدر سابق (١١٠ / ٢٨) .

٣ - سورة الحشر آية : ١٥ .



أنهم لا يقاتلون المسلمين إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر ، كحال الذين كانوا من قبلهم في زمن قريب وهم بنو النضير فإنهم أظهروا الاستعداد للحرب وأبو الجلاء ، فلم يحاربوا إلا في قريتهم إذ حصنوها وقبعوا فيها حتى أعياهم الحصار فاضطروا إلى الجلاء ولم ينفعهم المنافقون و لا إخوانهم من أهل الكتاب "(١).

ثالث عشر: قال "سيد قطب" - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ " وصورة الشيطان هنا ودوره مع من يستجيب له من بني الإنسان ، تتفقان مع طبيعته ومهمته . فأعجب العجب أن يستمع إليه الإنسان ، وحاله هو هذا الحال ! وهي حقيقة دائمة ينتقل السياق القرآني إليها من تلك الواقعة العارضة ، فيربط بين الحادث المفرد والحقيقة الكلية ، في مجال حي من الواقع ، و لا ينعزل بالحقائق المجردة في الذهن فالحقائق المجردة الباردة لا تؤثر في المشاعر ، و لا تستجيش القلوب للاستجابة ، وهذا فرق ما بين منهج القرآن في خطاب القلوب ، ومنهج الفلاسفة والدارسين والباحثين ! وبهذا المثل الموحى تنتهي قصة بني النضير ، وقد ضمت في ثناياها وفي أعقابها هذا الحشد من الصور والحقائق والتوجيهات، واتصلت أحداثها المحلية الواقعة بالحقائق الكبرى المجردة الدائمة ، وكانت رحلة في عالم الواقع وفي عالم الضمير ، تمتد إلى أبعد من حدود الحادث ذاته ، وتفترق روايتها في كتاب الله عن روايتها في كتب البشر بمقدار ما بين صنع الله وصنع البشر من فوارق لا تقاس "(٢).

رابع عشر: أن قوله تعالى: ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ ﴾ ، هذه الجملة حال من ضمير ﴿ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ أي في الآخرة . والتعريف في الشيطان تعريف الجنس وكذلك تعريف الإنسان والمراد به الإنسان الكافر ولم ترد في الآخرة حادثة معينة من وسوسة الشيطان لإنسان معين في الدنيا ، وكيف يكون

١- ابن عاشور، مصدر سابق (٢٨/ ١٠٧) .

٢- قطب، مصدر سابق (٦/ ٣٥٣٠) .



ذلك والله تعالى يقول: ﴿ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦) ﴿ وهل يتكلم الشيطان مع الناس في الدنيا فإن ظاهر قوله: ﴿ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾، أنه يقوله للإنسان ، وإما احتمال أن يقوله في نفسه فهو احتمال بعيد . فالحق أن قول الشيطان هذا هو ما في آية ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَوَعَدْتَكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٢) ﴿^(١).

خامس عشر : قال "ابن عاشور" - رحمه الله - وفي قوله تعالى: ﴿ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ "وجملة {وذلك جزاء الظالمين} تذييل والإشارة إلى ما يدل عليه فكان عاقبتهما أهما في النار من معنى ، فكانت عاقبتهما سوأى والعاقبة السوأى جزاء جميع الظالمين المعتدين على الله والمسلمين ، فكما كانت عاقبة الكافر وشيطانه عاقبة سوء كذلك لكون عاقبة الممثلين بهما وقد اشتركا في ظلم أهل الخير والهدى "^(٢).

المبحث الخامس : دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْتُمْ حُشْبٌ مِّنْ حُشْبٍ مَّسْنَدَةٌ يَّحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٤) ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأْءُ وُسْهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴾ (٥) ﴿^(٣).

المطلب الأول : مناسبة المثل لاسم السورة، والمناسبة بين السورة وسابقتها، وأسباب نزولها، وفيمن نزلت وتعلق المثل بالآيات السابقة وكذا الآيات اللاحقة :

مناسبة المثل لاسم السورة :

١ - سورة إبراهيم جزء من آية: ٢٢ .

٢ - ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨ / ١١٠) .

٣ - سورة المنافقون الآيتين : ٤ ، ٥ .



المناسبة ظاهرة حيث تدور آيات المثل حول عناوين واضحة وهي ذم النفاق والمنافقين ، وكشف مؤامرتهم وفضح دسائسهم ، وتحذير المؤمنين من خصالهم الذميمة ، ويأتي بيان ذلك بالاسم وهو سورة المنافقون .

مناسبة بين السورة وسابقتها :

" الصلة بين سورة "المنافقين" وسورة "الجمعة" : صلة واضحة جليّة، ولعل من الدلائل على ذلك قراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - بها يوم الجمعة يقرأ في الركعة الأولى بسورة الجمعة وفي الثانية بسورة المنافقون^(١)، مما يدل على ما بينهم من تلازم وترابط سوف يتضح لنا فيما يلي :

١- في سورة "الجمعة" حديث عن اليهود وهم أشدُّ الناس عداوة للمؤمنين ، ثم جاءت سورة المنافقين لتكشف عن عدو أشد خطراً من اليهود ، فضلاً عما بين العدوين : اليهود والمنافقين على مر العصور من تحالفات ، وما تمكن اليهود في عصرنا هذا إلا بتأمر المنافقين، وكم تسربل يهود بثياب النفاق فأضمر الكفر وتظاهروا بالإسلام كيداً وتأمراً . وحسبنا الله ونعم الوكيل !

٢- كما تتضح العلاقة بينهما في كذب اليهود والمنافقين في مزاعمهم ، فاليهود زعموا أنهم أولياء لله من دون الناس ، والمنافقون ادعوا الإيمان فجاءت سورة الجمعة مفندة لمزاعم اليهود وتلتها سورة المنافقون تفند أكاذيب المنافقين وتفضح أراجيفهم^(٢) .

أسباب النزول وفيمن نزلت :

أخرج البخاري ومسلم وغيرهما "عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال : كنت في غزاة ، فسمعت عبد الله بن أبي يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ولئن رجعنا من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعَمِّي أو لعُمر ، فذكره للنبي - صلى الله عليه

١- صحيح مسلم ، باب صلاة الجمعة ، رقم الحديث ٨٧٧ ، ص ٣٣٨ .

٢- مسلم ، مصدر سابق التفسير الموضوعي (٨ / ١٦٨) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



وسلم - فدعاني فحدثته فأرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا فكذبتني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وَصَدَّقَهُ ، فأصابني هم لم يُصْبِنِي مثله قط فجلستُ في البيت فقال لي عمِّي ما أردت إلى أن كذبتك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومقتك ! فأنزل الله تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ ﴾ فبعث إليَّ النبي - صلى الله عليه وسلم - فقرأ فقال إنَّ الله قد صدَّقك يا زيد ^(١).

ورواه الترمذي في السنن : ونصُّه عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال : " غزونا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكان معنا أناس من الأعراب ، فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقونا إليه ، ... فيسبق الأعرابي فيملاً الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه ، قال فأتى رجل من الأنصار أعرابياً فأرخصى زمام ناقته لتشرب ، فأبى أن يدعه فأنترع قباض الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه ، فأتى عبد الله بن أبي ، ثم قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله ، يعني الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عند الطعام ، فقال عبد الله إذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمداً بالطعام فليأكل هو ومن عنده ، ثم قال لأصحابه لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعراب منها الأذل ، قال زيد وأنا ردف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فسمعت عبد الله بن أبي فأخبرت عمِّي فانطلق فأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إليه رسول الله

- صلى الله عليه وسلم - فَحَلَفَ وَجَحَدَ قَالَ فَصَدَّقَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَكَذِبَنِي ، قال فجاء عمي إلى فقال ما أردت إلا أن مقتك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذبتك والمسلمون ! قال فوقع علي من الهم ، إذ أتاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فعرك أذني وضحك في وجهي ، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ، ثم إنَّ أبا بكر لحقني فقال : ما قال لك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ قلتُ: ما قال لي شيئاً إلا أنه عرَّكَ أذني وضحك في وجهي

١ - رواه البخاري في صحيحه كتاب التفسير باب قوله تعالى ، الحديث رقم ٤٦١٧ ، ورواه مسلم في صحيحه أول

كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، الحديث رقم ٢٧٧٢ .



، فقال : أبشر ، ثم لحقني عُمَرُ، فقلتُ له مثل قولي لأبي بكر ، فلما أصبحنا قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سورة المنافقين^(١).

وفي مسند الإمام أحمد من حديث زيد قال : " ودعاهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليستغفر لهم فَلَوَّوْا رُءُوسَهُمْ "^(٢).

تعلق آيات المثل بما قبلها وما بعدها من الآيات :

نجد أن هذه السورة وحدة متكاملة ولذا نجد أن هناك ترابط بين السورة ووحدها الموضوعية التي تتجلى في بيان صفات المنافقين سواء كان ذلك قبل آيات المثل أو بعد آيات المثل فنجد أن هناك تعلق واضح بين ماسبق المثل وما تخلل المثل وما بعد المثل .

قال "سيد قطب" - رحمه الله - " هي السورة التي تحمل هذا الاسم الخاص " المنافقون " الدال على موضوعها ، ليست هي السورة الوحيدة التي فيها ذكر النفاق والمنافقين ، ووصف أحوالهم ومكائدهم ، فلا تكاد تخلو سورة مدنية من ذكر المنافقين تلميحاً أو تصريحاً ، ولكن هذه السورة تكاد تكون مقصورة على الحديث عن المنافقين ، والإشارة إلى بعض الحوادث والأقوال التي وقعت منهم ورويت عنهم ، وهي تتضمن حملة عنيفة على أخلاق المنافقين وأكاذيبهم ودسائسهم ومناوراتهم ، وما في نفوسهم من البغض والكيد للمسلمين ، ومن اللوم والجن وانطماس البصائر والقلوب . وليس في السورة عدا هذا إلا لفته في نهايتها إلى الذين آمنوا لتحذيرهم من كل ما لصق بهم صفة من صفات المنافقين ، ولو من بعيد وأدنى درجات النفاق عدم التجرد لله ، والغفلة عن ذكره اشتغالاً بالأموال والأولاد ، والتقاعس عن البذل في سبيل الله حتى يأتي اليوم الذي لا ينفع فيه البذل والصدقات "^(٣).

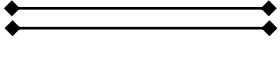
١ - رواه الترمذي في السنن : أبواب تفسير القرآن ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سورة المنافقين ، الحديث

رقم ٣٣٦٨ وقال

:" حديث حسنٌ صحيحٌ " .

٢ - رواه الإمام أحمد في مسنده (٣٧٣ / ٤) حديث ١٩٣٥٣ ، وإسناده صحيح على شرط الشيخين .

٣ - قطب ، مصدر سابق (٦ / ٣٥٧٢) .



المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في تفسير المثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ

يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفِّكَوْنَ



لما ذكر الله سبحانه وتعالى كذب المنافقين بين هنا شيئاً من خصالهم الذميمة وطباعهم الدنيئة التي تتنافى مع مظهرهم الكاذب ، وتتناقض مع كلامهم المعسول ، حتى إن الناظر إليهم ينبهر بوجوههم الصبيحة ، والسامع لهم يطرب ويستمتع لألستهم الفصيحة ، فيصغي إلى قولهم وينخدع بمنطقهم ، ويغتر بهيئاتهم ومناظرهم ، وما لهم من النضارة والرونق ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ فتحسب أن قولهم حق وصدق لفصاحتهم ، وذلافة ألستهم "وقد كان عبد الله بن أبي رأس المنافقين فصيحاً جسيماً جميلاً ، وكان يحضر مجلس النبي - صلى الله عليه وسلم - فإذا قال سمع النبي - صلى الله عليه وسلم - مقالته ، قال "الكلي" : المراد عبد الله بن أبي ، وجد بن قيس ، ومتعب بن قيس كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة"^(١) . ﴿ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ ﴾ ولكنهم أجسام بلا عقول وألسنة بلا أفئدة ، وهياكل وأشباح بلا أرواح ، وهم في حضورهم مجالس النبي - صلى الله عليه وسلم - كالخشب المسندة على جدار ، فوجودها كعدمها ، وكذلك المنافقون يخرجون كما دخلوا بل لا يزدادون إلّا كفرًا وارتياباً فهم محبوبون عن الفهم الصحيح ، محرومون من العلم النافع . ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ﴾ : وذلك لما جُبلوا عليه من الجُبْن والخَوَر " يحسبون كلَّ صيحة يسمعونها واقعة عليهم ، نازلة بهم لفرط جُبْنهم ورُعب قلوبهم"^(٢) . وذلك بسبب " هلعهم وتخوفهم من كل ما يُتخيل منه بأس المسلمين ، لأنهم أعداء ألداء للمسلمين ينظرون للمسلمين بمرآة نفوسهم ، فكما هم يتربصون بالمسلمين الدوائر ويتمنون الواقعة بهم ، مع تظاهرهم بالمودة ، كذلك يظنون بالمسلمين التربص بهم وإضرار البطش بهم ، ويخشون في كل لحظة تمر بهم أن ينكشف أمرهم على نحو ما قال أبو الطيب :

١ - فتح القدير للشوكاني (٥ / ٢٣٠ ، ٢٣١) .

٢ - الشوكاني ، مصدر سابق ، فتح القدير للشوكاني (٥ / ٢٣١) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه
وصدق ما يعتاده من توهم...^(١)

فالمنافق أشد الناس جبناً وهلعاً ، فقد الثقة وسلب الأمن ، يفزع من أي طيف ، ويرتاع من أي صوت ، كما قال الشاعر في هجاء شخص أكل جبان :

إذا صوت العصفور طار فؤاده
وليث حديد الناب عند الثرائد^(٢)

وكما قال آخر :

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أشباه النساء الفوارك؟^(٣)

وقال "سيد قطب" - رحمه الله - وهذا النموذج من الناس ، لا ينقطع في جيل ولا في قبيل ، فهو موجود دائماً ، وهو شجاع فصيح بارز حيثما كان هناك أمن ورخاء ومغنم ، وهو جبان صامت مترو في الشدائد والمخاوف ، وهو شحيح بخيل على الخير وأهل الخير ، لا ينالهم منه إلا سلاطة اللسان!^(٤)

﴿ فَتَنَّا لَهُمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُونَ ﴾ : "دعوة عليهم بالهلاك والبوار ، وبيان وإعلان عن حرب الله لهم ؛ فكم صرّفوا عن الحق وصرّفوا عنه مع وضوح الدلائل ! وكم قلبوا الحقائق وخلطوا المفاهيم وزخرفوا الأباطيل ! وكم خدعوا أنفسهم وخدعوا الآخرين معهم . استكباراً وعناداً"^(٥) .

قال " الطبري " - رحمه الله - " يقول جل ذكره لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - : وإذا رأيت هؤلاء المنافقين يا محمد تُعجِبُكَ أجسامهم ؛ لاستواء خلقها ، وحسن صورها ، ﴿ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴾ يقول جل ثناؤه : وإن يتكلموا تسمع كلامهم ، يشبه منطقهم منطق الناس ،

١ - المتني ، أبو الطيب أحمد بن الحسين ، ديوان أبي الطيب المتني بشرح أبي البقاء العكبري ، دار المعرفة بدون تاريخ (١٣٥ / ٤) .

٢ - الأندلسي ، أحمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ ، ص ١٢٨ .

٣ - ابن هشام ، عبد الملك ، سيرة النبي ، مكتبة الصحابة ، طنطا ، ط ١ ، ١٤١٦ (٣٣ / ٢) .

٤ - قطب ، مصدر سابق (٣٥٩٢ / ٦) .

٥ - مسلم ، مصدر سابق ، التفسير الموضوعي (١٧٧ / ٨ ، ١٧٨) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



﴿كَانَهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ . يقول : كأن هؤلاء المنافقين حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ، لا خير عندهم ، و لا فقه لهم و لا علم ، وإنما هم صورٌ بلا أحلام ، وأشباح بلا عقول .

وقوله : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ، يقول جل ثناؤه : يحسب هؤلاء المنافقون من خبثهم وسوء ظنهم وقلة يقينهم ، كل صيحة عليهم ؛ لأنهم على وجل أن يترل الله فيهم أمراً يهتك به أستارهم ويفضحهم ، ويبيح للمؤمنين قتلهم وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم ، فهم من خوفهم من ذلك ، كلما نزل بهم من الله وحي على رسوله ، ظنوا أنه نزل بهلاكهم وعطبهم . يقول الله جل ثناؤه لنبيه - صلى الله عليه وسلم - هم العدو يا محمد فاحذرهم ، فإن ألسنتهم إذا لقوكم معكم ، وقلوبهم عليكم مع أعدائكم ، فهم عين لأعدائكم عليكم . وقوله : ﴿فَنَلَّهِمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾ . يقول : أخزاهم الله ، إلى أي وجه يصرفون عن الحق" (١) .

قال الشيخ "ابن عثمان" - رحمه الله - وقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ "من روائها ونضارتها . ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ أي : من حسن منطقتهم تستلذ لاستماعه ، فأجسامهم وأقوالهم معجبة ولكن ليس وراء ذلك من الأخلاق الفاضلة والهدى الصالح شيء .

ولهذا قال : ﴿كَانَهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ لا منفعة فيها ، و لا ينال منهما إلا الضرر المحض ، ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ وذلك لجنبتهم وفزعهم وضعف قلوبهم ، والريب الذي في قلوبهم ، يخافون أن يطلع عليهم ، فهؤلاء ﴿هُرُّ الْعَدُوِّ﴾ على الحقيقة ، لأن العدو البارز المتميز أهون من العدو الذي لا يشعر به ، وهو مخادع ماكر ، يزعم أنه ولي ، وهو العدو المبين ﴿فَأَحْذَرَهُمْ فَنَلَّهِمُ اللَّهُ أَنِّي يُؤَفِّكُونَ﴾ أي : كيف يصرفون عن الدين الإسلامي بعد ما تبينت أدلته واتضح معاملته إلى الكفر الذي لا يفيدهم إلا الخسار والشقاء" (٢) .

١ - الطبري ، مصدر سابق ، (٢٢ / ٦٥٢ ، ٦٥٣) .

٢ - ابن عثمان ، مصدر سابق (١٠ / ٣٠٦) .



المطلب الثالث : نوع المثل والغرض الذي من أجله ضرب المثل :

نوع المثل : أما نوع المثل فهو فهي هذه الآية تشبيه بسيط وفيه شبه الله تعالى المنافقين بالخشب المسندة على الجدر فقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ﴾^(١) " إن صورتهم وهم يجلسون في مجالس الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد أسندوا ظهورهم إلى الجدر ، وتظاهروا بالوقار وأعطوا لأنفسهم أفضل الأماكن في مجالسه ، وقلوبهم ونفوسهم وأفكارهم وأسماعهم منصرفة كل الانصراف عما يقوله الرسول

-صلى الله عليه وسلم - ويحدث به من أمور تتعلق بالدين وأحكامه ، هذه الصورة تشبه صورة الخشب المسندة على الجدر ، إن الخشب ذات منظر وهياكل عظيمة رفيعة القامة ، لكنها فاقدة الحياة ، لا تسمع ولا تبصر ولا تعي شيئاً ، وهم ذو منظر معجب وهياكل عظيمة رفيعة القامة بين الناس ، لكنهم أجساد فقط ، خالية من روح الإيمان ، وقلوبهم وحواسهم لا تعي شيئاً مما يوجه لها من بيان ومواعظ وإرشادات . " (١).

الغرض الذي من أجله ضرب المثل :

قال "الميداني" : "ويلاحظ في هذا المثل دقة التصوير وحلاوته ، ويظهر من الأغراض فيه التوبيخ والتهكم" (٢). وهذا من الغرض الذي قدمنا إليه في مبحث الأغراض التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية الغرض الثالث والذي استأثر بحظ وافر من أمثال القرآن بدم صفات أهل النفاق ويتضح ذلك في هذا المثل عند تشبيههم بالخشب المسندة على الجدار .

قال الدكتور " محمد بكر إسماعيل " : وقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ﴾ إشارة إلى أن هذا الذي يبدو من المنافقين من حسن المظهر ، ورقة الكلام ، ونعومة اللفظ لا يعدو هذا الظاهر من القوم إنهم أشبه بالخشب المسندة ، لا حياة فيها ، ولا وزن لها ، وإن زينت بالحلي وكسيت بالحريز .. ثم إن

١-الميداني ، مصدر سابق ، أمثال القرآن ص ١٩٥ .

٢-الميداني ، المصدر سابق ص ١٩٥ .



المنافقين ، وإن بدوا في ظاهرهم على صورة واحدة ، فإنهم في حقيقتهم ، أشتات متفرقون ، لا تجمعهم مشاعر الود ، و لا تؤلف بينهم صلوات هذا المعتقد الفاسد الذي يدينون به .. تماماً كالخشب المسندة ، كل كتلة منها قائمة إلى جوار غيرها لا تشعر بها و لا تحس بوجودها" (١).

ذكر هذه الصفات التي على جنبهم وكذا فسدت بواطنهم . قال " المراغي " : - رحمه الله - " أي هم أشباح بلا أرواح ، لهم جمال في المنظر ، وقبح في المخبر فسدت بواطنهم ، وحسنت ظواهرهم ، فكانت كالخشب الجوفاء التي نخرها السوس ، فهي مع حسنها لا ينتفع فيها بعمل ، و لا يستفاد منها خير ، والله در أبي نواس :

تسعة أعشار من ترى البقر

لا تخدعك اللحى ولا الصور

وليس فيه لطالب مطر

تراهم كالسراب منتشراً

له رواء وما له ثمر" (٢).

في شجر السرو منهم مثل

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً : "تضمنت هذه السورة الكريمة ضرباً من البلاغة وأنواعاً من الفصاحة والبيان والمعاني والبديع :

فمنها: تأكيد المنافقين كلامهم بـ { إِنَّ } و { اللام } : في قوله ﴿ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ

اللَّهِ ﴾ للإيدان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم .

ومنهم : التأكيد بالقسم ، و { إِنَّ } و { اللام } في قوله ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾ زيادة في التقرير والبيان" (٣).

١ - إسماعيل ، مصدر سابق ص ٢٦٢ .

٢ - المراغي ، أحمد مصطفى ، تفسير المراغي ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ، ط ١٣٦٥هـ ، (٢٨ /

١٠٨) .

٣ - الهري ، مصدر سابق ، (٢٩ / ٣٥٠) .



ثانياً: الجملة الاعتراضية في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾، جاءت معترضة بين الشرط وجوابه ؛ لبيان أنهم ما قالوا ذلك عن اعتقاد ، ولدفع توهم تكذيب دعواهم الشهادة بالرسالة . والأصل: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، فجاءت الجملة الاعتراضية تقريراً لمنطوق كلامهم لكونه مطابقاً للواقع " (١) .

ثالثاً: الإظهار في مقام الإضمار في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، لغرض ذمهم والإشعار بعلية الحكم ، وكان الظاهر أن يقال : إنهم لكاذبون ، لسبق المرجع .
رابعاً: إطلاق الشهادة التي هي الإخبار عن حق على زورهم مجازاً كإطلاق البيع على الفاسد " (٢) .

خامساً: قال " ابن عاشور" - رحمه الله - والمقصود من قوله: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، إعلام النبي - صلى الله عليه وسلم - وإعلام المسلمين بطائفة مبهمة شأنهم النفاق ليتوسمهم ويختبروا أحوالهم ، وقد يتلقى النبي - صلى الله عليه وسلم - بطريق الوحي تعينهم أو تعيين بعضهم " (٣) . يقول "سيد قطب" والتعبير من الدقة والاحتياط بصورة تثير الانتباه ، فهو يبادر بتثبيت الرسالة قبل تكذيب مقالة المنافقين ، ولولا هذا التحفظ لأوهم ظاهر العبارة تكذيب المنافقين في موضوع شهادتهم وهو الرسالة ، وليس هذا هو المقصود ، إنما المقصود تكذيب إقرارهم فهم لا يقرون الرسالة حقاً ولا يشهدون بها خالصي الضمير " (٤) .

سادساً: " وجملة ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ معترضة بين الجملتين المتعاطفتين وهذا الاعتراض لدفع إيهام من يسمع جملة ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ بأنه تكذيب لجملة ﴿إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ فإن المسلمين كانوا يومئذ محفوفين بفئام من المنافقين مبثوثين بينهم هجيراًهم فتنة المسلمين فكان

١ - الهري ، مصدر سابق ، (٢٩ / ٣٥٠) بتصريف .

٢ - الهري ، مصدر سابق ، (٢٩ / ٣٥٠) .

٣ - ابن عاشور ، مصدر سابق ، (٢٨ / ٢٣٤) .

٤ - قطب ، مصدر سابق ، (٦ / ٢٥٧٤) .



المقام مقتضياً دفع الإيهام وهذا من الاحتراس^(١).

سابعاً: قال "المهرري" - رحمه الله - : " الاستعارة التصريحية الأصلية في قوله ﴿جَنَّةٌ﴾ ، لأن الجنة حقيقة فيما يستتر به ويتقى به من المحذور كالترس ، ثم استعير لما يجعلونه وقاية لدمائهم وأموالهم من إظهار الإسلام^(٢) .

استدراك : عقب شيخنا الدكتور محمد بن أحمد بن عبد المعطي فقال: " إطلاق الاستعارة على " جنة " هنا فيه نظر إذ من المعلوم أن الاستعارة بنت التشبيه وما دام الطرفان موجودان أعني المشبه وهو ﴿أَيْمَنَهُمْ﴾ والمشبه به وهو ﴿جَنَّةٌ﴾ فمن ثم لا يقال عنها استعارة بل هي تشبيه بليغ حيث شبه الأيمان وهو معنوي بالجنة وهو شيء حسي، وهما مفعولان ، واتخذوا التي هي من أخوات ظن تفيد التصير والتحويل كقولهم اتخذ النجار الخشب باباً "

ثامناً: وفي قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جَنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ جعلوا من الأيمان جنة ووقاية للتموية والخداع ، والصد عن سبيل الله ، واتخاذها جنة عبارة عن إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ، ليحلفوا بها ، ويتصلوا من سوء الفعال والمقال ، فهم مع صدودهم عن الحق وإعراضهم عنه وإحجامهم عن الدخول في الإسلام والانقياد لأحكامه ، قد صدوا الناس عن الإيمان والهجرة والجهاد ، وأعمال الطاعة والبر بما يشيعونه في المجتمع المسلم من تشكيك وقدح وطعن ، فبئس العمل عملهم ومن دقة التعبير القرآني تصويرهم وهم في قلقهم النفسي وقد استتروا بدرع واه من الأيمان الكاذبة ، لأنهم يعتبرون أنفسهم في حالة حرب مفتوحة مع المؤمنين^(٣) .

تاسعاً: قال " سيد قطب " - رحمه الله - ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جَنَّةً﴾ وهي توحى بأنهم كانوا يحلفون الأيمان كلما انكشف أمرهم ، أو عرف عنهم كيد أو تدبير ، أو نقلت عنهم مقالة سوء في المسلمين

١- ابن عاشور ، مصدر سابق ، (٢٣٥ / ٢٨) .

٢- المهرري ، التفسير الموضوعي ، مصدر سابق ، (١٧٣ / ٨) .

٣- مسلم ، مصدر سابق ، (٣٥١ / ٢٩) .



. كانوا يخلفون ليتقوا ما يترتب على افتضاح أمر من أمورهم ، فيجعلون أيمانهم وقاية وجنة يحتمون وراءها ، ليواصلوا كيدهم ودسهم وإغواءهم للمخدوعين فيهم" (١).

عاشراً: قال " ابن عاشور " : والمعنى : جعلوا أيمانهم كالجنة يتقي بها ما يلحق من أذى . فلما شبهت الأيمان بالجنة على طريقة التشبيه البليغ ، أتبع ذلك بتشبيه الحلف باتخاذ الجنة ، أي استعمالها ،

﴿ اَتَّخَذُوا ﴾ استعارة تبعية ، وليس هذا خاصاً بحلف عبد الله بن أبي أنه ما قال ﴿ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّكَ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ ، كما تقدم ذكر سبب نزولها ، بل هو أعم ، ولذلك فالوجه حمل ضمائر الجمع في قوله: ﴿ اَتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ ﴾ الآية على حقيقتها ، أي اتخذ المنافقون كلهم أيمانهم جنة ، أي كانت تلك تقيهم ، أي تلك شنشنة معروفة فيهم" (٢).

حادي عشر: قال " ابن عاشور " ﴿ فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ " تفريع لصددهم عن سبيل الله على الحلف الكاذب لأن اليمين الفاجرة من كبائر الإثم لما فيها من الاستخفاف بجانب الله تعالى ، ولأنهم لما حلفوا على الكذب ظنوا أنهم قد أمنوا اتهم المسلمون إياهم بالنفاق فاستمروا على الكفر والمكر بالمسلمين وذلك صد عن سبيل الله ، أي إعراض عن الأعمال التي أمر الله بسلوكها . وفعل { صدوا } هنا قاصر الذي قياس مضارعه يصد بكسر الصاد . وجملة ﴿ اِيْتَهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ تذييل لتفطيع حالهم عن السامع وساء من أفعال الذم تُلحق بيئس على تقدير تحويل صيغة فعلها عن فعل المفتوح العين إلى فعل المضمومها لقصد إفادة الذم مع إفادة التعجب بسبب ذلك التحويل كما نبه عليه صاحب الكشاف وأشار إليه صاحب التسهيل" (٣).

ثان عشر: فقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ خبر عن اسم الإشارة ، ومعنى الباء السببية . ﴿ ثُمَّ ﴾ للتراخي الرتبي فإن إبطان الكفر مع إظهار الإيمان أعظم من الكفر الصريح . وأن كفرهم أرسخ فيهم من

١- مسلم ، مصدر سابق ، (٣٥١ / ٢٩) .

٢- ابن عاشور ، مصدر سابق ، (٢٣٦ / ٢٨) .

٣- ابن عاشور ، مصدر سابق ، (٢٣٦ / ٢٨) .



إظهار إيمانهم ويجوز أن يراد مع ذلك التراخي في الزمن وهو المهلة . فإسناد فعل ﴿ءَامَنُوا﴾ إليهم مع الإخبار عنهم قبل ذلك بأنهم كاذبون في قولهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ مستعمل في حقيقته ومجازه فإن مراتب المنافقين متفاوتة في النفاق وشدة الكفر فمنهم من آمنوا لما سمعوا آيات القرآن، أو لاحتملهم أنوار من النبي - صلى الله عليه وسلم - لم تثبت في قلوبهم ثم رجعوا إلى الكفر للوم أصحابهم عليهم أو لإلقاءهم الشك في نفوسهم قال "ابن عطية" : وقد كان هذا موجوداً . قلت : ولعل الذين تابوا وحسن إسلامهم من هذا الفريق . فهؤلاء إسناد الإيمان إليهم حقيقة " (١) .

ثالث عشر: قال " الهرري " - رحمه الله - " التشبيه المرسل التمثيلي في قوله : ﴿كَانَ لَهُمْ خَشْبٌ

مُسْتَدَّةٌ﴾ فالمشبه هم ، أي : رؤوساء المنافقين من المدينة ، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، ويستندون فيه إلى الجدر ، وكان النبي ومن حضر يتعجبون من هياكلهم المنصوبة . والمشبه به هو الخشب المنصوبة المسندة إلى الحائط ، ووجه الشبه : كون الجانبين أشباحاً خالية عن العلم والنظر ، عل حد قول حسان - رضي الله عنه - :

لا بأس بالقوم من طول ومن عظم
جسم البغال وأحلام العصافير " (٢) .

رابع عشر: قال " الهرري " - رحمه الله تعالى - " التشبيه التمثيلي أيضاً في قوله : ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ

عَلَيْهِمْ﴾ ؛ أي إنهم لجنبتهم وهلع نفوسهم واضطراب قلوبهم إذا ناد مناد في المعسكر ، أو انفلتت دابة ، أو نشدت ضالة .. وجفت قلوبهم وزايلهم رشدهم ، وحسبوا أن هناك شراً يتربص بهم وكيداً ينتظر الإيقاع بأرواحهم . وقد رمق الأخطل سماء هذا المعنى ، فقال :

ما زالت تحسب كل شيء بعدهم
خيلاً تكرر عليهم ورجالاً

ويمكن أن يقال : إن وجه الشبه بالخشب بل جعلها مسندة إلى الحائط لعدم الانتفاع بها لأنها إذا

١- ابن عاشور ، مصدر سابق ، (٢٨ / ٢٣٧) .

٢- الهرري ، مصدر سابق ، (٢٩ / ٢٥٣) .



كانت في سقف أو مكان ... ينتفع بها "(^١).

خامس عشر: أسلوب التجريد في قوله: ﴿فَتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ للدلالة على وقوعه وتحققه .

سادس عشر: وفي قوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَادُوْنَ فَاحْذَرْهُمْ﴾؛ وذلك لما جبلوا عليه من الجبن والخور ،

﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾، يسمعونها واقعة عليهم ، نازلة بهم لفرط جبنهم ورعب قلوبهم؛ وذلك

بسبب هلعهم وتخوفهم من كل ما يتخيل منه بأس المسلمين ، لأنهم أعداء ألداء للمسلمين ينظرون

للمسلمين بمرآة نفوسهم ، فكما هم يتربصون بالمسلمين الدوائر ويتمنون الوقعة بهم ، مع تظاهرهم

بالمودة، كذلك يظنون بالمسلمين التربص بهم وإضممار البطش بهم ، ويخشون في كل لحظة تمر بهم أن

ينكشف أمرهم على نحو ما قال أبو الطيب :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

فالمنافق أشد الناس جبناً وهلعاً ، فقد الثقة وسلب الأمن ، يفزع من أي طيف ، ويرتاع من أي

صوت كما قال الشاعر في هجاء شخص أكل جبان :

إذا صوت العصفور طار فؤاده وليث حديدُ الناب عند الثرائد

وكما قال آخر :

أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي الحرب أشباه النساء الفوارك؛ "(^٢).

" وهذا النموذج من الناس ، لا ينقطع في جيل ولا في قبيل ، فهو موجود ودائم . وهو شجاع فصيحُ

بارز حيثما كان هناك أمن ورخاء ومغنم ، وهو جبان صامت مترو في الشدائد والمخاوف ، وهو

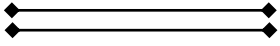
شحيح بخيل عل الخير وأهل الخير ، لا ينالهم منه إلا سلاطة اللسان!" (^٣).

سابع عشر: قال " ابن عاشور " في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ فالخطاب في هذه

١- الهري ، مصدر سابق ، (٢٥٣ / ٢٩) .

٢- سبق تخريجه ص ١١٩ .

٣- قطب ، مصدر سابق ، (٣٥٩٢ / ٦) .



الآية لغير معين يشمل كل من يراهم ممن يظن أن تغره صورهم فلا يدخل فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - لأن الله قد أطلعه على أحوالهم وأوقفه على تعينهم فهم كالخطاب الذي في قوله في سورة الكهف: ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا﴾ (١٨).^(١) والظاهر أن المراد بضمير الجمع واحد معين أو عدد محدود إذ يبعد أن يكون جميع المنافقين أحاسن الصور . وعن ابن عباس كان ابن أبي جسيماً صحيحاً صحيحاً ذلق اللسان . وقال الكلبي : المراد ابن أبي والجد بن قيس ومعتب بن قشير كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة . وقال في الكشاف : وقوم من المنافقين في مثل صفة ابن رؤساء المدينة "^(٢).

ثامن عشر: قال " ابن عاشور " في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾: " هذه الجملة بمنزلة بدل البعض من مضمون جملة ﴿كَانَتْهُمْ حُشْبٌ مُسْنَدَةٌ﴾ ، أي من مخالفة باطنهم المشوه للظاهر المموه ، أي هم أهل جبن في صورة شجاعان . وهذا من جملة ما فضحته هذه السورة من دخائلهم ومطاوي نفوسهم كما تقدم في الآيات السابقة وإن اختلفت مواقعها من تفنن أساليب النظم ، فهي مشتركة في التنبيه على أسرارهم "^(٣).

تاسع عشر: " والتعريف في " العدو " تعريف الجنس الدال على معين كحال حقيقة العدو فيهم ، لأن أعدى الأعداء العدو المتظاهر بالموالاة وهو مداح وتحت ضلوعه الداء الدوي . وعلى هذا المعنى رتب عليه الأمر بالخذر منهم . والعدو : اسم يقع على الواحد والجمع . والمراد الخذر من الاغترار بطواهرهم الخلابة لئلا يُخلص المسلمون إليهم بسيرهم و لا يتقبلوا نصائحهم خشية المكائد . والخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - ليلغيه المسلمين فيحذروهم "^(٤).

عشرون : قال " القرطبي " - رحمه الله - : ﴿فَأَحْذَرَهُمْ﴾ ووجهان

١ - سورة الكهف جزء من آية : ١٨ .

٢ - ابن عاشور، مصدر سابق (٢٨ / ٢٣٩) .

٣ - ابن عاشور، مصدر سابق (٢٨ / ٢٤٠) .

٤ - ابن عاشور، مصدر سابق (٢٨ / ٢٤١ ، ٢٤٢) .



أحدهما: فاحذر أن تثق بقولهم أو تميل إلى كلامهم .

الثاني : فاحذر ممايلتئم لأعدائك و تخذيلهم لأصحابك " (١) .

واحد وعشرون: وفي قوله تعالى: ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَوْنَ ﴾: " تذييل فإنه جمع على الإجمال ما يغني عن

تعداد مدامهم كقوله : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ . مسوق للتعجب من حال توغلهم في الضلالة والجهالة بُعدوهم عن الحق .

فافتتح التعجب منهم بجملة أصلها دعاء بالإهلاك والاستئصال ولكنها غلب استعمالها في التعجب أو التعجب من سوء الحال الذي جره صاحبه لنفسه فإن كثيراً من الكلم التي هي دعاء بسوء تستعمل في التعجب من فعل أو قول مكروه مثل قولهم : ثكلته أمه ، وويل أمه ، وتربت يمينه . واستعمال ذلك في التعجب مجاز مرسل للملازمة بين بلوغ الحال في السوء وبين الدعاء على صاحبه بالهلاك ، إذ لا نفع له و لا للناس في بقائه ، ثم الملازمة بين الدعاء بالهلاك وبين التعجب من سوء الحال . فهي ملازمة بمرتين كناية رمزية " (٢) .

ثمان وعشرون: في التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قَاتِلْهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَوْنَ ﴾ .

" ولفرط عداوتهم ولشدة التحذير منهم جاء التعبير عنهم بالعدو بلام الجنس للدلالة على شدة عداوتهم وفداحة مخاطرهم ، فكأنهم هم العدو الأول والأخير ، أو اللام هنا للعهد الذهني ، فإذا ذكرت العداوة فليتبأدر ذكرهم إلى الأذهان فهم شرٌ مستطير وداء عضال ، و لا تغفل عنهم أيها المسلم اليقظ ؛ فهم لا يغفلون ولا تنم فهم لا ينامون ، بل يواصلون المكر والتدبير ليل نهار ، فلتجعل عداوتهم نصب عينك ولتستحضرها في ذهنك ، و لا يغرنك تبسمهم في الكلام على وجه التودد والتقرب " (٣) .

١ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٢٦ / ١٨) .

٢ - ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨ / ٢٤٢) .

٣ - مسلم ، التفسير الموضوعي ، مصدر سابق (٨ / ١٧٦) .



ثلاثة وعشرون: منها طباق السلب في قوله ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾.

أربعة وعشرون : قال " سيد قطب " - رحمه الله - : في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾. " فهم يغفلون الغفلة ، ويطلقون القولة . فإذا عرفوا أنها بلغت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جنبوا أو تحاذلوا وراحوا يقسمون بالآيمان يتخذونها جنة فإذا قال لهم قائل : تعالوا يستغفر لكم رسول الله ، وهم في أمن من مواجهته ، لووا رؤوسهم ترفعاً واستكباراً ! وهذه وتلك سمتان متلازمتان في النفس المنافقة . وإن كان هذا التصرف يجيء عادة ممن لهم مركز في قومهم ومقام . ولكنهم هم في ذوات أنفسهم أضعف من المواجهة ؛ فهم يستكبرون ويصدون ويلوون رؤوسهم ما داموا في أمان من المواجهة . حتى إذا ووجهوا كان الجبن والتخاذل والآيمان!"^(١).

خمسة وعشرون: "ومنها القول بالموجب في قوله ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ

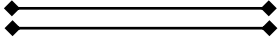
أَلَّا عَزْمٌ﴾ لأن حقيقة القول بالموجب: رد الخصم كلام خصمه من فحوى كلامه ، فإن موجب قول المنافقين الآنف ذكره في الآية: إخراج الرسول للمنافقين من المدينة ، وقد كان ذلك ، ألا ترى أن الله تعالى قال على إثر ذلك: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

سنة وعشرون : قال " ابن عاشور " - رحمه الله - " وافتتحت الجملة بضميرها الظاهر دون الاكتفاء بالمستتر في ﴿يَقُولُونَ﴾ معاملة لهم بنقيض مقصودهم فإنهم ستروا كيدهم بإظهار قصد النصيحة ففضح الله أمرهم بمزيد التصريح ، أي قد علمت أنكم تقولون هذا ، وفي إظهار الضمير أيضا تعريض بالتوبيخ كقوله تعالى: ﴿أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيَسَّ الْقَرَارُ﴾^(٣) .

١ - قطب ، مصدر سابق (٦ / ٣٥٧٩) .

٢ - الهري ، مصدر سابق (٢٩ / ٣٥٢) .

٣ - سورة ص جزء من آية : ٦٠ .



وليكون للجملة الاسمية إفادة ثبات الخير ، وليكون الإتيان بالموصول مشعراً بأنهم عرفوا بهذه الصلة ، وصيغة المضارع في: ﴿يَقُولُونَ﴾ . يشعر بأن في هذه المقالة تتكرر منهم لقصد إفشائها^(١).

سبعة وعشرون: وفي قوله تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا﴾^(٢). قال " سيد قطب " - رحمه الله - : "وهي قولة يتجلى فيها خبث الطبع ، ولؤم النحيزة . وهي خطة التجويع التي يبدو أن خصوم الحق والإيمان يتواصلون بها على اختلاف الزمان والمكان ، في حرب العقيدة ومناهضة الأديان ، ذلك أنهم لحسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هي كل شيء في الحياة كما هي في حسهم فيحاربون بها المؤمنين . إنها خطة قريش وهي تقاطع بني هاشم في الشعب لينفضوا عن نصرته رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويسلموه للمشركين ! وهي خطة الشيوعيين في حرمان المتدينين في بلادهم من بطاقات التموين ، ليموتوا جوعاً أو يكفروا بالله ويتركوا الصلاة ! وهي خطة غيرهم ممن يحاربون الدعوة إلى الله وحركة البعث الإسلامي في بلاد الإسلام ، بالحصار والتجويع ومحاولة سد أسباب العمل والارتزاق وهكذا يتوافق على هذه الوسيلة الخسيسة كل خصوم الإيمان ، من قديم الزمان ، إلى هذا الزمان ... ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرها القرآن لها قبل ختام هذه الآية : ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٣) . ويتضح ذلك أيضاً الآن لما يحدث لثورات الربيع العربي فعندما وصل الإسلاميون إلى الحكم في مصر يضيق عليهم ويتكالب أهل الباطل على تفجير المشكلات الاقتصادية مثلما حدث من سحب الدولارات من البنوك أو افتعال أزمات الكهرباء والسولار وغيرها حتى يكفر الناس بالحل الإسلامي . وأيضاً ما نجده في سوريا من التجاهل لأبسط ما ينادون به من حقوق الإنسان بل التضيق على المعونات حتى يرضخ الشعب وذلك لأن من حمل اللواء هناك هم أبناء الصحوة الإسلامية ولكن نقول لهم خزائن الله ملامى

١ - ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨ / ٢٤٦) .

٢ - سورة المنافقون ، جزء من الآية : ٧ .

٣ - قطب ، مصدر سابق (٦ / ٣٥٧٩) .



ثمانية وعشرون : وفي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال "ابن عاشور": "وخزائن السماوات مقار أسباب حصول الأرزاق من عيون رسمية وأشعة الشمس والرياح الصالحة فيأتي ذلك بتوفير الثمار والحبوب وخصب المرعي وتزايد النتاج وأما خزائن الأرض فما فيها من أهريّة ومطامير وأندر ، ومن كنوز الأحوال وما يفتح الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - من البلاد وما يفي عليه من أهل القرى. واللام في ﴿وَلِلَّهِ﴾ أي التصرف في ذلك ملك لله تعالى . ولما كان الإنفاق على فقراء المسلمين مما يعين على ظهور الدين الذي أرسل الله به رسوله - صلى الله عليه وسلم - كان الإخبار بأن الخزائن لله كناية عن تيسير الله تعالى لرسوله - صلى الله عليه وسلم - حصوله ما ينفق منه كما دل عليه قوله - صلى الله عليه وسلم - لما قال له الأنصاري (و لا تخش من ذي العرش إقلالا)^(١) " بهذا أمرت " وذلك بما سيره الله لرسوله - صلى الله عليه وسلم - من زكوات المسلمين وغنائم الغزوات ، وما فتح الله عليه من البلاد بخيراتها ، وما أفاء الله عليه بغير قتال "^(٢).

تسعة وعشرون : " وتقديم المجرور من قوله: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لإفادة القصر القلب وهو قلب للآزم قولهم لا لصريحة لأن المنافقين لما قالوا ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾ حسبوا أنهم إذا قطعوا الإنفاق على من عند رسول الله لا يجد الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما ينفق منه عليهم فأعلم الله رسوله مباشرة وأعلمهم تبعاً بأن ما عند الله من الرزق أعظم وأوسع . واستدراك قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِّقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ لرفع ما يتوهم من أنهم حين قالوا: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ﴾ كانوا قالوه عن بصيرة ويقين بأن انقطاع إنفاقهم على الذين يلوذون برسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقطع رزقهم فيفضون عنه بناءً على أن القدرة على الإنفاق منحصرة فيهم لأنهم أهل الأحوال وقد غفلوا عن تعدد أسباب الغنى وأسباب الفقر "^(٣).

١ - رواه الطبراني في المعجم الكبير وأبو نعيم في الحلية والبخاري وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٢٦٦١، (٦/٣٤٧).

٢ - ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨ / ٢٤٨)

٣ - ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨ / ٢٤٨)



ثلاثون : "والقول في الاستدراك بقوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ نظير القول آنفاً في قوله:

﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وعدل عن الإضمار في قوله: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وقد

سبق اسمهم في نظير ما قبلها لتكون الجملة مستقلة الدلالة بذاتها فتسير سير المثل. وإنما نفي عنهم هنا العلم تجهيلاً بسوء التأمل في أمارات الظهور والانحطاط فلم يفتنوا للإقبال الذي في أحواله المسلمين وازدياد سلطانهم يوماً فيوماً وتناقص من أعدائهم فإن ذلك أمر مشاهد فكيف يظن المنافقون أن عزتهم أقوى من عزة قبائل العرب الذين يسقطون بأيدي المسلمين كلما غزوهم من يوم بدر فما عده" (١).

المبحث السادس : وفيه بيان صفات المنافقين من خلال الأمثلة السابقة والوسائل الشرعية

لمواجهة النفاق وأساليبه (٢).

المطلب الأول : صفات المنافقين كما جاءت في الأمثال القرآنية :

كان المنافقون يعيشون مع المؤمنين جنباً إلى جنب ؛ يؤكلونهم ويجالسونهم ويخالطونهم ، لكنهم انفردوا عنهم بصفات أصبحت للمؤمنين حتى لا يندعوا بمؤلاء القوم ؛ فعراهم ، وأخزاهم ، وفضحهم دون أن يذكر أسماءهم ؛ ليبقى النظر في الصفات ومدى تحققها كل عصر وحين هو الضابط في معرفة المنافقين . ولم تكن الإشارة القرآنية للمنافقين وصفاتهم مقتصرة على سورة أو سورتين ، بل إن عامة السور المدنية

— كما يقرر شيخ الإسلام — "ابن تيمية" يُذكر فيها المنافقون (٣) ومن هنا فقد كان من الضروري أن نتبع هذه الصفات ونتعرف إليها ، ونضعها في إطارها التصنيفي المناسب ؛ ذلك أنه من خلال البحث والاستقراء تبين أن هناك بعض صفات للمنافقين في الكتاب الكريم تعتبر خصائص ذاتية

١ - ابن عاشور ، مصدر سابق (٢٨ / ٢٥٠)

٢ - هذا المبحث استفدت فيه كثيراً من رسالة ماجستير بعنوان "دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة" ، عادل

علي الشدي ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، طبعة أولى ١٤٢٤ هـ

٣ - ابن تيمية ، مصدر سابق (٧ / ٤٦٣) .



للمنافق وخصائص غير ذاتية توجد في جيل من المنافقين دون جيل نتيجة لعوامل المكان والزمان ، وارتباط ذلك بالظروف التي يعيشها المنافقون ، وحدود علاقتهم بالسلطة في مجتمعهم ، ومدى قرب أو بعد هذه السلطة عن تطبيق شرع الله تبارك وتعالى وإليك مجمل هذه الصفات الذاتية والغير ذاتية :

الصفة الأولى : إدعاء الإيمان كذباً :

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨) .^(١)

روى أسباط عن السدي في قوله : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ ﴾ قال : " هم المنافقون " ^(٢). وروى ابن كثير عن ابن عباس ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيهِمُ الْآخِرُ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يعني المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم ، وكذا فسرها بالمنافقين من الأوس والخزرج أبو العالية والحسن وقتادة والسدي ^(٣). وروى ابن جرير الطبري إجماع المفسرين على أن هذه الآية نزلت في المنافقين فقال : " وأجمع جميع أهل التأويل على أن هذه الآية نزلت في قوم من أهل النفاق وأن هذه الصفة صفتهم " ^(٤). ولقد اقترن إدعاء هؤلاء الناس بتكذيب من رب الناس لهذا الادعاء الكاذب بعده مباشرة ، فلم يدع السياق أي مجال للشك في كذب هؤلاء الناس في دعواهم الإيمان بالله وبكتابة وبرسوله - صلى الله عليه وسلم - فقد كشفت هذه الآيات حقيقة ادعائهم ؛ فنفت عنهم صفة الإيمان ، ووصفتهم بالخداع والشك والكذب ، وتذهب الآيات إلى أكثر من ذلك ، فتكشف أسباب تصورهم هذا فهم يعتقدون في دخيلة أنفسهم أن عقيدة المسلمين ما هي إلا نتيجة السفه وقلة العقل والفهم ، وهم يستنكفون لذلك - حسب زعمهم - من اعتناق مثل تلك العقيدة .

١ - سورة البقرة ، الآية : ٨ .

٢ - القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، مؤسسة الرسالة ، طبعة اولى ١٤٢٧هـ ، (١ /

٣ - ابن كثير ، مصدر سابق ، (١ / ٢٨٢)

٤ - الطبري ، مصدر سابق ، (١ / ٢٧٥) .



الصفة الثانية: الخداع والمراوغة :

ودليله قول الله تعالى: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(١). "وهذه صفة أخرى من صفات القوم : الخداع الذي يتضمن معنى المكر والمراوغة ، ولكن يتبين من ذلك أيضاً سفههم وخفة عقولهم إذ أنهم يعتقدون أن هذا الخداع والمكر ينطلي على ربهم وعلى المؤمنين ، وهذا وهم منهم لأن الله تعالى لا تخفى عنه خافية ، وقد أخبر عباده المؤمنين بصفات أهل النفاق ليحذروهم ولا يأمنوا جانبهم"^(٢). قال "الفخر الرازي" -رحمه الله- : " وأما حد المخادعة فهو إظهار ما يوهم السلامة والسداد ، وإبطان ما يقتضي الإضرار بالغير والتخلص منه ، فهو بمنزلة النفاق في الكفر ، والرياء في الأفعال الحسنة " ^(٣). قال "الطبري" - رحمه الله - " وخداع المنافق ربه والمؤمنين ، إظهاره بلسانه من القول والتصديق ، خلاف الذي في قلبه من الشك والتكذيب ؛ ليدرأ عن نفسه بما أظهر بلسانه ما أظهر من التصديق والإقرار من القتل والسبِّاء . فذلك خِدَاعُهُ ربه وأهل الإيمان بالله " ^(٤).

"والذي نخلص إليه أن المخادعة والمراوغة صفة متأصلة في المنافق مما يجعله مصدر خطر دائم بمراوغته وتلونه ومخادعته لأهل الإيمان ، ولذلك فإنك ترى المنافق كثير التقلب والتغير ؛ يتقدم في أمر فإذا سئل عنه أنكروه ونفاه ، ويترك أمراً فإذا عوتب فيه أصر على أنه لم يتركه بل فعله وأذاه ، وهكذا يسير وديدنه المخادعة والمراوغة للمؤمنين ، ولا سيما أهل العلم والصلاح منهم الذين يريدون استجلاء الحقيقة ومعرفة الخبر الصحيح عن حال هؤلاء القوم وفعالهم"^(٥).

١ - سورة البقرة ، الآية : ٩ .

٢ - الشدي ، عادل بن علي ، دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة ، دار الوطن للنشر ، طبعة أولى ١٤٢٤ هـ

، ص ٩٧ .

٣ - الشدي ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .

٤ - الطبري ، مصدر سابق ، (١ / ٢٧٩ ، ٢٨٠) .

٥ - الشدي ، مصدر سابق ، ص ١٠٧ .



الصفة الثالثة : مرض القلب :

وهذا دليله قوله تعالى : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾^(١). إن المنافق شخص مريض ، ليس مرضاً بدنياً فقد يكون من أشد الناس قوة وهيئة كما قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾^(٢). ولكنه مريض القلب والمرض : " هو كل ما يخرج به الإنسان عن حد الصحة من علة أو نفاق ، أو تقصير في أمر قاله ابن فارس . وقيل : هو الألم ، فيكون على هذا مستعاراً للفساد الذي في عقائدهم ، إما شكاً ، أو نفاقاً ، أو جحداً ، أو تكديباً "^(٣) . ويقول " ابن القيم " - رحمه الله - " ومرض القلب خروجه عن صحته واعتداله . فإن صحته أن يكون عارفاً بالحق له ، مؤثراً له على غيره ، فمرضه إما بالشك فيه ، وإما بإيثار غيره عليه . فمرض المنافقين مرض شك وريب ، ومرض العصاة مرض غي وشهوة ، وقد سمى الله سبحانه كلاهما مرضاً .

قال "ابن الأنباري " : أصل المرض في اللغة : الفساد ، مرض فلان : فسد جسمه ، وتغيرت حاله . ومرضت بالمرض : تغيرت وفسدت قالت ليلي الأحييلية :

إذا هبط الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقص دائها فشفاهها

وقال آخر :

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة لفقد الحسين ، ونقصان ، وظلمة
والمرض يدور على أربعة أشياء : فساد ، وضعف ، ونقصان ، وظلمة، وقال "الأزهري" عن المنذري
عن بعض أصحابه : المرض هو إظلام الطبيعة واضطرابها بعد صفائها . قال : والمرض الظلمة ، وأنشد:
وليلة مرضت من كل ناحية فما يضيئ لها شمس و لاقمر

هذا أصله في اللغة . ثم الشك ، والجهل ، والحيرة ، والضلال ، وإرادة الغي ، وشهوة الفجور في القلب تعود إلى هذه الأمور الأربعة ، فيتعاطى العبد أسباب المرض حتى يمرض ، فيعاقبه الله بزيادة

١ - سورة البقرة ، جزء من الآية : ١٠ .

٢ - سورة المنافقون ، جزء من الآية : ٤ .

٣ - الشوكاني ، محمد بن علي ، فتح القدير ، مكتبة الحلبي ، الطبعة الثانية ١٣٨٣ هـ - (١ / ٤١) .



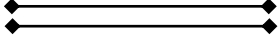
المرض ، لإيثاره أسبابه وتعاطيه لها ^(١).

الصفة الرابعة: إظهار الصلاح ، مع إفسادهم في الأرض :

قال تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾ (١١) **أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ** (١٢) ^(٢). وما دام أنهم قد ادعوا الإيمان في بادئ الأمر - مع كذبهم في دعواهم - فمن باب أولى أنهم سيدعون الصلاح والإصلاح ، ويتظاهرون به أمام الناس مع كونهم مفسدين والفساد هو : الخروج عن حال الاستقامة والنعف . وقيل : هو التخريب وخروج الشئ عن كونه منتفعاً به ، ونقيضه الصلاح والمراد منه : الصد عن سبيل الله والإفساد في الأرض هو حال المنافقين ، وحين يقول لهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو بعض المؤمنين ، أو بعض من كانوا يُلقون إليه الفساد فلا يقبله منهم بل ينقلب واعظاً لهم ﴿ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ . حينئذ يُغالطون الواقع ، ويستكبرون عن الحق بل ويزعمون أن عملهم الذي يقومون به ، ويراها المؤمنون إفساداً ، هو ذاته إصلاح في نظرهم هم وحدهم . وتأمل كم من المراحل البعيدة بين وصف فعل بأنه إفساد ووصف ذات الفعل بأنه إصلاح ؛ فإن بينهما مرتبة أن يكون الفعل فاسداً في نفسه و لا يتعدى خطره ليكون إفساداً ، ثم مرتبة أن يكون الفعل ليس بفساد و لا بصالح بل فعل مباح لا يتعدى إلى غيره ، وبعد ذلك كله تأتي مرتبة كون الفعل إصلاحاً يتعدى إلى الخلق إضافة إلى نفعه لصاحبه ، لكن المنافقين يتجاوزون كل هذه المراتب فيصنفون فعلهم الذي نفر منه المؤمنون - ورأوه إفساداً وخطراً في الأرض - على أنه إصلاح وخير في الأرض . وهذه الصفة من لوازم النفاق ، فالمنافق لما كان يظهر الإيمان ويبطن الكفر ، فهو دائماً يظهر مفردات الإيمان من الصلاح والإصلاح ويبطن مفردات الكفر من الفساد ، فإذا طلع أحد من المؤمنين على حقيقة عمله وواجهه بذلك ادعى أنه ما قصد إلا الإصلاح ، وأخذ يضيف على عمله نوعاً من الشرعية حتى يتقبله الناس و لا يرفضونه .

١ - ابن القيم ، شفاء العليل ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ص (٩٨ ، ٩٩) .

٢ - سورة البقرة الآيتان : ١١ ، ١٢ .



الصفة الخامسة: السخرية من المؤمنين ودينهم :

ودليله قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامِنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾^(١).

وتلحظ ومن خلال هاتين الآيتين ملحوظتين :

أولهما : وصف المنافقين للمؤمنين بالسفه .

ثانيهما : اعتراف المنافقين لأوليائهم بأنهم إنما صحبوا المؤمنين للاستهزاء بهم .

فهم يصفون كبار الصحابة و سادات المؤمنين بالسفه لإيماهم وتصديقهم ، ويتهكمون بهم ، ويسخرون منهم في خلواتهم ، لكن الله يفضحهم ويُعلن ما استسروا به ، بل ويرد عليهم قهمتهم وفريتهم ، فيقول وقوله الحق ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ . فإن السفه الحقيقي أن يسلك الإنسان السبيل الذي عاقبته الشر والمضرة ، وهو يعتقد أنه يفعل الحق والصواب ، وهذا هو عين ما فعله أولئك المنافقون بسلوكهم درب النفاق بدلاً من الإيمان ، ولو كانوا من أهل العقول والأحلام لما سلكوا هذا السبيل ، ولما اهتموا أهل الإيمان - السالكين درباً عاقبته الخير والسعادة - بالسفه ونق العقل . والسخرية والاستهزاء من أهم علامات المنافق ، فتراه يسخر من أهل الإيمان والاستقامة ، فلا يترك مجلساً ولا مناسبة إلا وسلط عليهم فيها لسانه بالغمز والسخرية والاستهزاء .

الصفة السادسة : الحلف الكاذب والتستر بالإيمان :

والدليل قوله تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢). إن التذبذب والاضطراب وعدم الثبات على المواقف من أهم ما يبرز شخصية المنافق ، وهو يعلم ذلك من نفسه لما يحدث في قلبه من خوف ووجل نتيجة تصرفاته الخاطئة ، ومواقفه النفاقية ، ولذلك فإن

١ - سورة البقرة : الآيتان : ١٣ ، ١٤ .

٢ - سورة المنافقون : الآية: ٢ .



المنافق اعتاد على الحلف الكاذب لتبرير مواقفه ، ولبيان أنه ما قصد به إلا الخير والصلاح .
قال الشوكاني : " أن جعلوا حلفهم الذي حلفوا لكم ؛ إنهم لمنكم ، وإن محمداً لرسول الله وقاية
تقيهم منكم ، وسترة يستترون بها من القتل والأسر " (١) . فليس عندهم تعظيم لله - عز وجل - ولا
يخافون من الكذب عليه ، بل المهم عندهم ألا يُساء بهم الظن ، وأن تحمل أقوالهم وأفعالهم على
أحسن محمل . قال تعالى : ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ
بَيْنَ يَدَائِعِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ (٥٦) .

الصفة السابعة : الخوف الدائم من أن يفضح الله أمرهم للناس :

ودليل ذلك قوله تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا
إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴾ (٦٤) .

الآيات التي كشفت نفاقهم ، وأبانت زيغ قلوبهم ، وكان أكثرها في سورة التوبة ولذلك قال قتادة :
كانت تسمى السورة : الفاضحة ، فاضحة المنافقين .
وقال " القرطبي " - رحمه الله - عن هذه السورة : " ولهذا سميت : الفاضحة ، والمثيرة ، والمبعثرة ،
وقال الحسن : كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة ، لأنها حفرت ما في قلوب المنافقين
فأظهرته " (٤) .

فكان عقابهم بأن فضحهم الله في الدنيا وجعل النار مصيرهم في الآخرة . وفي إخراج الله ما يحذرون
وجهان ذكرهما " ابن الجوزي " : أحدهما : مظهر ما تسرون .
والثاني : ناصر من تحذلون " (٥) .

١ - الشوكاني : مصدر سابق (٥ / ٢٦٥) .

٢ - سورة التوبة الآية : ٥٦ .

٣ - سورة التوبة الآية : ٦٤ .

٤ - تفسير القرطبي (٨ / ١٩٦) .

٥ - زاد المسير (٣ / ٤٦٣) .



قال "القرطبي" - رحمه الله - : " وقيل : ﴿يَحْسُبُونَ كُلَّ صَاحِبَةٍ عَلَيْهِمْ﴾^(١) . كلام ضميره فيه لا يفتقر إلى ما بعده ، وتقديره : يحسبون كل صيحة عليهم ، أنهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم؛ لأن للريبة خوفاً ، ثم استأنف الله خطاب نبيه - صلى الله عليه وسلم - فقال : ﴿هُمُ الْعَدُوُّ﴾ وهذا معنى قول الضحاك ،^(٢) .

الصفة الثامنة : الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف ، ومحبة نشر الفاحشة في المؤمنين :

ودليل ذلك قوله تعالى ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) . قال "ابن جرير" : " وهو الكفر بالله وبمحمد - صلى الله عليه وسلم - وبما جاء به ، وتكذيبه ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ يقول : وينهونهم عن الإيمان بالله ورسوله وبما جاءهم من عند الله "^(٤) . وقال "الشوكاني" : ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ هو كل قبيح عقلاً وشرعاً ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ هو كل حسن عقلاً وشرعاً "^(٥) .

فتبين بذلك أن المنافقين يأمرون بكل منكر ، وينهون عن كل معروف ، ومن فعل ذلك فقد بلغ الغاية في الكفر والخسة ورداءة الطبع وموت القلب ، وهم كذلك يجبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، كما قيل : " تود الزانية لو زنت كل النساء " ، حتى لا يكون لأحد مزية على أحد ، وكذلك المنافق لما كان معدن كل خلق قبيح ، فمعنى أن يقع المؤمنون في الفاحشة بل وفي الكفر أيضاً ، لأنه إذا تحقق ذلك ما استطاع أحد أن ينكر على هذا المنافق خلقاً أو تصرفاً . قال تعالى : ﴿إِنَّ

١ - سورة المنافقون : الآية : ٤

٢ - تفسير القرطبي : (١٧ / ١٢٦) .

٣ - سورة التوبة الآية : ٦٧ .

٤ - الطبري : مصدر سابق (١٠ / ٥٤٨) .

٥ - الطبري : مصدر سابق (١٠ / ٥٤٨) .



الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

﴿١٩﴾ (٢)

الصفة التاسعة : أخوتهم لليهود ومناصرتهم لهم :

قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِنْدِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُظِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٣) . إن الكفر ملة واحدة ، وإن تعددت أشكاله ، وتنوعت أسبابه ، واختلفت مشاربه واتجاهاته ، والكفار يختلفون ، وقد يصل مدى الاختلاف فيما بينهم إلى سفك الدماء وهتك الأعراض وإحراق الأخضر واليابس . ولكن إذا كان الخطر الذي أمامهم هو الإسلام ، وإذا كانت الصحوة الإسلامية هي المؤرق لمضاجعهم ، وإذا علت الأصوات من كل مكان تطالب بعودة الإسلام وهيمنته من جديد ، تجمع هذا الشتات ، وتحالفت قوى الكفر جميعاً لصد هذا الخطر الإسلامي المرتقب ، ولو أدت تلك الصيحات الخافتة المنادية بعودة الإسلام في مهدها .

الصفة العاشرة : الاستكبار عن قبول الحق ، والإعراض عن التوبة :

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٤) . قال الحافظ " ابن كثير " في تفسيره : " يقول تعالى وإذا قيل للمنافقين آمنوا كما آمن الناس ؛ أي : كإيمان الناس بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والجنة والنار ، وغير ذلك مما أخبر المؤمنين به وعنه ، وأطيعوا الله ورسوله في امثال الأوامر وترك الزواجر ﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ﴾ يعنون -لعنهم الله - أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - رضي الله

١ - سورة النور : الآية : ١٩ .

٢ - الشدي ، مصدر سابق ، ص ٢٤١ .

٣ - سورة الحشر الآية : ١١ .

٤ - سورة البقرة الآية : ١٣ .



عنهم - ، قال أبو العالية والسدي في تفسيره بسنده عن ابن عباس وابن مسعود وغير واحد من الصحابة ، وبه يقول الربيع بن أنس وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم يقولون : أنصير نحن وهؤلاء بمثلة واحدة وعلى طريقة واحدة وهم سفهاء ؟ والسفهاء جمع سفيه لأن الحكماء جمع حكيم والحلماء جمع حليم ، والسفيه هو الجاهل ، الضعيف الرأي ، القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار .^(١)

الصفة الحادية عشر : حسن المظهر وسوء المخبر :

ودليله قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنْهُمْ حُشْبٌ مُسْتَدَّةٌ ﴾^(٢) . قال "ابن كثير" : " أي وكانوا أشكالا حسنة وذوي فصاحة وألسنة ، وإذا سمعهم السامع ينصت إلى قولهم لبلاغتهم ، وهو مع ذلك في غاية الضعف ، والخور ، والهلع ، والجزع ، والجبن " ^(٣) .

فالمنافق قد يكون حسن المظهر ، جميل الثياب ، سوى الهندام ، فصيح اللسان يُعجب السامعين قوله ، ويهتز له الحضور طرباً ، ومع ذلك فهو خبيث النفس ، سيء الطبع ، قلبه حاوي عن الفضائل ، مظلم بالشهوات والشبهات ، قفر إلا من الخبث والردائل .

الصفة الثانية عشر : التواصي بالحصار الاقتصادي على المؤمنين حتى يتركوا دينهم :

ودليل هذه الصفة قوله تعالى : ﴿ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا ﴾^(٤) . قال "سيد قطب" - رحمه الله - هي خطة كل محارب للدعوة إلى الله ، وحركة البعث

١ - ابن كثير ، مصدر سابق (١ / ٢٨٩ ، ٢٩٠) .

٢ - سورة المنافقون جزء من الآية : ٤ .

٣ - ابن كثير ، مصدر سابق (٤ / ٦) .

٤ - سورة المنافقون ، جزء من الآية : ٧ .



الإسلامي في بلاد الإسلام ؛ بالحصار ، والتجويع ، ومحاولة سد أسباب العمل ، والارتزاق ^(١) . قال "ابن عاشور" - رحمه الله - : "هذا أيضاً من مقالاتهم في مجامعهم وجماعتهم ، يقولونها لإخوانهم الذين كانوا ينفقون على فقراء المسلمين تظاهراً بالإسلام ، كأنهم يقول بعضهم لبعض : تظاهر بالإسلام بغير الإنفاق . وكلامهم هذا ظاهرة النصيحة ، وباطنه الكفر والخديعة ^(٢) . قال "سيد قطب" - رحمه الله - : "وهكذا يتوافق على هذه الوسيلة الخسيسة كل خصوم الإيمان من قديم الزمان ، إلى هذا الزمان ، ناسين الحقيقة البسيطة التي يذكرهم القرآن بها قبل ختام هذه الآية ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ^(٣) . ومن خزائن الله في السموات والأرض يرتزق هؤلاء الذين يحاولون أن يتحكموا في أرزاق المؤمنين ، فليسوا هم الذين يخلفون رزق أنفسهم ، فما أغباهم وأقل فقههم ، وهم يحاولون قطع الرزق عن الآخرين وهكذا يُثبت الله المؤمنين ، ويقوي قلوبهم على مواجهة هذه الخطة اللئيمة والوسيلة الخسيسة ، التي يلجأ أعداء الله إليها في حربهم ^(٤) .

الصفة الثالثة عشر : التذبذب في المواقف وعدم الثبات على الرأي :

ودليله قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ ^(٥) . قال "ابن كثير" : "إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران ، واستبدالهم الضلالة بالهدى ، فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون ، أي فلا يصل إلى قلوبهم هدى ، ولا يخلص إليها خير ، فلا تعى ولا تهتدى ^(٦) . وهذا التذبذب في المواقف وتقديم العاجلة على الآجلة ، وشراء

١ - قطب ، مصدر سابق (٦ / ٣٥٧٩) .

٢ - التحرير والتنوير ، مصدر سابق (٢٨ / ٢٤٦) .

٣ - سورة المنافقين ، جزء من الآية : ٧ .

٤ - قطب ، مصدر سابق ، (٦ / ٣٥٧٩) .

٥ - سورة المنافقين ، الآية : ٣ .

٦ - قطب ، مصدر سابق ، (٦ / ٣٥٧٩) .



الضلالة بالهدى، سبب في سوء الخاتمة ، والموت على الكفر والضلال والعياذ بالله ، ومن كان هذا حاله لا يغفر الله له ، و لا يرحمه ، و لا يدخله جنته كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ (١٦٨) .^(١)

الصفة الرابعة عشر : البخل بما في أيديهم ، ولمز الباذلين من المؤمنين ، واتهام نوابيهم :

إن المنافق لا يؤمن بالله ورسوله ، ويعمل على تقويض دعائم هذا الدين وهدم أصوله ومبانيه ، وهو يعلم أن المال عنصر رئيس في دعم حركة الجهاد في سبيل الله ، وكذلك في دعم حركة بناء مؤسسات الدولة التي تعمل على تماسكها واستمرارها ؛ ولذلك فإن هذا المنافق يبخل بما لديه من مال ، لإعاقة مسيرة الجهاد في سبيل الله ، ولإحداث الشلل في مؤسسات الدولة ، ونسي المسكين أن الله خزائن السموات والأرض وأن الله - عز وجل - في غنى عن أموال المنافقين التي ينفقونها عن طيب نفس ، بل لا ينفقونها إلا رياء وسمعة ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمِنهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٧٥) فَلَمَّآ آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَمَآ أَخْفَوْا لِلَّهِ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ .^(٢)

الصفة الخامسة عشر : إيذاء النبي - صلى الله عليه وسلم - بوصفه بما لا يليق ، ولمزه في الصدقات ، واتهامه في عرضه :

ودليل هذه الصفة قوله تعالى : ﴿ وَمِنهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١١) .^(٣)

قال الحافظ " ابن كثير " - رحمه الله - " يقول الله : ومن المنافقين قوم يؤذون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالكلام فيه ، ويقولون : ﴿ هُوَ أُذُنٌ ﴾ أي من قال شيئاً صدقه فينا ، ومن حدثه

١ - سورة النساء : الآية : ١٦٨ .

٢ - سورة التوبة : الآيات : ٧٥ - ٧٧ .

٣ - سورة التوبة : آية : ٦١ .



صدقه ، فإذا جئناه وحلفنا له صدقنا" (١) .

وقد استحق هؤلاء اللعنة في الدنيا والآخرة ؛ بإيذائهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإدخالهم الحزن على قلبه ، فهو لا يستحق ذلك منهم ، بل كان الأولى أن يوقروه ، ويتأدبوا معه ؛ لأنه جاءهم بالخير والهدى والصلاح .

المطلب الثاني : الوسائل التربوية والإيمانية لمواجهة النفاق وأساليبه :

بعد أن عرضنا للنفاق ودراسة أمثاله وأثار النفاق الخطيرة على الأمة الإسلامية ، ووضحت صفات هؤلاء المنافقين وكذلك أساليبهم ووسائلهم في تدمير المجتمع ؛ لذا كانت وجوباً لمواجهة الفورية للنفاق وأهله وأساليبهم ، وعدم تأخيرها لأي سبب من الأسباب وتحت أي ظرف من الظروف ، وحين تتخلف لمواجهة أو تضعف عزيمة المواجهين فإن ذلك سيؤدي إلى تدمير المجتمع على أيدي المنافقين باستخدام وسائلهم وسيتسلق المنافقون ويظهرون ، ويجتهدون في تحقيق أهدافهم وعلى رأسها : تدمير الإسلام والقضاء على المسلمين . ومن رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن شرع لها وسائل فعالة وحاسمة وشاملة لمعالجة قضية النفاق ، والتعامل مع المنافقين ويتضح ذلك من خلال المنهج القرآني في ذلك وأن هناك وسائل شرعية معدة لمواجهة النفاق وأساليبه وأهله ويمكن تقسيم ذلك إلى قسمين :

القسم الأول : وسائل وقائية :

ويغلب عليها جانب حماية المجتمع ووقايته من أن يتزلق عدد أكبر من أفرادها إلى هاوية النفاق ، وبالتالي حصر النفاق وأهله في أضيق دائرة ممكنة ، قبل البدء في التعامل معهم ومع ظاهرتهم ، وكذلك توفير الحماية للمجتمع من مخططات المنافقين قبل وقوعها ، فالوقاية خير من العلاج ، كما يُلمس من هذه الوسائل تركيزها على إسقاط النفاق كفكر قائم ومنهج متبع في حياة مجموعة من الناس وإليك بعض الوسائل الوقائية ومنها :

(١) التنفير من النفاق والمنافقين ، والتحذير من الاغترار بهم .



يجب أن يجمي المجتمع من النفاق عن طريق التنفير منه ومن أهله ، ليكرههم الناس ، وينفروا عن أفكارهم ومناهجهم . و لا يتأتى ذلك إلا بوصفهم بما يستحقون من أوصاف : (الكذب ، والفسق ، والجبن ، والسفه ، والإجرام ، والتردد ، والتذبذب ، والبخل ، وأخوة اليهود ، والكفر ، وكلها أوصاف شرعية وردت في الكتاب العزيز ، و لاشك أن تداولها يؤدي إلى التنفير من النفاق والمنافقين وبذلك تتم الوقاية من أن ينحرف بعض السفهاء فيغتروا بأفكار المنافقين وأفعالهم . قال تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴾^(١) . وقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾^(٢) . وقال سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾^(٣) . وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾^(٤) . فكل هذه الآيات تنفر من المنافقين ، وتصنفهم بخصلة مردولة بين البشر ألا وهي الكذب . وقال تعالى :

﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴾^(٥) . وقال تعالى مبيناً سفههم ، وضعف عقولهم ، وقلة فقههم وعلمهم وإدراكهم لحقائق الأمور : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾^(٦) . ويأتي الذم لهم كذلك بأخوتهم اليهود ، ومحبتهم لهم ، لينفر المؤمنين من سبيل يوالي أهله أراذل خلق الله ، من أحفاد القردة ، والخنازير ،

١ - سورة المنافقون ، الآية : ١ .

٢ - سورة المجادلة ، الآية : ١٤ .

٣ - سورة التوبة ، الآية : ١٠٧ .

٤ - سورة المجادلة ، الآية : ١٨ .

٥ - سورة التوبة ، الآية : ٦٧ .

٦ - سورة البقرة ، الآية : ١٣ .



إذ يقول سبحانه في شأن المنافقين مع يهود بني قريظة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ ^(١). وأخيراً فقد وصفهم الله بالكفر به وبرسوله ، وحسبك بهذا منفراً ومبغضاً لهم عند كل من له حظ من إيمان بالله واليوم الآخر ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٢).

٢) التذكير بشدة عقوبتهم وعظيم عذابهم :

المداومة على التذكير بالعقوبات الأخروية التي تقع على المنافقين تنفع المؤمن ، وتجعل بينه وبين النفاق حاجزاً قوياً ، لا يتجاوزه حتى في أشد حالات ضعفه وغفلته وارتكابه للمعاصي والآثام . ولذا فقد جاء القرآن الكريم ببيان ما أعده الله للمنافقين من العذاب الأليم ، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ ^(٣). وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ ^(٤). وقال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكَفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴾ ^(٥). وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ ^(٦).

٣) إعداد القوة المادية المحسوسة لإرهاب المنافقين ، وردع من في قلبه مرض :

" المنافقون لا يعترفون إلا بمنطق القوة المادية ، و لا شيء يقي المجتمع من شرورهم في أية لحظة والتنكيل بهم ، و لا يتأتى ذلك إلا باستمرار إعداد العدة المانعة ، والقوة العسكرية الدافعة ، من

١ - سورة الحشر، الآية : ١١ .

٢ - سورة التوبة ، جزء من الآية : ٥٤ .

٣ - سورة النساء، جزء من الآية : ١٤٠ .

٤ - سورة النساء، الآية : ١٤٥ .

٥ - سورة التوبة ، الآية : ٧٣ .

٦ - سورة النساء، الآية : ١٣٨ .



معدات قتالية متفوقة ، وجيوش كثيفة مدربة لإخافة الأعداء الظاهرين والمستترين ، قال تعالى :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ

مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(١). ومن هنا فإن الدولة المسلمة يجب عليها أن تسعى في تقوية

نفسها من أعدائها خارج حدودها وداخلها ، فإن لها من الأعداء داخل حدودها من ينتظر ضعفها لیسفر عن نفاقه وبغضه ، فكان ذلك الإعداد وسيلة وقائية بإذن الله في وجه المنافقين^(٢).

٤) تنقية وسائل التأثير في المجتمع كالجيش ، والإعلام ، والتعليم من المنافقين وأفكارهم:

" لما كان المنافقون رجساً وذنساً ، كما قال تعالى : ﴿فَاعْرِضْهُمْ عَنَّا إِنَّهُمْ رَجَسٌ﴾^(٣) لذا فإن من

الواجب على المسؤولين أن يطهر المجتمع وينقى من المنافقين ، لمنعهم من التأثير السيئ فيه . ويعظم

هذا الواجب ويتأكد عند تناول وسائل التأثير الكبيرة في المجتمع ، فحينئذ يجب تطهير هذه الوسائل

من المنافقين ، الذين يتسللون إليها ويعملون فيها ، كما يجب تطهيرها من أفكار المنافقين التي قد

تدخل إلى هذه الأجهزة ، عبر المناهج المقررة ، أو القواعد والقرارات المكتوبة ، أو نحو ذلك ، لا

سيما وأنا قد عرفنا أن من أهداف المنافقين السيطرة على هذه الوسائل ، ليمكنوا من التحكم في

أجيال المجتمع ؛ تعليماً ، وإعلاماً ، ثم إنهم يتوجون ذلك ويحتمونه بمحاولة السيطرة على وسائل

القوة العسكرية المسلمة ، ليحموا بها فكرهم وذواتهم . لقد أمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم -

بمنع مشاركة المنافقين في الجيش المسلم وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ

فَأَسْتَعِذْهُم بِاللَّخْرِجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ

فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَلْفِينَ﴾^(٤)

ولم يرد أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولي منافقاً على أمر من أمور المسلمين ، ولو كان

١ - سورة الأنفال ، جزء من الآية : ٦٠ .

٢ - الشدي ، مصدر سابق ص ٣٧٠ ، ٣٦٩ .

٣ - سورة التوبة ، جزء من الآية : ٩٥ .

٤ - سورة التوبة ، الآية : ٨٣ .



صغيراً ، مع كون بعضهم ذوي كفاءة وقوة وجلد ، ولا شك أن حماية الدين مقصد عظيم من مقاصد الشريعة فإذا تقرر أن المنافقين يسعون إلى هدم الدين ، فإنه يجرم حينئذ تمكينهم من الوسائل المعينة على تحقيق هدفهم" (١) .

٥) عدم تعيين من ظهرت عليه علامات النفاق في المناصب المؤثرة :

إن توفر الكفاءة شرط أساسي ؛ يجب مراعاته عند تولية منصب مؤثر لأي أحد من الناس ، ومن ظهرت عليه علامات النفاق فإنه ليس بكفءٍ لإسناد العمل إليه ، وإن كان متصفاً بأعلى درجات الخبرة الفنية أو الشهادات الدراسية ، ذلك أن الرجل لا يُعتبر كفواً إلا بتوفر أمرين : الأمانة ، والقوة ؛ قال تعالى : ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٦٦) وقال تعالى : ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا﴾ (٥٥) (٣) . ومن البديهي أن المنافق لا يُمكن وصفه بالأمانة والحفظ ، لحياتته لله تعالى ومخادعته له ، ولكذبه ومراوغته للمؤمنين في أمر الإيمان ، و لانعدام الوازع الديني والرادع الأخلاقي لديه ، وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن من علامات المنافق أنه : "إذا أؤتمن خان" (٤) وينسحب مفهوم الأمانة على بقية الوظائف المؤثرة والمناصب الحساسة ، فإن صاحبها مستأمن عليها ؛ بما فيها من الأسرار والأخطار والآثار .

٦-مراقبة تصرفات من يُظن فيه النفاق ، والشك فيه ، والحذر منه :

"الأصل الشرعي أنه لا يجوز تتبع المسلمين ، وتسقط زلاتهم ، ومراقبة أفعالهم ، و لا الشك فيهم ، وتخونهم مع كونهم أمناء ، لكن أهل النفاق قد أخرجوا أنفسهم - في الحقيقة - من أهل الإسلام ، وبدرت منهم تصرفات تدل على خيانتهم وإضرارهم للمسلمين ولدينهم . فمن هنا كان الحذر منهم واجباً شرعياً بنص قول الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم -

١ - الشدي ، مصدر سابق بتصريف ص _____ ٤٧٢ .

٢ - سورة القصص ، جزء من الآية : ٢٦ .

٣ - سورة يوسف ، الآية : ٥٥ .

٤ - أخرجه البخاري ، في كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، حديث رقم (٣٣) .



:

﴿ هُمْ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرْتُمْ ﴾^(١) ، وإذا تقرر أنهم هم العدو ، فإن مراقبة تصرفاتهم واقتراحاتهم وأفعالهم ، وحملهم على المحمل السيئ اللائق بنفاقهم ومراوغتهم ، يُعد ترجمة عملية للأمر بأخذ الحيطة والحذر منهم ، واعتبارهم العدو الحقيقي للإسلام والمسلمين^(٢) .

أما القسم الثاني : وسائل علاجية :

ويغلب عليها جانب التعامل مع الحالات النفاقية القائمة ، والشخصيات المنافقية المتزعمة لهذه الطائفة ، واتخاذ التدابير اللازمة للزجر والردع والمعاقبة لأشخاص المنافقين وذواتهم ، وليس فكرهم ومنهجهم فقط ، بل إن الأمر ليصل إلى الغوص في أعماقهم واستثارة مكامن الخير التي قد تكون باقية لديهم ، ومخاطبة مشاعرهم وإحساسهم ، ومع ذلك فإن هذه الوسائل تعالج أفعالهم ، وتحدد عقوباتهم ، وطريقة التعامل مع أفرادهم بما ينسجم وعقلياتهم ، وطريقة فهمهم للأمور ، وخضوعهم الدائم لمنطق القوة المادية المسيطرة .

ورغم أن هناك تداخلاً بين الوسائل الوقائية والعلاجية ؛ بمعنى أن الوسائل العلاجية في نهاية المطاف تؤدي عند تطبيقها إلى وقاية المجتمع من شرور المنافقين ، وتنفر أفرادهم من سلوك سيئهم ، كما أن الوسائل الوقائية تُعالج في جزء منها بعض الحالات النفاقية التي تحتاج إلى مواجهتها ، بل إن الوسيلة الواحدة قد تصلح لأن تكون وقائية وعلاجية في آن واحد وهذه

بعض الوسائل العلاجية ومنها :

(١) وعظهم وتذكيرهم ، وتخويفهم بالله ، وبما أعد للمنافقين من العذاب الأليم :
المنافق وإن كان بعيداً عن الهداية والنور - لأنه يعرف الحق ويتظاهر به ثم يكفر به في باطنه -
إلا أن المنهج الشرعي يقتضي عدم إغفال وسيلة الوعظ والتذكير، ومخاطبة القلب وتخويفه من الله تعالى الذي يعلم السر وأخفى ، والذي سيجمع الخلائق في يوم عظيم لا يجتاز عقبته إلا

١ - سورة المنافقون ، الآية : ٤ .

٢ - الشدي ، مصدر سابق ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ .



أهل الصدق والإيمان والقلوب السليمة ، أما أهل الزيغ والنفاق فإن مصيرهم الدرك الأسفل ، من النار ، حيث العذاب المستعر والجحيم المستمر .

إن خطاب المنافقين بهذه الطريقة يكون أبلغ في إقامة الحجة عليهم أولاً ، واستصلاح كل من بقى فيه -منهم- ذرة من إيمان وصدقاً ثانياً ، ويشعرهم بان مجتمعهم يرجو لهم الخير إن سلكوا دربه واستقاموا عليه ، و لا يريد لهم الهوان العاجل والآجل ، بل يصلح إلى علاجهم وشفائهم من مرضهم القاتل . ومن الواضح أن المنافقين إنما دخل عليهم النقص من مرض قلوبهم

﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾^(١) . و لاشيء يشفي أمراض القلوب ويصلحها مثل

الوعظ بالقرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) . لكن شفاء قلوب المنافقين عن طريق وعظهم بالقرآن وتأثيره مرتبط بحياة القلب أو موته ، فإن كان في القلب حياة مع المرض فإن القرآن فيه الشفاء بإذن الله لما في الصدور ، أما إن كان القلب ميتاً خاوياً فإن القرآن لا يزيده إلا ألماً وحسرة ،

قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾^(٣)

﴿ وَقَالَ سُبْحَانَهُ : ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ

وَقَرُّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ﴾^(٤) .

(٢) البراءة منهم وهجرهم ، ومقاطعة مجالسهم ، وعدم موالاةهم ومحبتهم :

١ - سورة البقرة ، الآية : ١٠ .

٢ - سورة يونس ، الآية : ٥٧ .

٣ - سورة الإسراء ، الآية : ٨٢ .

٤ - سورة فصلت ، جزء من الآية : ٤٤ .



قال تعالى : ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئْتَيْنِ ۗ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿١﴾. والشاهد أن هذه الآية صريحة في النهي عن اتخاذ المنافقين أولياء ، بما في ذلك من المحبة والنصرة والطاعة ، فكل ذلك لا يجوز أن يبذله المسلم للمنافق وتمتد البراءة من المنافقين والمفاضلة لتشمل مهاجرتهم ومقاطعتهم - حتى مجالسهم - لأنهم شيء آخر غير المسلمين ، وإن كانوا يعيشون بينهم ، قال تعالى مذكراً المؤمنين: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ﴿٢﴾. وهكذا فإن الخطاب للمؤمنين في هذه الآية ينهاهم عن مجالسة كل من يخوض في آيات الله ، ويسخر ويستهزئ بالإسلام وأهله منافقاً كان أو كافراً ، والسبب في ذلك هذه المجالسة نوعاً من الولاء ، والمؤمن مطالب بإظهار البراءة من المنافقين ثم إن فيها تأنيساً لهم ومشاركة وإشعاراً لهم بالرضا عن صنيعهم . ويثمر أسلوب المقاطعة غالباً في معالجة قضية المنافقين بحصرهم في دائرة أصحابهم من أهل النفاق والكفر ، وعدم نفاذ تأثيرهم إلى المسلمين ، ومعاقتهم بالمحجر والمقاطعة التي يشعرون من خلالها أنهم جسم غريب في المجتمع المسلم .

(٣) حرمانهم من قبول مشاركتهم مع المسلمين في الجهاد والأعمال التي ظاهرها الخير بعد أن يُعلم بنفاقهم :

قال تعالى : ﴿ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَعْدُّوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴿٣﴾. فمنع الله - عز

١ - سورة النساء ، الآيتان : ٨٨ ، ٨٩ .

٢ - سورة النساء ، الآية : ١٤٠ .

٣ - سورة التوبة ، الآية : ٨٣ .



وجل - نبيه - صلى الله عليه وسلم - من قبول المنافقين في الجيش المجاهد في سبيل الله ، كوسيلة شرعية يواجه بها النفاق وأهله الذين يندسون في الصفوف حين يجلو لهم ذلك ، ويتخاذلون حين تحمر الحدق ويشتد البأس ، فيخذلون في الناس ، ولذا قال تعالى :

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ

الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ^(١) . وهكذا فقد بين الله سبحانه ما يترتب

على خروجهم في صف واحد مع المسلمين من المفاصد العظيمة ، من إثارة للخوف والوهن ، وتحريك الفتنة بين المسلمين ، مع وجود من يستمع إليهم من المسلمين والفرار حين اللقاء ، فلذلك جاء الأمر بالمنع من مشاركتهم في الجهاد ، وحرمانهم مما فيه من الخير العميم والأجر الكريم في الدنيا والآخرة . إن الفهم الخاطئ لمعنى الجهاد هو الذي دفع المنافقين إلى اتهام

المؤمنين لحسد لهم ، ورغبتهم في الاستئثار بالغانم دونهم كما في قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ

الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُونًا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُل

لَنْ نَتَّبِعُونَكَ كَذَلِكَمْ قَالَك اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

﴿ ^(٢) . ومع ذلك فقد بقي هذا الحكم الرباني وسيلة شرعية في مواجهة النفاق وأهله ، وعلاجاً

مركزاً لحال المنافقين الذين يعلم المؤمنون أنهم ليسوا بأهلٍ لشرف المشاركة في الجهاد في سبيل

الله ، الجهاد الذي ترخص فيه المهج والأرواح لغاية سامية لا يملكها المنافقون ، ولا يدافعون

عنها . وهكذا حين حاول المنافقون إقناع النبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين بإتاحة

الفرصة لهم لبناء مسجد يجتمع فيه المسلمون فإظهر الله خبث سرائرهم وبين حقيقة فعلهم

فقال: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ

١ - سورة التوبة ، الآيتان : ٤٧ ، ٤٨ .

٢ - سورة الفتح ، الآية : ١٥ .



اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ ﴿١﴾. وبعد أن كذبهم في دعواهم وبين حقيقة مقصدهم جاء النهي عن مشاركتهم في عملهم ولو كان ظاهره الخير فقال سبحانه: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدَ أُسَسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴿٢﴾.

٤) عدم الرضا عنهم ، أو قبول اعتذار من ثبت كذبه منهم :

الرضا عمل قلبي تتبعه آثار على الجوارح ، وتصرفات ظاهرة أثناء التعامل ، من بشاشة في الوجه ، ولين في الحديث ومسامحة عن الأخطاء ، وقبول للطلبات ، ونحو ذلك من علامات الرضا ، وكل ذلك لا يجوز أن يقوم به المسلم في حق المنافق ، فإن المنافق قد أسخط الله واستحق عقابه فكيف نرضى عنه؟! قال تعالى: ﴿يَجْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿١٦﴾ ﴿٣﴾. بل أمر الله نبيه أن يخبرهم أنه لا يصدقهم في أعدارهم الكاذبة فقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بَأْتَهُمْ كَانُوا مَجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴿٤﴾. فقبول اعتذار أهل النفاق الذين ثبت كذبهم مرفوض مهما كان السبب لأن الله قد أرشدنا إلى الوسيلة الشرعية التي نتعامل بها مع من ثبت كذبه منهم، بأن لا نقبل اعتذاره ، بل نخبره بتكدينا إياه ، وبأن عمله مفضوح ، وأن المسلمين قد وضعوه تحت المجر ، فلا بد أن يستقيم على الدرب أمامهم ، فيؤدي ذلك إلى كف الكثير من شروره، وردع الآخرين من المنافقين عن إظهار عمل يؤدي

١ - سورة التوبة ، جزء من الآية : ١٠٧.

٢ - سورة التوبة ، الآية : ١٠٨.

٣ - سورة التوبة ، الآية : ٩٦.

٤ - سورة التوبة ، الآيتان : ٦٥ ، ٦٦.



بهم إلى عدم قبول اعتذارهم عنه . ولربما أدى هذا المسلك الشرعي مع المنافق إلى جعله يُفكر في حقيقة وصفه وحاله الذي جعل المسلمين لا يرضون عنه فيرجع إلى الحق ويُقلع عن الغي وذلك خير أو يرحل عن مجتمع المسلمين ويلحق بغيرهم وذلك خير أيضاً .

٥) جهادهم وإظهار الغلظة عليهم :

قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴾ (٧٣) ^(١) . وتكرر نزول هذه الآية مرة أخرى في سورة التحريم . والجهاد يكون بالرمح والسنان ، كما يكون بالحجة والبيان ، ويكون كذلك بالعمل في الميدان ، وبالتالي فإن مجاهدة المنافقين في هذه الآية تعني مواجهتهم والتصدي لهم في كل ميدان يدخلونه ، مواجهتهم في ميدان الاقتصاد ، والسياسة والقتال ، والفكر ، والأدب ، والشعر ، والصحافة والتعليم ، والإعلام وكل مجال يظهرون فيه يجب على المسلمين أن يجاهدوهم فيه ، ويبدلوا غاية طاقتهم في التغلب عليهم ودحرهم ، لأنهم الأعداء الحقيقيون الذين تجب مواجهتهم وجهادهم ، بل وتجب الغلظة عليهم والشدة التي يستحقونها من المؤمنين جزاء لهم على عداوتهم للإسلام وأهله . ومقتضى الآية يدل على وجوب جهاد المنافقين كما يُجاهد الكفار؛ لعطف المنافقين على الكفار دون التفصيل في نوع الجهاد المطلوب للمنافقين ، فإخراج معنى الجهاد إلى معنى أقل من القتال الذي هو المطلوب مع الكفار يحتاج إلى دليل يسنده ويعضده . وأصحاب القول بأن جهاد المنافقين يكون تارة بالغلظة عليهم وترك الرفق معهم وتارة حجة بإقامة الحجة عليهم يستدلون بأن المنافقين لا يُظهرون الكفر أمام المسلمين فكيف يُمكن قتالهم مع إعلانهم الإسلام؟ والجواب على ذلك أننا إنما وصفناهم بالمنافقين لفعل واضح وعلامات بينة ظهرت منهم فاستحقوا وصفهم بالمنافقين ، وهذه العلامات يخرج بها صاحبها عن حظيرة الإيمان ، ويدخل إلى زمرة الكافرين المعاندين ؛ فمن ظهر منه ذلك منهم فإنه حينئذ تجب مجاهدته ومقاتلته

١ - سورة التوبة ، الآية : ٧٣ .



باعتباره مرتداً عما كان يُعلن من الإسلام ، وأما من لم يظهر عليه علامة بينة تدلُّ على نفاقه فإننا لا نستطيع أن نصفه بالنفاق أو نجزم بأنه من المنافقين ، وبالتالي فلا يجوز قتاله وقتله ، بل نبقى على حذر منه واختبار له ، لوجود الظن السيئ فيه ، والشك في كونه منافقاً^(١).

٦) تهديدهم بفضح خباياهم أمام المسلمين ، وبنفيهم وقتلهم :

قد يتسنى لبعض الخاصة من المسلمين الاطلاع على شيء من خبايا المنافقين ومخططاتهم ، ثم تترجح لديه المصلحة في عدم معاقبتهم على فعلهم - مع قدرته عليهم - لعدم الثبوت القطعي لما نسب إليهم ، أو لسبب قوي آخر ، فحينئذ فإن المنافق يجب أن لا يشعر بالأمان والستر على أفعاله القبيحة بل ينبغي أن يُهدد بأنه في حالة استمراره على هذا الطريق فإننا سنفضح خباياه ونجلي أستاره أمام المسلمين جهاراً نهاراً ، وهذا التهديد سيقع على المنافق موقِعاً صعباً ؛ لخوفه الشديد من افتضاح أمره ، وجبنه الأكيد الذي دفعه للتستر بالنفاق . وفي حالة استمرارهم على نفاقهم وتآمرهم فيمكن أن تتطور هذه الوسيلة الشرعية لتشمل تهديدهم بالعقوبات الرادعة من نفي وتغريب وتشريد عن البلد ، أو حبس طويل الأمد ، ويمكن أن يصل المسلمون معهم إلى التهديد بقتلهم وإزهاق أرواحهم ؛ عقاباً لهم على ردتهم ونفاقهم وزندقتهم ، وتعزيزاً لأهل النفاق المتربصين بالمسلمين الدوائر . وأما الدليل على مشروعية التهديد للمنافقين بالفضح ، والنفي والقتل فقال تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا وَإِنَّ اللَّهَ لَمُخْرِجٌ مِمَّا تَحْذَرُونَ ﴾^(٢). وقال سبحانه ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْأُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٣) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقَتِّلُوا قَتْلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

١ - ولزيد من التفصيل في هذه القضية يراجع التفسير الكبير للرازي (١٣٤ / ١٦) وتفسير ابن كثير (١٥٦ / ٢) ،
وأحكام القرآن ، لأبن العربي (٩٧٨ / ٢)
٢ - سورة التوبة ، الآية : ٦٤



قَبْلَ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾^(١). وحين يُواجه المنافقون - وهم أهل الجبن والخور - بهذا الأسلوب الشديد الغليظ ، المشتمل على التهديد والوعيد لهم بما يستحقونه ، ويرون مظاهر البراءة منهم وبغضهم في المجتمع المسلم القوي القادر على تنفيذ تهديده ؛ فإنهم سيخسرون ويدلون ويضطفون رؤوسهم ، ولن يجرؤوا على الكيد المفضوح والتآمر الواضح وبهذا تؤدي هذه الوسيلة الشرعية غرضها وغايتها ، وتعالج أمر هذه الفئة المنحرفة بأسلوب القوة التي تخدم الحق وتسندده لتكون المواجهة للنفق لمواجهة شرعية جهادية تفضح خبايا المنافقين إن تمادوا في غيهم وتهددهم وتخوفهم إن استمروا على أحقادهم قال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْنَاهُمْ بِسِمَتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾^(٢).

٨- عدم الاستغفار لهم والترحم عليهم أو الصلاة على ميتهم :

كما قال تعالى : ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿٨٠﴾^(٣). وقال سبحانه:

﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ﴿٦﴾^(٤). فنهى الله نبيه عن الاستغفار للمنافقين لأن المغفرة لا تحل عليهم بسبب كفرهم الباطن ، وكرهم للدين وأهله ؛ فإن الاستغفار وطلب الرحمة إنما يكون للمؤمن - ولو بلغ ما بلغ من المعصية التي لا تخرجه من الإسلام - أما المنافق فإنه ليس من أهل الإيمان والإسلام حتى يجوز الاستغفار له ، بل إنه يلتحق حكماً في موضوع الاستغفار بالمشركين حيث يقول تعالى :

١ - سورة الأحزاب ، الآيات : ٦٠ - ٦٢.

٢ - سورة محمد ، الآيات : ٢٩ ، ٣٠.

٣ - سورة التوبة ، الآية : ٨٠.

٤ - سورة المنافقون ، الآية : ٦.



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



﴿ مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ

لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾ (١١٣) ^(١). ولا شك أن هذه الوسيلة في التعامل معهم تعد عقوبة معجلة

لهم ، فإنهم يجرمون من دعاء المؤمنين وترحمهم واستغفارهم فلا يفوزون بذلك كما يفوز به

أصحاب المعاصي من المؤمنين فضلاً عن سواهم من المحسنين بل إن الله تعالى ينهى نبيه - صلى الله

عليه وسلم - حتى عن الصلاة على من مات منهم ، والسير في جنازته ، والقيام على قبره قال

تعالى:

﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَىٰ أَبَدًا وَلَا نَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ

﴾ (٨٤) ^(٢).

١ - سورة التوبة، الآية: ١١٣.

٢ - سورة التوبة، الآية: ٨٤.



الباب الأول

الفصل الثاني

القيم التربوية والإيمانية المضروبة للكفار

المبحث الأول : تعريف الكفر لغةً واصطلاحاً:

المطلب الأول : الكفر لغةً : قال "الزبيدي" - رحمه الله - : " الكفر ، بالضمّ : ضدُّ الإيمان ، ويُفْتَحُ ، وأصل الكُفْر من الكَفْرِ بالفتح مَصْدَرٌ كَفَرَ بِمَعْنَى السَّتَرِ ، (كالكُفُور والكُفْرَانِ ، بضمهما) ، ويُقال : (كَفَرَ نِعْمَةَ اللَّهِ يَكْفُرُهَا) ، من باب نَصَرَ " (١).

وقال "الزبيدي" - رحمه الله - أيضاً : قال بعض أهل العلم : " الكفر على أربعة أنحاء : كُفْرُ إنكار ، بأن لا يعرف الله أصلاً ، و لا يعترف به ، وكُفْرُ جُحُود ، وكُفْرُ مُعَانَدَةِ ؛ وكُفْرُ نِفَاق ، مَنْ لَقِيَ رَبَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ " (٢).

وقال ابن منظور " - رحمه الله - : "وَكُلُّ مَنْ سَتَرَ شَيْئاً ، فَقَدْ كَفَرَهُ . وَالكَافِرُ : الزَّرَّاعُ لِسِتْرِهِ البَدْرَ بالتُّرَابِ وَالكَفَّارُ : الزَّرَّاعُ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ لِلزَّرَّاعِ : كَافِرٌ لِأَنَّهُ يَكْفُرُ البَدْرَ المَبْدُورَ بِتُّرَابِ الأَرْضِ المِثَارَةَ إِذَا أَمَرَ عَلَيْهَا مَا لَقَهُ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ بُنَائِهِ ﴾ (٣) أَي : أَعْجَبَ الزَّرَّاعُ بُنَائِهِ ، وَإِذَا أَعْجَبَ الزَّرَّاعُ بُنَائَهُ مَعُ عِلْمِهِمْ بِهِ فَهُوَ غَايَةٌ مَا يُسْتَحْسَنُ ، وَالغَيْثُ المَطَرُ هَا هُنَا ؛ وَقَدْ قِيلَ : الكُفَّارُ فِي هَذِهِ الآيَةِ الكُفَّارُ بِاللَّهِ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْجَاباً بِزِينَةِ الدُّنْيَا وَحَرِثَهَا مِنَ المُؤْمِنِينَ " (٤).

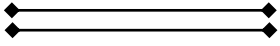
وقد جاء إطلاق الكفر في اللغة على عدة تسميات ، كلها ترجع إلى هذا المعنى . فأطلق على "

١ - الزبيدي ، مصدر سابق (١٤ / ٥٠) .

٢ - الزبيدي ، مصدر سابق (١٤ / ٥١) .

٣ - سورة الحديد : جزء من آية : ٢٠ .

٤ - ابن منظور ، مصدر سابق ، (٥ / ٣٨٩٩) .



التراب" ، لأنه يستر ما تحته ، وعلى (القير والزفت) الذي تطلّى به السفن لسواده وتغطيته"^(١) .
قال ابن منظور " - رحمه الله - والكفرُ ، بالفتح : التَّغْيِيبُ . وَكَفَرْتُ الشَّيْءَ أَكْفَرُهُ ، بالكسرِ ،
أي سترته والكافرُ : اللَّيْلُ ، وفي الصحاح : اللَّيْلُ الْمُظْلَمُ ، لِأَنَّهُ يُسْتَرُّ بِظِلْمَتِهِ كُلَّ شَيْءٍ وَكَفَرَ
اللَّيْلُ الشَّيْءَ وَكَفَرَ عَلَيْهِ : غَطَّاهُ"^(٢) .

المطلب الثاني : الكفر اصطلاحاً : وقد جاء تعريفه في كلام العلماء بعدة ألفاظ فقال "الراغب الأصفهاني" : "الكافر على الإطلاق متعارف فيمن يجحد الوحدانية ، أو النبوة ، أو الشريعة ، أو ثلاثيتها"^(٣) ، وقال "ابن القيم" - رحمه الله - الكفر جحد ما علم أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - جاء به سواء كان المسائل التي يسمونها علمية أو عملية ، فمن جحد ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعد معرفته بأنه جاء به كافر في دق الدين وجله"^(٤) .
وقال السعدي - رحمه الله - " حد الكفر الجامع لجميع أجناسه وأنواعه وأفراده هو : جحد ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - أو جحد بعضه"^(٥) ، وقال "القرافي" - رحمه الله - :
"أصل الكفر إنما هو : انتهاك خاص لحرمة الربوبية، إما بالجهل بوجود الصانع أو صفاته العلا، ويكون الكفر بالفعل كرمي المصحف في القاذورات أو السجود للصنم، أو التردد للكنائس في أعيادهم بزي النصرى، ومباشرة أحوالهم، أو جحد ما علم من الدين بالضرورة"^(٦) .
وقال "ابن حزم" - رحمه الله - : "في تعريف الكفر في الشريعة : جحد الربوبية وجحد نبوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن ، أو جحد شيء مما أتى به رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

١ - ابن منظور ، مصدر سابق ، (٥ / ٣٩٠٠) .

٢ - ابن منظور ، مصدر سابق (٥ / ٣٨٩٩) .

٣ - الراغب ، أبو القاسم الحسين محمد ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ،

ص ٤٣٤ .

٤ - مختصر الصواعق ص ٦٢٠ .

٥ - الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص ٢٠٣ ، ٢٠٤ (تراجع) .

٦ - الفروق للقرافي (٤ / ١٢٧٧) .



، مما صح عند جاحده بنقل الكافة ، أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر^(١). ونقل "الأزهري" عن "الليث" في تعريفه، أنه : نقض الإيمان وبه قال "ابن فارس" وهذه التعريفات وإن اختلفت في ألفاظها ، فهي متقاربة في المعنى ، ومدارها على معنيين : إما تعريف الكفر باعتبار مضادته للإيمان ، كما في تعريف "الليث" "والكوفي" ، وإما تعريف الكفر بجحد ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - ، كما في بقية التعريفات كما يلاحظ على التعريفات أنها قد عرفت الكفر ، وحددت مفهومه في الشرع بما يقتضي حصره في الكفر الأكبر ، وهذا هو حقيقة الكفر في الشرع عند الإطلاق ، وإن كان يطلق مقيداً على الكفر الأصغر^(٢) .

المطلب الثالث : العلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للكفر :

المعنى الشرعي للكفر مستقى من المعنى اللغوي للفظ الكفر ، كما دلت على ذلك أقوال العلماء. قال "الليث": " إنما سمي الكافر كافراً لأن الكفر غطى قلبه"^(٣) . وقال "الأزهري": " ومعنى قول الليث قيل له كافر لأن الكفر غطى قلبه ، يحتاج إلى بيان يدل عليه ، وإيضاحه أن الكفر في اللغة معناه التغطية ، والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره كما يقال لابس السلاح : كافر ، وهو الذي غطاه السلاح"^(٤) . ثم قال أيضاً: وفيه قول آخر أحسن مما ذهب إليه الليث ، وذلك أن الكافر لما دعاه الله جلَّ وعلا إلى توحيده ، فقد دعاه إلى نعمة ينعم بها عليه إذا قبلها ، فلما ردَّ ما دعاه إليه من توحيده كان كافراً نعمة الله أي مغطياً لها بإبائه"^(٥) .

فظهر بهذا ارتباط المعنى الشرعي للكفر بالمعنى اللغوي ، وأن المعنى الشرعي مستمد من المعنى اللغوي ، وإن اختلفت أقوال العلماء في وجه الترابط بينهما بعد اتفاقهم أن معنى الستر والتغطية

١ - الفصل في الملل (٣ / ٢٥٣) .

٢ - استفدت هذه التعريفات من كتاب التكفير وضوابطه للشيخ إبراهيم الرحيلي (الرحيلي ، إبراهيم بن عامر ، التكفير وضوابطه ، دار الأمام أحمد ، ص ٥٦ ، ٥٧ .

٣ - الأزهري : أبو منصور محمد بن احمد ، تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، (١٠ / ١٩٦) .

٤ - الأزهري ، مصدر سابق (١٠ / ١٩٧ ، ١٩٦) .

٥ - ابن منظور ، مصدر سابق (٥ / ٣٨٩٩) .



كامن في المعنى الشرعي والله أعلم .

المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا

دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (١٧١) . وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله وما بعده وأثر المناسبة والعبارة منه :

مناسبة المثل لما قبله : قال " الهرري " - رحمه الله - : " مناسبة هذه الآية لما قبلها : أنه سبحانه وتعالى لما ذكر أن هؤلاء الكفار إذا أمروا بإتباع ما أنزل الله ... أعرضوا عن ذلك ، ورجعوا إلى ما ألقوه من إتباع الباطل الذي نشئوا عليه ، ووجدوا عليه آباءهم ، ولم يتدبروا ما يقال لهم ، وصموا عن سماع الحق ، وخرسوا عن النطق به ، وعموا عن أبصار النور الساطع النبوي ... ذكر هذا التشبيه العجيب في هذه الآية منبهاً على حالة الكافر في تقليده آباه ، ومحقراً نفسه إذ صار هو في رتبة البهيمة ، أو في رتبة داعيها على الخلاف المذكور في هذا التشبيه " (٢) .

أثر المناسبة : قال " البقاعي " : " أن هذا المثل يزيد السامع معرفة بأحوال الكفار ، ويُحَقِّرُ إلى الكافر نفسه إذا سمع ذلك ، فيكون كسراً لقلبه وتضييقاً لصدره ، حيث صيره هذا المثل كالبهيمية ، فيكون في منتهى الزجر والردع عن سلوك طريق التقليد الأعمى ، الذي لم يجن سالكوه إلا الويلات المتتابعات والمتتبع لأحوال الأمم السالفة يجد أن ضلالتهم كانوا يتذرعون بأفعال آبائهم ، ويعتقدون أنهم أهدي سبيلاً من الأنبياء والرسل ، فكانت عاقبة أمرهم الهلاك والخسران المبين " (٣) .

مناسبة المثل لما بعده : قال " أبو حيان " - رحمه الله - : " أنه لما بين التوحيد ودلائله و ما للتائبين والعاصين أتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر والمؤمن ليدل أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام . وقال " المروزي " : لما حذر المؤمنين من حال من يصير عمله عليه حسرة أمرهم يأكل الحلال لأن مدار

١ - سورة البقرة : الآية : ١٧١ .

٢ - الهرري ، مصدر سابق (١/ ٦٥٢) .

٣ - البقاعي ، نظم الدرر ، (١/ ٣١٩) .



الطاعة عليه" (١)

قال البقاعي :

" ولما كان في بيان هذه المحرمات الإشارة إلى عيب من استحلها من العرب ، وترك ما أمر به من الطيبات جهلاً وتقليداً ، تلاها بتكرار عيب الكائمين لما عندهم من الحق مما أنزل في كتابهم" (٢) .
أثر المناسبة : " من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هذا الكلام فيه تهمة للتخلص إلى ابتداء شرائع الإسلام ، وإبطال لما شرعه أهل الكتاب في دينهم ، فيكون التخلص مُلوّناً بلوني الغرض السابق ، والغرض اللاحق" (٣) .

العبرة من المثل : "وعند دراسة العبرة من هذا المثل ، لا بد من تدبر وتأمل بشاعة الصورة الحسية التي رسمها السياق لهؤلاء المعرضين عن الحق بل المتعامين عن الحقيقة ، بل ما أشد بشاعة أولئك القوم الذين هم في صورة البشر ، ثم تكون البهائم مثلاً لهم يُضرب من عند خالقهم - سبحانه وتعالى - في كتاب عزيز مطهر لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، يقرأه من الناس أو يسمعه من يسمعه ترى هل هناك رادع أقوى من هذه الصورة الحسية البشعة لأمثال هؤلاء؟! وكيف يقبل إنسان سويٌّ وهب نعمة العقل والوجدان أن يهبط إلى هذا الدرك الذي أصبحت فيه البهائم أفضل منه؟! فهي تسمع و لا تعقل لأن ليس لها عقل و لا إدراك ... أما هو فيسمع ويتغاض عما يسمع حتى كأنه أصم ، ويرى و يتعاش حتى كأنه أعمى ثم منح نعمة النطق ولكنه خرس عن الحق ونأى بجانبه حتى كأنه لم يوهب ذلك اللسان و لا ذلك العقل الذي فضل به في الأصل على البهائم لقد كان في هذا المثل خير رادع لهؤلاء لو كانوا يسمعون حقاً أو لأمثالهم في كل زمان ومكان ولم لا والصورة واضحة وضوح الشمس بشعة تشمئز منها النفس وتأبأها

١ - أبوحيان ، مصدر سابق ، (١ / ٦٥٢) .

٢ - الأزهرى ، مصدر سابق (١٠ / ١٩٦ ، ١٩٧) .

٣ - مذكور ، أحمد بن محمد بن قاسم ، المناسبة وأثرها في تفسير التحرير والتنوير ، رسالة ماجستير عام ١٤٢٩



الطباع السليمة والعقول الراجحة" (١).

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم في ذلك :

قال "أبو جعفر الطبري" - رحمه الله - : " اختلف أهل التاويل في معنى ذلك : فقال بعضهم معنى ذلك : مثل الكافر في قلة فهمه عن الله ما يتلى عليه في كتابه وسوء قبوله لما يدعى إليه من توحيد الله ويوعظ به مثل البهيمة التي تسمع الصوت إذا نعق بها و لا تعقل ما يقال لها . ثم قال "الطبري": ومثل وعظ الذين كفروا وواعظهم ، كمثل نعق الناقع بغنمه ونعيقه بها . فأضيف (المثل) إلى الذين كفروا ، وترك ذكر (الوعظ والواعظ) ، لدلالة الكلام على ذلك ، كما يقال (إذا لقيت فلاناً فعظمه تعظيم السلطان) ، يراد به : كما تعظم السلطان ، وكما قال الشاعر :

فلست مسلماً ما دمت حياً على زيد بتسليم الأمير " (٢). (٣)

وقال "القرطبي" - رحمه الله - : " والمعنى ومثلك يا محمد ، ومثل الذين كفروا كمثل الناقع والمنعوق به من البهائم التي لا تفهم فحذف لدلالة المعنى وقال أيضاً : قال "قطرب" : المعنى مثل الذين كفروا في دعائهم ما لا يفهم يعني الأصنام كمثل الراعي إذا نعق بغنمه وهو لا يدري أين هي " (٤).

قال "الثعالبي" - رحمه الله - " المراد تشبيه واعظ الكافرين ، وداعيهم بالراعي الذي ينعق بالغنم أو الإبل ، فلا تسمع إلا دعاءه ، ونداءه ، و لا تفقه ما يقول ؟ هكذا فسر "ابن عباس" و"عكرمة" ، و " السدي" ، و"سيبويه" فذكر تعالى بعض هذا الجملة، وبعض هذه ، ودل المذكور على المحذوف ، وهذه نهاية الإيجاز والنعيق زجر الغنم ، والصياح بها " (٥).

قال الشيخ " أحمد شاكر " : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَأَيِّ ﴾ : فيما هم فيه من الغي والضلال

١ - رزق ، مصدر سابق ص ٦٩ .

٢ - الجاحظ ، البيان والتبيين ، (١ / ٥٨٢) باب تفضيل الشعر ومداراة البلغ ، الموسوعة الشاملة .

٣ - الطبري ، مصدر سابق ، (٣ / ٥١،٥٢) ، بتصرف

٤ - القرطبي ، مصدر سابق ، (٣ / ١٩ ، ٢٠) بتصرف .

٥ - القرطبي ، مصدر سابق ، (٣ / ١٩ ، ٢٠) بتصرف .



والجهل كالدواب السارحة التي لا تفقه ما يقال لها ، بل إذا نعق بها راعيها ، أي : دعاها إلى ما يرشدها لا تفقه ما يقول و لا تفهمه ، بل إنما تسمع صوته فقط هكذا روي عن " ابن عباس " " وأبو العالية " ، " ومجاهد " ، " وقتادة " ، وغيرهم نحو هذا . وقيل : إنما هذا مثل ضرب لهم في دعائهم الأصنام التي لا تسمع و لا تبصر ، و لا تعقل شيئاً ، اختاره " ابن جرير " والأول أولى ؛ لأن الأصنام لا تسمع شيئاً و لا تعقله و لا تبصره ، و لا بطش لها و لا حياة فيها .

وقوله : ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُمَى ﴾ أي : صم عن سماع الحق ، بكم لا يتفوهون به ، عمى عن رؤية طريقه ومسلكه ﴿ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ أي : لا يعقلون شيئاً و لا يفهمونه ، كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَايُنِنَا صُمٌّ وَبَكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلِّهُ وَمَن يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١)^(٢)

قال " السعدي " - رحمه الله - : " لما بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل ورددتهم لذلك بالتقليد علم من ذلك أنهم غير قابلين للحق و لا مستجيبين له ، بل كان معلوماً لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم ، أخبر تعالى أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها وليس لها علم بما يقول داعيها ومناديها ، فهم يسمعون مجرد الصوت الذي تقوم به عليهم الحجة ، ولكنهم لا يفقهونه فقهاً ينفعهم ، فلهذا كانوا صماً لا يسمعون الحق سماع فهم وقبول ، عمياً لا ينظرون نظراً اعتباراً ، بكماً فلا ينطقون بما فيه خير لهم ، والسبب الموجب لذلك كله أنه ليس لهم عقل صحيح بل هم أسفه السفهاء وأجهل الجهلاء . فهل يستريب العاقل أن من دُعي إلى الرشاد وزيد عن الفساد ، ونُهي عن اقتحام العذاب ، وأمر بما فيه صلاحه وفلاحه وفوزه ونعيمه ، فعصى الناصح ، وتولى عن أمر ربه ، واقتحم النار على بصيرة واتبع الباطل ونبذ الحق ، أن هذا ليس له مسكة من عقل ؟ وأنه لو اتصف بالمكر والخديعة والدهاء فإنه من أسفه السفهاء"^(٣).

١ - سورة الأنعام : آية : ٣٩ .

٢ - شاكر ، مصدر سابق (٢٠٧/١) .

٣ - السعدي ، مصدر سابق ، - ٧٩



وقال " ابن القيم " - رحمه الله - : " وسواء كان المعني (ومثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع من الدواب إلا أصواتاً مجردة) أو كان المعنى ، (ومثل الذين كفروا حين ينادون كمثل دواب الذمي ينعق بها فلا تسمع إلا صوت الدعاء والنداء) فالقولان متلازمان بل هما واحد وإن كان التقدير الثاني أقرب إلى اللفظ وأبلغ في المعنى فعلى التقديرين لم يحصل لهم من الدعوة إلا الصوت الحاصل للأنعام فهؤلاء لم يحصل لهم حقيقة الإنسانية التي يميز بها صاحبها عن سائر الحيوان " (١).

أقوال السلف في هذا المثل :

روى " الطبري " عن "عكرمة" في قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . قال : مثل البعير أو مثل الحمار تدعوه فيسمع الصوت و لا يفقه ما يقول . وروى أيضاً عن " ابن عباس " قال : هو مثل الشاة ونحو ذلك وعن ابن عباس أيضاً : كمثل البعير والحمار والشاة ونحو ذلك وعن " ابن عباس " أيضاً : كمثل البعير والحمار والشاة ، إن قلت لبعضها : كل . لا يعلم ما تقول غير أنه يسمع صوتك ، كذلك الكافر إن أمرته بخير أو نهته عن شر أو وعظته لم يعقل ما تقول ، غير أنه يسمع صوتك ، وروى عن "مجاهد" قال: مثل الكافر مثل البهيمة تسمع الصوت و لا تعقل .

وأما قوله تعالى : ﴿ صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ . روى "الطبري" عن "قتادة" قال: يقول : صم عن الحق فلا يسمعون و لا ينتفعون به و لا يعقلونه ، عُمي عن الحق والهدى فلا يبصرونه ، بكم عن الحق فلا ينطقون به . وروى عن "السدي" : يقول : عن الحق. وروى عن " ابن عباس " يقول : لا يسمعون الهدى و لا يبصرونه و لا يعقلونه " (٢).

١ - ابن القيم ، مصدر سابق ، الضوء المنير على التفسير (١ / ٣٠٦).

٢ - الطبري ، مصدر سابق ، (٣ / ٥٢، ٥١) بتصرف .



المطلب الثالث : نوع المثل والغرض الذي من أجله ضرب :

نوع المثل : هذا المثل جاء على هيئة التشبيه التمثيلي أو المركب الذي هو عبارة عن تشبيه صورة بصورة ، وعند إجراء التشبيه هنا نقول : شبهت حال داعي الكفار أثناء إعراضهم عنه ، وعدم سماعهم له ولنصححه بحال راعي البهائم أثناء صياحه بهما وندائه لها وهي لا تفقه من قوله إلا أصواتاً تتردد ونداء يتكرر. أما وجه الشبه فهو الهيئة الحاصلة من عدة أمور مجتمعة وهي صوت ينادي مع جماعة يقرع الصوت آذانها فلا تجيب أو لا تفقه ما يتردد في سمعها . وهكذا نلاحظ كيف جاءت الصورة جميلة معبرة بطريقة التشبيه التمثيلي وهي من غير شك أبلغ مما لو ذهبنا إلى الرأي القائل بتقسيم الصورة إلى أجزاء متعددة يقابل كل جزء منها نظيره في الأخرى .

إذ أننا في هذه الحالة نلمح التفكك كما تفقدها جمالها وجلالها المطلوب .

أما بالنظر إلى سياق الآية ، فنلاحظ البلاغة في نظم ألفاظ السياق وعباراته بما فيه من إيجاز جميل وألفاظ معبرة موحية .

الغرض الذي من أجله المثل :

وبعد دراسة هذا المثل وبيان أقوال أهل العلم نجد أن الغرض هو الغرض الثالث الذي تقدم ذكره وهو التنفير من الباطل وبيان قبحه والتحذير منه يقول "السبحاني" : أن الآية بصددهم وأهم لا يعتنقون الإيمان و لا يمثلون للأوامر الإلهية ونواهيها وعلى ذلك تصبح الآية نوع مدح لهم ، لأنهم لو كانوا كالبهائم السائمة يجيبون دعوة النبي كقبولها دعوة الراعي و يترجرون بزجره كانتهاها عن نهي الراعي ، فيكون ذلك كله خلاف المقصود^(١).

ويقول الدكتور " محمد بكر إسماعيل " : " وفي ذلك المثل توبيخ لهم ، وتهكم بهم ، إذ نزلهم فيه منزلة البهائم التي لا هم لها إلا أن تأكل وتشرب ، وترتع ، وتلعب ، وهي منقادة مسخرة ذليلة ،

١ - السبحاني ، جعفر ، مفاهيم القرآن ، مؤسسة الأمام الصادق ، (١٠٣ / ٩) .



صاغرة ، يسوقها راعيها إلى حيث يشاء مما يفعل و لا تهتدي بنفسها إلى سبيل ، وقد أعد الله هذه الصورة بما أكد به المثل الذي ضربه للمنافقين من قبل فقال جل شأنه ﴿ صُمْ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١).

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: قال "ابن القيم" - رحمه الله - : "تضمن هذا المثل ناعقاً ، أي : مصوتاً بالغنم وغيرها ، ومنعوقاً به وهو الدواب فقيل : الناعق : العابد ، وهو الداعي للصنم ، والصنم هو المنعوق به المدعو ، وإن حال الكافر في دعائه ، كحال من ينطق بما لا يسمعه ، هذا قول طائفة منهم عبد الرحمن بن زيد وغيره . واستشكل صاحب الكشاف وجماعة هذا القول ، وقالوا : قوله: ﴿ دُعَاءٌ وَنِدَاءٌ ﴾ لا يساعد عليه ؛ لأن الأصنام لا تسمع دعاء ونداء . وقد اجيب عن هذا الاستشكال بثلاثة أجوبة :

أحدها : أن "إلا" زائدة ، والمعنى بما لا يسمع دعاء ولا نداء ؛ قالوا :

وقد ذكر ذلك الأصمعي في قول الشاعر :

حَرَاجِيحُ مَا تَنْفَكُ إِلَّا مُنَاخَةً^(٢).

أي ما تنفك مُنَاخَةً ، وهذا جواب فاسد ، فإن "إلا" لا تزداد في الكلام .

الجواب الثاني : أن التشبيه وقع في مطلق الدعاء لا في خصوصيات المدعو .

الجواب الثالث : أن المعنى أن مثل هؤلاء في دعائهم آلهتهم التي لا تفقه دعاءهم كمثل الناعق بغنمه ، فلا ينتفع من نعيقه بشيء ، غير أنه هو في دعاء ونداء ، وكذلك المشرك ليس له من دعائه وعبادته إلا العناء^(٣).

١ - إسماعيل ، مصدر سابق ، الأمثال القرآنية ص ١٠١ .

٢ - البوسي ، الحسن ، زهر الأكم في الأمثال والحكم، (١/ ٢٧٢) ، باب ذهبوا أيادي سبأ ، الموسوعة الشاملة

٣ - ابن القيم ، مصدر سابق ، الضوء المنير (١/ ٣٠٥) .



ثانياً: قال " ابن القيم ": " ولك أن تجعل هذا من التشبيه المركب ، وأن تجعله من التشبيه المفرق ، فإن جعلته من المركب كان تشبيهاً للكفار في عدم فقههم وانتفاعهم بالغنم التي ينعم بها الراعي فلا تفقه من قوله شيئاً غير الصوت الجرد الذي هو الدعاء والنداء ، وإن جعلته من التشبيه المفرق فالذين كفروا بمثلة البهائم ، ودعاء داعيهم إلى الطريق والهدى بمثلة الذي ينعم بها ، ودعاؤهم إلى الهدى بمثلة النعق ، وإدراكهم مجرد الدعاء والنداء كإدراك البهائم مجرد صوت الناعق ، والله أعلم " (١).

ثالثاً: قال " الهرري ": " في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ فيه تشبيه مرسل لذكر الأداة فيه ، ومجمل لحذف وجه الشبه فيه ، فقد شبه الكفار بالبهائم التي تسمع صوت المنادي من غير أن تفقه كلامه وتفهم مراده " (٢).

رابعاً: قال " الهرري ": " صم بكم عمي ، فيه تشبيه بليغ حذف فيه أداة التشبيه ووجه الشبه ، أي : هم كالصم في عدم سماع الحق ، وكالبكم والعمى في عدم الانتفاع بالقرآن " (٣).

خامساً: قال " الهرري " : " والفرق بين الدعاء والنداء : أن الدعاء للقريب ، والنداء للبعيد ، والفرق بين الكافر والضال : أن الكافر يرى الحق ، ويعرض عنه ، ويصرف نفسه عن دلائله ، فهو كالبهائم يرضى بان يقوده غيره ، ويصرفه كيف يشاء ، والضال يخطئ الطريق مع طلبه ، أو جهله بمعرفته بنفسه ، أو بدلالة غيره " (٤).

سادساً: قال " ابن عاشور " : " في قوله تعالى: ﴿ صُمُّ بَكْمٌ عُمَى ﴾ إخبار محذوف على طريقة الحذف المعبر عنه في علم المعاني بمتابعة الاستعمال بعد أن أجرى عليهم التمثيل ، والأوصاف إن رجعت للمشركين فهي ينعم على أحد الاحتمالين المتقدمين فهي حقيقة وتكون شاهداً على صحة

١ - ابن القيم ، المصدر سابق ، (١ / ٣٠٥ ، ٣٠٦) .

٢ - الهرري ، المصدر سابق ، (٣ / ١١٧) .

٣ - الهرري ، المصدر سابق ، (٣ / ١١٨) .

٤ - ابن القيم ، مصدر سابق ، (٣ / ١١٨) .



الوصف بالعدم لمن لا يصح اتصافه بالملكة كقولك للحائط : هو أعمى ، إلا أن يجاب بأن الأصنام لما فرضها المشركون عقلاء آلهة وأريد إثبات انعدام الإحساس منهم عبر عنها بهذه الأوصاف بالمشركين فقيل : صم بكم عمى كقول إبراهيم ﴿يَتَأْتَى لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾^{(١)(٢)}.

سابعاً : قال ابن "عاشور" : "وقوله: ﴿فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تقريع كمجى النتيجة بعد البرهان ، فإن كان ذلك راجعاً للمشركين فالاستنتاج عقب الاستدلال ظاهر لُخفاء النتيجة في بادئ الرأي ، أي إن تأملتم وجدتموهم لا يعقلون ؛ لأنهم كالأنعام والصبم والبكم الخ ، وإن كان راجعاً للأصنام فالاستنتاج للتنبيه على غباوة المشركين الذين عبدوها ، ومجىء الضمير لهم بضمير العقلاء تهكم بالمشركين لأنهم جعلوا الأصنام في أعلى مراتب العقلاء"^(٣).

ثامناً : قال الشيخ "ابن عثيمين" - رحمه الله - : " من فوائد الآية : ذم التعصب بغير هدى ؟ لقوله تعالى: ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءِآبَاءَنَا﴾^{(٤)(٥)}.

تاسعاً : قال الشيخ "ابن عثيمين" - رحمه الله - : " ومن الفوائد أن من تعصب لمذهب مع مخالفة الدليل ففيه شبه من هؤلاء ، والواجب أن الإنسان إذا قيل له " اتبع ما أنزل الله " أن يقول: " سمعنا وأطعنا"^(٦).

عاشراً : أن كل من خالف الحق ، وما أنزل الله فليس بعاقل ، وليس عنده هدى لقوله تعالى : ﴿لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

حادي عشر : قال الشيخ "ابن عثيمين" : " ومن فوائد الآية ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن هؤلاء

١ - سورة مريم : جزء من آية : ٤٢ .

٢ - ابن عاشور ، مصدر سابق ، (١١٣/٢) .

٣ - ابن عاشور ، مصدر سابق ، (١١٣/٢) .

٤ - سورة البقرة ، جزء من آية : ١٧٠ .

٥ - ابن عثيمين ، مصدر سابق ، (٣٨٢/١) .

٦ - ابن عثيمين ، مصدر سابق ، (٣٨٢/١) .

في إتباع آبائهم مثل البهائم التي تستجيب للناعق وهي لا تسمع إلا صوتاً دعاءً ونداءً ؛ لا تسمع شيئاً بعقله ، وتعرف فائدته ومضرة مخالفته ^(١).

ثان عشر : قال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - : " أن لهؤلاء أمثالاً يدعون بدعوى الجاهلية كأولئك الذين يدعون إلى القومية : فإن مثلهم كمثل الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً ، وهذه الدعوى لا يفكر الدعاة لها فيما يترتب عليها من تفريق المسلمين ، وتمزيق وحدتهم ، وكونهم يجعلون الرابطة هي اللغة ، أو القومية ، فيدخل فيها غير المسلم ممن تشملهم القومية ، ويخرج بها مسلمون كثيرون ممن تشملهم القومية، لكن الرابطة الدينية التي قال الله فيه: ﴿ إِنَّمَا

الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ^(٢). هذه تدخل جميع المؤمنين - ولو من غير العرب -؛ وتخرج من ليس بمؤمن -

ولو كان عربياً- فهذا إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - قال الله عنه: ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ

إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِتْيَاءَهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ

﴿ ١١٤ ﴾ ^(٣). وقد حثنا الله على التأسي بإبراهيم حيث قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي

إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَّءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ

وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ ﴾ ^(٤) ولما قال نوح: ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ

﴿ ٥ ﴾ قال الله له: ﴿ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ ^(٦). فكون الناس انجرفوا في هذه الدعوى

الباطلة - دعوى القومية - هو داخل في هذه الآية : أنهم كمثل الذي ينطق بما لا يسمع إلا دعاءً

١ - ابن عثيمين ، مصدر سابق ، (١/٣٨٢) .

٢ - سورة الحجرات ، جزء من آية : ١٠ .

٣ - سورة التوبة ، آية : ١١٤ .

٤ - سورة الممتحنة ، جزء من آية : ٤ .

٥ - سورة هود ، جزء من آية : ٤٥ .

٦ - سورة هود ، جزء من آية : ٤٦ .



ونداءً^(١).

ثالث عشر: قال الدكتور " محمد بكر إسماعيل " : " وفي ذلك المثل توبيخ لهم وتهكم بهم ، إذ نزلهم فيه منزلة البهائم التي لا هم لها إلا أن تأكل وتشرب ، وترتع ، وتلعب ، وهي منقادة مسخرة ذليلة ، صاغرة ، يسوقها راعيه إلى حيث يشاء مما يفعل و لا تهندي بنفسها إلى سبيل ، وقد أكد الله هذه الصورة بما أكد به المثل الذي ضربه للمنافقين من قبل فقال جل شأنه: ﴿ صُمُّوا بِكُمْ عُمَىٰ فَهَمُّ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(٢) .

رابع عشر : وقد قال هنا: ﴿ فَهَمُّ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، وقال هناك: ﴿ فَهَمُّ لَا يَرْجِعُونَ ﴾^(٣)؛ لأن الوصف هنا لقوم ألغوا عقولهم ، وألغوا أسماعهم وأبصارهم وحبسوا ألسنتهم عن النطق بكلمة التوحيد ، وحبسهم التقليد عن التفكير فيما دعاهم إليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

خامس عشر : قال الدكتور " محمد بكر إسماعيل " - رحمه الله - : " وفي قوله ﴿ يَعْقُ ﴾ تعبير يوحي بأن الكلمات التي يهتف بها الهاتف إلى هذا الحيوان هي بالنسبة إليه نعيق ، ولهذا عبر عنها بما هي صائرة إليه لا بما كانت عليه ، عند منطلقها من فم قائلها ، لقد سدت عليهم منافذ العلم ، وأغلقت دون عقولهم أبواب المعرفة^(٤) .

سادس عشر: وفي هذا المثل تسلية لقلب النبي - صلى الله عليه وسلم - ومواساة لأتباعه من خلال التهكم بأعدائهم ، ومناوئتهم وإبرازهم في هذه الصورة المزرية ، التي تحز في نفوسهم وتقبط بمستواهم إلى حيث لا مستوى ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ .

سابع عشر : ومن الفوائد التربوية في هذا المثل التنفير الشديد من التقليد بغير عقل وتبصر إذ ليس هناك شيء يفسد العقول ، ويعوق التفكير ، ويحول بين المرء وما هو في حاجة إليه من أمور الدنيا

١ - ابن عثيمين ، مصدر سابق: (١/ ٣٨٣ ، ٣٨٤) .

٢ - إسماعيل ، مصدر سابق: ص ١٠١ .

٣ - سورة البقرة ، جزء من آية ١٨ :

٤ - إسماعيل ، مصدر سابق: ص ١٠٣ .



والآخرة ، ويسد عليه أبواب الخير كلها ، مثل التقليد ، فالتقليد تعطيل للعقل ، وإفساد لموهبة الفكر ، وصرف للهمم عن التأمل والنظر في آيات الله الكونية والقرآنية ، وفي ذلك هبوط بالإنسان عن إنسانية التي كرمه الله بها ، وانحطاط عن المستوى الذي جعله الله عليه ، وارتداد عن الفطرة السليمة التي فطرة الله عليها ، فما خلق الإنسان إلا ليكون عبداً لله تعالى بمعنى ما تحمله كلمة عبد من خضوع وتذلل وانقياد.

ثامن عشر: وأيضاً من الفوائد التربوية ما قاله الدكتور "محمد بكر إسماعيل": "أن التقليد من غير تبصر يسد على العقل أبواباً كثيرة من العلم والمعرفة ، ويجعله مقفولاً عن التأمل والنظر في أقرب الأشياء إليه ، ويجبسه عن إدراك ما ينبغي إدراكه لضرورة من أمر الدنيا والدين ، فيضل هذا العقل الكاسد حيث هو جامداً لا ينمو بنمو صاحبه ، فيكون حالة كما قال حسان بن ثابت -رضي الله عنه - " أجسام البغال وأحلام العصافير ، والذين كفروا بالله ورسوله لم يفتحوا أعينهم على ما أرشدهم إليه القرآن من الآيات الكونية الشاهدة على وحدانية الله وقدرته ، وهي ماثلة في أنفسهم ، وفي كل ما حولهم. ولو فعلوا لاهتدوا إلى الهدى ولكن هيهات ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴾ (١) (٢)".

المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ

وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴾ (٣). وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله وما بعده :

مناسبة المثل لما قبله :

قال " المراغي " -رحمه الله - : "أن الله سبحانه وتعالى لما بين فيما سبق أن الناس فريقان : فريق"

١ - سورة يوسف آية : ١٠٥ .

٢ - إسماعيل ، مصدر سابق: ص ١٠٣ .

٣ - سورة هود ، آية : ٢٤ .



يريد الدنيا وزينتها ، وفريق على بينة من ربه ... أردف ذلك بيان حال كل من الفريقين ، وما يكون عليه في الآخرة .

مناسبة المثل لما بعده :

قال "الهرري" - رحمه الله - : " أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر بعثة النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، وأثبت بالبرهان أنه رسول من رب العالمين ، وأن القرآن وحي من الرحمن الرحيم .. أردف ذلك بقصص الأنبياء قبله لبيان لقومه : أن محمداً - صلى الله عليه وسلم - ليس بدعاً من الرسل ، وأنه إنما بعث بمثل ما بعث به من قبله من الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده ، والإيمان بالبعث والجزاء ، فحاله معهم كحال من قبله من الرسل - عليهم السلام - ، مع أقوامهم جملة وتفصيلاً ، كما قال

﴿ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ (٧٧) (٢)

المطلب الثاني : تفسير أهل العلم للمثل وأقوال السلف في ذلك :

تفسير أهل العلم للمثل :

وبعد أن بين حال الأشقياء من أهل الظلم والمصير الذي هم إليه صائرون يُين أيضاً مصير أهل الإيمان والعلم الصالح فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ صدقوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وخضعوا لربهم وخشعوا له وامتثلوا أمره وأنابوا إليه ﴿ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ما كثون فيها لا يخرجون منها و لا يتحولون عنها ثم إن الله ضرب مثلاً لأهل الكفر من أهل الإيمان فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ﴾ أهل الكفر مع أهل الإيمان ﴿ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى ﴾ ، فالكافر أعمى وأصم عن سامع له عامل به ، فهل يستوي من يسمع ويبصر مع من هو أعمى وأصم أفلا تتعظون وتعتبرون يا من ابتعدتم عن طريق الله وكفرتم به وأعرضتم عنه .

١ - سورة الإسراء، آية : ٧٧ .

٢ - الهرري ، مصدر سابق ، (١٣ / ٤٨) .



قال "الطبري" : - رحمه الله - : " ففي تأويل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ، مثل فريق الكفر والإيمان كمثل الأعمى الذي لا يرى بعينه شيئاً ، والأصم الذي لا يسمع شيئاً ، فكذلك فريق الكفر لا يبصر الحق فيتبعه ويعمل به ؛ لشغله بكفره بالله ، وغلبة خذلان الله عليه ، لا يسمع داعي الله إلى الرشاد ، فيجيبه إلى الهدى فيهتدي به ، فهو مقيم في ضلالتة ، يتردد في حيرته ، والسميع والبصير فذلك فريق الإيمان ، أبصر حجج الله ، وأقر بما دلت عليه من توحيد الله ، والبراءة من الآلهة والأنداد ، ونبوة الأنبياء - صلى الله عليهم وسلم - ، وسمع داعي الله فأجابه وعمل بطاعة الله " (١).

قال "ابن كثير" - رحمه الله - : " ثم ضرب تعالى مثل الكافرين والمؤمنين ، فقال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ أي : الذين وصفهم أولاً بالشقاء والمؤمنين السعداء ، فأولئك كالأعمى والأصم ، وهؤلاء كالبصير والسميع . فالكافر أعمى عن وجه الحق في الدنيا ، وفي الآخرة لا يهتدي إلى خير ولا يعرفه ، أصم عن سماع الحجج ، فلا يسمع ما ينتفع به ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ (٢) ، وأما المؤمن ففطن ذكي لبيب ، بصير الحق ، يميز بينة وبين الباطل ، فيتبع الخير ويترك الشر ، سميع للحجة ، يفرق بينها وبين الشبهات ، فلا يروج عليه الباطل ، فهل يستوي هذا وهذا ، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ : أفلا تعتبرون فتفرقون بين هؤلاء وهؤلاء ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ (٣) ، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ۗ (١١) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۗ (١٠) وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحُرُورُ ۗ (١١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۗ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۗ (٢٢) إِنَّ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۗ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۗ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ

١ - الطبري ، مصدر سابق ، (١٢ / ٣٧٦) .

٢ - سورة الأنفال ، جزء من آية : ٢٣ .

٣ - سورة الحشر ، آية : ٢٠ .



إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ (١).

قال "القرطبي" - رحمه الله - قوله تعالى ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ ابتداءً ، والخبر ﴿كَالْأَعْمَى﴾ وما بعده قال "الأخفش": "أي : كمثل الأعمى . النحاس : التقدير : مثل فريق الكافر كالأعمى والأصم ، ومثل فريق المؤمن كالسميع والبصير، ولهذا قال : ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ ففرد إلى الفريقين وهي اثنان ؛ روى معناه عن قتادة وغيره . قال الضحاك : الأعمى والأصم مثل الكافر ، والسميع والبصير مثل المؤمن وقيل : المعنى : هل يستوي الأعمى والبصير ، وهل يستوي الأصم والسميع ؟ ﴿مَثَلًا﴾ منصوب على التفسير ﴿أَفَلَا نَذْكُرُونَ﴾ في الوصفين وتنظرون ؟ " (٢).

قال "السعدي" - رحمه الله - : "أي : فريق الأشقياء وفريق السعداء ﴿كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى﴾ : هؤلاء الأشقياء . ﴿وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ : مثل السعداء . ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ ؟ لا يستوون مثلاً ، بل بينهما من الفرق ما لا يأتي عليه الوصف ﴿أَفَلَا نَذْكُرُونَ﴾ : الأعمال التي تنفعكم فتفعلونها ، والأعمال التي تضركم فتتركونها " (٣). قال " سيد قطب " - رحمه الله - : "في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ﴾ هل يستويان مثلاً ؟ صورة حسية تتجسم فيها حالة الفريقين . والفريق الأول كالأعمى لا يرى وكالأصم لا يسمع - والذي يعطل حواسه وجوارحه عن الغاية الكبرى منها وهي أن تكون أدوات موصلة للقلب والعقل ، ليدرك ويتدبر فكأنما هو محروم من تلك الجوارح والحواس - والفريق الثاني كالبصير يرى وكالسميع يسمع ، فيهديه بصره وسمعه ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ سؤال بعد الصورة المجسمة لا يحتاج إلى إجابة لأنها إجابة مقررّة

١ - سورة فاطر، الآيات : ١٩ : ٢٤ .

٢ - القرطبي ، محمد أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، مؤسسة الرسالة (١١ / ٩٦ ، ٩٧) .

٣ - السعدي ، مصدر سابق ، ص ٤٢٦



﴿أَفَلَا نَذَكَّرُونَ﴾. فالقضية في وضعها هذا لا تحتاج إلى أكثر من التذكر... فهي بديهية لا تقتضي التفكير. وتلك وظيفة التصوير الذي يقرب في الأسلوب القرآني في التعبير... أن ينقل القضايا التي تحتاج لجدل فكري إلى بديهيات مقررّة لا تحتاج إلى أكثر من توجيه النظر والتذكير" (١).

أقوال السلف في المثل: ذكر "الطبري" بسنده عن "ابن عباس" - رحمه الله - : "الأعمى والأصم : الكافر ، والبصير والسميع : المؤمن". ثم ذكر أيضاً "الطبري" عن "مجاهد" قال : "الفريقان، الكافران والمؤمنان ، فأما الأعمى والأصم فالكافران ، وأما البصير والسميع فهما المؤمنان . وذكر أيضاً عن "قتادة" قال : " هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فأما الكافر فصم عن الحق فلا يسمعه ، وعمى عنه ، فلا يبصره ، وأما المؤمن فسمع الحق فانتفع به ، وأبصره فوعاه وحفظه وعمل به " (٢) .

وذكر "ابن الجوزي" - رحمه الله - قال "الزجاج" : " مثل الفريقين المسلمين كالبصير والسميع ، ومثل فريق الكافرين كالأعمى والأصم ، لأنهم في عداوتهم ، وتركهم للفهم بمثالة من لا يسمع ولا يبصر ". وذكر أيضاً قال "أبو عبيدة" : (هل) ها هنا بمعنى الإيجاب ، لا بمعنى الاستفهام ، والمعنى لا يستويان " (٣) .

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض منه :

نوع المثل : قالت الدكتورة "سميرة عدلي محمد رزق" : " نلاحظ أن المثل الكريم اشتمل على تشبيه ملفوف" (٤). إذ جاء المشبهان هنا و هما فريق الكافرين ، وفريق المؤمنين ثم أتى بعد ذلك بالمشبهات بما على التوالي والترتيب وهما الأعمى والأصم ، والبصير والسميع ، إذ شُبه فريق

١ - قطب ، مصدر سابق ، (٣ / ١٨٦٨) .

٢ - الطبري ، مصدر سابق ، (١٢ / ٣٧٦ ، ٣٧٧) ، بتصرف .

٣ - ابن الجوزي ، أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن محمد ، زاد المسير ، المكتب الإسلامي (٤ / ٩٣) بتصرف .

٤ - والملفوف هو أن يتعدد الطرفان (المشبه ، المشبه به) ويؤتى بالمشبهات أولاً على طريق العطف أو غيرها ثم يؤتى بالمشبهات بما كذلك وذلك كقول امرئ القيس يصف عقاباً بكثرة اصطيد الطيور :

لدى وكرها العناب والحشف البالي

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً



الكفار بالأعمى في عدم اهتدائه وتبينه ما هو أمامه ، وبالأصم في عدم سماعه ما يدور حوله من حجج وبراهين أو عدم انتفاعه بما لا يسمع قال تعالى: " ولو علم الله فيهم خيراً لا سمعهم " كذلك شبه فريق المؤمنين بالبصير في رؤيته ما أمامه وذلك لبصيرته النافذة وضميره اليقظ لما يراه من آيات كونية ودلائل إلهية صادقة . كذلك تشبيهه لهذا الفريق بالسميع الذي يسمع ما يدور حوله ويعيه وذلك لما يصدر عن المؤمنين من سماع لداعي الحق واستجابة لأوامره واجتناب نواهيه " (١).

الغرض الذي من أجله ضرب المثل :

ونلاحظ أن هذا المثل له غرضان رئيسان وهما :

الغرض الأول: ضرب المثل لتقريب المعنى للمخاطب وهذا الغرض التربوي ففي هذا المثل استخدام وسيلة الأمثال لتقريب المعاني الغامضة وتصوير ما هو معقول ، ليصير محسوساً ملموساً في تناول إدراك كل إنسان إمعاناً في إقامة الحججة على العباد والبرهنة على صحة الدين ، وتذليلاً لطريق التوحيد والعبودية للعباد، وضرب "يزيد حمزاوي" هذا المثل شاهد من شواهد هذا الغرض ويقول: " في هذا النص تمثيل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بالأعمى والأصم وهو أن يتعدد الطرفان (المشبه ، المشبه به) ويؤتى بالمشبهات أولاً على طريق العطف أو غيرها وتمثيل الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالبصير والسميع ، ووجه الشبه أن الكافرين صرفوا أبصارهم عن رؤية آيات الله ، وتراكبت عليها غشاوة أهوائهم وشهواتهم ورغبات متاع الحياة الدنيا ، وصرفوا أسماعهم عن سماع وتفهم كلام الله وكلام رسوله ، وتراكبت على أسماعهم غشاوة الأهواء والشهوات فكانوا كمن هو مصاب بالعمى والصمم . أما الذين آمنوا فقد رأوا وأبصروا آيات الله ، فانتفعوا بها وآمنوا برهيم وتدبروا كلام الله ورسوله ، ففهموا واستجابوا ، فمثلهم الله بالبصير حديد البصر وبالسميع شديد السمع " (٢).

والغرض الثاني : كما ذكره حمزاوي في رسالته " إثارة التفكير بالتذكير " وقال : في قوله تعالى: ﴿

١ - رزق ، مصدر سابق ، ص—١٧٩ .

٢ - حمزاوي ، مصدر سابق ، ص—٥٢ ، ٥٣ .



مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ ﴿١﴾ "بعد ضرب المثل يخاطب الله كفار قريش ويسألهم عن سبب تناسيهم حقائق التوحيد ، فهل انتم تذكرون أم أنكم تتعمدون النسيان ؟ ، لكن هيهات " (١).

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: وجود الطباق بين لفظي الأعمى والبصير والأصم والسميع يقول "أبو حيان" في ذلك : " لما ذكر ما يؤول هنا المؤمنون من الجنة والفريقان هنا الكافر والمؤمن و لما كان تقدم ذكر الكفار وأعقب بذكر المؤمنين جاء التمثيل هنا مبتدأ بالكافر فقال كالأعمى والأصم ويمكن أن يكون من باب تشبيه اثنين باثنين فقبول الأعمى بالبصير وهو طباق وقبول الأصم بالسميع وهو طباق أيضاً والعمى والصمم آفتان تمنعان من البصر والسمع وليستا بضدين لأنه لا تعاقب بينهما " كما يرى أبو حيان أنه من المحتمل أن يكون من باب تشبيه الواحد بصفتين متواليتين مقابل آخر متصف بصفتين متواليتين وضرب على ذلك مثلاً بقول الشاعر :

إلى الملك القرن وابن الهمام وليث الكرية في المزدحم (٢).

ويرى أنه لم يجيء التركيب كالأعمى والبصير والأصم والسميع فيكون مقابلة ، في لفظ الأعمى وضده وفي الأصم وضده ويرى أن سبب ذلك راجع إلى أنه لما ذكر سبحانه انسداد العين أتبعه بانسداد السمع ولما ذكر انفتاح البصر أتبعه بانفتاح السمع ويعقب على ذلك بقوله : وذلك هو الأسلوب في المقابلة والأتم في الإعجاز " (٣).

ثانياً: ويلاحظ أن قوله كالبصير أكثر دقة و بلاغة من غيرها في السياق عما لوقيل مثلاً

(المبصر) وذلك ، لأن البصير هو العالم بالشيء مأخوذ من البصيرة قال تعالى : ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا ﴾ (٤) أي : علمت ما لم يعلموا به من البصيرة ، وبصير بكذا وكذا أي : حاذق له علم

١ - حمزاوي ، مصدر سابق ، ص ٧٠ .

٢ - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، مكتبة الحلبي ، ط ٢ (١ / ٢٢) .

٣ - أبو حيان ، مصدر سابق ، (٥ / ٢١٣) بتصرف

٤ - سورة طه ، جزء من الآية : ٩٦ .



دقيق به ويمكن أيضاً أن يقال للأعمى " بصير " وذلك لقوة بصيرته . لذا من المؤمنين من يكون أعمى ولكنه بصير القلب نافذ البصيرة وهذا هو وجه الدقة في مجيء لفظة (البصير) دون سواها لأن من المؤمنين من هو مبصر ومنهم من هو أعمى وكلاهما بصير بحقائق الإيمان حاذق بخفايا أموره هذا وقد قدمت لفظة (بصير) على لفظة (سميع) في السياق لتوافق التقديم الأول فيه لتطابق لفظة

(البصير) دون سواها لأن من المؤمنين من هو مبصر ومنهم من هو أعمى وكلاهما بصير بحقائق الإيمان حاذق بخفايا أموراً هذا وقد قدمت لفظة (بصير) على لفظة (سميع) في السياق لتوافق التقديم الأول فيه لتطابق لفظة (البصير) ولفظة الأعمى ، ولتطابق لفظة (السميع) ولفظة

(الأصم) ، ولعل سبب تقديم قوله (الأعمى) على (الأصم) عائد إلى أن فقدان البصر أظهر وأشهر وأقوى دليلاً على سوء الحال ولعل في تعاطف هذه الصفات ما يجعلنا نعتبر أن هذا المثل الكريم من إيجاز القصر في القرآن ^(١).

ثالثاً : قال " ابن عاشور " - رحمه الله - : " والوجه عندي في الداعي إلى عطف صفة

(الأصم) على صفة (الأعمى) أنه ملحوظ فيه أن لفريق الكفار حالين كل حال منهما جدير بتشبيهه بصفة من تلك الصفتين على حده ، فهم يشبهون الأعمى في عدم الاهتداء إلى الدلائل التي طريق إدراكها البصر ، ويشبهون الأصم في عدم فهم المواعظ النافعة التي طريق فهمها السمع ، فهم في حالتين كل حال منهم مشبه به ، ففي قوله تعالى : ﴿ كَأَلْأَعْمَى وَالْأَصْمَى ﴾

تشبيهان مُفرقان كقوال امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها القناب والحشف البالي ^(٢).

١ - رزق ، مصدر سابق ، (وجوه البيان في أمثال القرآن) ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

٢ - مصدر سابق ، الجاحظ ، الحيوان (١/ ٢٠٦) .



والذي في الآية تشبيه معقولين بمحسوسين ، واعتبار كل حال من حالي فريق الكفار لا محيد عنه لأن حصول أحد الحالين كاف في جر الضلال إليهم بله اجتماعهما ، إذ المشبه بهما أمر عدمي فهو في قوة المنفى . أما الداعي إلى العطف في صفتي (البصير والسميع) بالنسبة لحال فريق المؤمنين فبخلاف ما قررنا في حال فريق الكافرين لأن حال المؤمنين تشبه حالة مجموع صفتي

(البصير السميع) ، إذ الاهتداء يحصل بمجموع الصفتين فلو ثبت إحدى الصفتين وانتفت الأخرى لم يحصل الاهتداء إذ الأمر أن المشبه بهما أمران وجوديان ، فهما في قوة الإثبات ، فتعين أن الكون الداعي إلى عطف (السميع) على (البصير) في تشبيه حال فريق المؤمنين هو المزاوجة في العبارة لتكون العبارة عن حال المؤمنين مماثلة العبارة عن حال الكافرين في سياق الكلام ، والمزاوجة من محسنات الكلام ومرجعها إلى فصاحته ^(١) .

رابعاً: قال "الهرري" - رحمه الله - : " مثل فريق الكافرين والمؤمنين ، وصفتهما الحسية التي تطابق حالهما كمثل الأعمى الفاقد لحاسة البصر في خلقتها والأصم الفاقد لحاسة السمع الذي حرم وسائل العلم والمعرفة الإنسانية والحيوانية ، ومن هو كامل حاستي السمع والبصر ، فهو يستمد العلم من آيات الله في خلقه بما يسمع من القرآن ، وبما يرى في الأكوان ، وهما وسيلتنا العلم والهدى لعقل الإنسان " ^(٢) .

خامساً: قال " ابن القيم " - رحمه الله - : " فإنه ذكر سبحانه الكفار ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون ، ثم ذكر المؤمنين ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإخبات إلى ربهم فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن ، ثم جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق ، أعمى أصم عن سماعه ، فشبه بمن بصره أعمى عن رؤية الأشياء ، وسمعه أصم عن استماع الأصوات والفريق الآخر : بصير القلب

١ - ابن عاشور ، مصدر سابق (٤٢ / ١٢) .

٢ - الهرري ، مصدر سابق ، (٥٥ / ١٣) .



سميعه بصير العين ، سميع الأذن وقد تضمنت الآية قياسين و تمثيلين للفريق . ثم نفى التسوية عن

الفريقين بقول : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾^(١).

سادساً : قال "الهري" : " والاستفهام في قوله: ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ للإنكار ، وهذه الجملة مقررة لما تقدم من قوله : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ أي هل يستوى الفريقان صفة وحالاً ومالاً ؟ كلا ، إنهما لا يستويان ، والهمزة في قوله: ﴿ أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴾ للتوبيخ داخل على محذوف ، و (الفاء) عاطفة على ذلك المحذوف ، والتقدير : أتغفلون عن ذلك المثل الجلي الواضح وتشكون في عدم الاستواء ، فلا تتذكرون ما بينهما من التباين والاختلاف ، فتعتروا به ، أي أفلا تتذكرون في عدم استوائهما ، وفيما بينهما من التفاوت الظاهر الذي لا يخفى على من له تذكرو وعنده تأمل ، والهمزة لإنكار عدم التذكر ، وابتعاد صدوره من المخاطبين " (٢).

سابعاً : قال " أنور الباز " في التفسير التربوي للقرآن الكريم: " ما ترشد إليه الآيات تربوياً :

١- الكافر ميت موتاً معنوياً ، فلذا هو لا يسمع و لا يبصر ، والمسلم حيٌّ فلذا هو يسمع الحق ويبصره .

٢- الخسارة الحقيقية هي خسارة الآخرة بدخول النار .

٣- السعادة الحقيقية هي الفوز برضا الله - عز وجل - ودخول الجنة ورؤية الله عز وجل - " (٣).

ثامناً : قال " الميداني " : " وهكذا وضحت لنا دقة التصوير ، ووضحت لنا أيضاً في الصورة التمثيلية الحركة الحية الناطقة ، إذ بدا فيها ناعق يخطب في قطيع من الغنم ، والقطيع يموج بعضه في بعض ، وهو لا يدري من كلام الناعق الخطيب شيئاً ، ونفس الخطيب تتمزق بمشاعر

١ - ابن القيم ، مصدر سابق التفسير القيم ص ٣١١ .

٢ - الهري ، مصدر سابق ، (١٣ / ٥٥) .

٣ - الباز ، أنور ، التفسير التربوي للقرآن الكريم ، دار النشر للجامعات - مصر - (٢ / ٥٥) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



الخيبة ، وعدم جدوى عمله ، وفي هذا المثل إلماح للدعاة بأن لا يوجهوا اهتمامهم الكبير لهذا الصنف الميئوس من إيمانه ، وإذ استوى عنده الإنذار وعدمه "(^١) .

تاسعاً : قال " سيد قطب " : في قوله تعالى ﴿ أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴾ " فالقضية في وضعها هذا لا تحتاج إلى أكثر من التذكر ، فهي بديهية لا تقتضي التفكير . وتلك وظيفة التصوير الذي يغلب في الأسلوب القرآني في التعبير . أن ينقل القضايا التي تحتاج لجدل فكري إلى بديهيات مقررّة لا تحتاج إلى أكثر من توجيه النظر والتذكير ... "(^٢) .

١ - الميداني ، مصدر سابق ، أمثال القرآن ص ١٢٠ .

٢ - قطب ، مصدر سابق ، (١٨٦٨ / ٣) .



المبحث الرابع : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٤٤) ^(١).

المطلب الأول : مناسبة الآية لما قبلها وكذا مناسبة الآية لما بعدها :

مناسبة الآية لما قبلها : أن الله سبحانه لما ذكر مطاعن المشركين في النبي - صلى الله عليه وسلم - وأورد شبهاتهم في ذلك ... أردف هذا ببيان أن ذلك ما كفاهم ، وليتهم اقتصروا عليه ، بل زادوا على ذلك الاستهزاء به والخط من قدره حتى قال بعضهم لبعض : ﴿ أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ﴾ ، بل لقد غالوا في ذلك فسموا دعوته إضللاً ، فرد الله عليهم مقالهم ، وأبان لهم أنه سيظهر عليهم حين مشاهدة العذاب من الضال ومن المضل ، ثم عجب رسوله من شناعة أحوالهم بعد حكاية أقوالهم وأفعالهم القبيحة ، وأرشد إلى أن مثل هؤلاء يبعد أن يزدجروا عمماً فيه من إلفي بنصحك وإرشادك فإن أكثرهم لا يسمعون ولا يعقلون ، وما هم إلا كالأنعام أو أضل منها سبيلاً .

مناسبة الآية لما بعدها : أن الله سبحانه لما بين جهالة المعرضين عن دلائل التوحيد ، وسخيف مذاهبهم وآرائهم .. أعاد الكرة أخرى ، فذكر خمسة أدلة عليه نراها عياناً ، وتتوارد علينا ليلاً ونهاراً ، وتكون دليلاً على وجود الإله القادر الحكيم .

المطلب الثاني : تفسير الآية وبيان أقوال أهل العلم فيها .

تفسير الآية : والمعنى والله أعلم : أرأيت يا رسول الله هذا المشرك الذي اتخذ ما يهواه وما يشتهيها إلهاً يعبد من دون الله ، أفأنت تقدر على رده عن الشرك وتتوكل بحفظه من الشرك وبرده إلى الإيمان ، كلا فإنك لن تستطيع ذلك ولو سلكت معه أحسن الطرق وأجمل السبل ولو دعوته أفتظن يا رسول الله أن أكثر هؤلاء يسمعون الحق ويفهمونه ويجيبونك ويؤمنون بك ، كلا بل إنهم في عدم سماعهم كالبهائم التي لاتفهم مرادك إذا ناديتها بل الأنعام أفضل منهم وأهدى سبيلاً ، لأن



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



الأنعام وإن كانت قد جبلت على عدم فهم خطاب بني آدم ، لكنها تسمع لراعيها وتنقاد له وتشكر له مودته فيها ، بل وإنما تسجد لخالقها وتشكره وتسبح بحمده . قال تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾^(١) . وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾^(٢) . فحقاً إن هؤلاء الكفار لأضل من الأنعام وأبعد عن طريق الحق والصواب ، والله أعلم .

قال "الطبري" - رحمه الله - : " يعني تعالى ذكره : ﴿ أَرَأَيْتَ ﴾ يا محمد ﴿ مِنْ أَخَذَ إِلَهَهُ ﴾ شهوته التي يهواها وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد الحجر ، فإذا رأى أحسن منه رمى به ، وأخذ الآخرة يعبده ، فكان معبوده وإلهه ما يتخيره لنفسه ، فلذلك قال جل ثناؤه ﴿ أَرَأَيْتَ مَنْ أَخَذَ إِلَهَهُ ﴾ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا ﴾ يقول تعالى ذكره : أفأنت تكون يا محمد على هذا حفيظاً في أفعاله مع عظيم جهله ؟ ﴿ أَمْ تَحْسَبُ ﴾ يا محمد أن أكثر هؤلاء المشركين ﴿ يَسْمَعُونَ ﴾ ما يُنلَى عليهم ، فيعون ﴿ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ ما يعاينون من حجج الله ، فيفهمون ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ﴾ يقول : ما هم إلا كالبهائم التي لا تعقل ما يقال لها ، و لا تفقه ، بل هم من البهائم أضل سبيلاً لأن البهائم تفتدي لمراعيها ، وتنقاد لأربابها ، وهؤلاء الكفرة لا يطيعون ربهم ، و لا يشكرون نعمة من أنعم عليهم ، بل يكفرونها ، ويعصون من خلقهم وبرأهم "^(٣) .

وقال "ابن كثير" - رحمه الله - : " أي : أسوأ حالاً من الأنعام السارحة ، فإن تلك تعقل ما خلقت له ، وهؤلاء خلقتوا لعبادة الله وحده لا شريك له ، وهم يعبدون غيره ويشركون به ، مع قيام

١ - سورة الإسراء آية : ٤٤ .

٢ - سورة النور آية : ٤١ .

٣ - مصدر سابق ، الطبري (١٧ / ٤٥٩ ، ٤٦٠) .



الحجة عليهم ، وإرسال الرسل إليهم" (١) .

وقال " القرطبي " - رحمه الله - "وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾
ولم يقل أنهم لأنه منهم من قدر علم أنه يؤمن ، وذمهم - جل وعز - بهذا ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ
يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ سماع قبول أو يفكرون فيما تقول فيعقلونه أي : هم بمنزلة من لا يعقل و
لا يسمع وقيل : المعني : أنهم لما لم ينتفعوا بما يسمعون فكأنهم لم يسمعوا والمراد أهل مكة وقيل :
﴿ أَمْ ﴾ بمعنى: بل في مثل هذا الموضوع ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ ﴾ أي : في الأكل والشرب لا يفكرون
في الآخرة ﴿ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ إذا لا حساب و لا عقاب على الأنعام وقال مقاتل : البهائم
تعرف ربها وتهتدي إلى مراعيها وتنقاد لأربابها التي تعقلها وهؤلاء لا ينقادون و لا يعرفون ربهم
الذي خلقهم ورزقهم وقيل لأن البهائم إن لم تعقل صحة التوحيد والنبوة لم تعتقد بطلان ذلك
أيضاً" (٢) .

وقال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - ثم سجل تعالى على ضلالهم البليغ بأن سلبهم العقول
والأسماع ، وشبههم في ضلالهم بالأنعام السائمة ، التي لا تسمع ، إلا دعاء ونداء ، صم بكم فهم
لا يعقلون ، بل هم أضل من الأنعام ، فإن الأنعام يهديها راعيها فتهتدي ، وتعرف طريق هلاكها
فتجتنيه ، وهي أيضاً أسلم عاقبة من هؤلاء ، فتبين بهذا ان الرامي للرسول بالضلال أحق بهذا
الوصف ، وان كل حيوان بهيم فهو أهدى منه" (٣) .

المطلب الثالث: نوع المثل ، والغرض من ضرب هذا المثل .

نوع المثل : التمثيل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ يقول الشيخ " محمود
عبد الرحيم صافي " - رحمه الله - " يتلخص هذا الفن ، في أن يريد المتكلم معني ، فلا يعبر عنه

١ - مصدر سابق ، ابن كثير (٣٠٩ / ١٠) .

٢ - مصدر سابق ، القرطبي (٤١٨ / ١٥) .

٣ - مصدر سابق ، ابن عثيمين (١٨ ، ١٩) .



بلفظه الخاص ، و لا بلفظي الإشارة ، و لا الإرداف ، بل بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلاً ، يصلح أن يكون مثلاً للفظ الخاص ، لأن المثل لا يشبه المثل من كل الوجوه ، ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لاتحدا ومن التمثيل أيضاً نوع آخر ، ذهب إليه من جاء بعد قدامة ، وهو أن يذكر الشيء ليكون مثلاً للمعنى المراد ، وإن كان معناه ولفظة غير المعنى المراد ولفظه ، كأنهم لثبوتهم على الضلالة بمرتلة الأنعام والبهائم بل أضل سبيلاً ، لأن البهائم تنقاد لمن يتعهدا ، وتميز من يحسن إليها ممن يسيء إليها ، أما هؤلاء فقد أسفوا إلى أبعد من هذا الدرك ^(١) .

وقال " ابن القيم " - رحمه الله - " فشبّه أكثر الناس بالأنعام ، والجامع بين النوعين التساوي في عدم قبول الهدى والانقياد له ، وجدل الأكثرين أضل سبيلاً من الأنعام ، لأن البهيمة يهديها سائقها فتتهدي ، وتتبع الطريق فلا تحيد عنها يميناً وشمالاً " ^(٢) .

الغرض من ضرب المثل :

ومن خلال دراسة هذا المثل نجد أن الغرض منه هو الغرض الثالث مما تقدم في التمهيد وهو أن المثل ضرب بغرض الإقناع بذكر قبائح الباطل والتنفير منه وذلك عن طريق التشبيه بالأنعام ومثلت له بمثال معقول مطابق ، ومنها ما ورد لتصوير حال الكافر وبيان حيرته وقلقة النفسي والتخبط في الظلمات .

المطلب الرابع: الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: قال " ابن عاشور " - رحمه الله - " في قوله تعالى: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ " انتقال عن التأييس من اهتدائهم لغلبة الهوى على عقولهم إلى التحذير من أن يظن بهم إدراك الدلائل والحجج ، وهذا توجيه ثان للإعراض عن

١ - صافي ، محمود بن عبد الرحيم ، الجدول في إعراب القرآن و صرفاً ، دار الرشيد ، الطبعة الثالثة ١٤١٦ ، (١٠) /

(٢٥) .

٢ - مصدر سابق ، ابن القيم ، التفسير القيم ص ٣٩٠ .



مجادلتهم التي أنبأ عنها قوله تعالى: ﴿ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾^(١).

ف_____ ﴿ أَمْ مِنْقَطَعَةٌ لِلْإِضْرَابِ الْإِنْتِقَالِي مِنْ إِنْكَارٍ إِلَى إِنْكَارٍ وَهِيَ مُؤَدَّةٌ بِاسْتِفْهَامٍ عَطْفَتَهُ

عَلَى الْاسْتِفْهَامِ الَّذِي قَبْلَهَا وَالتَّقْدِيرِ : أَمْ أَتَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ " ^(٢).

ثانِيًا : قَالَ " سَيِّدُ قَطْبٍ " - رَحِمَهُ اللَّهُ - " فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ

يَعْقِلُونَ ^٣ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ " وَفِي التَّعْبِيرِ تَحْرُزُ وَإِنْصَافٌ إِذْ يَذْكَرُ " أَكْثَرَهُمْ وَ لَا

يَعْمَمُ ، لِأَنَّ قَلَّةَ مِنْهُمْ كَانَتْ تَجَنُّحٌ إِلَى الْهُدَى ، أَوْ تَقَفٌ عِنْدَ الْحَقِيقَةِ تَتَدَبَّرُهَا . فَأَمَّا الْكَثْرَةُ الَّتِي

تَتَّخِذُ مِنَ الْهُوَى إِلْهَامًا مَطَاعًا ، وَالَّتِي يَتَّجَاهَلُ الدَّلَائِلَ وَهِيَ تَطْرُقُ الْأَسْمَاعَ وَالْعُقُولَ ، فَهِيَ كَالْأَنْعَامِ

" ^(٣).

ثَالِثًا : قَالَ " ابْنُ عَاشُورٍ " - رَحِمَهُ اللَّهُ - " وَالْمُرَادُ مِنْ نَفْيِ ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ﴾ نَفْيِ

أَثَرِ السَّمَاعِ وَهُوَ فَهْمُ الْحَقِّ لِأَنَّ مَا يَلْقِيهِ إِلَيْهِمُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَرْتَابُ فِيهِ إِلَّا

مَنْ هُوَ كَالَّذِي لَمْ يَسْمَعِهِ . وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدْبِرِينَ ﴾ ^(٤)

وَأَبْعًا : قَالَ " ابْنُ عَاشُورٍ " - رَحِمَهُ اللَّهُ - " وَعَطْفٌ " أَوْ يَعْقِلُونَ " عَلَى " يَسْمَعُونَ " لِنَفْيِ أَنَّ

يَكُونُوا يَعْقِلُونَ الدَّلَائِلَ غَيْرَ الْمَقَالِيَةِ وَهِيَ دَلَائِلُ الْكَائِنَاتِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٥) . وَإِنَّمَا نَفْيُ فَهْمِ الْأَدْلَةِ السَّمْعِيَّةِ وَالْعَقْلِيَّةِ

عَنْ أَكْثَرِهِمْ دُونَ جَمِيعِهِمْ ، لِأَنَّ هَذَا حَالُ دَهْمَانِهِمْ وَمَقْلَدِيهِمْ ، وَفِيهِمْ مَعْشَرٌ عَقْلَاءٌ يَفْهَمُونَ

وَيَسْتَدْلُونَ بِالْكَائِنَاتِ وَلَكِنَّهُمْ غَلَبَ عَلَيْهِمْ حُبُّ الرِّئَاسَةِ وَأَنْفَوْا مِنْ أَنْ يَعُودُوا أَتْبَاعًا لِلنَّبِيِّ - صَلَّى

١ - سورة الفرقان الآية : ٤٢ .

٢ - مصدر سابق ، ابن عاشور ، (٣٧ / ١٧) .

٣ - مصدر سابق ، قطب ، (٢٥٦٦ / ٥) .

٤ - مصدر سابق ، ابن عاشور ، (٣٧ / ١٧) .

٥ - سورة يونس الآية : ١٠١ .



الله عليه وسلم - ومساويين للمؤمنين من ضعفاء قريش وعبيدهم مثل عمارة وبلال " (١).
خامساً: قال "ابن عاشور" - رحمه الله - : "وجملة" إن هم إلا كالأنعام " مستأنفة استئنافاً بيانياً لأن ما تقدم من إنكار أنهم يسمعون يثير في نفس السامعين سؤالاً عن نفي فهمهم لما يسمعون مع سلامة حواس السمع منهم ، فكان تشبيههم بالأنعام تيناً للجمع بين حصول اختراق أصوات الدعوة آذانهم مع عدم انتفاعهم بها لعدم تهيئهم للاهتمام بها ، فالغرض من التشبيه التقريب والإمكان كقول أبي الطيب :

فإن تفق الأنام وأنت منهم
فإن المسك بعض دم الغزال (٢).

وضمائر الجمع عائدة إلى أكثرهم باعتبار معنى لفظة كما عاد عليه ضمير " يسمعون" (٣).
سادساً: "إن الذي لا يستخدم ما وهبه الله سبحانه وتعالى من المزايا والمواهب والإمكانات فيما خلقت له أسوا حالاً من الأنعام التي تنحصر حركاتها على ردود الأفعال الانعكاسية للغرائز المودعة فيها لذا لا حساب و لا عقوبة على الأنعام في الآخرة . أما الكافر فعليه الحساب والجزاء جراء ما اقترفت يده من الآثام والموبقات" (٤).

سابعاً: قال "سيد قطب" - رحمه الله - : "ما يفرق الإنسان من البهيمة إلا الاستعداد للتدبر والإدراك ، والتكيف وفق ما يتدبر ويدرك من الحقائق عن بصيرة وقصد وإرادة واقتناع ، ووقوف عند الحجة و الاقتناع . بل إن الإنسان حين يتجرد من خصائصه هذه ليكونن أخط من البهيمة ، لأن البهيمة تتهدي بما أودعها الله من استعداد ، فتؤدي وظائفها أداءً كاملاً صحيحاً . بينما يهمل الإنسان ما أودعه الله خصائص ، و لا ينتفع بها كما تنتفع البهيمة" (٥).

ثامناً: قال "سيد قطب" : - رحمه الله - " وهكذا يعقب على استهزائهم برسوله الله - صلى

١ - المصدر السابق ، ابن عاشور (٣٧ / ١٧) .

٢ - مصدر سابق ، المتنبى (١ / ٤٢٠) .

٣ - مصدر سابق ، ابن عاشور ، (٣٧ / ١٧) .

٤ - مصدر سابق ، مسلم ، (٣٠١ / ٥) .

٥ - مصدر سابق ، سيد قطب ، (٢٥٦٦ / ٥) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



الله عليه وسلم - ذلك التعقيب الذي يخرج المستهزئين من إطار الآدمية في عنف واحتقار ومهانة
" (١) .

تاسعاً: لم يعبد إله في الأرض كالهوى ، فلا دليل من النقل و لا حجة من العقل تؤيد عبادة غير الله سبحانه وتعالى ، وإنما اتباع الهوى ، لذا كان متبعوا الهوى أضل من البهائم حيث منحوا العقل للتفكير في الحال والمآل ، فلم يفكروا إلا في شهواتهم العاجلة الفانية " (٢) .

عاشراً: " في هذا المثل تربية إنسانية رائعة ، وهو يرشدنا إلى تلك المعاني التي تبين لنا أن لا شيء أحقر من الإنسان عندما يغلب هواه على عقله وبصيرته ، حتى ليفقد أي قدرة على التمييز والاختيار، وهذا ما يخرجنا عن إطار جنس الآدمي ليصيره كالبهيمة أو أضل سبيلاً " (٣) .

١ - مصدر سابق ، ابن عاشور ، (٥ / ٢٥٦٧) .

٢ - مصدر سابق ، مسلم ، (٥ / ٣٠١) .

٣ - مصدر سابق ، سميح عاطف الزين ، ص ٥١٦ بتصرف .



المبحث الخامس : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۗ ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ، قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿ ٧٨ ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿ ٧٩ ﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿ ٨٠ ﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿ ٨١ ﴾ (١) .

المطلب الأول : أسباب نزول الآيات ، ومناسبة الآيات الكريمة لما قبلها ، ومناسبة الآيات

بينها وبين محور السورة .

أسباب نزول الآيات المثل :

قال الشيخ " مصطفى العدوي " - حفظه الله - : في كتاب التسهيل لتأويل الترتيل " أورد الطبري بسند مرسل صحيح إلى سعيد بن جبيرة قال : جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعظم حائل ، ففته بين يديه ، فقال : يا محمد أبيعث الله هذا حياً بعد ما أرم ؟ قال : " نعم يبعث الله هذا ، ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم " قال : ونزلت الآيات : ﴿ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ إلى آخر الآية وهذا مرسل وهو ضعيف من هذا الوجه ، وقد ذكر ، ابن أبي حاتم (٢) متصلاً بذكر ابن عباس ، قال ابن أبي حاتم : حدثنا محمد بن العلا حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس - رضي الله عنه - قال : إن العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - : أيجيي الله هذا بعد ما أرم ؟ فقال رسول الله - صلى الله

١ - سورة يسن الآيات من ٧٧ : ٨١ .

٢ - يقول الشيخ " مصطفى العدوي " : نقلاً عن شيخنا الشيخ " مقبل " - رحمه الله - إذ نقل السند أيضاً عن ابن كثير عن أبي حاتم وقال الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک (٢/ ٤٢٩) من طريق عمرو بن عون عن هشيم به ، وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .



عليه وسلم - : "نعم يميئك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم" قال : نزلت الآيات آخريين . قال الشيخ مصطفى العدوي : "فالخير مختلف في وصله وإرساله ، كما ترى" (١).

مناسبة الآيات لما قبلها : " أن الله سبحانه لما ذكر فيما سلف الدلائل على عظيم قدرته ، ووجوب عبادته ، وبطلان إشراكهم به ، بعد أن عاينوا فيما بين أيديهم ، ما يوجب التوحيد والإقرار بالبعث . أردف ذلك ذكر حجة من أنفسهم ، دالة على قدرته تعالى ، ومبطللة لإنكارهم له . ثم ذكر أن بعض خلقه استبعدوا البعث ، ونسوا بدء أمرهم وكيف خلقوا ، وقالوا : كيف ترجع الحياة إلى هذا العظام النخرة . فأجابهم عن شبهتهم : بان الذي أنشأها أول مرة من العدم ، هو الذي يحييها ، وهو العليم بتفاصيل أجزائها ، مهما وزعت وتفرقت ، ثم ذكر لهم دليلاً آخر يرفع هذا الاستبعاد وهو : أن من قدر على إعادة الحياة إلى ما كان غضاً طرياً ، ثم يبس وبلي ، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان وفيه الدليل على قدرته ، وهو خلق السموات والأرض ، ثم أعقب بما هو كالنتيجة لما سلف وفيه بطلان لإنكارهم . فأبان أن كل شيء هين عليه ، فما هو إلا بقول : (كن) (فيكون) تتره ربنا ذو الملك والملكوت عن كل ما يقول المشركون . فإليه يرجع جميع الخلق للحساب والجزاء" (٢).

المناسبة بين الآيات وبين محور السورة :

مناسبة هذه الآيات لمحور السورة الكريمة في غاية القوة ، وتتمام الوضوح واضحة ، فمحور السورة الأساس : إثبات البعث والجزاء وإقامة الأدلة على ذلك وجاء هذا المقطع بأكمله لتأكيد هذه العقيدة والتدليل عليها بعدة أدلة وهي :

- خلق الإنسان من نطفة .
- خلق النار من الشجر الأخضر .

١ - مصدر سابق ، العدوي ، (تفسير جزء يسن ، ص ١٣١).

٢ - مصدر سابق ، الهري ، (٢٤ / ٦٩ ، ٧٠).



- خلق السموات والأرض^(١).

المطلب الثاني : تفسير آيات المثل وبيان أقوال السلف فيهما :

والمعنى -والله تعالى أعلم - : وشبَّهنا هذا الكافر بخلقنا فقال : من ذا الذي يحي هذه العظام البالية المتفتتة ، وقد أصبحت رميماً وتراباً، ونسي هذا الإنسان الكافر كيف خلقناه فقد خلقناه من نطفة من منى يمنى ، من قطرة منى قُذفت في رحم امرأة فهناك حدث الاختلاط بين ماء الرجل وماء المرأة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ ^(٢)﴾ .وكما قال تعالى : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِيٍّ ^(٦) يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ^(٣)﴾ .أو لم يذكر الإنسان الكافر هذا ، ومن ثم فلا يشبهنا بخلقنا ، ولا يصفنا بالعجز ، أو لم يتفكر في هذا فيوقن بقدرتنا على البعث ، بعث العباد بعد موتهم فقل يارسول الله لهذا الكافر الجاحد المنكر للبعث إذا سأل من يحي العظام وهي رميم ؟ قل له : يحييها الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون النار . وبنحو هذا قال أهل العلم .

قال " الطبري " - رحمه الله - " ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ^(٤)﴾ ويقول : ومثل لنا شهباً بقوله :

﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ^(٥)﴾ إذا كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد ، يقول : فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق ﴿ وَنَسِيَ خَلْقَهُ ^(٦)﴾ يقول : ونسي خلقنا إياه كيف خلقناه ، وانه لم يكن إلا نطفة ، فجعلناها خلقاً سوياً ناطقاً ، يقول : فلم يفكر في خلقنا إياه ، فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشراً سوياً ناطقاً متصرفاً ، لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء ، والعظام الرميم بشراً كهيئتهم التي كانوا بها قبل الفناء ، يقول الله لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم - : (قل) لهذا المشرك القائل لك : من يحي العظام وهي رميم ﴿ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ^(٧)﴾ يقول : يحييها

١ - مصدر سابق ، مصطفى مسلم (٦/٣٣٦).

٢ - سورة الإنسان : الآية : ٢

٣ - سورة الطارق : الآيتان : ٦ ، ٧ .



الذي ابتدع خلقها أول مرة ولم يك شيئاً

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يقول : وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يمت ، وكيف يحي ، وكيف يدئ ، وكيف يعيد ، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه " (١) .

وقال الحافظ " ابن كثير " - رحمه الله - " ولهذا قال ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي : استبعد إعادة الله تعالى - ذي القدرة العظيمة التي خلقت السماوات والأرض - للأجساد والعظام الرميمة ، ونسي نفسه ، وأن الله خلقه من العدم ، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده ، ولهذا قال تعالى : ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ أي : يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها ، أين ذهبت وأين تفرقت وتمزقت . وأورد ما أخرجه أحمد والبخاري ومسلم ، واللفظ لأحمد من حديث حذيفة - رضي الله عنه - قال : سمعت - رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : " إن رجلاً حضره الموت ، فلما أيس من الحياة أوصى أهله : إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً كثيراً جزلاً ، ثم أوقدوا فيه ناراً ، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتحشت فخذوها فأذروها في اليم ، ففعلوا ، فجمعه الله إليه فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك ، فغفر الله له " فقال عقبه بن عمرو : وأنا سمعته يقول ذلك وكان نباشاً " (٢) (٣) .

قال " السعدي " - رحمه الله - : " هذه الآيات الكريمة فيها شبهة منكري البعث والجواب عنها بآتم جواب وأحسنه وأوضحه فقال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ﴾ : المنكر للبعث أو الشاك فيه أمراً يفيد اليقين التام بوقوعه ، وهو ابتداء خلقه ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ ثم تنقله في الأطوار شيئاً فشيئاً ، حتى

١ - مصدر سابق ، الطبري (١٩ / ٤٨٨) .

٢ - البخاري (٣٤٥٢) ، وأحمد (٥ / ٣٩٥) .

٣ - مصدر سابق ، ابن كثير (١١ / ٣٨٥) .



كبر وشب وتم عقله واستتب ؛ ﴿ فَأِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾: بعد أن كان ابتداء خلقه من نطفة ؛ فليُنظر التفاوت بين هاتين الحالتين ، وليعلم أن الذي أنشأه من العدم قادر على ان يعيده بعد ما تفرق وتمزق من باب أولى ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ﴾: لا ينبغي لأحد أن يضربه ، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق ، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق ، فسر هذا المثل بقول : (قال) : ذلك الإنسان : ﴿ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ ، أي : هل أحد يحييها ؟ استفهام إنكار ؛ أي : لا أحد يحييها بعدما بليت وتلاشيت . هذا وجه التشبه والمثل ؛ وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر ، وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه ونسيان لابتداء خلقه ؛ فلو فطن لخلقته بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً فوجد عياناً ، لم يضرب هذا المثل فأجاب تعالى عن هذا الاستبعاد بجواب شاف كاف ، فقال : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ وهذا بمجرد تصوره بعلم به علماً يقيناً لا تشبهه فيه أن الذي أنشأها أول مرة قادرة على الإعادة ثان مرة ، وهو أهون على القدرة إذا تصوره المتصور ، ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ هذا أيضاً دليل ثان من صفات الله تعالى ، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها في جميع الأوقات ، ويعلم ما تنقص الأرض من أحياء الأموات وما يبقى ، ويعلم الغيب والشهادة ، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم ؛ علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم .^(١)

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض من ضربه وخصائصه :

نوع المثل : وهذا المثل جاء على هيئة التشبيه التمثيل أو المركب الذي هو عبارة عن تشبيه صورة بصورة وهي بلا شك أبلغ وأوقع إلى الحس .

الغرض من هذا المثل في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾

١ - مصدر سابق ، السعدي ص ٨٢٤ .



كهو الإقناع بفكرة من الأفكار قد يصل إلى مستوى الحجة البرهانية و الحجة البرهانية هي الحجة الملزمة التي تعيد اليقين فضرب الله في هذه النصوص مثلاً بيدء الخلق ، وضرب مثلاً بخلقه للسموات والأرض الذي هو أكبر من خلق الناس ، دليلاً على قدرته سبحانه وتعالى على إعادة خلق الناس بعد فناء أجسادهم . وضرب المثل بكل من الأمرين قد تضمن حجة برهانية على قدرة الخالق على إعادة الخلق بعد فناءه ، لأن من قدر على ابتداء الخلق لا بد أن يكون قادراً على إعادة الخلق ، لاستواء البدء وإعادة في الواقع بالنسبة إلى قدرة الخالق القادر ، الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له : كن ، فيكون ذلك الشيء . ولأن من قدر على خلق الشيء العظيم الكبير لا بد أن يكون قادراً على خلق ما هو أقل وأصغر منه " (١) .

الآثار التربوية للمثل :

"نلاحظ أن الأثر التربوي لذلك المثل من حيث المضمون هو توسيع آفاق السامع أو المتلقي ، الفكرية والنفسية ، بتدريبه على ربط المعقولات بالمحسوسات ، والانتقال من التجريد إلى المحسوس ، ومن المحسوس إلى التجريد، وربط المفاهيم المجردة ، وتقريبها من الواقع المحسوس ، وقياس الغائب على الشاهد و لا يخفى أن لربط المعقولات بالمحسوسات ، وتقريبها للسامع أو المتلقي ، أهمية تربوية كبيرة ، في توسيع أفاقه الفكرية والنفسية وإن حقيقة الإيمان لن تسكن قلباً حبيس المحسوسات ، لا يتعدها تفكيره ، و لا يؤمن بما وراءها من حقائق ، وقد امتن الله تعالى ، على عباده ، بتقديم الآيات العظيمة ، الدالة على وحدانية وقدرته ، وعظيم أسمائه وصفاته ، وقد بثها الله سبحانه في الأفاق ، وفي الأنفس ، وهي آيات مشهورة محسوسة ، لتقود الناس إلى رحاب الإيمان وحقائقه ومفاهيمه " (٢) .

١ - مصدر سابق ، الميداني ، أمثال القرآن ، ص ٦٦ ، ٦٧ بتصريف .

٢ - مصدر سابق ، عبد المحيد البيانوني ص ٨٩ ، ٩٠ .



المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: في جدول الإعراب في قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ﴾: حسن البيان في الآية وحسن البيان هو إخراج المعنى في أحسن الصور الموضحة له ، وإيصاله إلى فهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها ، وقد تأتي العبارة عنه من طريق الإيجاز ، وقد تأتي من طريق الإطناب ، بحسب ما تقتضيه الحال؛ وقد أتى بيان الكتاب العزيز في هذه الآية من الطريقتين ، فكانت جامعة مانعة في الاحتجاج القاطع للخصم^(١).

ثانياً: قال " ابن عاشور " -رحمه الله -:"فالتعريف في الإنسان تعريف العهد وهو الإنسان المعين المعروف بهذه المقالة يومئذ . وقد تقدم في سورة مريم أن قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثُّ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴾^(٢). نزل في أحد هؤلاء ، وذكر معهم الوليد بن المغيرة . ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾^(٣). ووجه جمال التعريف هنا على التعريف العهدي أنه لا يستقيم حملها على غير ذلك لأن جعله للجنس يقتص أن جنس الإنسان ينكرون البعث، كيف وفيهم المؤمنون وأهل الملل، وحملها على الاستغراق أبعد إلا أن يراد الاستغراق العرفي وليس مثل هذا المقام من مواقعه. فأما قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُؤْمِنٌ ﴾^(٤). فهو تعريف الاستغراق ، أي خلق كل إنسان لأن المقام مقام الاستغراق الحقيقي^(٥).

ثالثاً: ومن هذه الفوائد الاستعارة التصريحية في قوله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ﴾ حيث استعار المثل الذي

١ - صافي ، محمود ، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، دار الرشيد ، طبعة ٣ عام ١٤١٦. (٣٦ / ١٢) .

٢ - سورة مريم ، الآية : ٦٦ .

٣ - سورة القيامة ، الآية : ٣ .

٤ - سورة النحل، الآية : ٤ .

٥ - مصدر سابق ، ابن عاشور ، (٢٣ / ٧٤) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



هو القول السائر للأمر العجيب تشبيهاً له في الغرابة بالمثل العرفي الذي هو القول السائر. رابعاً: والاستفهام هنا للإنكار ، لأنه قاس قدرة الله سبحانه على قدرة العبد فأنكر أن الله تعالى ، يحي العظام البالية ، حيث لم يكن ذلك في مقدور البشر ، وعدم تأنيث الرميم ، مع وقوعه خبراً للمؤنثة ، حيث لم يقل : وهي رميمة ، لأنه اسم لما بلى من العظام ، غير صفه كالرفات والرممة . والأولى : أن يقال : إنه فعيل بمعنى فاعل أو مفعول ، وهو يستوى فيه المذكر والمؤنث ، كما قيل في جريح وقتيل " (١) .

خامساً: قال " ابن القيم " - رحمه الله - : " وقال - سبحانه - في تثبيت أمر البعث ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ إلى آخر السورة فلو رام أفصح البشر وأعلمهم وأقدرهم على البيان أن يأتي بأحسن من هذه الحجة أو مثلها في ألفاظ تشابه هذه الألفاظ في الإيجاز والاختصار ووصف حينئذ الدلالة واضحة البرهان لألقى نفسه ظاهر العجز عن ذلك " (٢) .

سادساً: صيغة المبالغة في قوله : ﴿ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ ﴾ في قوله : ﴿ مَلَكُوتٌ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ؛ لأنه صيغة مبالغة من الملك ، ومعناه : الملك الواسع التام مثل : الرحموت ، والرهبوت ، والجبروت " (٣) .

سابعاً: الاستعارة التمثيلية في قوله : ﴿ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ فشبّه سرعة تأثير قدرته تعالى ، ونفاذها في الأشياء ، يأمر المطاع ، من غير توقف و لا امتناع . فإذا أراد شيئاً وجد من غير توقف على شيء ما ، وهو قول أبي منصور الماتريدي لأنه قال : لا وجه لحمل الكلام على الحقيقة إذ

١ - مصدر سابق ، الهري ، (١٠٣ / ٢٤ ، ١٠٤) .

٢ - مصدر سابق ، ابن القيم ، الضوء المنير ، (١٢٤ / ٥) .

٣ - مصدر سابق ، الهري ، (١٢٥ / ٢٤) .



ليس هناك قول و لا أمر و لا مأمور^(١).

عاشراً: قال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - : " ومن فوائد هذه الآية الكريمة بيان أن الإنسان خلق من ضعف ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَوْلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ : وهو كذلك وأن هذا الإنسان الذي خلق من هذه المادة الضعيفة يترقى حتى يكون ذا خصومة مبينة ؛ لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾ ومن فوائد الآية الكريمة : النداء على الإنسان بالظلم ، وجه ذلك . كيف يكون هذا الذي خلق من هذه النطفة يبلغ به الحد إلى أن يكون خصيماً لله - عز وجل - بين الخصومة؟! لأن الإنسان يجب عليه إذا نظر إلى أصله أن يعرف قدر نفسه لا أن يكون مُخاصماً لربه - عز وجل - " (٢).

حادي عشر: قال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - : " من فوائد الآية الكريمة : أن الخصومة بالباطل مذمومة ، ووجه ذلك أن الآية سقت مساق الذم لا مساق المدح . أما الخصومة لإثبات الحق وإبطال الباطل ، فإنها ممدوحة لقوله الله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣) . ولولا الجدل مع أهل الباطل ما تبين الحق ، و لا اندحض الباطل ، فلا بد للإنسان من الجدل في إثبات الحق ، وإبطال الباطل ، أما إذا كان الأمر بالعكس فإنه مذموم ومن هنا يمكن أن نقسم الجدل إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : جدال محمود مأمور به ، إما وجوباً أو استحباباً وهو الذي يقصد به إثبات الحق وإبطال الباطل .

القسم الثاني : جدال مذموم ، منهي عنه .

القسم الثالث : جدال بين بين ، يعني لا يأمر به ، ولا ينهى عنه ، لكن لا شك تركه أولى وهو

١ - مصدر سابق ، الهرري ، (١٢٦ / ٢٤) .

٢ - مصدر سابق ، ابن عثيمين ، (٨ / ٣٤١ ، ٣٤٢) .

٣ - سورة النحل ، الآية : ١٢٥ .



الجدال في أمور أمور لا تمس إلى الحق أو الباطل بصله كما يحصل في كثير من المجالس من المجادلات فهذا لا شك أنه لا ضير فيه وأنه من المراد الذي ينبغي للإنسان تجنبه" (١).

ثان عشر: قال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - : " ومن فوائد الآية الكريمة أن المجادل بالباطل يأتي بالشبهات التي ينصر بها باطلة ؛ لقوله تعالى : ﴿ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ فإن هذه شبهة تلبس على العامة ؛ لأنه لم يقل ﴿ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ ﴾ فقط ، بل قال : ﴿ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ : فكيف تحيا بعد أن رُمّت ؟ فأهل الباطل يأتون بالشبهات ليلبسوا على الناس .

ثالث عشر: وقال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - : " ومن فوائد الآية الكريمة : أن هذا الإنسان استهان بربه حيث ضرب له الأمثال للتعجيز لقوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا ﴾ ، يعني : قال أنا اضرب لكم مثلاً بهذا الشيء الذي يعجز : ﴿ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ " (٢).

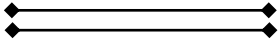
رابع عشر: قال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - : " أن المعارض للحق قد يُصرح بالإنكار بدون مراوغة لقوله تعالى : ﴿ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ ﴾ وأحياناً يراوغ فأيهما أهون ؟ الذي يُصرح ويبين أهون ؛ لأن هذا يمكن أن يُتقي شره ، أما المراوغ فإنه في الواقع خطر ، ولهذا كان خطر المنافقين على الإسلام أشد من خطر الكافرين الذين يصرحون بالعداوة ؛ لأن المنافقين يغرون الناس ولا يمكن التحرز منهم " (٣).

رابع عشر: قال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - في قوله تعالى ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ من فوائد الآية الكريمة بيان قوة الإقناع في إقامة الحجة من كلام الله - عز وجل - ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ : فأقوى ما يسوق الحجج وبينهما هو كلام

١ - مصدر سابق ، ابن عثيمين ، (٨ / ٣٤٢) .

٢ - مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨ / ٣٢٤)

٣ - مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨ / ٣٤٤)



الله، لأن كلام الله عز وجل -أبلغ الكلام وأحسنه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(١) .
فحديث الله عز وجل - لا شك أنه أصدق الحديث وأتمه، وأحسنه في الإقناع ، وإقامة الحجة "
(٢).

خامس عشر: قال الشيخ " ابن عثيمين " -رحمه الله- " من فوائد الآية الكريمة الاستدلال بالأشد على إمكان الأُخف ؛ لقوله تعالى : ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ : فقد استدل بالأشد على إمكان الأُخف ، فالأشد إحيائها أول مرة ، والأُخف الإعادة "^(٣).

سادس عشر: قال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - : " من فوائد الآية الكريمة أنه ينبغي للمستدل المناظر أن يأتي بالشيء الذي يقر به خصمه ، من أجل أن تقوم عليه الحجة ؛ لأنه قال : ﴿يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ : والخصم هنا لا ينكر أن الله تعالى أنشأها أول مرة . فينبغي أن يأتي بالشيء الذي يُقر به خصمك لتقيم الحجة عليه بإقراره ، وهذا أدب من آداب المناظرة ، لأنه أقرب إلى الإقناع . "^(٤)

سابع عشر: ومن فوائد الآية الكريمة : تمام قدرة الله - عز وجل - بإنشاء هذه العظام لأول مرة ، لأنه لأحد يستطيع أن يخلق هذه العظام قال تعالى : ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٥) مع أن الذباب ليس فيه العظام القوية الصلبة ، فإذا كانوا لا يقدرّون على ذلك فهم على ما هو أعظم أعجز^(٦) .

١ - سورة النساء ، جزء من الآية ٨٧ .

٢ - مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨ / ٣٤٥)

٣ - مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨ / ٣٤٥ ، ٣٤٦) .

٤ - مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨ / ٣٤٦) .

٥ - سورة الحج : الآية : ٧٣ .

٦ - وسيأتي الكلام على تفسير الآية وبيان الإعجاز فيها ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ .



ثامن عشر: ومن فوائده قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ﴾: جعل الشجر الأخضر المصدر الرئيسي للترود في كل يوم بقدر من طاقة الشمس تحتاجه كل صور الحياة علي الأرض، ويبقى المصدر الرئيسي للطاقة المخترنة في أوراق وأنسجة وثمار الشجر الأخضر وزيوته ودهونه، والتي قد تتحول عند الجفاف إلي القش، أو الحطب، أو الخشب الذي قد يتفحم بمعزل عن الهواء إلي أي من الفحم النباتي أو الحجري أو إلي غاز الفحم، وإذا أكلته الحيوانات تحولت فضلاتها إلي مصادر للوقود، وإذا تحللت أجسادها بمعزل عن الهواء أعطت كلا من النفط والغاز الطبيعي؛ وهذه حقائق لم يصل إليها علم الإنسان إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين.

تاسع عشر: ومن الفوائد في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ قال الشيخ " ابن عثيمين " -رحمه الله - بيان قدرة الله - عز وجل - التامة التي لا يُضاهيها ، و لا يُقارها قدرة ؛ لأنه إذا أرد شيئاً لم يتكلف لإحضار المواد ، أو غيرها مما يتكون به هذا الشيء وإنما يقول ﴿كُنْ﴾: ﴿فَيَكُونُ﴾.

عشرون: "ومن فوائد الآية أيضاً: إثبات الإرادة لله لقوله ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ وإرادة الله كما قال أهل العلم تنقسم إلى قسمين : شرعية ، وكونية فالشرعية هي التي بمعنى المحبة . والكونية : هي التي بمعنى المشيئة والفرق بينهما من حيث الأثر :

١) أن الإرادة الكونية لا بد فيها من وقوع المراد.

٢) أن المراد فيها قد يكون محبوباً لله ، وقد يكون غير محبوب لله .

أما الإرادة الشرعية : فقد يقع فيها المراد ، وقد لا يقع ، و لا يكون المراد فيها إلا محبوباً لله فإذا قال لك قائل : هل الله يريد الكفر ؟ فقل له : أما شرعاً ، فلا وأما كوناً ، فنعم .ولو قال لك قائل : هل الله يُريد الإيمان ؟ فقل : نعم يُريده شرعاً ، وقدراً إن وقع ، لأنه إذا وقع فقد أراده



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



قدرًا ، وإذا لم يقع فلا نعلم هل أرادته قدرًا أو لا ؟ بل نقول : إنه الآن لم يُرده قدرًا^(١) .

واحد وعشرون: قال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - : " في هذه الآيات كلها من ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ إثبات قدرة الله - عز وجل - على إحياء العظام وهي رميم وذلك عشرة أوجه : الأول: قوله ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ : فإنه فيه استدلالاً بالأشد على الأضعف .

الثاني : قوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ : وعلمه بكل خلق يقتضي أنه سبحانه وتعالى قادر على إحياء العظام وهي رميم .

الثالث قوله : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ : فإن من جعل من هذا الأخضر البارد الرطب ناراً وهي يابسة مُحترقة قادر على أن يُعيد الخلق ؛ لأن جعل النار من الشجر الأخضر أبلغ في القدرة .

الرابع : قوله : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ : فقدرته على خلق السموات والأرض دليل على قدرته على إحياء العظام وهي رميم ؛ لأن خلق السموات والأرض أعظم ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى ﴾ .

الخامس والسادس : قوله : ﴿ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ : والخلاق صفة لازم له ، وكونه خلاقاً يشمل أن يخلق كل شيء ، وكونه عليمًا يدل على أنه لا يخفى عليه شيء من الخلق حتى يعجز عنه .

السابع : أنه لا يستعص عليه شيء ، بل إذا أمر بشيء كان في الحال ؛ لقوله ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ .

الثامن : تترية الله - عز وجل - عن كل نقص ، ومن المعلوم أن العاجز عن إعادة الخلق ناقص ، فإذا كان الله تعالى مترهاً عن كل نقص ، كان ما وعد به من إحياء العظام وهي رميم واقعاً .

١ - مصدر سابق ، ابن عثيمين (٣٥٢/٨) .



التاسع : قوله ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: ومن بيده ملكوت كل شيء فإنه مالك لكل شيء والمالك لكل شيء قادر على أن يوجد المعدوم ، ويعدم الموجود .

العاشر: قوله: ﴿وَالِيَهُ تُرْجَعُونَ﴾: فإن هذا هو نتيجة الخلق أن يبعث الخلق ويرجعون إلى الله ، ليجازيهم بما عملوا " (١) .

المبحث السادس : دراسة المثل في قوله - تعالى - ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ (٢) .

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات وكذا مناسبة المثل لما بعده من الآيات :

مناسبة المثل لما قبله من الآيات : أن الله سبحانه وتعالى لما أمر عباده المؤمنين بالتوبة النصوح ، بالندم على ما فات وعدم العودة فيما هو آت ، وأمر رسوله بجهاد الكافرين والمنافقين والغلظة عليهم في القول والعمل ذكر هنا أن النفوس إن لم تكن مستعدة لقبول الإيمان وفي جوهرها صفاء ونقاء ... فلا يجدي فيها الغلظة والعبرة و لا مخالطة المؤمنين المتقين ، وضرب لذلك المثل بامرأة نوح وامرأة لوط ، فقد كانتا في بيت النبوة ولم يلن قلبهما للإيمان والإسلام ، كذلك إذا كان جوهر النفس نقياً خالصاً من كدور الكفر والنفاق فمجاورتها للكفرة وعشرتها إياهم لا تغير من حالها شيئاً ، و لا يؤثر فيها ضلال الضالين ، و لا عتو الظالمين " (٣) .

وقال الدكتور " مصطفى مسلم " - حفظه الله - : " يأتي هذا المقطع بعد التهديد والوعيد والأمر بالغلظة على الكفار والمنافقين ، و ربما توهم بعض الكفار الذين كانت لهم قرابات بالمسلمين أنها تنفعهم ، كما أن للمسلمين قرابات مع الكفار فربما توهموا أنها تضرهم ، فضرب لكل طائفة

١ - مصدر سابق ، ابن عثيمين (٨ / ٣٥٥ ، ٣٥٦) .

٢ - سورة التحريم : الآية : ١٠ .

٣ - مصدر سابق ، الهري (٢٩ / ٤٥٥) .



مثلاً^(١).

مناسبة المثل لما بعده من الآيات : لما ذكر الله هذين المثلين للمرأتين اللاتين كفرتا بالله تعالى أعقب ذلك بالمثلين للمرأتين الصالحتين من باب المقابلة والتي فيها من باب البديع اللفظي بالمقابلة التي هي من الأضداد التي يتضح بها المثل وقوته حيث أن الآيتان بالمثل الأول وبيان حال الكفر ثم بيان حال أهل الإيمان وكما قيل بالأضداد تتضح المعاني .

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال السلف فيه :

قال "الطبري" -رحمه الله - : " يقول تعالى ذكره : مثل الله مثلاً للذين كفروا بالله من الناس وسائر الخلق ، امرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام فخانتهما . ذُكر أن خيانة امرأة نوح زوجها أنها كانت كافرة ، وكانت تقول للناس : إنه مجنون . وأن خيانة امرأة لوط لوطاً أن لوطاً كان يُسرّ الضيف ، وتدل عليه " (٢) .

وقال " ابن كثير " -رحمه الله - " أي في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم ، أن ذلك لا يجدي عنهم شيئاً ولا ينفعهم عند الله ، إن لم يكن الإيمان حاصلًا في قلوبهم ، ثم ذكر المثل فقال : ﴿ أَمْرَاتَ نُوحٍ وَأَمْرَاتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ ﴾ ، أي : نبين رسولين عندهما في صحبتها ليلاً ونهاراً ، يؤكلاهما ويضاجعاهما ويعاشراهما أشد العشرة والاختلاط ،

﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ أي : في الإيمان ، لم يوافقاهما على الإيمان ، ولا صدقاها في الرسالة ، فلم يجد ذلك كله شيئاً ، ولا دفع عنهما محذوراً ؛ ولهذا قال : ﴿ فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ﴾ أي لكفرهما ﴿ وَقِيلَ ﴾ أي : للمرأتين ﴿ أَدْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ وليس المراد

﴿ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ في فاحشة بل في الدين ، فإن نساء الأنبياء معصومات من الوقوع في الفاحشة ،

١ - مصدر سابق ، مصطفى مسلم (٨ / ٢٥٦) .

٢ - مصدر سابق ، الطبري (٢٣ / ١١) .



لحرمة الأنبياء" (١).

أقوال السلف: في هذه الآية:

روى "الطبري" - رحمه الله - عن "ابن عباس" - رضي الله عنه - قوله ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: كانت امرأة نوح تقول للناس: إنه مجنون وكانت امرأة لوط تدل على الضيف" وروى أيضاً عن ابن عباس في قوله ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: ما زنتا" (٢). وروى السيوطي في الدر المنثور عن الضحاك قال إنما كانت خيانة امرأة نوح وامرأة لوط النميمة. وروى أيضاً عن ابن جريج في قوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: كانتا كافرتين مخالفتين، ولا ينبغي لامرأة كانت تحت نبي أن تفجر وروى عن ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في الدين" (٣).

المطلب الثالث: نوع المثل والغرض من ضرب المثل:

نوع المثل: هذا المثل جاء على هيئة التشبيه الذي هو عبارة عن تشبيه صورة بصورة.

الغرض من هذا المثل: هو التنفير بكشف جوانب القبح ويكون التنفير بإبراز جوانب قبحه عن طريق تمثيله بما هو مكروه للنفوس، أو تنفير النفوس منه.

قال شيخ الإسلام "ابن تيمية" - رحمه الله - : "بين الله تعالى أهل الخير وأهل الشر، ويذكر لكل حي عن بيته، وأهل الخير أو أهل الشر هم قدوات صالحة وأخرى طالحة، ويقصد بذكرها توجيه النفوس المخاطبة إلى الاقتداء بالصالحين وتنفيرها من الطالحين" (٤).

قال الشيخ "أحمد طاحون": "قدم الكتاب العزيز نماذج لنفوس انطوت على الشر والسوء، ونفوس انسلخت مما يدعوا إليه العلم لأنهم لوثوا أنفسهم بالعجب والغرور وطلب الدنيا، وإيثارها على الآخرة، وقدم نماذج تتلون كما تتلون الحرباء ظاهرها يسر وباطنها شر، وهم المنافقون

١ - مصدر سابق، ابن كثير (١٤/٦٤).

٢ - مصدر سابق، الطبري (٢٣/١١١، ١١٢) بتصرف.

٣ - مصدر سابق، السيوطي، الدر المنثور (١٤/٥٩٦) بتصرف.

٤ - مصدر سابق، حمزاوي ص ٨٢.



وقال الدكتور "عبد الله الجربوع": " من غرض ضرب الأمثال في القرآن الكريم ، غرض تربوي يتجلى في إبراز النماذج الخيرة الصالحة وإبراز النماذج الشريرة الضالة وتجلية صفاتهم وأعمالهم وأحوالهم ، وكيف كانت عاقبتهم ليحذر منهم ومن طريقهم ، ولا يشك أن هذا الأسلوب من أهم أساليب التربية وأكثرها تأثيراً"^(٢).

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: المقابلة بين مصير أهل الطغيان ومصير أهل الإيمان في ضرب المثل في قوله: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾، وقوله: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾.

ثانياً: إيراد صيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾ لإفادة لتحقيق وقوعه.

ثالثاً: تغليب الذكور على الإناث في قوله: ﴿ مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴾؛ لأنهن لا ينفردن بالدخول .

رابعاً: إظهار العبدية في قوله ﴿ تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ المراد بهما نوح ولوط لتعظيمهما بالإضافة التشريعية إلى ضمير التعظيم والوصف بالصلاح ، وإلا ... فيكفي أن يقول : تحتهما ، وفيه بيان شرف العبودية والصلاح"^(٣).

خامساً: جاء المثل يقرر مبدأ من أهم المبادئ الإسلامية ، وأساساً من أسس العقيدة الإلهية . وهذا المبدأ هو المسؤولية الفردية ، فكل مسئول عن عمله ، مجزي به ﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾^(٤).

لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى فلا محاباة ، و لا محسوبية ، و لا استثناء . وخائن العقيدة له ميقات معلوم لا تنفعه فيه قرابة ، و لا تشفع له صلة رحم ، و لا يجدي نسب ولو كان إلى رسول

١ - مصدر سابق ، السيوطي ، الدر المنثور (١٤ / ٥٩٦) بتصرف .

٢ - مصدر سابق ، الجربوع ، الأمثال القرآنية (١٧ / ١) بتصرف .

٣ - مصدر سابق ، الهرري (٢٩ / ٥٠٣) .

٤ - سورة الطور ، جزء من الآية : ٢١ .



من عند الله . وهذا المبدأ تكرر تقريره في القرآن الكريم عند عرض كل قضية تتعلق بالإيمان " (١) .
سادساً : قال " ابن عاشور " - رحمه الله - : " أن الله جعل هاتين المرأتين عظة وتنبهاً للذين كفروا ، ليذكروهم بأن الله لا يصرفه عن وعيده صارف فلا يحسبوا أن لهم شفعاء عند الله ، ولا أن مكافئهم من جوار بيته وعمارة مسجده وسقاية حجيجه تصرف غضب الله عنهم ، فإن هم أقلعوا عن هذا الحسبان أقبلوا على التدبر في النجاة من وعيده بالنظر في دلائل دعوة القرآن وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - فلو كان صارف يصرف الله عن غضبه لكان أولى الأشياء بذلك مكانه هاتين المرأتين من زوجيهما رسولى رب العالمين .

ومناسبة ضرب المثل بامرأة نوح وامرأة لوط دون غيرهما من قرابة الأنبياء نحو أبي إبراهيم وابن نوح عليهما السلام لأن ذكر هاتين المرأتين لم يتقدم ، وقد تقدم ذكر أبي إبراهيم وابن نوح ، لتكون في ذكرهما فائدة مستجدة " (٢) .

سابعاً : المراد بخيانة امرأة نوح وامرأة لوط قال أهل العلم : إن المراد بخيانة امرأة نوح ما كانت تقول للناس إنه مجنون ، وكانت امرأة لوط تدل على الأضياف قال الحافظ ابن كثير : فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء " (٣) .

ثامناً : أن صلاح الأزواج لم ينفع الزوجات ووجه آخر : أن أحدا لا يملك لأحد هداية وإيماناً إنما كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كَأَنْ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٤) . والوجه الثالث قد يرد أيضاً وهو أن الأنبياء لا يعلمون الغيب وذلك لأن الخيانة تكون من غير علم في كثير من الأحيان ووجه رابع : أن المثل ضرب لعائشة وحفصة - رضي الله عنهما - لتحذيرهما من مخالفة أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبيان أن كونهما من أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن الله لن

١ - مصدر سابق ، محمد بكر إسماعيل ، ص ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

٢ - مصدر سابق ، ابن عاشور (٢٨ / ٣٧٤) .

٣ - مصدر سابق ، العدوي (جزء قد سمع / ٣٧٨) .

٤ - سورة يونس ، جزء من الآية : ١٠٠ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



يرفع عنهما العقاب إذا هما خالفتا أمر الله ورسوله ، اللهم إلا أن يغفر الله لهما"^(١).

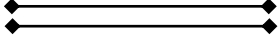
تاسعاً: ومن ذلك أن الهداية لا يملكها إلا الله - عز وجل - ثم ها هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يملك هداية عمه أبي طالب وإبراهيم عليه السلام لم يملك لأبيه الهداية ونوح عليه السلام لم يملك لولده و لا لزوجته الهداية ، ولوط عليه السلام لم يستطع هداية زوجته"^(٢).

عاشراً: قال "سيد قطب" - رحمه الله - : " إن مبدأ التبعة الفردية يراد إبرازه هنا بعد الأمر بوقاية النفس والأهل من النار . كما يراد أن يقال لأزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وأزواج المؤمنين كذلك : إن عليهن أنفسهن بعد كل شيء فهن مسؤولات عن ذواتهن ، ولن يعفيهن من التبعية أنهن زوجات نبي أو صالح من المسلمين ! وها هي ذي امرأة نوح . وكذلك امرأة لوط ﴿كَانَتَا مَحْتَّ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ﴾... ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ ﴿وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ .. فلا كرامة و لا شفاعة في أمر الكفر والإيمان . وأمر الخيانة في العقيدة حتى لأزواج الأنبياء!"^(٣).

١ - مصدر سابق ، العدوي (جزء قد سمع / ٣٧٨ ، ٣٧٩) .

٢ - مصدر سابق ، العدوي (جزء قد سمع / ٣٧٩) .

٣ - مصدر سابق ، سيد قطب (٦ / ٣٦٢١) .



المبحث السابع : أبرز صفات الكافرين من خلال الأمثلة الواردة في الباب وسبل وركائز دعوة

الكافرين :

أولاً : أبرز صفات الكافرين :

إن صفات الكافرين وخصائص الكافرين في كتاب الله - تعالى - كثيرة ومتنوعة ، وقد جمعها بعض الباحثين فعدها أكثر من سبعين صفة وخصيصة للكافرين ونحن نعرض هنا لبعض الصفات والخصائص التي وردت خلال الأمثال القرآنية السابقة ونبدأ بذكر هذه الصفات :-

أ- التقليد والتبعية :-

"لقد ذم الله تعالى أولئك الذين يسلكون مسالك منحرفة من الشرك ، والكفر ، والمعاصي ، والتقاليد الفاسدة ، وهم يقولون : إنا وجدنا آباءنا وكبراءنا كذلك يفعلون . ومثلهم الذين يقلدون فساقهم ومترفيهم دون وعي ، و لا إدراك أو تقدير لعواقب تقليدهم فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ﴾^(١) . وكذلك قال في شأن السادة والكبراء : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾^(٢) . فبين القرآن أن هؤلاء المقلدين هالكون وخاسرون يوم القيامة وأن حجتهم داحضة حين يحتجون بآبائهم وسادتهم وكبرائهم . ومما يؤسف له أن (الجماهير !!) في العالم الإسلامي ما تفتأ تطبل وتصفق لحكامها وكبرائها وسادتها - الذين قادوها إلى التبعية والهزيمة والاستسلام المطلق للكفار - والذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، دون أن تعي ما هم عليه من انحراف وفساد وتبعية وانهازية و محادة لله ولرسوله

١ - سورة البقرة جزء من آية : ١٧٠ .

٢ - سورة الأحزاب آية : ٦٧ .



ولدينه" (١)

الحكمة من النهي عن التقليد: لقد حرص الإسلام على مخالفة المسلم للكافر . وتجنب تقليده له في كثير من شئون الحياة - العامة والخاصة - وأمر المسلم بأن يتميز بالشخصية الإسلامية ممثلة في شخص الرسول - صلى الله عليه وسلم - في سلوكه وأخلاقه وقوله وفعله وتقريره ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢). ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رِجَالًا مِّنْ نَّفْسِكُمْ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٣).
إذا فالنهي عن التقليد - في الشريعة الإسلامية - لا شك أن وراءه حكماً ومصالح نعرف بعضها ويخفي علينا الكثير .. فمضار التقليد - عموماً - من البدييات التي يعلمها ويحسها كل الناس ، أما تقليد المسلمين للكفار فضرره مشاهد من خلال الواقع .. والتجربة والاستقراء التاريخي في حياة الأمم والحضارات - عامة - وتاريخ الأمة الإسلامية - خاصة .

ب- العمى والأصم:

الأعمى والأصم هو مثال الكافر الذي تعطلت لديه منافذ المعرفة فعميت بصيرته عن الإيمان فلم يعرف لهذا الكون خالقاً ، وسدت أذنه عن سماع الحق ، فلم يعترف بحياة غير الحياة التي هو فيها . يقول " ابن القيم " - رحمه الله - : ذكر - سبحانه - الكفار ، ووصفهم بأنهم ما كانوا يستطيعون السمع ، وما كانوا يبصرون . ثم ذكر المؤمنين ، ووصفهم بالإيمان والعمل الصالح والإحبات إلى ربهم فوصفهم بعبودية الظاهر والباطن ، ثم جعل أحد الفريقين كالأعمى والأصم من حيث كان قلبه أعمى عن رؤية الحق ، أعمى أصم عن سماعه ، فشبه بمن بصره أعمى عن رؤية الأشياء ، وسمعه أصم عن استماع الأصوات" (٤).

١ - العقل ، ناصر بن عبد الكريم ، التقليد والتبعية وأثرها في كيان الأمة الإسلامية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٩٣ - ١٣٩٤ هـ ص ٨٩ .
٢ - سورة الأحزاب آية : ٢١ .
٣ - سورة الحشر جزء من آية : ٧ .
٤ - التفسير القيم ص ٣١١ .



يقول "سيد قطب": " الفريق الأول كالأعمى لا يرى ، والأصم لا يسمع ، والذي يعطل حواسه وجوارحه عن الغاية الكبرى منها ، وهي أن تكون أدوات موصلة للقلب والعقل ، ليدرك ويتدبر ، فكأنما هو محروم من تلك الجوارح والحواس "

ج - وصف الكافرين بالأنعام :

لقد وصف الله تعالى الكافرين في كتابه الكريم بصفات الأنعام المختلفة كما جاء ذلك في مواضع مختلفة من كتاب الله تعالى ويعود ذلك لأمرين هما:

الأمر الأول : زجر الكفار وردعهم مع الوعيد الذي ينتظرهم لو ظلوا على كفرهم .

الأمر الثاني : المراد من ذلك ذمهم تنفير الناس من سلوكهم .

ومن ذلك ذم الكفار لكونهم لم ينتفعوا بقلوبهم باعتقاد الحق ولم ينتفعوا بسمعهم في سماع الحق

فصاروا كالأنعام الذين لا ينتفعون بالحق وإنما فطرهم الله وهيئهم لما يصلحون له . ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا

لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ

بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿^(١) . وكذلك بين الله تعالى أنه كما أن الأنعام

هي التي لا هم لها إلا الطعام والشراب ، والكفار كذلك لا هم لهم إلا الحياة الدنيا والتمتع

بشهواتها مع غفلتهم عن الدار الآخرة ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَنَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْآنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ

﴿^(٢) . ووصف الله تعالى الكفار بأنهم من شر الدواب لعدم إيمانهم ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ

كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿^(٣) . وفي موضع آخر وصفهم بأنهم من شر الدواب لعدم عقلهم

١ - سورة الأعراف آية : ١٧٩ .

٢ - سورة محمد جزء من آية : ١٢ .

٣ - سورة الأنفال آية : ٥٥ .



﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١) وكذلك هناك نصوص كثيرة فيها مشاهمة الكفار بالأنعام المختلفة .

ثانياً: سبل وركائز دعوة الكافرين للإسلام^(٢):

إن الطريقة المثلى الكاملة في دعوة الكفار إلى الإسلام هي طريقة القرآن الكريم بحججه الناصعة وبراهينه الساطعة ودلالاته القويمة وإرشاداته البينة الواضحة ، وعندما نتأمل في الطرق التي في القرآن لدعوة الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم نجد أنها تتركز في النقاط التالية :

١- بيان محاسن الدين الإسلامي وكماله وجماله في عقائده وعباداته وآدابه ، يقول سماحة الشيخ " عبد العزيز بن باز " - رحمه الله - : " المسلمون اليوم بل العالم كله في أشد الحاجة إلى بيان دين الله وإظهار محاسنه وبيان حقيقته ، والله لو عرفه الناس اليوم ولو عرفه العالم على حقيقته لدخلوا فيه أفواجاً " .

٢- ذكر البراهين الدالة على رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - ليهتدي من قصده الحق والإنصاف ولتقوم الحجة على المعاندة .

٣- إبطال شبهات الكفار حول الدين ، ونقض ما يحتجون به أو يجادلون به المسلمين ، وقد دل القرآن الكريم على أوضح البراهين وأقوى الحجج الكافية لإحقاق الحق وإزهاق الباطل .

٤- تذكير الكفار بعقوبات الأمم السالفة وإهلاك الله للأمم العاتية بأنواع من العقوبات وصنوف من المآلات .

٥- تحذيرهم من عقوبات الدنيا وعقوبات الآخرة التي أعدها الله للكافرين .

١ - سورة الأنفال آية : ٢٢ .

٢ - هذا البحث مستفاد من كتاب " مكانة الدعوة إلى الله وأسس دعوة غير المسلمين ، د عبد الرزاق بن عبد المحسن

البدري ، دار الفضيلة



٦-الجمع لهم بين الترغيب والترهيب بذكر ما يترتب على إسلامهم من الفوائد العظيمة والثمار النافعة والخير المستمر في الدنيا والآخرة ، وما يترتب على بقائهم على الكفر من الشرور الكثيرة والأضرار الخطيرة والمفاسد المتوالية في الدنيا والآخرة ، ومن ذلك قول النبي - صلى الله عليه وسلم - في كتابه إلى هرقل ملك الروم : " أما بعد فيني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ."

٧-تنبيههم إلى ما في أديانهم الباطلة من أنواع الشرور والفساد والعواقب الوخيمة والتناقض والاضطراب.

٨-تحذيرهم من طاعة رؤساء الشر ودعاة النار ، وأنهم لا بد أن تقطع نفوسهم على طاعتهم حسرات.

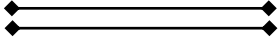
٩-تذكيرهم بآلاء الله المتوالية ونعمه المتتالية عليهم ، وبيان أنه المنفرد بالخلق والتدبير عليهم ، وبيان أنه المنفرد بالخلق والتدبير والنعم الظاهرة والباطنة ، وأن من كان كذلك فهو الذي يستحق أن يعبد ويطاع دون ما سواه .

١٠-عقد المقارنات بين ما في الإسلام من محاسن وكمالات وما في أديانهم من مساوئ وجهالات وتناقضات .

١١-مناظرتهم بالعلم الثاقب والبرهان الواضح والحجج البينات وفي مناظرتهم فائدتان :
إحدهما : أن يرد عن باطله ويرجع إلى الحق .

الثانية : أن ينكف شره وعداوته ويتبين للناس أن الذي معه باطل .

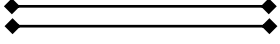
١٢-إزالة ما لديهم من مفاهيم خاطئة عن الدين أو تصورات مشوهة حوله ، إذ إن من هؤلاء من قد يبلغه الدين بصورة مشوهة بسبب فساد في بعض منتحليه من الفرق الضالة المنتسبة إلى الإسلام أو جهل في بعض ناقله فلا يظهر للمدعوين روح الإسلام وحقيقته وجماله وكماله ، فيكون ذلك سبباً في نكوص بعضهم وعدم إقبالهم ، فإذا أزيلت تلك التصورات المشوهة والمفاهيم الخاطئة بدا للمدعوين حسن هذا الدين ، وكماله ، وبعده عن الشطط والانحراف .



١٣- الرفق بهم والاجتهاد في مناصحتهم وتأليف قلوبهم والصبر في ذلك وعدم استعجال النتائج والثمرات .

الباب الثاني : الفصل الأول

القيم التربوية والإيمانية المضروبة للمشركين



المبحث الأول : ويتضمن تعريف الشرك وأنواعه وفيه مطلبان

المطلب الأول: الشرك: تعريفه لغةً، و اصطلاحاً.

تعريف الشرك لغةً: - يطلق الشرك في اللغة على المخالطة والمصاحبة، قال في اللسان:

"الشركة والشركة سواء مخالطة الشريكين، يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، والشريك: المشارك، والشرك: كالشريك، والجمع: أشراك وشركاء"^(١).

ويطلق أيضاً على النصيب، ففي تهذيب اللغة: "الشرك بمعنى الشريك، وهو بمعنى النصيب، وجمعه: أشراك، كشبر وأشباره"^(٢).

وفي المفردات: "الشركة والمشاركة خلط الملكين، وقيل: هو أن يوجد شيء لاثنتين فصاعداً، عيناً كان ذلك الشيء أو معنى...."^(٣).

الشرك اصطلاحاً: قد اختلف عبارات العلماء في بيان معنى الشرك في الدين، وإن كانت هذه العبارات تكمل بعضها الأخرى، وفيما يلي بيان لبعض أقوالهم.

١- يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: هو "تشبيه للمخلوق بالخالق -تعالى وتقدس - في خصائص الإلهية، من ملك الضر والنفع، والعطاء والمنع الذي يوجب تعلق الدعاء والخوف

١- لسان العرب ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، لبنان (٤٤٨/١٠) مادة شرك.

٢-تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى ، طبعة نوارد القومية العربية ، مصر (١٧/١٠) مادة: شرك.

٣-مفردات ألفاظ القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب ، دار المعرفة بيروت ص مادة: شرك.



والرجاء، والتوكل، وأنواع العبادة كلها بالله وحده^(١).

٢- وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: "هو صرف نوع من العبادة إلى غير الله، أو: هو أن يدعو مع الله غيره، أو يقصده بغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها"^(٢).

٣- وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله -: "هو أن يجعل لله ندا يدعو من دون الله، أو يخافه، أو يرجوه، أو يحبه كحب الله، أو يصرف له نوعاً من أنواع العبادة"^(٣).

٤- وقال أيضاً: "حقيقة الشرك بالله: أن يُعبد المخلوق كما يُعبد الله، أو يُعظم كما يُعظم الله، أو يُصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية"^(٤).

قلت: هذا التعريف شامل لجميع مدلولات الشرك.

المطلب الثاني: أنواع الشرك.

اعلم أن ضد التوحيد الشرك وهو نوعان:

١- شرك أكبر.

٢- شرك أصغر.

أولاً الشرك الأكبر: والدليل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ

يَشَاءُ^٥ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا^(٤٨)﴾^(٥)، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيٰ لِإِسْرَائِيلَ

أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ^٦ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

١- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد عبد الوهاب، المكتب الإسلامي

ط ٣: ص ٩١.

٢- مجموعة مؤلفات الشيخ: قسم العقيدة، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، من إصدار أسبوع الشيخ محمد بن عبد

الوهاب ص: ٢٨١.

٣- القول السديد في مقاصد التوحيد، للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط ١ ص:

٢٤.

٤- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، دار ابن الجوزي ط ٢ (٤٩٩/٢).

٥- سورة النساء آية: ٤٨.



أنصارٍ ﴿٧٢﴾^(١)، وهو أربعة أنواع:

النوع الأول: شرك الدعوة:-

والدليل قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ^٢ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ^(٣)﴾، قال الشيخ ناصر السعدي - رحمه الله -: "فلذلك لما أمر بالتوحيد والإخلاص؛ نهي عن الشرك به، وأخبر بدم من أشرك به، فقال:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ^(٣)﴾، أي: يتولونهم بعبادتهم ودعائهم، متعذرين عن أنفسهم، وقائلين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ^(٤)﴾، أي: لترفع حوائجنا لله، وتشفع لنا عنده وإلا فنحن نعلم أنها لا تخلقُ ولا ترزقُ ولا تملكُ من الأمر شيئاً؛ أي: فهؤلاء قد تركوا ما أمر الله به من الإخلاص، وتجرؤوا على أعظم المحرمات، وهو الشرك، وقاسوا الذي ليس كمثلته شيء الملك العظيم بالملوك، وزعموا بعقولهم الفاسدة ورأيهم السقيم أن الملوك كما انه لا يوصل إليهم إلا بوجهاء وشفعاء ووزراء يرفعون إليهم حوائج رعاياهم ويستعطفونهم عليهم ويمهدون لهم الأمر في ذلك؛ أن الله تعالى كذلك! وهذا القياس من أفسد الأقيسة، وهو يتضمن التسوية بين الخالق والمخلوق، مع ثبوت الفرق العظيم عقلاً ونقلاً وفطرة".^(٥) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ^٦ قُلْ أَوْلُوا كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ^(٦)﴾، يقول السعدي "ينكر تعالى على من اتخذ من دونه شفعاء يتعلق بهم ويسألهم ويعبدهم، ﴿قُلْ لَهُمْ مَبِينًا جَهْلُهُمْ وَأَنَّهَا لَا تَسْتَحِقُّ شَيْئًا مِنَ الْعِبَادَةِ: ﴿أَوْلُوا كَانُوا﴾؛ أي: من اتخذتم من الشفعاء ﴿لَا

١- سورة المائدة آية: ٧٢.

٢- سورة الزمر آية: ٣.

٣- سورة الزمر آية: ٣.

٤- سورة الزمر آية: ٣.

٥- تيسير الكرم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ السعدي، دار ابن الجوزي ط ٢ (ص: ٨٤٨).

٦- سورة الزمر آية: ٤٣.



يَمْلِكُونَ ﴿١﴾؛ أي: لا مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض و لا أصغرَ من ذلك و لا أكبر، بل وليس لهم عقل يستحقُّون أن يُمدَّحوا به؛ لأنَّها جمادات من أحجار وأشجار وصورٍ وأمواتٍ؛ فهل يُقال: إنَّ لِمَن اتَّخذها عقلاً، أم هو من أضلَّ الناس وأجهلهم وأعظمهم ظلماً؟! (١).

النوع الثاني: شرك النية والإرادة والقصد :-

ونجد أن ذلك جاء في سورة "الزمر" بمفهوم المخالفة، فإنَّ شرك النية هو ضد الإخلاص الذي جاء متكرراً في هذه السورة في أكثر من موضع، من ذلك قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ ﴿١﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ﴾، يقول الشيخ السعدي "هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنَّه تعالى كما أنَّه له الكمال كلُّه وله التفضل على عباده من جميع الوجوه؛ فكذلك له الدين الخالصُ الصافي من جميع الشوائب؛ فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به؛ لأنَّه متضمن للتأله لله في حبه، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه في عبوديته والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده، وذلك الذي يصلح القلوب ويزكيها ويطهرها؛ دون الشرك به في شيء من العبادة؛ فإنَّ الله بريءٌ منه، وليس لله فيه شيء؛ فهو أغنى الشركاء عن الشرك، وهو مفسدٌ للقلوب والأرواح والدنيا والآخرة، مشق للنفوس غاية الشقاء" (٢).

النوع الثالث: شرك الطاعة: وهو يتلخص في طاعة العلماء والعباد في معصية الله تعالى والدليل قوله

تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٣١﴾

﴿٣﴾. وجاء في مجموعة التوحيد "وتفسيرها الذي لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد في المعصية لا دعاءهم إياهم كما فسرها النبي - صلى الله عليه وسلم - لعدي بن حاتم لما سأله فقال لسنا

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ السعدي ، دار ابن الجوزي ط ٢ (ص: ٨٥٧).

٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للشيخ السعدي ، دار ابن الجوزي ط ٢ (ص: ٨٤٨).

٣- سورة التوبة آية: ٣١ .



نعبدهم فذكر له أن عبادتهم طاعتهم في المعصية"^{(١)(٢)}.

النوع الرابع: شرك المحبة: "شرك المحبة والدليل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾^{(٣)(٤)}، وهذا النوع مخالف للتوحيد الخالص، الذي جاءت به السورة الكريمة في مواطن متعددة، حيث أن التوحيد هو تمام الذل مع كمال الحب لله - تعالى-، وهذا التوحيد الذي ضده الشرك جاء في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾^(١١)، وقال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبَدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾^(١٤)، وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴾^(١٧).

ثانياً الشرك الأصغر:

"الشرك الأصغر: وهو ما ثبت بالنصوص تسميته شركاً، لكنه لم يبلغ درجة الشرك الأكبر، فهذا يسمى شركاً أصغر مثل: الرياء والسمعة كمن يقرأ يرائي، أو يصلي يرائي، أو يدعو إلى الله يرائي، ونحو ذلك فقد ثبت في الحديث أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: "أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر" فسئل عنه، فقال: "الرياء" يقول الله - عز وجل يوم القيامة للمرائين: "اذهبوا إلى من كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا، هل تجدون عندهم من جزاء؟"^(٥). وهناك رسائل الصحابة

١- أخرجه البخاري في التاريخ، والترمذي في سننه والطبراني في المعجم الكبير وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧/ ٨٦١)، رقم الحديث ٣٢٩٣.

٢- مجموعة التوحيد، لشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبعة المكتبة السلفية، المدينة المنورة طبعة خاصة (ص: ٥).

٣- سورة البقرة آية: ١٦٥.

٤- مجموعة التوحيد، لشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، طبعة المكتبة السلفية، المدينة المنورة طبعة خاصة (ص: ٥).

٥- أخرجه أحمد برقم (٢٣٦١) والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٦٨٣١) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم



صحيحة وحجة عند أهل العلم؛ وبعضهم حكاة إجماعاً. ومن ذلك قول العبد: ما شاء الله وشاء فلان، أو لولا الله وفلان، أو هذا من الله ومن فلان.

هذا كله من الشرك الأصغر، كما في الحديث الذي رواه أبو داود بإسناد صحيح عن حذيفة - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله، ثم شاء فلان"^(١).

ومن ذلك ما ثبت عن ابن عباس - رضي الله عنهما - في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، قال: هو الشرك في هذه الأمة، أخفى من ديب النمل على صفة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وقول: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً، هذا كله به شرك، رواه ابن أبي حاتم بإسناد حسن. فهذا وأشباهه من جنس الشرك الأصغر. وهكذا الحلف بغير الله، كالحلف بالكعبة، والأنبياء والأمانة وحياة فلان وبشرف فلان ونحو ذلك، فهذا من الشرك الأصغر؛ لما ثبت في المسند بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من حلف بشيء دون الله فقد أشرك" وروى الإمام أحمد و أبو داود والترمذي - رحمهم الله - بإسناد صحيح عن ابن عمر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "من حلف بغير الله فقد كفر أو شرك"^(٣) وهذا يحتمل أن يكون شكاً من الراوي، ويحتمل أن أو بمعنى الواو، والمعنى: فقد كفر وأشرك. ومن هذا ما رواه الشيخان عن عمر - رضي الله تعالى عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه

١- رواه أحمد و أبو داود والنسائي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٤٠٦).

٢- سورة البقرة آية: ٢٢.

٣- رواه أحمد والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٢٠٤



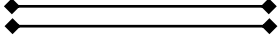
قال: "من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت"^(١) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وهذه أنواع من الشرك الأصغر، وقد يكون أكبر على حسب ما يكون في قلب صاحبه، فإذا كان في قلب الحالف بالنبي أو البدوي أو الشيخ فلان، أنه مثل الله، أو أنه يدعى مع الله، أو أنه يتصرف في الكون مع الله أو نحو ذلك، صار شركاً أكبر بهذه العقيدة، أما إذا كان الحالف بغير الله لم يقصد هذا القصد، وإنما جرى على لسانه من غير هذا القصد لكونه اعتاد ذلك كان شركاً أصغر.

وهناك شرك يقال له: الشرك الخفي، ذكر بعض أهل العلم أنه قسم ثالث، واحتج عليه بقوله - صلى الله عليه وسلم - في حديث أبي سعيد الخدري -: "أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "ألا أنبؤكم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟" قالوا بلى يا رسول الله! قال: "الشرك الخفي: يقوم الرجل فيصلي فيزين صلاته يرى من نظر رجل إليه"^(٢).. والصواب: أن هذا ليس قسمًا ثالثًا، بل هو من الشرك الأصغر، وهو قد يكون خفيًا؛ لأنه يقوم بالقلوب، كما في هذا الحديث، وكالذي يقرأ يرائي أو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يرائي، أو يجاهد يرائي، أو نحو ذلك"^(٣).

١- متفق عليه. رواه البخاري في كتاب الأيمان والندور ورواه مسلم في كتاب الأدب.

٢- أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٣٠) ورواه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٦) وحسنه الألباني في المشكاة برقم ٥٣٣٣.

٣- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، للشيخ عبد العزيز بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ط٤ (١/٤٤،٤٥،٤٦).



المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ

أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا

قُلْ إِيَّاكَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ ^(١)

المطلب الأول: مناسبة المثل لمحور السورة وكذلك مناسبة الآيات لما قبلها ودلالة السياق الذي ورد

فيه المثل

أولاً: مناسبة الآيات لمحور السورة :

"تننظم آيات هذا المقطع مع السياق العام للسورة ، حيث أنكرت على المشركين ما هم عليه من زيغ و ضلال مع ظهور الحجج وتجلي البراهين ، ثم تنتقل إلى بيان المنهج الحق والطريق السوي طريق الهداية والنجاة ، وهو الإسلام التام لله تعالى ظاهراً و باطناً ، كما تضيفي الآيات المزيد حول التعريف بأسماء الله تعالى وصفاته بما ينتظم مع الهدف العام للسورة وهو تقرير العقيدة"^(٢)

ثانياً: مناسبة الآيات لما قبلها :قال "المهرري" قوله تعالى ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا

يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى

الْهُدَىٰ أَتَيْنَا قُلْ إِيَّاكَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾

أن الله سبحانه و تعالى لما ذكر جزاء الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ؛ بأنه لا ولى لهم ولا شفيع من دون الله ، وأنهم مبلسون في عذاب جهنم ولهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون؛ أمر نبيه - صلى الله عليه وسلم- بأن يقول لهم هذه المقالة؛ أي : كيف ندعوا من دون الله أصناما

١-سورة الأنعام آية : ٧١

٢-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٢/ ٤٨٤) .



لا تنفعنا بوجه من وجوه النفع إن أردنا منها نفعاً ، و لا نخشى ضررها بوجه من الوجوه ، ومن كان هكذا ... فلا يستحق العبادة توبيخاً لهم و إنكاراً عليهم عبادتها" (١)

ثالثاً: دلالة السياق الذي ورد فيه المثل :

ورد هذا المثل في سورة الأنعام وهي من السور المكية ، ومن سمات الله سبحانه ، وبيان بطلان الشرك ، وهذه السورة قد تميزت إضافة إلى أنها مكية بكونها " أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية ، وأشدها مقارعة الجدل لهم ، واحتجاج على سفاهة أحوالهم " (٢).

وإذا نظرنا إلى المثل والقضية التي جاء لإبرازها ، فإننا ندرك أنه ضرب لبيان حيرة المشرك ، وأنه حائد عن الصراط المستقيم والطريق القويم ، وأن الرجوع إلى الشرك بعد التوحيد رجوع إلى الضلال بعد الهدى ، والعمى بعد البصيرة فالمشرك تائه حائر ، لا يعلم طريقاً إلى نجاته وسلامته . وقد كان المشركون يدعون النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه إلى ترك دينهم والرجوع إلى عبادة الأصنام ، قال "السدي" - رحمه الله - : " قال المشركون للمؤمنين : اتبعوا سبيلنا واركبوا دين محمد ، فقال الله تعالى ذكره : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهُ ﴾ (٣)

وقد ذكر الله في هذه السورة عدة أمثلة تبين حرص المشركين على صد الناس عن هذا الدين وأن السياق أسهم في إبراز قضيتين هامتين لأجلهما ضرب المثل :

- ١- سعي المشركين لصد النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه عن هذا الدين .
- ٢- إبراز الحيرة والتخبط عند من يعبد غير الله مهما كان ذلك المعبود. والمثل جاء واسطة العقد بين هاتين القضيتين .

١- تفسير حدائق الروح والريحان (٨ / ٤١١ ، ٤١٢) .

٢- التحرير والتنوير (٣ / ١٢٥) .

٣- تفسير الطبري (٧ / ٢٣٦) .



المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم

قال "الطبري" - رحمه الله - في تفسير هذه الآية الكريمة: "وهذا تنبيه من الله تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - على حجته على مشركي قومه من عبادة الأوثان يقول له - تعالى ذكره - قل محمد لهؤلاء العادلين برهم الأوثان والأنداد ، والآمرين لك بإتباع دينهم وعبادة الأصنام معهم : أندعو من دون الله حجراً أو خشباً لا يقدر على نفعنا أو ضرنا ، فنخصه بالعبادة دون الله ، وندع عبادة الذي بيده الضر والنفع والحياة والموت ، إن كنتم تعقلون فتميزون بين الخير والشر ، فلا شك أنكم تعلمون أن خدمة مايرتجي نفعه ويهرب ضره ، أحق وأولى من خدمة من لا يرجي نفعه و لا يخشى ضره! ونرد على أعقابنا" ، يقول : ونرد على أدبارنا ، فراجع الفهقري خلفنا ، لم نظفر بجاحتنا . وقد بينا معنى : " الرد على العقب " ، وأن العرب تقول لكل طالب حاجة لم يظفر بها : "رد على عقبه" . فيما مضى ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضوع وإنما يراد به في هذا الموضوع: ونرد من الإسلام إلى الكفر ، " بعد إذ هدانا الله " فوفقنا له ، فيكون مثلنا في ذلك مثل الرجل الذي استتبعه الشيطان يهوي في الأرض حيران وقوله " استهوته " استفعلته من قول القائل : " هوى فلان إلى كذا بهوي إليه " ومن قول الله -تعالى ذكره- ﴿ فَأَجْعَلْ أَفْعَدَةً مِّنَ النَّاسِ

تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴿^(١)

بمعنى تترع إليهم وتريدهم . وأما { حيران } فإنه " فعلان " من قول القائل : "قد حار فلان في الطريق ، فهو يحار فيه حيرة وحيرانا وحيرورة " وذلك : إذا ضل فلم يهتد للحجة . { له أصحاب يدعونه إلى الهدى } يقول : لهذا الحيران الذي قد استهوته الشياطين في الأرض أصحاب على الحجة واستقامة السبيل ، يدعونه إلى المحجة لطريق الهدى الذي هم عليه يقولون : اتتنا " ^(٢) .

وقال - رحمه الله - أيضاً وهذا مثل ضربه -تعالى ذكره - لمن كفر بالله بعد إيمانه ، فاتبع الشياطين

١-سورة إبراهيم : جزء من آية :٣٧.

٢-تفسير الطبري (٩/ ٣٢٧ ، ٣٢٨).



من أهل الشرك بالله ، وأصحابه الذين كانوا أصحابه في حال إسلامه ، المقيمون على الدين الحق ، يدعونه إلى الهدى الذي هم عليه مقيمون ، والصواب الذي هم به مستمسكون وهو له مفارق وعنه زائل ، يقولون له " اتتنا فكن معنا على استقامة وهدى " ! وهو يأبى ذلك ويتبع دواعي الشيطان ويعبد الآلهة والأوثان ^(١).

وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِيَّاكَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يقول - تعالى ذكره - لنبيه - محمد صلى الله عليه وسلم - لهؤلاء العادلين برهم الأوثان ، القائلين لأصحابك : ﴿ اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ ﴾ ^(٢) فإننا على هدى ، ليس الأمر كما زعمتم ﴿ إِيَّاكَ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَىٰ ﴾ يقول : إن طريق الله الذي بينه لنا وأوضحه ، وسبيله الذي أمرنا بلزومه ، ودينه الذي شرعنا لينا فبينه ، هو الهدى والاستقامة التي لا شك فيها ، لا عبادة الأوثان والأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، فلا نترك الحق ونتبع الباطل ، ﴿ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ يقول : وأمرنا ربنا ورب كل شيء - تعالى وجهه - ، لنسلم له ، لنخضع له بالذل والطاعة والعبودية ، فنخلص ذلك له دون ما سواه من الأنداد والآلهة . ^(٣)

قال "السعدي" - رحمه الله - : {قل} يا أيها الرسول للمشركين بالله ، الداعين معه غيره ، الذين يدعونكم إلى دينهم ، مبيناً وشارحاً لوصف آلهتهم ، التي يكتفى العاقل بذكر وصفها ، عن النهي عنها . فإن كل عاقل إذا تصور مذهب المشركين ، جزم ببطلانه ، قبل أن تقام البراهين على ذلك ، فقال : ﴿ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا ﴾ وهذا وصف ، يدخل فيه كل من عبد من دون الله ، فإنه لا ينفع ولا يضر وليس له من الأمر شيء ، إن الأمر إلا لله . ﴿ وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ أي : ونقلب بعد هداية الله لنا إلى الضلال ، ومن الرشد إلى الغي ، ومن الصراط

١- تفسير الطبري (٩/ ٣٢٨).

٢- سورة العنكبوت جزء من آية ١٢:

٣- تفسير الطبري (٩/ ٣٣٣).



الموصل إلى جنات النعيم إلى الطرق التي تفضي بسالكها إلى العذاب الأليم فهذه حال لا يرتضيها ذو رشد ، وصاحبها ﴿ كَأَلَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ ﴾ أي : أضلته وتميته عن طريقه ومنهجه ، الموصل إلى معتقده فبقى : ﴿ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ﴾ والشياطين يدعونهم إلى الردى ، فبقى بين الداعين حائراً وهذه حال الناس كلهم ، إلا من عصمه الله تعالى ، فإنهم يجدون فيهم جواذب ودواعي متعارضة ، دواعي الرسالة والعقل الصحيح ، والفطرة المستقيمة ﴿ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ﴾ والصعود إلى أعلى عليين ، ودواعي الشيطان ، ومن سلك مسلكه ، والنفس الأمارة بالسوء ، يدعونهم إلى الضلال ، والتزول إلى أسفل سافلين .

فمن الناس من يكون مع دواعي الهدى في أموره كلها أو أغلبها ومنهم من بالعكس من ذلك . ومنهم من يتساوى لديه الداعيان ، ويتعارض عنده الجاذبان وفي هذا الموضوع ، تعرف أهل السعادة من أهل الشقاوة وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّكَ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ أي : ليس الهدى إلا الطريق التي شرعها الله على لسان رسوله ، وما عداه ، فهو ضلال وردة وهلاك . ﴿ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ بأن نقاد لتوحيده ، ونستسلم لأوامره ونواهيه ، وندخل تحت عبوديته ، فإن هذا أفضل نعمة أنعم الله بها على العباد ، وأكمل تربية أوصلها إليهم^(١) .

المطلب الثالث : نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله^(٢) :

أولاً : نوع المثل : هذا المثل من الأمثال التشبيهية حيث شبه الله فيه من عاد إلى الشرك بعد ان كان على التوحيد ، بمن كان على الجادة الصحيحة ثم حاد عنها وتلاعبت به الشياطين ، فأصبح في حيرة وتخبط كما أنه من الأمثال المركبة ، فالتشبيه مكون من رجل كان يمشي على جادة صحيحة ، فعرض له عارض صرفه عنها ، فأصبح ضالاً حائراً ، وله رفقة يدعونهم إلى الرجوع إلى الطريق

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٨٠ .

٢- استفدت هذا المبحث من رسالة " الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضاهاها من الشرك من ص ٤٨٠ :



المستقيم فان رجع إليهم نجا وإلا هلك. يقابل هذه الصورة ، صورة المرتد عن الإسلام إلى الكفر ، وعن التوحيد إلى الشرك ، فقد كان سائراً على الصراط المستقيم ، ثم صرفته الشياطين عنه ، فأصبح حائراً بين المعبودات الباطلة ، وكل الدواعي تدعوه إلى الرجوع إلى الحق والهدى الذي كان عليه ، وهو يأبى إلا التخبط والحيرة .

قال "السدي" - رحمه الله - : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ۚ أَيُّ : في الكفر ، ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ ﴾ فيكون مثلنا كمثل الذي ﴿ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ ﴾ يقول : مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان ، كمثل رجل كان مع قوم على الطريق ، فضل الطريق ، فجعلوا يدعونه إليهم يقولون : ائتنا فإننا على الطريق ، فأبى أن يأتيهم ، فذلك مثل من يتبعهم بعد المعرفة بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ومحمد هو الذي يدعو إلى الطريق ، والطريق هو الإسلام ^(١) .

وفي هذا المثل شبه معقولٌ بمحسوس ، فالضلال عن التوحيد أمر معقول معنوي ، شبه بالضلال عن الطريق الحسي .

ثانياً : الغرض الذي من أجله ضرب المثل :

ضرب المثل لغرض الإقناع بذكر قبائح الباطل والتنفير منه وذلك بيان جانب من جوانب خطر الشرك ، وذلك بإبراز حيرة المشرك وتخبطه بين الآلهة الباطلة ، وبعده عن سبيل الهداية ، يدل على ذلك قوله تعالى في بداية الآية : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ ﴾ فإذا كان الشرك بهذه المثابة فإن الرجوع إليه بعد الهداية إلى الإسلام ، من أقبح الأمور ، فقبحه شبيهه بقبح من ترك الطريق الصحيح الذي يوصل إلى الوجهة المطلوبة ، وذهب يتخبط يميناً وشمالاً ، و لا أحد يتمنى أن يكون هذا حاله .

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

١- تفسير الطبري (٣٢٩/٩).



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



أولاً: ما تضمنت هذه الآيات من أنواع من البلاغة والفصاحة والبيان والبديع :

منها : الطباق في قوله : { ينفعنا } و { يضرنا } ، { والغيب } و { الشهادة } .

ومنها : التقيح والتشنيع في قوله : ﴿ وَنُرِدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ﴾ عبر بالرد على الأعقاب عن الشرك لزيادة تقيح الأمر وتشنيعه ؛ لأنها المشية الدنية .

ومنها التشبيه في قوله : كالذي ﴿ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيْطَانُ ﴾

ومنها: التكرار في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ مع ما قبله " (١) .

ثانياً: قال "ابن عاشور" - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا

﴿ وَنُرِدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ ﴾ استئناف ابتدائي لتأسيس المشركين من ارتداد بعض المسلمين عن

الدين ، فقد كان المشركون يحاولون ارتداد بعض قرابتهم أو من لهم به صلة . كما ورد في خبر

سعيد بن زيد وما لقي من عمر بن الخطاب وقد روى أن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق دعا أباه

إلى عبادة الأصنام ، وأن الآية نزلت في ذلك إلى أن قال والاستفهام إنكار وتأسيس ، وجيء

-بنون المتكلم ومعه غيره - لأن الكلام من الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن نفسه وعن

المسلمين كلهم " (٢) .

ثالثاً: قال "ابن عاشور" - رحمه الله - وقوله ﴿ وَنُرِدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا ﴾ عطف على ﴿ أَدْعُوا ﴾ فهو

داخل في حيز الإنكار والرد : الإرجاع إلى المكان الذي يأتي منه كقول تعالى { رُدُّوْهَا عَلَيَّ }

والأعقاب جمع عقب وهي مؤخر القدم وعقب كل شيء طرفه وآخره ويقال : رجع على عقبيه

ونكص على عقبيه بمعنى رجع إلى المكان الذي جاء منه لأنه كان جاعلاً إياه وراءه فرجع " (٣) .

رابعاً: قال "سيد قطب" - رحمه الله - : "في كلمة "قل" الإيقاع القوي المتكرر في السورة، الذي

١- تفسير حدائق الروح والريحان (٨ / ٤٤٧) .

٢- التحرير والتنوير (٧ / ٢٩٩ ، ٣٠٠) .

٣- التحرير والتنوير (٧ / ٣٠٠) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



يوحى بان هذا الأمر لله وحده ، وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إنما هو منذر ومبلغ ؛ والذي يوحى بجلال هذا الأمر وعلويته ورهبته ؛ وأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إنما هو مأمور به من ربه " قل : أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا " (١).

خامساً: قال "ابن عاشور" في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ أَتَيْنَا﴾ "معني في تمثيل حالهم لو فرض رجوعهم على أعقابهم بتمثيل آخر أدق، بقوله "كالذي استهوته الشياطين في الأرض" ، وهو تمثيل بهيئة متخيلة مبنية على اعتقاد المخاطبين في أحوال المسوسين فالكاف في موضع الحال من الضمير في ﴿وَنُرْدُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ أي حال كوننا مشبهين للذي استهوته الشياطين فهذه الحال مؤكدة لما في ﴿وَنُرْدُ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا﴾ من معنى التمثيل بالمرتد على أعقابهم " (٢).

سادساً: قال "سيد قطب" في قوله: ﴿كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ "إنه مشهد حي شاخص متحرك للضلالة والحيرة التي تنتاب من يشرك بعد التوحيد ، ومن يتوزع قلبه بين إله الواحد والآلهة المتعددة من العبيد ! ويتفرق إحساسه بين الهدى والضلال ، فيذهب في التيه إنه مشهد ذلك المخلوق التعيس: ﴿كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ ولفظ الاستهواء لفظ مصور بذاته لمدلوله وبالتيه يتبع هذا الاستهواء في اتجاهه ، فيكون له اتجاه صاحب القصد الموحد - ولو في طريق الضلال ! ولكن هناك ، من الجانب الآخر ، أصحاب له مهتدون ، يدعونهم إلى الهدى ، وينادونه " اتتنا " - وهو بين هذا الاستهواء وهذا الدعاء " حيران " لا يدري أين يتجه ، و لا أي الفريقين يجيبانه العذاب النفسي يرتسم ويتحرك ، حتى ليكاد يحس ويلمس من خلال التعبير " (٣).

١-الظلال (١ / ١١٣١).

٢-التحرير والتنوير (٧ / ٣٠١).

٣-الظلال (٤ / ١١٣١ ، ١١٣٢).



سابعاً: يقول "سيد قطب" - رحمه الله - " وبينما ظل المشهد الحي الشاخص المتحرك الموحى ، يغمر النفس بالوجل من هذا المصير التعس يأتي التقرير الحاسم بالاتجاه الثابت المستقيم : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) " كما يفيد التركيب البياني للجملة - وإنه لذلك عن يقين " (١) .

ثامناً: ومن الفوائد التربوية أن البشرية لتتخبط في التيه ، كلما تركت هذا الهدى ، انخرقت عن شيء منه واستبدلت به شيئاً من تصوراتها وهي ومقولاتها ، وأنظمتها وأوضاعها ، وشرائعها وقوانينها ، وقيمها وموازينها ، بغير " علم " و " لا " هدى " ولا " كتاب منير " .

تاسعاً: قال "سيد قطب" : " وكلما فاء هذا " الإنسان " إلى هدى الله اهتدى ؛ لأن هدى الله هو الهدى فكلما بعد كلية عنه أو انخرق بعض الانحراف واستبدل به شيئاً من عنده ضل لأن ما ليس من هدى الله فهو ضلال ... إذ ليس هنالك نوع ثالث فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟! " (٢) .

عاشراً: من القيم التربوية أن طريق الهدى طريق واحد هو الذي حدده ربنا وبينه لنا ، وأمرنا ان نسلم له تعالى بقلوبنا وأرواحنا وجوارحنا ظاهراً وباطناً .

حادي عشر : ومن القيم الإيمانية بيان أن الصحبة الصالحة مسلك من مسالك النجاة ، وعصمة من مكائد الشيطان " (٣) .

ثان عشر : " على من يسعى للوصول إلى الحق أن يحرر نفسه من أسر شياطين الإنس والجن ، ويستعيد بالله تعالى من شرورهم ووساوسهم ويعتصم بالله تعالى ويتوجه إليه متضرعاً خاشعاً ،

١-الظلال (٤ / ١١٣٢) .

٢-الظلال (٤ / ١١٣٢) .

٣-التفسير الموضوعي (٢ / ٤٨٤) .



فالهداية منه تعالى وهو سبحانه المعين عليها والموفق إليها ، فمن طلبها بصدق وإخلاص وتجرد وعزيمة نالها " (١) .

ثالث عشر: على من أراد النجاة في دنياه وأخراه أن يسلك طريقها ويقتفي أثر من سبق إليها ، أما أن يرتجئها من لا يسلكها ويتوقعها من انحراف عنها فهذا من الغفلة والعجز ، وقد قال أبو العتاهية :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجرى على اليبس.

رابع عشر: ومن الفوائد الإيمانية الاستفادة من المثل دلالة المثل على حجة من حجج إبطال الشرك قال "ابن القيم" - رحمه الله - : " والمعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر ، ولهذا أنكر الله تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضراً و لانفعاً ، وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴾ (٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ (٣) .

خامس عشر: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على أن من الشرك دعاء غير الله قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : "لفظ الدعاء والدعوة في القرآن يتناول معنيين ، دعاء العبادة ودعاء المسألة" (٤) .

سادس عشر: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على وجوب الخوف من الشرك والحذر منه ، حيث صور المثل خطر الشياطين في اجتيال الناس عن التوحيد وردهم إلى الكفر فما دام العدو متربصاً فلا بد من الخوف والحذر" (٥) .

١- التفسير الموضوعي (٢ / ٤٨٥) .

٢- سورة يونس جزء من آية : ١٨ .

٣- سورة يونس جزء من آية : ١٠٦ .

٤- مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٣٧) .

٥- الجربوع ، إبراهيم بن عبد الله ، الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضافه من الشرك ، رسالة ماجستير ،

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة كلية الدعوة قسم العقيدة ص _____ ٤٩٩ .



المبحث الثالث : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ (١٧٥) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٧٦) سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴾ (١٧٧) (١).

المطلب الأول : مناسبة الآيات لما قبلها ومناسبة الآيات لموضوع السورة والعبرة من المثل :

أولاً : مناسبة الآيات لما قبلها وما بعدها :

بتأمل الآيات السابقة للمثل ، نلاحظ أنها تدور حول فكرة التوحيد وإرسال الرسل وتكذيب أقوامهم لهم ، ثم عاقبة ذلك التكذيب ونهايته السيئة . كذلك الحديث عن آيات الله وتصريفه لخلقهم وملكوته وقدرته المتجلية في جميع مخلوقاته ثم حديثه المفصل عن الأقوام المكذبة لرسولها وعاقبة كل منهم ثم ذلك حديثه - سبحانه - عن أولئك الذين يتبعون محمداً - صلى الله عليه وسلم - والنور الذي جاء به ، ومدى فلاحهم وأمره له - صلى الله عليه وسلم - بدعاء الناس جميعاً إلى إتباع رسالته التي جاء بها من عند الله عز وجل ثم عاد السياق مرة أخرى للحديث عن قوم موسى وأن منهم من آمن ومنهم من ضل عن السبيل ثم عاقبة المكذبين الضالين منهم وبعد هذا العرض السريع لقصص الأقوام السابقة ومدى تكذيبهم لرسولهم ثم عقاب الله لهم ، عاد السياق إلى قصة الخليفة الأول وميثاقهم الأول مع ربهم وبإيمانهم الفطري به وإقامة الحجة عليهم بشهادتهم ظن أنفسهم بحكم وجودهم ذاته وحكم ما يستشعرونه في أعماقهم من هذه الحقيقة أما الرسائل فما هي إلا تذكير وتحذير لمن ينحرفون عن هذه الفطرة السليمة لأن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالقهم منذ كينونتهم الأولى فلا حجة لهم في نقض الميثاق حتى وإن لم يبعث لهم رسل

١-سورة الأعراف الآيات من ١٧٥ : ١٧٧.



للتبشير أو الإنذار ولكن حكمة الله ورحمته بهم اقتضت أن يرسل لهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " (١).

وبعد أن تحدث السياق الكريم عن هذا الميثاق الأول بين الخلق وخالقهم كان من المناسب جداً أن تأتي آية المثل التي تحكي قصة من أوتي العلم بآيات الله ، فتركها واتجه إلى خصام الدنيا وذرائلها ... ولو شاء الله لانتفع بها ورفعته إلى أعلى مراتب الشرف والكرامة ، ولكنه دائم الإقبال على الدنيا والنهم بسفاسفها ، لا يمنعه وعظ و لا يخجله إعراض .. وربما لا يكتفي السامع بهذا المعنى العقل المجرد ، بل ربما لا يحرك حسه ومشاعره ... فكان دور المثل هنا دوراً جميلاً مناسباً جد للمناسبة ، إذ أنه نقل لنا المعنى المجرد في صورة محسوسة مشاهدة ولم يقتصر الأمر على مجرد رؤيتها بل تعدى الإحساس بها إلى المشاعر السامع واشتمتازه منها تلك مناسبة المثل لما سبقه من آيات .

مناسبة المثل بما لحقه في السياق من الآيات : فالملاحظ أنهما تحدثت عن هداية الله لمن يريد من البشر وإضلاله لبعضهم ، وبينت أن هؤلاء الضالين لا يستفيدون بما أوتوا من نعمة السمع والبصر والفؤاد ، فهم كالأنعام بل هم أضل ، ثم تتوالى الآيات بعد ذلك في التأكيد على قضية الإيمان بالله وحده لا شريك له وترك ما دونه لأنه هو الخالق وغيره مخلوق ، فلا يستطيعون نفعاً ولا ضرراً ولا نصراً لأنفسهم ولاهم ينصرون .

ذلك هو الارتباط الواضح بين آية المثل وبين ما لحقه من آيات في السياق ، إذ كل الآيات السابقة له واللاحقة به تدور حول موضوع أساسي ، هو ضرورة التمسك بآيات الله وبعلمه وعدم الانصراف عنها أو التهاون في العمل بموجبها " (٢).

ثالثاً : العبرة من المثل :-

١- تفسير الظلال (٣ / ١٣٩١).

٢- وجوه البيان في أمثال القرآن ص ١٥٨ ، ١٥٩ .



إن المتأمل للمشهد الذي صورته المثل في الآية الكريمة ، تأبى عليه نفسه أن يتلحق في مهاوي الرذائل وسفاسف الأمور ويحاول جاداً أن يكون ممن يعملون بما أوتوا من علم وإيمان حتى يصل إلى أقصى مراتب الرفعة والشرف بدلاً من التشبه بأخس مخلوقات الله - والعياذ بالله - وهو في أرذل صورة وأقبح أحواله و لا أدل على أن هذا المثل قد سبق لأخذ العبرة من اختتام آية المثل نفسها بقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أي : يتفكرون في عاقبة الأمور وليحذر الذين يعلمون شيئاً من علم الله أن ينتهوا إلى هذه النهاية البائسة وأن يصيروا إلى هذا اللهات الذي لا ينقطع أبداً ، وأن يظلموا أنفسهم ذلك الظلم الذي لا يظلمه عدو لعدوه ، فإنهم لا يظلمون إلا أنفسهم بهذه النهاية السيئة .

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال الشيخ "مصطفى العدوي" - حفظه الله - " المعنى - والله تعالى أعلم - أن مثل هذا الذي آتاه الله - عز وجل - الآيات فترك العمل بها وأهملها وخالفها كمثل الكلب فالكلب إن طردته أو دفعته بعضاً أو بحجارة يلهث وإن لم تطرده وتركته يلهث أيضاً، فهو يلهث على كل حال وهكذا الذي آتاه الله الآيات فانسلخ منها ، فإنه سواء عليه وُعِظَ أم لم يُوعَظ لا يهتدي و لا ينتفع بالموعظة و لا عدمها .

قال " الطبري " - رحمه الله - "يقول تعالى ذكره:- فمثل هذا الذي آتيناها فانسلخ منها ، مثل الكلب الذي يلهث ، طردته أو تركته . ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب فقال بعضهم أمثله به في اللهث ، لتركه العمل بكتاب الله وآياته التي آتاها إياه ، وإعراضه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئاً من ذلك فقال جل ثناؤه فيه ، إذ كان سواء أمره ، وعظ بآيات الله التي آتاها إياه أو لم يوعظ في أنه لا يتعظ بها ، و لا يترك الكفر به : فمثله مثل الكلب الذي سواء أمره في لهته طُرد أو لم يُطرد ، إذ كان لا يترك اللهث بحال . ثم أورد "الطبري" - رحمه الله - أثراً في ذلك ، ثم قال : "وقال آخرون إنما مثله جل ثناؤه بالكلب لأنه يلهث كما يلهث الكلب" .



وقال الحافظ " ابن كثير -" رحمه الله - : " وقوله تعالى : ﴿ فَثُلَّ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ﴾ اختلف المفسرون في معناه ؛ فأما على سياق ابن إسحاق ، عن سالم بن النضر : أن بلعاماً اندلع لسانه على صدره ، فتشبيهه بالكلب في لهته في كلتا حالتيه إن زجر وإن ترك . وقيل : معناه : فصار مثله في ضلاله ، واستمراره فيه ، وعدم انتفاعه بالدعاء إلى الإيمان ، وعدم الدعاء كالكلب في لهته في حالتيه ، إن حملت عليه وإن تركته ، هو يلهث في الحالين ، وكذلك هذا لا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الإيمان و لاعدمه ، كما قال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(١) . ﴿ أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾^(٢) . ونحو ذلك وقيل : معناه أن قلب الكافر والمنافق والضال ضعيف فارغ من الهدى ، فهو كثير الوجيب ، فعبر عن هذا بهذا . نقل نحوه عن الحسن البصري وغيره " (٣) .

قال "السعدي"- رحمه الله - : " يقول تعالى لنبيه -صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا ﴾ ؛ أي : علمناه (علم) كتاب الله فصار العالم الكبير والخبر النحرير فانسلخ منها فاتبعه الشيطان ؛ أي : انسلخ من الاتصاف الحقيقي بالعلم بآيات الله ؛ فإن العلم بذلك يصير صاحبه متصفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ويرقى إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات ؛ فترك هذا كتاب الله وراء ظهره ، ونبذ الأخلاق التي يأمر بها الكتاب ، وخلعها كما يخلع اللباس ، فلما انسلخ منها ؛ أتبعه الشيطان ؛ أي : تسلط عليه حين خرج من الحصن الحصين وصار إلى أسفل سافلين ، فأزه إلى المعاصي أزا ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ بعد أن كان من الراشدين المرشدين وهذا لأن الله تعالى خذله ووكله إلى نفسه ؛ فلهذا قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ : بأن نوقفه للعمل بها فيرتفع في الدنيا والآخرة ، فيتحصن من أعدائه ، ﴿ وَلَكِنَّهُ ﴾ فعل ما يقتضي

١-سورة البقرة جزء من آية : ٦ .

٢-سورة التوبة جزء من آية : ٨٠ .

٣-تفسير ابن كثير(٦ / ٤٥٦) .



الخدلان ؛ فأخلده إلى الأرض ؛ أي: إلى الشهوات السفلية والمقاصد الدنيوية ، ﴿ وَأَتَّبَعَ هَوْنَهُ ﴾ : وترك طاعة مولاه .

﴿ فَشَلُّهُ ﴾ : في شدة حرصه على الدنيا وانقطاع قلبه إليها ﴿ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثْ ﴾ ؛ أي : لا يزال لاهثاً في كل حال ، وهذا لا يزال حريصاً حرصاً قاطعاً قلبه لا يسد فاقتة شيء من الدنيا ﴿ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ بعد أن ساقها الله إليهم ، فلم ينقادوا لها ، بل كذبوا بها وردوها لهوائهم على الله واتباعهم لأهوائهم بغير هدى من الله " (١) .

قال الشيخ العلامة "ابن عثيمين" بمثل تفسير الشيخ ناصر السعدي - رحمه الله تعالى - وقد نقل كلامه بالنص " (٢) .

المطلب الثالث : بيان نوع المثل وبيان الممثل به وصورة الممثل له والغرض الذي من أجله ضرب المثل :

أولاً: بيان نوع المثل : مثل الله تعالى من لم يعمل بما علم ومن عرف الله تعالى وعرف أسمائه وصفاته وكمال المطلق ولم يفرد العبادة له وحده ، بمثلين أحدهما بالمنسلخ والآخر بالكلب ، وهذان المثالان من الأمثال التشبيهية التي يتم إيضاح المعنى منها عن طريق القياس التمثيلي . تشبيه غير مدرك بالحس الظاهر بمدرك بالحس الظاهر ، فقد صور حال الذي أعطى العلم ولم يعمل به فسلبه الله تلك النعمة ، فأشبهه في حالته تلك الحية التي تنسلخ من جلدها ، وتتركه على الأرض وحال الذي أخلد إلى الدنيا ساعياً خلفها بصورة الكلب الذي لا يترك هذا اللهاث الذي لا ينقطع أبداً . وهو تشبيه مركب كما يتضح فيما يلي :

١- تفسير السعدي ص ٣٣٩ .

٢- تفسير الشيخ ابن عثيمين (٥ / ٦٠ ، ٦١) .



ثانياً : بيان الممثل به : تظهر صورة الممثل به من قوله تعالى : ﴿ فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ أي كما تنسلخ الحية من جلدها ، وفارقها فراق الجلد ينسلخ عن اللحم ومن قوله تعالى ﴿ فَثَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ﴾ وقال "ابن منظور" - رحمه الله - : الانسلاخ : كل شيء يغلق عن قشر فقد انسلخ مسلاخ الحية سلختها جلدها التي تنسلخ عنها وهو كحال أحقر الحيوانات ، وهي حالة الكلب في دوام لهته ، سواء في حالة التعب أو الراحة ، أو صورة الحية التي تنسلخ جلدها . وصورة الكلب الذي ينبح إن حملت عليه أو تركته وهو يلهث في حالة المرض والصحة والتعب والراحة فهو يلهث في جميع حالاته وهو ميت الفؤاد ^(١) .

ثالثاً : صورة الممثل له : هي صورة حال الذي أعطي العلم وعرف ربه ، ولم يعمل بمقتضى معرفته وهو ذلك العالم الذي حرم ثمرة علمه ، فخرج من الآيات ، وكفر بها ومال إلى الدنيا ، فسلبه الله تلك النعمة ، وقد كان من الممكن أن يرفعه الله بها لو أن علمه قاده إلى العمل ، فإن توحيد بتوحيد الربوبية فقط لم يفده بل كان يجب عليه أن يأتي بتوحيد الألوهية .

رابعاً : الغرض الذي من أجله ضرب المثل :

إن من الأغراض التي من أجلها ضرب هذا المثل هو إثارة التفكير بأسلوب الاستفهام فقوله تعالى :

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُنَكِّتَهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَثَلَّهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾

لهذا المثل هو من الأمثال التي تبعث على التفكير ، وقد جاء في آخر الآية أمر الله لنبيه محمد بقص القصص لعل الكفار يتفكرون في هذه الأمثال ، ليدركوا ما فيها من معاني وألغاز وعبر يؤمنوا . وجاء عن علماء الحيوان أن وصف المثل للكلب وهو يلهث ، هي ظاهرة علمية بيولوجية

١-سندي ، هند بنت إبراهيم ، الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، كلية

الدعوة ، قسم العقيدة عام ١٤٣٣هـ ، ص ١٥١ .



، يمكن رؤيتها بالعين المجردة ، لكن تفسيرها لا يتم إلا بالأدوات العلمية التقنية ، وقد شرح علماء الحيوان أن الكلب لا يملك بعض الغدد التي تحافظ على مستوى درجة حرارة جسمه الداخلية ، فلهذا فحرارته تعمل على الصعود دائماً ، لذا فإن الكلب يستعوض باللهث ، بإخراج اللسان لإدخال البرودة إلى الجسم ، التي تعمل على توازن الحرارة داخله ، وبقائها في المستوى الطبيعي ، وهذا لم يكتشفه العلم إلا مؤخراً.

ودعوة الله إلى التفكير في هذا المثل هو دعوة للتفكير في هذه الظاهرة ، التي تدعو إلى إعمال العقل ، وهو لا شك من الأغراض التربوية للأمثال القرآنية ^(١).

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: التشبيه التمثيلي : في الآية الكريمة قد شُبه حال من أُعطي شيئاً فلم يقبله بالكلب - في الخسة والضعفة - الذي إن حملت عليه نبح وولى ذاهباً ، وإن تركته شد عليك ونبح ، فهو يعطي الجهد والجهد من نفسه في كل حالة من الحالات ، وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث ، إلا إذا هيج منه وحرك ، وإلا لم يلهث ؛ أما الكلب فهو ذليل دائم الذلة لاهث في الحالتين ^(٢).

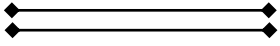
ثانياً : والآية تشتمل أيضاً على استعارة مكنية في قوله تعالى : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ إذ استعير لفظ الانسلاخ وهو لا يكون إلا للشاة أو الحيوان عموماً إذا أبعد عنه جلده . استعير هذا اللفظ لمن يتعد عن آيات الله وعلمه بعد أن أوتيته ^(٣).

ثالثاً: في قوله تعالى : ﴿ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا ﴾ والنبا : يختلف عن الخبر لأن النبا لا يكون إلا للإخبار بما لا يعمله المخبر ويجوز أن يكون الخبر بما يعلمه وبما لا يعلمه ولهذا نقول تخبرني عن

١- المدلولات التربوية للأمثال القرآنية ص ٦٠ ، ٦١ .

٢- الجداول في إعراب القرآن (٥ / ١٢٨ ، ١٢٩) .

٣- وجوه البيان في أمثال القرآن ص ١٦٠ .



نفسى و لا يقول تنئني عن نفسى وفي القرآن ﴿فَسَيَاتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾^(١) فقد استهزأوا به لأنهم لم يعلموا حقيقته - ولو علموا ذلك لتوقوه - وقيل في النبأ معنى عظيم الشأن وكذلك أخذ منه صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولهذا يقال لفلان نبأ و لا يقال خير لهذا المعنى وجاء في تعريف الراغب للنبأ أن الخبر إن تتوفر فيه الفائدة العظيمة ويحصل به علم أو غلبة ظن فما يسمى نبأ وليس كل نبأ خبراً لأن حق النبأ أن يعرى من الكذب كالتواتر وأخبار الله تعالى وأخبار رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم -^(٢).

رابعاً: وفي قوله: ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ﴾ ففي الغالب أن لفظ ﴿الَّذِي﴾ لفظ مفرد أريد به الجمع أي كل من أنسلخ عن الحق بعد أن أعطيه من اليهود والنصارى والحنفاء (وقال عبادة بن الصامت هم قريش أتتهم أوامر الله ونواهيهِ والمعجزات فانسلخوا من الآيات ولم يقبلوها)^(٣).

خامساً: "جاء الضمير في قوله: ﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ مُسْنَدًا إلى الشخص ذاته لأن موضع الحديث موضع إساءة، ونظيره قوله تعالى ﴿فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾^(٤). كما لا يفوتنا هنا ما في جملة ﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ من إيجاء بمعناها فكما علمنا أنها في وجودها مع غيرها تدل على استعارة مكنية هذا فضلاً عن جرسها الذي يوحي بذلك الترع الشديد الذي يحدث أثناء إبعاد جلد الحيوان عن لحمه وهذا بدوره يشبه تماماً الشعور الذي ينتاب المتبعد عن آيات الله في تلك اللحظة الحرجة .

سادساً: "وجملة ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ مبتدأ وخبر وقد سبق الإشارة إلى ما فيها من تصوير ، وإشارة الجملة الاسمية هنا للدلالة على دوام اتصافه بتلك الحالة واستقراره عليها"^(٥).

١-سورة الشعراء جزء من آية :٦ .

٢-وجوه البيان في أمثال القرآن ص_____١٦٢ .

٣-البحر المحيط (٤/ ٤٢٢) .

٤-سورة الكهف جزء من الآية :٧٩ .

٥-الجامع لأحكام القرآن (٣ / ٢٧٥٨) .



سابعاً: ومن اللطائف في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ﴾ تلاحظ هنا بإسناد الفعل ﴿لَرَفَعْنَاهُ﴾ إلى ضمير الذات العلية وذلك لما فيه من الخير ، أما قوله ﴿أَخْلَدَ﴾ فقد أسند إلى ضمير الشخص المتصرف عن آيات الله سبحانه وتعالى لأن ما يصيبه من سوء ، هو السبب فيه وحده أما الباء في قوله: ﴿لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ سببية أي بسببها .

ثامناً: ولنتأمل قوله: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ ففي هذا الاستدراك دليل على أن المتباعد عن آيات الله هو الجاني على نفسه بما اختار من سفاسف الدنيا وفي قوله ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي ركن إليها ظاناً أنه خالد فيها وقيل اطمأن إليها والجميل هنا أن يأتي التعبير بالإحلال إلى الأرض وليس إلى الدنيا أو الشهوات ، وماذاك إلا لأن الأرض موطن لذلك كله^(١). وهذا ما يسمى بلاغياً بالمجاز المرسل وعلاقته هنا المحلية أما القرينة الدالة على ذلك فهي قوله ﴿أَخْلَدَ﴾ إذ الخلود لا يكون للأرض وإنما للدنيا وحطامها .

تاسعاً: إن كل من تفضل الله تعالى عليه بالإيمان ومعرفة الله ولم يعبده حق عبادته ، تقوم الحجة عليه يوم القيامة وذلك لأن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية . وإن أسباب الضلال والبعد عن الإيمان من الإنسان ، ويدل على ذلك نسبة الضمير إليه ، في قوله: ﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا﴾^(٢) .

عاشراً : في قوله تعالى: ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ إشارة إلى أن هذا العالم الذي انحرف ومال إلى الدنيا صار إماماً للشيطان في الضلال والفساد ، فكأنه لم يتبع الشيطان ، بل الشيطان تبعه وما وراءه^(٣) .

حادي عشر : "من أوتي العلم وعمل به ، وأدى حقه ، رفعه الله درجات ، وجعله من أئمة الهدى ، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ ، فالعلم سبيل إلى رفع الدرجات ، وعلو

١-الجامع لأحكام القرآن (٣ / ٢٧٥٨) بتصرف .

٢-الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة ص ١٥٣ .

٣-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣ / ١٠٩ ، ١١٠) .



المقامات" (١) .

ثان عشر: إن من أكبر أسباب الشرك ودواعيه توهم المشركين أن غير الله مصدر خير لهم ، وأن عبادته سبب لحصول ما ينفعهم ودفع ما يضرهم ، أي أن شرك الدعاء أكثر من شرك المحبة .

ثالث عشر: " من طلب العلم لينال به الدنيا ، ويحصل به متعتها وشهواتها ، كان مثله كمثل الكلب ، فهو يلهث في جميع أحواله ، سواء أزجرته أم كفتت عنه ، فعلى أهل العلم أن يتقوا الله فيما آتاهم من العلم" (٢) .

رابع عشر: القصة القرآنية لها أهداف ومقاصد ، منها : دعوة الناس إلى التفكير و الاعتبار بما جري للسابقين : ﴿ فَأَقْصِصِ الْقَصَصَ ﴾ (٣) .

خامس عشر: قال "ابن القيم" - رحمه الله - : " وفي تشبيهه من أثر الدنيا وعاجلها على الله والدار الآخرة مع وفور علمه : بالكلب في حال لهثه : سر بديع وهو أن هذا الذي حاله ما ذكره الله من انسلاخه من آياته وإتباعه هواه : إنما كان لشدة لهفته على الدنيا . لانقطاع قلبه عن الله والدار الآخرة فهو شديد اللهف عليها ، ولهفته نظير لهف الكلب الدائم في حال إزعاجه وتركه . واللهف واللهث شقيقان وأخوان في اللفظ والمعنى" (٤) .

سادس عشر: قال "ابن القيم" - رحمه الله - أنه سبحانه قال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ﴾ فأخبر سبحانه أن الرفعة عنده ليست بمجرد العلم فإن هذا كان من العلماء ، وإنما هي باتباع الحق وإيثاره ، وقصد مرضاة الله . فإن هذا كان من أعلم أهل زمانه . ولم يرفعه الله بعلمه ، ولم ينفعه به نعوذ بالله من علم لا ينفع" (٥) .

١-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣ / ١١٠) .

٢-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣ / ١١٠) .

٣-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٣ / ١١٠) .

٤-التفسير القيم ص ٢٨١ .

٥-التفسير القيم ص ٢٨٣ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



سابع عشر: قال "سيد قطب" - رحمه الله - "وقد أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يتلوه على قومه الذين كانت تنزل عليهم آيات الله ، كي لا ينسلخوا منها وقد أوتوها . ثم لبقى من بعده ومن بعدهم يتلى ليحذر الذين يعلمون من علم الله شيئاً أن ينتهوا إلى هذه النهاية البائسة ، وان يصيروا إلى هذا اللهاث الذي لا ينقطع أبداً ، وان يظلموا أنفسهم ذلك الظلم الذي لا يظلمه عدو لعدو فإنهم لا يظلمون إلا أنفسهم بهذه النهاية النكدة ! ولقد رأينا من هؤلاء - والعياذ بالله - في زماننا هذا من كان كأنما يحرص على ظلم نفسه ؛ أو كمن يعرض بالنواجذ على مكان له في قعر جهنم يخشى أن ينازعه إياه أحد من المتسابقين معه في الحلبة! فهو ما يني يقدم كل صباح ما يثبت به مكانه هذا في جهنم ! وما يني يلهث وراء هذا المطمع لهائماً لا ينقطع حتى يفارق الحياة الدنيا!"^(١) .

١- تفسير الظلال (٣ / ١٣٩٨ ، ١٣٩٩)



المبحث الرابع: دراسة المثل في قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ (١٤) .^(١)

المطلب الأول : دلالة السياق الذي ورد فيه المثل :

ذكر الله في أول السور وأثنائها بعضاً من الشواهد الكونية الدالة على وحدانيته في الربوبية ، المستلزم إفراده بالألوهية ، وذلك لتبين صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما جاء به ، أن ذلك غير مفتقر إلى آية ومعجزة تبين صحته ، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ (٢) وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْمَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٤) .^(٢)

ثم انتقل السياق لذكر نوع آخر من ضلال المشركين ، ألا وهو إنكارهم البعث ، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ نَأْتِي بِحُلِيِّ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٥) .^(٣) قال "أبو حيان" - رحمه الله - : " ولما أقام الدلائل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب في ملكوته التيلا يقدر عليها سواه، عجب

١-سورة الرعد آية : ١٤ .

٢-سورة الرعد الآيات من ٢ : ٤ .

٣-سورة الرعد الآية : ٥ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



الرسول - عليه الصلاة والسلام- من إنكار المشركين وحادانيته ، وتوهينهم قدرته لضعف عقولهم فتزل ﴿وَإِنْ تَعَجَّبَ﴾ ، قال "ابن عباس" : "وإن تعجب من تكذيبهم إياك بعدما كانوا حكموا عليك أنك من الصادقين ، فهذا أعجب ، وقيل : وإن تعجب يا محمد من عبادتكم ما لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً بعد ما عرفوا الدلائل الدالة على التوحيد ، فهذا أعجب" (١)

ثم أشار السياق إلى عظيم جهلهم واستخفافهم بقدرة الله ، حين استعجلوا الهلاك على السلامة والنجاة ، فطلبوا من النبي- صلى الله عليه وسلم - أن يعجل بما توعدهم به من العذاب ، فقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَتُ﴾ (٢) .

ثم رجع السياق للحديث مرة أخرى عن عظمة الله سبحانه بذكر شيء من مظاهر عزته وجلاله ، فقال سبحانه: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ۝٩ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ۝١٠ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۝١١ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۝ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۝ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ۝١٢ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۝١٣ وَيُسَيِّحُ الرَّعْدَ بِحَمْدِهِ ۝ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ۝ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ ۝ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ۝١٤﴾ (٣)

وبعد أن بين سبحانه بعضاً من شواهد قدرته ، ودلائل ربوبيته ، ذكر سبحانه الغرض المطلوب من إيراد تلك الشواهد فقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ قال "أبو حيان" -رحمه الله - : "والمعنى : أن بين سبحانه بعضاً من شواهد قدرته، ودلائل ربوبيته ، ذكر سبحانه الغرض المطلوب من إيراد تلك الشواهد

١- تفسير البحر المحيط (٣٥٨/٥)

٢- سورة الرعد آية : ٦ .

٣- سورة الرعد الآيات من ٨ : ١٣



فقال: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ قال "أبو حيان" - رحمه الله - (والمعنى: أن الله تعالى الدعوة له هي الدعوة الحق ، ولما ذكر تعالى جدال الكفار في الله تعالى ، وكان جدالهم في إثبات آلهة معه ، ذكر تعالى أنه له الدعوة الحق أي: من يدعو له فدعوته هي الحق ، بخلاف أصنامهم التي جادلوا في الله لأجلها ، فإن دعاءها باطل لا يتحصل منه شيء" ^(١) .

ثم ضرب سبحانه هذا المثل العظيم بعد كل هذه المقدمات الباهرة ، ليين للمشركين أمرين هامين : الأول : أن ما هم عليه من عبادة تلك الأصنام والأوثان ليس بشيء كما قال تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ ^(٢) . وقوله :

﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ ^(٣) .

والثاني : ليعكس المطالبة بالآية والبرهان عليهم ، فهم المطالبون بإقامة الدليل والبرهان لصحة ما هم عليه وليس النبي - صلى الله عليه وسلم - الذي يشهد لصدق نبوته كل الدلائل الكونية ، وجميع البراهين العقلية ، لذلك عاد السياق إلى مخاطبة المشركين بعد أن ذكرهم بشيء من مظاهر ربوبيته ، ليمهد لإقامة الدليل والحجة عليهم بما جحدوه ، وهو استحقاقه وحدة للعبادة ، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يسألهم سؤال تقرير عن ربهم وخالقهم ، فقال تعالى لنبيه : ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ﴾ ^(٤) . فإذا أقرؤا بذلك فسألهم على سبيل التوبيخ والإنكار ، ﴿قُلْ أَفَأَتَّخِذُهُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ ^(٥) .

١- تفسير البحر المحيط (٥ / ٣٨٦) .

٢- سورة الحج آية : ٧١ .

٣- سورة المؤمنون آية : ١١٧ .

٤- سورة الرعد جزء من آية : ١٦ .

٥- سورة الرعد جزء من آية : ١٦ .



وفي نهاية السياق أعاد الله سبحانه نفس القضية التي بدأ بها السياق ، فقال سبحانه : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ ﴾^(١).

وهذه الطريقة وهي أن يبدأ السياق الذي يضم من الآيات ، ويختتم بنفس المعنى مع التقارب في الألفاظ لها دلالة هامة ، حيث تدل على أن ما بين الآيتين - المبدوء والمختوم بها - تتكلم عن قضية واحدة ، وأن ما يذكر في ذلك السياق له علاقة بالمعنى المشترك بين آيتي البدء والختام^(٢).

المطلوب الثاني : تفسير آية المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال " الطبري " - رحمه الله : " يقول تعالى ذكره : الله من خلقه الدعوة الحق ، والدعوة هي الحق كما أضيفت الدار إلى الآخرة في قوله : ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ﴾^(٣) . وقد بينا ذلك فيما مضى وإنما عني بالدعوة الحق ، توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله وقوله : ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ﴾ يقول تعالى ذكره : والآلهة التي يدعوها المشركون أرباباً وآلهة وقوله : ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ يقول : من دون الله وإنما عني بقوله : ﴿ مِنْ دُونِهِ ﴾ الآلهة أنها مقصرة عنه وأنها لا تكون لها ولا يجوز أن يكون لها إلا الله الواحد القهار ، ومنه قول الشاعر :

أتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصرن يداك دؤني^(٤) .

يعني : لتقصرن يداك عني

وقوله : ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ يقول : لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون آلهة بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر ﴿ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ ﴾ يقول : لا ينفع داعي الآلهة دعاؤه إياها لا كما ينفع باسط كفيه إلى الماء بسطه إياهما إليه من غير أن يرفعه إليه في إناء ، ولكن ليرتفع

١-سورة الرعد آية :٢٧ .

٢-الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضادها من الشرك بتصريف ص—٣٥٢ ، ٣٥٣ .

٣-سورة يوسف آية : ١٠٩ .

٤ - الحموي ، ابن حجة ، خزانة الأدب ، (٣ / ١١٤) الشاهد التاسع والسبعون ، الموسوعة الشاملة .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



إليه بدعائه إياه وإشارته إليه وقبضه عليه .

والعرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض على الماء ، قال بعضهم

فإني وإياكم وشوقاً إليكم كقابض ماء لم تسقه أنامله^(١).

يعني بذلك : أنه ليس في يده من ذلك إلا كما في القابض على الماء ، لأن القابض على الماء

لا شيء في يده^(٢). وقال "ابن كثير" - رحمه الله - " بعد أن أورد أقوالاً في تفسير قوله تعالى : ﴿لَا

يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ ومعنى الكلام : أن هذا الذي يبسط يده إلى الماء ، إما

قابضاً وإما متناولاً له من بعد ، كما أنه لا ينتفع بالماء الذي لم يصل إلى فيه ، الذي جعله محلاً

للشرب ، فكذلك هؤلاء المشركون الذين يعبدون مع الله إلهاً غيره ، لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا

والآخرة ، ولهذا قال : ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾^(٣).

وقال "السعدي" - رحمه الله - " ﴿لَهُمْ﴾ أي : لله وحده ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ وهي : عبادته وحده لا

شريك له وإخلاص دعاء العبادة ودعاء المسألة له تعالى ، أي : هو الذي ينبغي أن يصرف له

الدعاء ، والخوف ، والرجاء ، والحب ، والرغبة ، والرغبة ، والإجابة ، لأن ألوهيته هي الحق ،

وألوهية غيره باطلة ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ من الأوثان والأنداد التي جعلوها شركاء لله.

﴿يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ﴾

أي : لمن يدعوها ويعبدها ﴿بِشَيْءٍ﴾ قليل ولا كثير لا من أمور الدنيا و لا من أمور الآخرة ﴿إِلَّا

كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ﴾ الذي لا تناله كفاه لبعده ، ﴿لِيَبْلُغَ﴾ يبسط كفيه إلى الماء ﴿فَأَهُ﴾ فإنه

عطشان ومن شدة عطشه يتناول بيده ، ويبسطها إلى الماء الممتنع وصوله إليه فلا يصل إليه .

كذلك الكفار الذين يدعون مع الله آلهة لا يستجيبون لهم بشيء و لا ينفعهم في أشد الأوقات

١- تفسير الطبري (١٣/ ٤٨٧) بتصريف

٢- ذكره ابن كثير ولم تنسبه (٨/ ١٢٨).

٣- تفسير ابن كثير (٨/ ١٢٨) بتصريف .



إليهم حاجة لأهم فقراء كما أن من دعوهم فقراء ، لا يملكون مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ لبطلان ما يدعون من دون الله ، فبطلت عباداتهم ودعاؤهم ؛ لأن الوسيلة تبطل ببطلان غايتها ^(١).

المطلب الثالث : نوع المثل وصورة الممثل به وله والغرض الذي ضرب من أجله المثل :

أولاً: نوع المثل : هذا المثل من الأمثال التشبيهية المركبة التمثيلية فقد شبه الله الذي يدعو الآلهة الباطلة ، بمن يدعوا الماء ليصل إلى فمه من غير أن يرفعه بيده ، بجامع عدم الاستجابة في كل المعبر عنه بقوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ ﴾ كما أنه من التشبيه المركب ، قال "الآلوسي" - رحمه الله - " والحاصل أنه شبه آلهتهم حين استكفائهم إياهم ما أهمهم بلسان الاضطرار في عدم الشعور فضلاً عن الاستطاعة للاستجابة ، وبقائهم لذلك في الخسرة، بحال ماء بمراى من عطشان ، باسط كفيه إليه يناديه عبارة وإشارة ، فهو لذلك في زيادة الكباد والبوار ، والتشبيه على هذا من المركب التمثيلي في الأصل ^(٢)

ثانياً: صورة الممثل به : ورد ذكر الممثل به في الآية في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ

فَأَهُ وَمَا هُوَ بِبَلِّغِهِ ﴾ وهذا التشبيه مركب من ثلاثة أجزاء :

- ١- شخص في أشد الحاجة إلى الماء ليروي ظمأه .
- ٢- عندما وجد الماء بسط كفيه فيه ، راغباً أن يرتفع بنفسه إلى فمه من غير أن يرفعه .
- ٣- لم ينتفع من تلك الطريقة التي أراد أن يشرب بها الماء ، فلن يصل الماء إلى فمه ، ولو بقي طول حياته على تلك الحال .

ثالثاً: صورة الممثل له :

وهو أيضاً مركب من ثلاثة أجزاء تقابل أجزاء الممثل به السابق ذكرها :

١- تفسير السعدي ص ٤٧٠.

٢- تفسير روح المعاني (١٣ / ١٢٤).



١- المحتاج إلى جلب نفع أو دفع ضرر .

٢- توجهه إلى الآلهة الباطلة وإنزال حاجته بها .

٣- عدم انتفاعه من طلبها وسؤالها أبداً ، ولو بقي يسألها إلى آخر حياته .

فهذا الذي ألت به حاجة ، يشبه الظمان الذي طلب الماء ليشرب منه ، ومديده إلى الماء يشبه مد الداعي للأوثان يده حال دعائه ومسألته ، وعدم استجابة الماء تشبه عدم استجابة الآلهة لأن كلاً منهما اتخذ طريقاً لا يوصل إلى مقصوده ، وخيبة رجاء ذلك الظمان تشبه خيبته رجاء المشرك^(١).

رابعاً: الغرض الذي من أجله ضرب المثل :

هذا المثل ضربه الله لبيان عجز آلهة المشركين ، وعدم تمكنها من نفع من استنجد بها ودعاها من دون الله ، وقد ورد ذكر الغرض مصرحاً به في قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾ كما أنه ضرب لتصوير حال المشركين حال دعائهم تلك الأصنام ، وما يعودون به من الإفلاس وانعدام الجدوى.

قال "الآلوسي" - رحمه الله - : " والغرض - كما قال بعض المدققين - : نفي الاستجابة على البيت ، بتصوير أنهم أحوج ما يكونون إليها لتحصيل مباغيهم ، أخيب ما يكون أحد في سعيه لما هو مضطر إليه"^(٢).

المطلب الرابع : الفوائد التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: التشبيه المركب التمثيلي : أي لكونه جماداً لا يشعر بعطشه وبسط يديه إليه ، حيث شبه آلهتهم حين استكفائهم إياهم ما أهمهم بلسان الاضطراب في عدم الشعور فضلاً عن الاستطاعة للاستجابة وبقائهم لذلك في الخسارة بحال ماء بمرأى من عطشان باسط كفيه إليه يناديه عبارة وإشارة فهو لذلك في زيادة الكباد والبوار"^(٣).

١- الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضافه من الشرك ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ . بتصريف .

٢- تفسير روح المعاني (٣ / ١٢٤) .

٣- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (٧ / ١٠٧) .



ثانياً: التهكم في الآية الكريمة ، حيث أخرج الكلام مخرج التهكم بهم ، فقيل لا يستجيبون لهم شيئاً من الاستجابة إلا استجابة كائنة في هذه الصورة التي ليست فيها شائبة الاستجابة قطعاً ، فهو في الحقيقة من باب التعلق بالحال .

ثالثاً: الاستعارة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾ حيث استعار السجود للانقياد والخضوع .

رابعاً: قال " ابن عاشور " : " في قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفْتِهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغٍ وَمَا دَعَا الْكُفْرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ استئناف ابتدائي بمتزلة النتيجة وهوض المدلل عليه بالآيات السالفة التي هي براهين الانفراد بالخلق الأول ثم الخلق الثاني وبالقدرة التامة التي لا تدانيها قدرة قدير والعلم العام فلا جرم أن يكون صاحب تلك الصفات هو المعبود بالحق وأن عبادة غيره ضلال " (١).

خامساً: قال " الهرري " - رحمه الله - " في قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أي : له سبحانه وتعالى لا لغيره ، وتقديم الخبر لإفادة التخصيص ، دعوة الحق ؛ أي : الدعاء الحق على أن يكون من باب إضافة الموصوف إلى الصفة ، والدعوة بمعنى العبادة ، والحق بمعنى الحقيق اللائق الغير الباطل " (٢).

سادساً: قال " الشوكاني " - رحمه الله - : " إضافة الدعوة إلى الحق للملابسة أي : الدعوة للملابسة للحق والصدق المختصة به التي لا مدخل للباطل فيها بوجه من الوجوه ، كما يقال كلمة الحق ، والمعنى : أن له تعالى دعوة مجابة واقعة في موقعها ، لا كدعوة من دونه وقيل : هو الله سبحانه وتعالى " (٣).

سابعاً: " الالتفات في قوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ﴾ على قراءة {والذين تدعون} - بالتاء الفوقية-

١- تفسير التحرير والتنوير (١٣/ ١٠٧).

٢- تفسير حدائق الروح والريحان (١٤/ ٢١١).

٣- الشوكاني ، محمد بن علي ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، مكتبة الحلبي ، طبعة الثانية

١٣٨٣، (٣/ ٧٣).



وحق العبارة لا يستجيبون لكم ، وإن كانت هذه القراءة شاذة"^(١).

ثامناً: قال " سيد قطب " - رحمه الله - " والمشهد هنا ناطق متحرك جاهد لاهف ... فدعوة واحدة هي الحق ، وهي التي تحقق ، وهي التي تستجاب إنها دعوة الله والتوجه إليه والاعتماد عليه وطلب عونه ورحمته وهداه ، وما عداها باطل وما عداها ضائع وما عداها هباء... ألا ترون حال الداعين لغيره من الشركاء ؛ انظروا هذا واحد منهم . ملهوف ظمآن يمد ذراعيه ويسط كفيه . وفمه مفتوح يلهث بالدعاء يطلب الماء ليلبغ فاه فلا يبلغه . وها هو ببالغه بعد الجهد واللهفة والعناء"^(٢).

تاسعاً: قال " سيد قطب " : ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ وفي أي جو لا يبلغ هذا الداعي اللاهث اللاهث قطرة من ماء ؛ في جو البرق والرعد والسحاب الثقيل ، التي تجري هناك بأمر الله الواحد القهار وفي الوقت الذي يتخذ هؤلاء الخائبون آلهة من دون الله ، ويتوجهون إليهم بالرجاء والدعاء ، إذا كل من في الكون يعنو لله . وكلهم محكمون بإرادته ، خاضعون لسنته ، مسيرون وفق ناموسه . المؤمن منهم يخضع طاعة وإيماناً ، وغير المؤمن يخضع أخذاً وإرغاماً ، فما يملك أحد أن يخرج على إرادة الله ، و لا أن يعيش خارج ناموسه الذي سنه للحياة"^(٣).

عاشراً: والباء في بشيء لتعديه يستجيبون ، لأن فعل الإجابة يتعدى إلى الشيء المحاب به بالباء وإذا أريد من الاستجابة تحقيق المأمول اقتصر على الفعل كقوله: ﴿ فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُمْ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فلما أريد هنا نفى إجداء دعائهم الأصنام جعل نفى الإجابة متعدياً بالباء إلى انتفاء أقل ما يجيب به المسؤول وهو الوعد بالعطاء أو الاعتذار عنه . فهم عاجزون عن ذلك وهم أعجز عما فوقه وتنكير { شيء } للتحقير . والمراد أقل ما يجاب به من الكلام"^(٤).

١- تفسير حدائق الروح والريحان (١٤ / ٢٣٧) .

٢- تفسير الظلال (٤ / ٢٠٥١ ، ٢٠٥٢) .

٣- تفسير الظلال (٤ / ٢٠٥٢) .

٤- تفسير التحرير والتنوير (١٣ / ١٠٨ ، ١٠٩) .



حادي عشر: قال " ابن عاشور " - رحمه الله - " والاستثناء في ﴿إِلَّا كَبَسِطَ كَفَيِّهِ﴾ من عموم أحوال الداعين والمستجيبين والدعوة والاستجابة لأنه تشبيه هيئة فهو يرى إلى جميع أجزائها فلك أن تقدر الكلام إلا كداع باسط أو إلا كحال باسط والمعنى : لا يستجيبونهم في حال من أحوال الدعاء والاستجابة إلا في حال الداع ومستجيب كحال باسط كفيه إلى الماء وهذا الاستثناء من تأكيد الشيء بما يشبه ضده فيؤول إلى نفي الاستجابة في سائر الأحوال بطريق التلميح والكناية ^(١).

ثان عشر: قال " ابن القيم " - رحمه الله - : " قوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ أنه تعالى صاحب دعوة الحق لذاته وصفاته ، فهو أهل أن يعبد وحده ويدعى وحده ، ويقصد ويشكر ويحمد ، يجب ويرجى ويخاف ويتوكل عليه ، ويستعان به ، ويستجار به ، ويلجأ إليه فتكون الدعوة الإلهية الحق له وحده ومن قام بقلبه هذا - معرفة وذوقاً وحالاً - صح له مقام التبتل والتجريد المحض وقد فسر السلف ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ بالتوحيد والإخلاص فيه ، والصدق ومرادهم هذا المعنى فقال علي - رضي الله عنه - دعوة الحق : التوحيد وقال ابن عباس - رضي الله عنه - شهادة أن لا إله إلا الله ^(٢).

ثالث عشر: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على عجز من يدعي من دون الله على إجابة من يدعوه وذلك أنها شبهت بالماء في استجابته لمن يطلب منه أن يصعد إلى فمه ليشرب منه ، فإذا قدر الماء على ذلك فالأصنام تقدر على إجابتهم .

رابع عشر: ومن الفوائد الإيمانية أيضاً دلالة المثل على أن الدلائل العقلية تدل على وجوب إخلاص الدعاء لله تعالى إذ أن المثل يدل على أن هذه الأصنام لا تستحق أن تُدعى لأنها عاجزة عن إجابة من يدعوها ، فهذا يستلزم أن يكون القادر .

١- تفسير التحرير والتنوير (١٣ / ١٠٩) .

٢- بدائع التفسير (٢ / ٨٠) .



خامس عشر: أن المشركين الذين يعبدون مع الله آلهة غيره لا ينتفعون بهم أبداً في الدنيا و لا في الآخرة .

سادس عشر: كل شيء في ملك الله خاضع لسلطانه ، يسجد له طوعاً من المؤمنين وكرهاً من الكافرين .

سابع عشر: الحق الثابت باق نافع مثمر ؛ والباطل زائل لأنه حقير لا قيمة له و لا دوام^(١) .

المبحث الخامس دراسة المثليين في قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾^(٢) .

المطلب الأول : دلالة السياق الذي ورد فيه المثلان :

قال "ابن عاشور" - رحمه الله - حيث قال : " معظم ما اشتملت عليه السورة ، إكثار متنوع الأدلة على تفرد الله تعالى بالإلهية ، والأدلة على فساد دين الشرك وإظهار شناعته ، وأدلة إثبات رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وإنزال القرآن عليه - صلى الله عليه وسلم - وإن شريعة الإسلام قائمة على أصول ملة إبراهيم - صلى الله عليه وسلم - وإثبات البعث والجزاء فابتدأ بالإنذار بأنه قد اقترب حلول ما أنذر به المشركون من عذاب الله الذي يستهزؤون به ، وتلا ذلك قرع المشركين وزجرهم على تصلبهم في شركهم وتكذيبهم .

وانتقل إلى الاستدلال على إبطال عقيدة الشرك ، فابتدئ بالتذكير بخلق السماوات والأرض وما في السماء من شمس وقمر ونجوم ، وما في الأرض من ناس وحيوان ونبات وبحار وجبال وأعراض الليل والنهار ، وما في أطوار الإنسان وأحواله من العبر

١- التفسير التربوي للقرآن الكريم (٢/ ١٣٦) .

٢- سورة النحل الآيتين : ٧٥ ، ٧٦ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



والاستدلال على إمكان البعث وأنه تكوين كتكوين الموجودات .

والتحذير مما حل بالأمم التي أشركت بالله وكذبت رسله - عليهم السلام - عذاب الدنيا وما ينتظرهم من عذاب الآخرة ، وقابل ذلك بضده من نعيم المتقين المصدقين والصابرين على أذى المشركين والذين هاجروا في الله وظلموا^(١) .

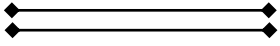
وهذا الذي ذكره "ابن عاشور" - رحمه الله - يحدد أبرز قضية للسورة ، وهي تركيزها على تقرير توحيد الإلهية ، والتحذير من الشرك ، وقد اشتملت السورة على عدد من أظهر الآيات دلالة على هذا المعنى ، منها قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾^(١٧) وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ^(١٨) وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ^(١٩) وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ^(٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرَ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ^(٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُكْرَمَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ^(٢٢) وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسْلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾^(٢٥) وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِئُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ^(٢٦) ﴿^(٢٣) وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ إِلَّا هُوَ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴾^(٥١) ﴿^(٢٤) وغيرها من الآيات وسأقف مع آيتين وردتا في أثناء السورة ، تسهمان إسهاماً مباشراً في فهم القضية التي ضرب المثلان لإبرازها ، هاتان الآيتان هما :

١-التحرير والتنوير (١٤ / ٩٤ ، ٩٥) .

٢-سورة النحل الآيات من ١٧ : ٢٢ .

٣-سورة النحل الآيتين من ٣٥ : ٣٦ .

٤-سورة النحل الآية : ٥١ .



١- قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْحَكِيمُ ۝٦٠﴾^(١). فمثل السوء " هو القبيح من المثل ؛ وما يسوء من ضرب له ذلك المثل "^(٢). ، وأما المثل الأعلى فهو أفضل تفضيل : أي أعلى من غيره وأكمل .

قال "ابن القيم" - رحمه الله - : " أنه سبحانه وصف نفسه بأن له المثل الأعلى فقال تعالى :

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٦٠﴾ وقال تعالى :

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ۝٢٧﴾ فجعل مثل السوء المتضمن للعيوب والنقائص وسلب الكمال للمشركين وأربابهم

، وأخبر أن المثل الأعلى المتضمن لإثبات الكمالات كلها له وحده ... فمثل السوء لعادم صفات

الكمال ، ولهذا جعله مثل الجاحدين لتوحيده وكلامه وحكمته ، لأنهم فقدوا الصفات التي من

اتصف بها كان كاملاً وهي الإيمان والعلم والمعرفة واليقين ، والعبادة لله والتوكل عليه والإنابة إليه

والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، والصبر والرضا والشكر وغير ذلك من الصفات عنهم وهي

صفات كمال صار لهم مثل السوء . فمن سلب صفات الكمال عن الله وعلوه على خلقه وكلامه

وعلمه وقدرته ومشيعته وحياته وسائر ما وصف به نفسه ، فقد جعل له مثل السوء ، ونزهة عن

المثل الأعلى وهو الكمال المطلق ، المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية ، التي كلما كانت

أكثر في الموصوف وأكمل ، كان أعلى من غيره ، ولما كان الرب تعالى هو الأعلى ووجهة الأعلى

وكلامه الأعلى وسمعه الأعلى وبصره وسائر صفاته عليا كان له المثل الأعلى ، وكان أحق به من

كل ما سواه ، بل يستحل أن يشترك في المثل الأعلى اثنان ، لأنهما إن تكافأ لم يكن أحدهما أعلى

من الآخر ، وإن لم يتكافأ فالموصوف بالمثل الأعلى أحدهما وحده ، ويستحيل أن يكون لمن له

١- سورة النحل الآية : ٦٠ .

٢- تفسير الطبري (١٤ / ١٢٥) .



المثل الأعلى مثل أو نظير" (١).

٢- قوله تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٧٤). والنهي عن ضرب الأمثال لله تعالى يشمل أمرين: "الأول: النهي عن اتخاذ الشركاء والأنداد، في الذات أو الصفات، أو الألوهية أو الربوبية ونحو ذلك مما تفرد به سبحانه. والثاني: النهي عن ضرب الأمثال القولية الفاسدة له سبحانه والأمر الأول النهي عن الشرك واتخاذ الأنداد واعتقاد مماثلة أحد من الخلق له سبحانه هو المعنى أصلاً بالنهي عن ضرب الأمثال لله تعالى، وذلك أن أساس الرسالة قائم على الدعوة إلى توحيد الله، والتحذير من الشرك ومحاربتة ووسائله، أما الأمثال القولية الفاسدة التي يضر بها الجاهلون لله، فإنها داخلة في النهي تبعاً، لأنها من وسائل الشرك وأسبابه، فالنهي إذاً يشمل الأمرين، إلا أنه في اتخاذ الأمثال من الشركاء والأنداد أصلاً، وفي ضرب الأمثال القولية تبعاً.. " (٣).

المطلب الثاني: تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم:

قال الشيخ "مصطفى العدوي" - حفظه الله - في معنى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) لأهل العلم قولان في المثل المضروب، ضرب لمن

أحدهما: ضرب للكافر والمؤمن فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء المراد به: الكافر لا يعمل بطاعة الله ولا يأتي منه خير. والمرزوق رزقاً حسناً هو المؤمن موفق للطاعة موفق للإحسان والبر مبارك أيضاً كان وأينما حل ونزل فالكافر كالعبد المملوك الذي لا يقدر على فعل شيء نافع وأما المؤمن فهو كالذي آتاه الله مالاً حلالاً طيباً ينفق منه سرّاً وجهراً، فهو نافع أينما

١-الصواعق المرسله (٣ / ١٠٣٠ : ١٠٣٢)

٢-النحل آية : ٧٤.

٣-الجربوع ، إبراهيم بن عبد الله ، الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد وما يضاذه من الشرك ص—٣٦٩ ، ٣٧٠ .



كان .

الثاني : أنه مثل مضروب للوثن الذي لا يملك ضراً و لا نفعاً و لا يعي و لا يعقل و لا يملك دفع ضر عن نفسه و لا لغيره و لا جلب خير لنفسه و لا لغيره الآخر الله - عز وجل - الذي يفعل ما يريد ويعطي من يشاء ويمنع من يشاء ويدفع الضر عن من يشاء ويجلب الخير لمن يشاء هل يستوي الخلاق العليم الرزاق الكريم العزيز الحكيم مع صنم مخلوق جماد لا يعي و لا ينطق و لا يتكلم و لا يمنع نفسه ممن يريده بسوء أو مكروه " (١) .

قال " الطبري " - رحمه الله - يقول تعالى ذكره : وشبه لكم شبها أيها الناس للكافر من عبيده ، والمؤمن به منهم فأما مثل الكافر : فإنه لا يعمل بطاعة الله ، ويأتي خيراً ، ولا ينفق من شيء في سبيل الله ماله لقلبه خذلان الله عليه ، كالعبد المملوك ، الذي لا يقدر على شيء فينفقه وأما المؤمن بالله فإنه يعمل بطاعة الله ، وينفق في سبيله ماله كالحر الذي آتاه الله مالا فهو ينفق منه سراً وجهراً ، يقول : بعلم من الناس وغير علم (هل يستون) يقول هل يستوي العبد الذي لا يملك شيئاً و لا يقدر عليه ، وهذا الحر الذي قدر رزقه الله رزقاً حسناً فهو ينفق كما وصف فكذلك لا يستوي الكافر العامل بمعاصي الله المخالف أمره . والمؤمن العامل بطاعته " (٢) .

وقال " القرطبي " - رحمه الله - : قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ ضلالة المشركين ، وهو منتظم بما قبله من ذكر نعم الله عليهم وعدم مثل ذلك من آلهتهم : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ أي : بين شبهاً ثم ذكر ذلك فقال : ﴿ عَبْدًا مَمْلُوكًا ﴾ أي : كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر قد رزق رزقاً حسناً فكذلك أنا وهذه لا يقدر على شيء من المال و لا من أمر نفسه ، وإنما هو سخر بإرادة سيده ، و لا يلزم من الآية أن العبيد كلهم بهذه الصفة ، فإن النكرة في الإثبات لا تقتضي الشمول عند أهل اللسان كما تقدم ، وإنما تفيد واحداً ، فإذا

١- العدوي ، أبي عبد الله مصطفى ، التسهيل لتأويل الترتيل تفسير النحل - الإسراء في سؤال وجواب ، مكتبة مكة ،



كانت بعد أمر أو نهي أو مضافة إلى مصدر كانت للعموم الشيعوي ، كقوله ؛ أعتق رجلاً و لا تهن رجلاً ، والمصدر كإعتاق رقبة ، فأى رجل أعتق فقد خرج عن عهدة الخطاب ، ويصح منه الاستثناء . وقال قتادة: هو الكافر لأنه لا ينتفع في الآخرة بشيء من عبادته، وإلى أن معنى ﴿ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا ﴾ المؤمن والأول عليه الجمهور من أهل العلم والتأويل قال الأصم : المراد بالعبد المملوك الذي ربما يكون أشد من مولاه أسراً وأنضر وجهاً ، وهو لسيدته ذليل لا يقدر إلا على ما أذن له فيه ، فقال الله تعالى ضرباً للمثال . أي فإذا كان هذا شأنكم وشأن عبيدكم فكيف جعلتم أحجاراً وأمواتاً شركاء لله تعالى في خلقه وعبادته ، وهي لا تعقل ولا تسمع " (١) .

وقال "السعدي" - رحمه الله - : " أحدهما : عبد مملوك ، أي : رقيق لا يملك نفسه و لا يملك من المال والنساء شيئاً ، والثاني : حر غني قد رزقه الله منه رزقاً حسناً من جميع أصناف المال ، وهو كريم محب للإحسان ، فهو ينفق منه سرّاً وجهراً ؛ هل يستوى هذا وذاك؟! لا يستويان ؛ مع أنهما مخلوقان ، غير محال استواؤهما ؛ فإذا كان لا يستويان ؛ فكيف يستوي المخلوق العبد الذي ليس له ملك و لا قدرة و لا استطاعة ، بل هو فقير من جميع الوجوه ، بالرب الخالق المالك لجميع الممالك ، القادر على كل شيء؟! ولهذا حمد نفسه واختص بالحمد بأنواعه فقال: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فكأنه قيل : إذا كان الأمر كذلك ؛ فلم سوى المشركون آلهتهم بالله؟! قال ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : فلو علموا حقيقة العلم ؛ لم يتجرؤوا على الشرك العظيم " (٢) .

قال "الطبري" - رحمه الله - : في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۗ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه والآلهة التي تعبد من دونه فقال تعالى ذكره

١- تفسير القرطبي (١٢/ ٣٨٢ ، ٣٨٣) .

٢- تفسير السعدي ص ٥٠٩ .



﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ يعني بذلك الصنم أنه لا يسمع شيئاً ، و لا ينطق ، لأنه إما خشب منحوت ، وإما نحاس مصنوع لا يقدر على نفع لمن خدمه ، و لا دفع ضرر عنه وهو كل على مولاه ، يقول : وهو عيال على ابن عمه وحلفائه وأهل ولايته ، فكذلك الصنم كل على من يعبده ، يحتاج أن يحمله ، ويصفه ويخدمه ، كالأبكم من الناس الذي لا يقدر على شيء ، فهو كل على أوليائه من بني أعمامه وغيرهم ﴿ أَيْنَمَا يُوَجِّهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ﴾ يقول : حيثما يوجه لا يأت بخير ، لأنه لا يفهم عنه ، فكذلك الصنم ، لا يعقل ما يقال له ، فيأتمر لأمر من أمره ، و لا ينطق فيأمر وينهي ، يقول الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ يعني : هل يستوي هذا الأبكم الكل على مولاه الذي لا يأتي بخير حيث توجه ومن هو ناطق متكلم يأمر بالحق ويدعو إليه وهو الله الواحد القهار ، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته ، يقول : لا يستوي هو تعالى ذكره ، والصنم الذي صفته ما وصف وقوله تعالى :

﴿ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يقول : وهو مع أمره بالعدل ، على طريق من الحق في دعائه إلى العدل ، وأمره به مستقيم ، لا يعوج عن الحق و لا يزول عنه . وقد اختلف أهل التأويل في المضروب له هذا المثل ، فقال بعضهم في ذلك بنحو الذي قلنا فيه ^(١) . وقال "السعدي" - رحمه الله - : " والمثل الثاني : مثل ﴿ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ﴾ : لا يسمع و لا ينطق، و ﴿ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ : لا قليل و لا كثير ، ﴿ وَهُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ ﴾ ؛ أي : يخدمه مولاه و لا يستطيع هو أن يخدم نفسه؛ فهو ناقص من كل وجه فهل يستوي هذا ومن كان ﴿ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ؟ فأقواله عدل وأفعاله مستقيمة ؛ فكما أنهما لا يستويان ؛ فلا يستوي من عبد من دون الله وهو لا يقدر على شيء من مصالحه ؛ فلو لا قيام الله بها ؛ لم يستطع شيئاً منها ، لا

١- تفسير الطبري (١٤ / ٣٠٩ ، ٣١٠).



يكون كفواً و لا نداءً لمن لا يقول إلا الحق و لا يفعل إلا ما يحمد عليه " (١).

المطلب الثالث : بيان نوع المثلين والغرض الذي ضربا من أجله :

بيان نوع المثلين :

هذان المثلان من الأمثال الأتمودجية ، حيث جعلت نتيجة المقارنة بين - العبد المملوك والحر القادر وبين الأبكم الذي لا يأتي بخير ومن يأمر بالعدل - " أتمودجاً منصوباً أمام عقل السامع ليقيس عليه ما يناسبه ويعتبر به " (٢).

وهذا النوع من الأمثال لا يتضمن تشبيهاً من حيث الأسلوب ، ولكنه يعطي حكماً عاماً يندرج تحته كل أفراده ، وهو ما يسمى بقياس الشمول " (٣) ، فالقياس في هذا المثل كالاتي : كل حر قادر فهو أكمل من كل عبد مملوك ، وكل متكلم أمر بالعدل فهو أفضل من كل أبكم لا خير فيه . وبعد أن نثبت هذه القاعدة الكلية ننتقل بعدها إلى نوع آخر من القياس وهو قياس الأول ، " فإن الرب تعالى لا مثيل له ، و لا يجتمع هو و غيره تحت كل من تستوي أفراده " (٤) . فيجري القياس في هذا المثل على هذا الأساس ، فيقال : إذا تقرر أن الحر القادر لا يصح أن يساوي بالمملوك العاجز في الحكم و لا في الحق ، فإن الله هو المالك حقيقة ، الذي كمل ملكه وسؤدده ، والقادر الذي لا يعجزه شيء ، فلا يجوز تسويته بغيره من المعبودات المخلوقة العاجزة في الحق و لا في الحكم من باب أولى ، لأن له الكمال المطلق ، ولأنه واهب الكمال فهو أولى به . فهذان المثلان من الأمثال القائمة على قياس الأولى الشمولي " (٥).

١- تفسير السعدي ص ٥٠٩ ، ٥١٠ .

٢- الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (٣ / ١٠٤٩) .

٣- المصدر السابق (١ / ٨٤) .

٤- مجموع الفتاوى (٩ / ١٤١) .

٥- الأمثال القرآنية المضروبة للإيمان بالله (٣ / ١٠٥٠) .



ثانياً : الغرض الذي ضربا من أجله المثليين هو الإقناع بفكرة من الأفكار :

والإقناع بفكرة من الأفكار قد يصل إلى مستوى الحجّة البرهانية ، وقد يقتصر على مستوى الحجّة الخطابية ، وقد يقتصر على لفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة . والحجّة البرهانية هي الحجّة الملزمة التي تفيد اليقين . أما الحجّة الخطابية فهي حُجّة إقناعية ظنية تفيد الظن الراجح ، ولفت النظر يكفي فيه إيراد المثل المشابه ولو لم يشتمل على آية حجة " (١) .

يقول "الميداني" - رحمه الله - : " أنهم في واقعهم الإنساني يرفضون التسوية بين عبد مملوك لا يقدر على شيء ، فلا هو يعطي و لا هو يمنع ، وبين حر مرزوق ذي جُود وكرم ينفق من ماله سراً وجهراً فكيف يرفضون مثل هذه التسوية في واقعهم الإنساني ، ثم يعتقدون ما هو أقبح منها ، إذ يسوون بين الله وخالقه ، فيجعلون الله من عباده أو من جوامدِخالقه كالشجر والحجر شركاء ؟! وهذا ما تضمنه قول الله تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيانِ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ " (٢) .

ويقول "الميداني" - رحمه الله - : " أنهم في واقعهم الإنساني أيضاً يرفضون التسوية بين إنسان أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير ، وبين عاقل حصيف فصيح اللسان يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم . فكيف يرفضون مثل هذه التسوية في واقعهم الإنساني ثم يعتقدون ما هو أقبح منها ، إذ يسوون بين الله العليم الحكيم القدير الذي بيده مقاليد السماوات والأرض وبين بعض خلقه الذين لا يملكون لأنفسهم و لا لغيرهم شيئاً فيجعلون الله من خلقه شركاء في ألوهيته أو في ربوبيته ؟! هذه الأمثال اكتفت بحجتها الخطابية في عرضها الإقناعي ، لاستثارة المشاعر النفسية لدى المخاطبين ، مع إمكان تقديم الحجّة بطريقة برهانية ، كما جاء في نصوص قرآنية كثيرة أخرى " (٣) .

١-الميداني ، أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ص ٦٦ .

٢-المصدر السابق ص ٧٤ .

٣-المصدر السابق ص ٧٤ ، ٧٥ .



المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثلين :

أولاً: الإطناب في قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، وفي قوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا

﴿ ، وقوله : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ ﴾ .

ثانياً : الاستعارة التمثيلية في قوله : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكُم ﴾ فالآية تمثيل

للصنم بالأبكم الذي لا ينتفع منه بشيء أصلاً مع القادر السميع البصير ، فستان ما بين الرب والصنم .

وأيضاً منها : الطباق بين ﴿ سِرًّا وَجَهْرًا ﴾ .

ثالثاً : الإتيان بضمير الجمع في قوله ﴿ هَلْ يَسْتَوُونَ ﴾ نظراً إلى تعدد أفراد كل فريق ، لأن

مقتضى السياق أن يقال : هل يستويان بضمير التثنية " (١) .

رابعاً : تؤكد الآيات على وحدة الألوهية الواحدة التي لا تتعدد ، يبدأ فيقرر وحدة الإله ، ووحدة

المالك ، ووحدة المنع في الآيات الثلاث الأولى متواليات ، تأكيداً لما سبق في الآيات المتقدمة وهي

دلائل الألوهية لا سواها : فالله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها فالذي يحول الموت

إلى حياة والذي يسقي الناس لبناً سائغاً يخرج من بطون الأنعام من بين فرث ودم . بيديع صنع الله

العجيب ، فالله الذي خلق هذه الأشياء كلها هو الذي يستحق أن يكون إلهاً " (٢) .

خامساً : قال " سيد قطب " - رحمه الله - " وإنه لعجيب أن تنحرف الفطرة إلى هذا الحد ،

فيتجه الناس بالعبادة إلى ما لا يملك لهم رزقاً وما هو بقادر في يوم من الأيام ، و لا في حال من

الأحوال ، ويدعون الله الخالق الرازق ، وآلؤه بين أيديهم لا يملكون إنكارها، ثم يجعلون لله الأشياء

والأمثال " (٣) .

١- تفسير حدائق الروح والريحان (١٥ / ٣٢٨) .

٢- التفسير الموضوعي لسور القرآن (٤ / ١٧٠) .

٣- الظلال ، سيد قطب (٤ / ٢١٨٣) .



سادساً: وفي التفسير التربوي للقرآن الكريم " ولما كان هذان المثلان قد ذكرا من باب تقريب المعاني إلى الأذهان وقد يترتب عليه في الأذهان الكليّة تصور لا يليق بالعظمة ، أتبع الله بآية تتحدث عن عظمة الله بما يخلع القلوب ، فيخبر تعالى عن كماله وقدرته على الأشياء ، في علمه غيب السموات والأرض ، واختصاصه بذلك فلا اطلاع لأحد على ذلك إلا أن يطلعه تعالى على ما يشاء"^(١).

سابعاً: ومن الفوائد التربوية في هذا المثل إقامة الحجة العقلية على بطلان الشرك والأمر بالتوحيد لله تعالى ، ولو كان الأمر فقط بالشرع لما كان للأمثال معنى . ولأنه من الأمور التي تعلم بالعقل أن العقول الصحيحة التي لم تغير فطرتها ، ولم تفسد بالعقائد الفاسدة ، تعلم علماً يقيناً حسن التوحيد والخلص لله ، كما تعلم قبح الشرك ، وهنا تظهر أهمية ضرب الأمثال الواردة في كتابه الكريم يضرب سبحانه مثلاً للكافر المشرك به والمؤمن الموحد له ؛ ليدل على قبح الشرك وشناعته ؛ وحسن الإيمان بالله وفضيلته . ويكون ذلك بالسمع والعقل والفتوة السليمة"^(٢).

ثامناً: ومن الفوائد التربوية عدم صحة مساواة من لا يقدر على شيء بمن بيده إنفاق ما يشاء ، واتفق مع موضوع المثل الذي يعالج ويبين تفرد الله بالألوهية وإبطال الشرك ، وذلك لنفي استواء الموحد والمشرك"^(٣).

تاسعاً: ومن الفوائد التربوية "وصف المشركين بعدم العلم ، فلو علموا حقيقة العلم ، وعرفوا الله تعالى حق معرفته لم يتجرؤوا على الشرك . قال تعالى : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾"^(٤).

عاشراً: "بيان أن أقوال أهل العلم تدور في تفسير هذا المثل على أنه يدل على إلزام المشركين ببطلان التسوية بين الله المتصف بالكمال والغنى والقدرة التامة ، وبين الأصنام ونحوها المتصفة

١-التفسير التربوي (٢ / ٢٠٧) .

٢-الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة ص ١٠٧ .

٣-المصدر السابق ص ١٠٨ .

٤-المصدر السابق ص ١٠٨ .



بالنقص والعجز ، في الألوهية واستحقاق العبادة "(١).

حادي عشر: ومن الفوائد التربوية ما جاء في كتاب الشرك في القديم والحديث "وهذا المثل يبين حالة المشرك بالله الذي يعبد آلهة شتى ، ويطيع الشياطين وهم في أنفسهم متنازعين سيئة أخلاقهم ، وحالة المؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد ، ، فالمشرك كالعبد المملوك لجماعة مختلفين متنازعين سيئة أخلاقهم ، وكل واحد منهم يستخدم هذا العبد لمصلحته ، وأما الموحد فهو كالعبد المملوك لشخص واحد ، فهو مطمئن ومستريح من تشاحن الخلطاء والشركاء عليه ؛ لأن الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون وأخلاقهم سيئة ، كلهم يتلقونه آخذين بطرفه لملكهم له ولأن لكل منهم حقاً عليه ، والموحد يملكه إله واحد ، فلا يستوي هذا ومن جعل في عنقه حقوقاً لآلهة متعددة "(٢).

ثان عشر: ومن الفوائد الإيمانية في هذين المثليين ما تضمنناه في الرد على نفاة الصفات وذلك ضرب مثلاً للأوثان ولذاته المقدسة ، فيمثل الأوثان بالرجل العاجز عن التصرف، وبالأبكم الذي لا يحسن التعبير عن مراده، وفي مقابل ذلك ضرب لنفسه المثل بالذي يتصرف كيفما أراد، ويحسن التحدث بما أراد ، هل يستوي هذا وهذا؟ فإذا كانت لا تستوي فالأحق بالعبادة الذي له الكمال المطلق، وأما العاجز الناقص فلا يستحق العبادة قال "ابن القيم" - رحمه الله -: "وقد وصف نفسه سبحانه بضد صفة أربابهم - أي المشركين - وبضد ما وصفه به المعطل والجهمية ، فوصف نفسه بالسمع والبصر والفعل باليدين والمجيء والإتيان وذلك ضد صفات الأصنام التي جعل امتناع هذه الصفات عليها منافياً لألوهيتها ، فتأمل آيات التوحيد والصفات في القرآن على كثرتها وتفنيها واتساعها وتنوعها "(٣).

ثالث عشر: دلالة المثل على صحة ضرب الأمثال لله تعالى إذا كانت جارية على قياس الأولى وقد تقدم معنا في دلالة السياق أن الله سبحانه نهي عن ضرب الأمثال له سبحانه ، ثم ضرب هذين

١- المصدر السابق ص ١١٢.

٢- زكريا ، أبو بكر محمد ، الشرك في القديم والحديث ، مكتبة الرشد ، الرياض (١ / ١٣٧٣) .

٣- الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضافه من الشرك ص ٣٨٦ .



المثلين ، وذلك لبيان ما يجوز أن يضرب له عز وجل من الأمثال وما لا يجوز . قال " الشوكاني " - رحمه الله - : " قوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ لما قال سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ﴾ أي : بالمعلومات التي من جملتها كيف يضرب الأمثال ، وانتم لا تعلمون ؟ علمهم سبحانه كيف تضرب الأمثال ، فقال : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ ، أي : ذكر شيئاً يستدل به على تباين الحال بين جناب الخالق سبحانه ، وبين ما جعلوه شريكاً له من الأصنام " (١) .

رابع عشر: دلالة المثلين على أنه لا يجوز إدخال الخالق والمخلوق تحت قياس شمول أو تمثيل تستوي أفراده . هذه الفائدة مستفادة من النهي عن ضرب الأمثال في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾ وقد تقدم أن النهي متجه إلى الأمثال التي تتضمن التسوية بينه وبين خلقه ، بخلاف الأمثال التي تتضمن إثبات الكمال المطلق له سبحانه وتزييه عن النقص ، وهي الأمثال المبنية على قياس الأولى " (٢) .

خامس عشر: ومن الفوائد الإيمانية في المثل الأول : " فيه محاكمة للمشركين بأنهم هم أنفسهم مثل صالح يمكن أن يستفيدوا منه للإقلاع عن عقيدة الشرك بالله . وذلك أنهم إذا كانوا هم أنفسهم لا يقبلون أن يملكوا ويسلطوا عبيدهم وأرقاءهم على أموالهم أو على شطر منها ، حتى يكونوا هم وإياهم سواء في الملكية والتسلط والقدرة على التصرف ، وحتى يكونوا شركاء لهم وهم أرقاؤهم ، فكيف وقع في تصورهم أن الله قد فعل مثل ذلك مع بعض من خلق ، فجعلهم شركاء له ، مع أنهم لا يملكون حجة متزلة من عند الله على اعتقادهم هذا " (٣) .

سادس عشر: وفي قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوُونَ ﴾ ومن الواضح في هذه الحجة أنها لا تقدم برهاناً على نفي الشركاء ، لكنها تقدم إقناعاً خطاياً للمشركين بأن التوحيد أكرم لنفوسهم وأشرف

١- تفسير فتح القدير (٣ / ١٨٠) .

٢- الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضافه من الشرك ص ٣٩٣ .

٣- المصدر السابق ص ٧٣ .



وأعز فهي تثير في نفوسهم عنصر الكرامة . ليستبصروا بالحقيقة وينظروا إلى الأدلة البرهانية التي تثبت لهم أنه لا إله إلا الله " (١).

المبحث السادس : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا

خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ (٢).

المطلب الأول : تعلق المثل بما قبله من الآيات ومع بعده من الآيات :

أولاً : تعلق المثل بما قبله من الآيات :

ورد هذا المثل ضمن سياق الآيات التي تتحدث عن الحج ؛ فلما بين سبحانه الخصام بين فريق الإيمان وفريق الكفر في دين الله ، واعتقاد كل فريق صحة ما هو عليه ، وبين ما أعد لكلا الفريقين ، ذكر أنه هدى فريق الإيمان إلى الطيب من القول ، وهو قول : لا إله إلا الله ، وكل قول فيه

ذكر له سبحانه فقال : ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ أَخَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ

يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ۗ (١١) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (١٠) وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِّنْ حَدِيدٍ (١١)

كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٢) إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ

وَلؤلؤًا ولباسهم فيها حريرٌ (١٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ (١٤) . ثم

عاد لبيان سبب استحقاق المشركين لما أعده لهم من العذاب ، وهو كفرهم وصددهم عن المسجد الحرام ، وهذا الأسلوب مع ما تضمنه من بيان تعذيبهم ، فقد تضمن أيضاً التوطئة للحديث عن حق المسلمين في البيت الحرام " (٤) ، وإن عمارته حسية كانت أو معنوية لا تقتصر على من كان

١-المصدر السابق ص ٧٦.

٢-سورة الحج آية : ٣١.

٣-سورة الحج الآيات ١٩ - ٢٤ .

٤-تفسير التحرير والتنوير (٧ / ٢٣٦) .



مقيماً فيه ، بل يشترك فيها من كان مقيماً فيه وبعيداً عنه قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِن عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾^(١) ثم أخذ السياق في بيان أهم الأمور التي يجب أن يتصف بها عمَّار بيته وذلك بأن وجه خليله إبراهيم عليه وسلم وهو أول من بنى البيت بأن يجتنب الشرك ويتعد عنه وأن يبني البيت على اسم الله وحده ثم يطهر مكان العبادة من الأوثان حتى يخلص الطواف والعكوف والصلاة لله وحده دون ما سواه قال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾^(٢) فإذا جنب الشرك ، وطهر البيت من الشرك حينها يؤذن في الناس بالحج ، وفي هذا تقرير للمشركين الذين أشركوا بالله سبحانه في هذه البقعة التي أسست أول ما أسست على التوحيد^(٣) ، فإن الله سبحانه لم يأذن بالعبادة عنده ، وعمارته وعبادة الأوثان ، والعرب الذين كانوا يقدون إليه بالحج كانوا على الشرك ، بل كانوا يهلون لله ولغيره من الأوثان في حجهم فإذا أرادوا التلبية قالوا : "لييك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك"^(٤).

ثم انتقل السياق إلى مخاطبة كل من يستجيب للنداء ويقصد البيت ، أن يطهروا أنفسهم من الشرك اعتقاداً كان أو قولاً أو فعلاً ، وجعل ذلك من تعظيم حرمة الله ، فقال سبحانه : ﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعْظِمْ حُرْمَةَ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾^(٥).

ثم بين أعظم وصف يجب أن يتصف به المؤمن عموماً وحاج البيت خصوصاً ، ألا وهو إفراد الله

١-سورة الحج آية : ٢٥ .

٢-سورة الحج آية : ٢٦ .

٣-تفسير ابن كثير (٢١٦ / ٣) .

٤-انظر صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب التلبية وصفتها ووقتها ، حديث (٢٨٧٢) .

٥-سورة الحج آية : ٣٠ .



وحده بالعبادة والكفر بكل ما عبد من دونه فلا يقبل من عامل عملاً بدون التوحيد .

ثانياً: تعلق المثل بما بعده من الآيات :

ضرب الله هذا المثل في سياق الآيات التي تتحدث عن الحج لأن الحج يتكبدون المشاق ويعانون المتاعب طلباً لولاية الله ورضوانه ، فنبههم إلى أن الشرك مسقط من ولايته مبعدها أعظم الإبعاد ، ولن يستفيد من هذا حاله من حجه إلا التعب والعناء وفي إثناء السياق ذكرت صفات أخرى لا بد منها لبلوغ كمال الحج ، فمن هذه الصفات

١- تعظيم حرمة الله وشعائره فالحرمة هي : ما أمر الله باجتنابه وتعظيمها وتركها والبعد عنها ، وشعائر الله أعلام منه الظاهرة ومنها المناسك ، وتعظيمها بأدائها على أكمل الوجوه " (١) ، وقال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (٢).

١- الإخبات ، " وهو الخضوع لله بالطاعة والعبادة ، والتواضع لعباده المؤمنين " (٣).

وقد وصف الله المحبتين بعدة أوصاف تناسب ما قدموا من أجله وهو الحج ، فقال تعالى

﴿ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢٤) الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٤﴾ . ثم رجع السياق إلى التأكيد على قضية التوحيد ، حيث بين سبحانه أن الهدايا التي تذبح في مكة والمشاعر إنما شرع ذبحها لتوحيد الله وتعظيمه ، ولن يُرفع إلى الله منها شيء فقال: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥). فلم يشرعها سبحانه لينال منها فهو غني عنها وعن

١- تفسير الطبري (١٧ / ١٥٣) .

٢- سورة الحج آية : ٣٢ .

٣- تفسير الطبري (١٧ / ١٦١) .

٤- سورة الحج الآيتان : ٣٤ - ٣٥ .

٥- سورة الحج آية : ٣٧ .



عباده جميعاً ، والعباد محتاجون إليه وله المنة وحده أن سخرها لهم ، وإنما شرع هذه المناسك حتى يؤدوا شكره على ما رزقهم من بهيمة الأنعام ، ويوحدوه بالتعظيم والتقرب ، فمن تقرب إليه وإلى غيره من الأوثان لم يحقق الغاية التي من أجلها شرعت هذه المناسك ، فلا ينفعه ما قدم من المناسك مهما كان تعظيماً ، لعدم اقترانه بشرط ذلك وهو التوحيد في التقرب بالنسك ..

وبهذا تتبين القضية التي يدور حولها السياق ، وجاء المثل ليساهم في إبراز معالمها وهي : أن أساس صحة الإسلام وقبول الأعمال ، والدخول في ولاية الله ، والفوز بالجنة والنجاة من النار ، إنما يحصل بإفراد الله بالتوحيد في سائر الأعمال ، والكفر بما يُعبد من دونه ، وأنَّ الشرك به سبحانه مُحبط للعمل مُخيب للأمل ، مبعد عن رضوان الله وولايته وجنته^(١).

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

في قوله تعالى : ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ ﴾ أي : مائلين عن الشرك والكفر إلى التوحيد مخلصين في ذلك لله عز وجل ﴿ غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ في عبادته أحداً سواه غير متخذين إلهاً معه ثم ضرب مثلاً للمشرك بالله وعقابه ، فقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ يعبد معه غيره ويزعم أنه الله معه إله آخر ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ ﴾ سقط من السماء وقبل وصوله إلى الأرض تحطفه النسور والصقور والجوارح هوت به الريح إلى مكان عميق جداً في الأرض .

قال "الطبري" : "يقول تعالى ذكره : اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان ، وقول الشرك ، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له ، وإفراده بالطاعة والعبادة له خالصاً دون الأوثان والأصنام ، غير مشركين به شيئاً من دونه ، فإنه من يُشرك بالله شيئاً من دونه ، فمثله في بعده من الهدي وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه ، مثل من خر من السماء فتحطفه الطير فهلك ، أو هوت به الريح في مكان سحيق ، يعني من بعيد ، من قولهم : أبعد الله وأسحقه ، وفيه لغتان : أسحقته الريح

١- الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة و ما يضاهاه من الشرك ص ٢٣٠ ،



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



وسحقتة ، ومنه قيل للنخلة الطويلة : نخلة سحوق ، ومنه قول الشاعر :

كانت لنا جارةً فأزعجها قاذورة تسحقُ النوى قُدماً^(١)

ويُروى : تسحق : يقول فهكذا مثل المشرك بالله في بعده من ربه ومن إصابة الحق ، كُبُعد هذا الوجود من السماء إلى الأرض ، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء ، وقيل: ﴿ فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ ﴾

وقد قيل قبله : ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ وخرَّ فعل ماضٍ ، وتخطفه مستقبل ، فعطف بالمستقبل على الماضي " (٢) .

وقال " القرطبي " - رحمه الله - : " قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي : هو يوم القيامة بمتزلة من لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عن نفسه ضرراً ولا عذاباً ، فهو بمتزلة من خر من السماء ، فهو لا يقدر أن يدفع عن نفسه . ومعنى ، ﴿ فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ ﴾ أي : تقطعه بمخالبتها وقيل : هذا عند خروج روحه وصعود الملائكة بها إلى سماء الدنيا ؛ فلا يفتح لها فيرمى بها إلى الأرض ، كما في حديث البراء وقد ذكرناه في التذكرة . والسحيق : البعيد ؛ ومنه قوله تعالى : قَالَ ﴿ فَسَحَقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾^(٣) وقوله عليه الصلاة والسلام : " فسحقا سحقا " (٤) .

قال " ابن كثير " - رحمه الله - : " وقوله : ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ ﴾ أي مخلصين له الدين منحرفين عن الباطل قصداً إلى الحق ، ولهذا قال : ﴿ عَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ ثم ضرب للمشرك مثلاً في ضلاله وهلاكه وبعده عن الهدى فقال : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ أي سقط منها ﴿ فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ ﴾ أي تقطعه الطيور في الهواء ﴿ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ أي بعيد مهلك لمن هوى فيه ، ولهذا

١- ذكره الطبري ولم ينسبه (١٦ / ٥٣٨) .

٢- تفسير الطبري (١٦ / ٥٣٨) .

٣- سورة الملك آية : ١١ .

٤- تفسير القرطبي (١٤ / ٣٨٧) .



جاء في حديث البراء : أن الكافر إذا توفته ملائكة الموت وصعدوا بروحه إلى السماء، فلا تفتح له أبواب السماء بل تطرح روحه طرْحاً من هناك ، ثم قرأ هذه الآية ؛ وقد تقدم الحديث في سورة إبراهيم بحروفه وألفاظه وطرقه " (١).

قال " السعدي " - رحمه الله - : " أمرهم أن يكونوا ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ ﴾ ؛ أي : مقبلين عليه وعلى عبادته ، معرضين عما سواه ﴿ غَيْرِ مُشْرِكِينَ بِهِ ﴾ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ : فمثله ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ ﴾ ؛ أي : سقط منها ، ﴿ فَتَخَطَّفُهُ الطَّيْرُ ﴾ : بسرعة ، ﴿ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ أي : بعيد . كذلك المشركون ؛ فالإيمان بمتزلة السماء محفوظة مرفوعة ، ومن ترك الإيمان بمتزلة الساقط من السماء عرضة للآفات والبليات ؛ فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاءً ، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان ؛ تخطفه الشياطين من كل جانب ، ومزقوه ، وأذهبوا عليه دينه ودُنياه " (٢). قال الشيخ " ابن عثيمين " - رحمه الله - : ومن ترك الإيمان ، بمتزلة الساقط من السماء ، عرضة للآفات والبليات ، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاءً ، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفه الشياطين من كل جانب ومزقوه ، وأذهبوا عليه دينه ودُنياه " (٣).

المطلب الثالث : بيان نوع المثل والغرض الذي ضرب له :

أولاً : بيان نوع المثل : هذا النوع من الأمثال التشبيهية والتي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي وهو يقوم على تشبيه غير مدرك بالحس بما هو مدرك بالحس وهو حال المشرك بالله تعالى ، بحال الساقط من السماء حين تتخطفه الطيور ، أو حال الذي تلقي به الريح من مكان بعيد . وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة . قال في الكشاف : "يجوز أن يكون هذا التشبيه من المركب والمفرق بأن صور حال المشرك بصورة حال من خر السماء فاختطفته الطير

١- تفسير ابن كثير (٣ / ٣٥١).

٢- تفسير السعدي طبعة دار ابن الجوزي ص ٦٢٥ .

٣- تفسير ابن عثيمين (٥ / ٥٧٨).



فتفرق مزعاً في حواصلها ، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة ، وإن كان مفرقاً فقد شبه الإيمان في علوه بالسما ، والذي ترك الإيمان وأشرك بالله بالساقط من السماء ، والأهواء التي تتوزع أفكاره بالطير المختطفة"^(١).

يقول " ابن القيم " - رحمه الله - " ويجوز لك في هذا التشبيه أمران : أحدهما : أن تجعله تشبيهاً مركباً ويكون قد شبه من أشرك بالله وعبد معه غيره برجل قد تسبب إلى هلاك لا يرحي معه نجاة .

فصور حالة بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير في الهواء فتفرق مزعاً في حواصلها ، أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة . وعلى هذا لا تنظر إلى كل فرد من أفراد المشبه ومقابلة من المشبه به .

الثاني : أن يكون من التشبيه المفرق ، فيقابل كل واحد من أجزاء المثل بالمثل به وعلى هذا فيكون قد شبه الإيمان والتوحيد في علوه وسعته وشرفه بالسما التي هي مصعده ومهبطه . فمنها هبط إلى الأرض وإليها يصعد منها وشبه تارك الإيمان والتوحيد بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين ، من حيث التصيق الشديد والآلام المتراكمة . والطير التي تتخطف أعضائه وتمزقه كل ممزق بالشياطين التي يرسلها سبحانه وتعالى عليه تؤزّه أزاً وترعجه وتدفعه إلى مظان هلاكه . فكل شيطان له مزعه من دينه وقلبه ، كما أن لكل طير مزعه من لحه وأعضائه والريح التي تهوى به في مكان سحيق : هو هواه الذي يحمله على إلقاء نفسه في أسفل مكان وأبعده من السماء"^(٢).

الغرض الذي من أجله ضرب المثل :-

الغرض من هذا المثل لتقريب المعنى للمخاطب : كلُّ الأمثال القرآنية عبارة عن تبسيط ما هو معقد بتقديمه بشكل ملموس ومحسوس للمخاطبين وهذا الغرض التربوي هو أهم الأغراض التربوية على الإطلاق في القرآن لكونه يستغرق كل الأمثال القرآنية وهذا المثل تبرز فيه صورة المعقول في صورة

١- تفسير التحرير والتنوير (١٧ / ٢٥٤) .

٢- التفسير القيم ص ٣٦٧ .



المحسوس الذي يلمسه الناس ، فيتقبله العقل لأن المعاني المعقولة لا تستقر في الذهن إلا إذا صيغت في صورة حسية قريبة للفهم^(١).

وفي هذا المثل فالشرك بالله أمر معنوي ، والمشرك عندما يقترف شركه يسقط من المرتبة العالية التي وضعها الله للمؤمنين ، فيعيش هذا المشرك في اضطراب وقلق وعدم طمأنينة ، فيمثل الله لهذه الحالة بمن يخر من السماء فتحطفه الطير ، وهو تصوير لحالة التمزق النفسي الذي يعتري المشرك ، فهو تقريب لصورة الحالة النفسية للمشرك ، الذي هو أشبه بمن يقع من السماء فتحطفه الطير أو تهوى الريح به في مكان سحيق ، وهي كناية على أن المؤمن يرفعه إلى المكانة العالية في الجنة يدل قعر جهنم السحيق المعد للكافرين^(٢).

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: من الفوائد البلاغية كلمة ﴿ حُنْفَاءٌ ﴾ ، جمع حنيف صفة مشبهة من حنف يحنف باب ضرب أي مال إلى دين الإسلام ، وزنه فعيل ووزن حنفاء فعلاء بضم ففتح^(٣).

ثانياً: من الفوائد البلاغية أن التشبيه المركب : في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنْ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ فكأنه سبحانه قال : من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس بعده ، بأن صور حاله بصورة حال من خرَّ من السماء ، فاخطفته الطير ، فتفرق قطعاً في حواصلها ، أو عصفت به الريح ، حتى هوت به في بعض المطارح البعيدة^(٤).

ثالثاً: قال الهراوي - رحمه الله - : " شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء ؛ لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسفعه الريح فهو هالك لا محالة ؛ إما باستلاب الطير لحمه ، أو

١- القطان ، مناع ، مباحث في علوم القرآن ، مكتبة المعارف للنشر بالرياض ط ٣ لعام ١٤٢١ هـ

ص ٢٩٧.

٢- المدلولات التربوية للأمثال القرآنية ص ٥١ .

٣- الجدول في إعراب القرآن (٩ / ١١١) .

٤- الجدول في إعراب القرآن (٩ / ١١١ ، ١١٢) .



بسقوطه في المكان السحيق" (١).

رابعاً : من الفوائد البلاغية التأكيد في قوله: ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ فإنه تأكيد لقوله: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ .
خامساً : قال "الهراري" - رحمه الله - : " التشبيه المركب والتمثيلي في قوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ وهو ما كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ، وبيان ذلك ، أنه انقسمت فيه حال الكافر إلى قسمين لا مزيد عليهما :

الأول : منهم المتذبذب الشاك المتماذي على الشك ، وعدم التصميم على ضلالة واحدة ، فهذا القسم من المشركين شبه بمن اختطفه الطير ، وتوزعه ، فلا يستولى طائر على مزعة منه ، إلا انتهيا منه آخر ، وذلك حال المذبذب ، لا يلوح له خيال إلا أتبعه ، ونزل عما كان عليه .

الثاني : مشرك مصمم على معتقد باطل ، لو نشر بالمناشير لم يتراجع عن تصميمه ، لا سبيل إلى تشكيكه ، و لا مطمع في نقله عما هو عليه ، فهو فرح مبتهج لضلالته ، فهذا مشبه في إقراره على كفره باستقرار من هوت به الريح إلى واد سحيق سافل فاستقر فيه ، ونظير تشبيهه بالاستقرار في الوادي السحيق ، الذي هو أبعد ما يكون من السماء" (٢).

سادساً: ومن الفوائد التربوية دلالة المثل على أن من أسباب الضلال إتباع الشبهات ، وتظهر من قوله تعالى: ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ .

سابعاً : ومن الفوائد الإيمانية : لهذا المثل دلالة المثل على معنى الحنيفية والحنيف هي الميل عن عبادة ما سوى الله إلى عبادته ، كما قال تعالى في الآية التي ضرب فيها هذا المثل ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : " فالدين الحنيف هو الإقبال على الله وحده ، والإعراض

١- تفسير حدائق الروح والريحان (١٨ / ٣١٦) .

٢- تفسير حدائق الروح والريحان (١٨ / ٣٤٥ ، ٣٤٦) .



عما سواه ، وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق والكلمة الطيبة لا إله الله " (١).

ثامناً: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على أن الشرك سبب الخذلان الأعظم فإذا كان التوحيد سبباً لاستحقاق ولاية الله ، فإن الشرك سبب لخذلان العبد وسقوطه من تلك الولاية ، والخذلان : ترك الإعانة والنصرة فإذا أشرك العبد بربه تخلى عنه وخذله ووكله إلى من أشرك به قال تعالى : ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ (٢).

تاسعاً: من الفوائد الإيمانية دلالة المثل على أن التوحيد أساس تحصيل ولاية الله قال الشيخ " عبد الرحمن السعدي " - رحمه الله - : " فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوى ، فكل من كل مؤمناً تقياً كان لله ولياً ، ومن كان لله ولياً فهو ولي لرسوله ، ومن تولى الله ورسوله كان تمام ذلك تولى من تولاه وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً أو باطناً ، واخلصوا للمعبود بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها ، وأحسنوا للخلق وبنلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم " (٣).

عاشراً: قال " سيد قطب " : " يرسم النص مشهداً عنيفاً يصور حال من نزل قدماءه عن أفق التوحيد، فيهوى إلى درك الشرك ، فإذا هو ضائع ذاهب بدءاً كأن لم يكن من قبل أبداً : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ فإنه مشهد الهوى من شاقق " ﴿فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ وفي مثل ملح البصر يتمزق ﴿فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ أو تقذف به الريح بعيداً عن الأنظار : " ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ في هوة ليس لها قرار! والملاحظ هو سرعة الحركة مع عنفها وتعاقب خطواتها في اللفظ " بالفاء " وفي المنظر بسرعة الاختفاء.. على طريقة القرآن الكريم في التعبير بالتصوير " (٤).

حادي عشر: قال " سيد قطب " : " هي صورة صادقة لحال من يشرك بالله ، فيهوى من أفق

١-مجموع الفتاوى (٩ / ٣١٩).

٢-سورة الإسراء آية : ٢٢.

٣-تفسير السعدي ص ٢٤٩.

٤-تفسير اللطال (٤ / ٢٤٢١).



الإيمان السامق إلى حيث الفناء والانطواء إذ يفقد القاعدة الثابتة التي يطمئن إليها . قاعدة التوحيد . ويفقد المستقر الآمن الذي يثوب إليه ؛ فتتخطفه الأهواء تخطف الجوارح ، وتتقاذفه الأوهام تقاذف الرياح . وهو لا يمسك بالعروة الوثقى ، ولا يستقر على القاعدة الثابتة ، التي تربطه بهذا الوجود الذي يعيش فيه ^(١) .

المبحث السابع : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ۗ إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ ^(٢) .

المطلب الأول: مناسبة المثل بينه وبين محور السورة وتعلق المثل بما قبله وما بعده من الآيات
أولاً: مناسبة المثل بينه وبين محور السورة:

ورد هذا المثل في آخر سورة الحج ، وقد تعرضت السورة لمسائل التوحيد والبعث ، وهما من المسائل الكبرى التي يعارضها المشركون ، ففي بداية السورة برهن تعالى على إمكان البعث بدليلين قاطعين ، فقال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ لِكُلِّ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنْفِقُ وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمْرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴾ ^(٣) . ثم بين سبحانه حال ثلاثة أصناف من الناس :

١- تفسير الظلال (٤ / ٢٤٢١ ، ٢٤٢٢) .

٢- سورة الحج آية : ٧٣ .

٣- سورة الحج الآيات من ٥ : ٧ .



الأول : من يجادل رسل الله وأتباعهم بالباطل ليدحض به الحق .

والثاني : من هو ضعيف الإيمان ، لم يدخل الإيمان قلبه ، ولم تخالطه بشاشته ، بل دخل فيه ، إما خوفاً وإما عادة على وجه لا يثبت عند المحن ﴿ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ﴾ أي : إن استمرار رزقه رغداً ولم يحصل له من المكاره شيء ، اطمأنَّ بذلك الخير لا بإيمانه ﴿ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ ﴾ من حصول مكروه ، أو زوال محبوب ﴿ أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ أي : أرتد عن دينه "(^١)".

الثالث : المؤمن حقيقة ، الذي خالطت بشاشة الإيمان قلبه ، وقد بين الله ما يستحقون م النعيم وبعد أن عرض تعالى لهذه الأصناف الثلاثة والتي منها من يعبد غير الله ، بين أن جميع المخلوقات تخضع له وتسجد له ، وإن ترك الخضوع والانقياد خروج عن الفطرة التي فطرت عليها جميع المخلوقات ثم انتقلت السورة للكلام عن الحج وقد تقدم معنا بيان ما اشتملت عليه آيات الحج من هذه السورة من توجيهات ووصايا تؤكد على التوحيد وتحث عليه ثم تطرقت السورة إلى كثير من الحجج والدلائل الدالة على التوحيد ، وذكر الأمم المكذبة للرسول وما حل بهم ثم أنكر عليهم عدم اعتبارهم بما حل بالأمم الغابرة من العذاب والنكال ، وهم يبرون على آثارهم وبعد أن ذكر تعالى طرفاً من دلائل ربوبيته أشار إلى استحقاقه للعبادة دون سواه وفي ختام السورة بين سبحانه أن المشركين لا يعتمدون في عبادتهم على برهان ودليل ، وإنما هي التخرصات والأوهام الباطلة ، ولو كانوا يطلبون الحق لكفاهم حجة لترك ما هم عليه بعض هذه الشواهد التي ذكرها الله في هذه السورة وغيرها ، الدالة على بطلان الشرك ولتأكيد وهاء هذه الأصنام وانعدام الحجة المقنعة المسوغة لعبادتها ضرب الله هذا المثل إمعاناً في تسفيه عقول المشركين ، ومبالغة في التهوين من شأن تلك الآلهة الباطلة .

قال " ابن عاشور " - رحمه الله - : " أعقبت تضاعف الحجج والمواعظ والإنذارات التي اشتملت عليها السورة مما فيه . مقنع للعلم بأن إله الناس واحد ، وأن ما يعبد من دونه ، أُعقبت تلك كلها



يمثل جامع لوصف حال تلك المعبودات وعابديها^(١).

ثانياً: مناسبة المثل لما قبله :

يقول " مصطفى مسلم " - حفظه الله - : " في المقطع السابق ذكر مزيداً من دلائل قدرته سبحانه ؛ فذكر في هذا المقطع موقف الناس من تلك الدلائل بين مؤمن وكافر ، فهو تأكيد للمقاطع السابقة بأن الله سبحانه يفصل بين المكذبين والصادقين فهو أعلم بما فيه يختلفون " ^(٢).

ثالثاً : مناسبة المثل لما بعده :

يقول الدكتور " مصطفى مسلم " - حفظه الله - " بعد أن تكلم عن الإلهيات والنبوات أتبعه بالشرائع والأحكام تؤكد الآيات هذا المقطع على ضرورة إتباع منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - وعدم الخروج عنه ، لأن طاعة غير الله لا فائدة منها ، فغيره لا يستطيع أن يخلق ذباباً ، ولا استرداد ما أخذه الذباب ، لذلك يجب أن يكون التوحيد الخالص لله وحده " ^(٣).

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال " الطبري " - رحمه الله - في تفسير المثل : "يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس جعل الله مثلاً وذكرٌ. ومعنى ضرب في هذا الموضوع : جعل من قلوبهم : ضرب السلطان على الناس البعث ، بمعنى : جعل عليهم . وضرب الجزية على النصارى ، بمعنى جعل ذلك عليهم ؛ والمثل : الشبه ، يقول جل ثناؤه : جعل لي شبه أيها الناس ، يعني بالشبه والمثل : الآلية ، يقول جل ثناؤه : جعل لي شبه أيها الناس ، يعني بالشبه والمثل : الآلهة ، يقول جعل لي المشركون والأصنام شبيهاً ، فعبدوها معي ، وأشركوها في عبادتي فاستمعوا له يقول : فاستمعوا حال ما مثلوه وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبيهاً وصفته ﴿ إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا ﴾ يقول : إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام لو جمعت لم يخلقوا ذباباً في صغره وقلته ، لأنها لا تقدر

١- تفسير التحرير والتنوير (١٧ / ٣٣٧).

٢- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٥ / ١١٤).

٣- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٥ / ١١٧).



على ذلك و لا تطيقه ، ولو اجتمع لخلقهم جميعاً والذباب واحد ، وجمعه في القلة أذبة وفي الكثير ذبّان ، غراب يجمع في القلة أغربة ، وفي الكثرة غربان . وقوله : ﴿ وَإِنْ يَسْأَلُوكُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا ﴾ يقول : وإن يسألهم الآلهة والأوثان الذباب شيئاً مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء ﴿ لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ يقول : لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه . واختلف في معنى وقوله : ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ فقال بعضهم : عني بالطالب . الآلهة ، وبالمطلوب : الذباب . وكان بعضهم يقول : معنى ذلك :

﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ ﴾ من بني آدم إلى الصنم خاصة ، ﴿ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ إليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله ، يقول : ضعف عن ذلك وعجز . والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه ، وهو الطالب وما أشبهه والمطلوب الذباب ^(١) .

قال الحافظ "ابن كثير" - رحمه الله - : " يقول تعالى منبهاً على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ ﴾ أي : لما يعبد الجاهلون بالله المشركون به ﴿ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ أي : أنصتوا وتفهموا ، ﴿ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ أي : لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحدا ما قدروا على ذلك ثم قال تعالى أيضاً : ﴿ وَإِنْ يَسْأَلُوكُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ أي : هم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه ، لو سلبها شيئاً من الذي عليها من الطيب ، ثم أرادت أن تستنقذه منه ، لما قدرت على ذلك هذا ، والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها ولهذا قال : ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ ثم قال : ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي : ما عرفوا قدر الله وعظمته حين عبدوا معه غيره ، من هذه

١- تفسير الطبري (١٦ / ٦٣٥) ،



التي لا تقاوم الذباب لضعفها وعجزها ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ أي : هو القوي الذي بقدرته وقوته خلق كل شيء ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ ﴾^(١) . ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾^(٢) . ﴿ إِنَّهُ هُوَ يَدِيُّ وَيُعِيدُ ﴾^(٣) . ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾^(٤) وقوله : ﴿ عَزِيزٌ ﴾ أي : قد عزَّ كل شيء فقهره وغلبه ، فلا يمانع و لا يغالب ، لعظمته وسلطانه ، وهو الواحد القهار^(٥) .

قول " السعدي " - رحمه الله - : " هذا مثل ضربه الله لقبح عبادة الأوثان وبيان نقصان عقول من عبدها وضعف الجميع ، فقال : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ﴾ : هذا خطاب للمؤمنين والكفار ؛ المؤمنون يزدادون علماً وبصيرةً ، والكافرون تقوم عليهم الحجة ﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ ؛ أي : ألقوا إليه أسمعكم ، وأفهموا ما احتوى عليه ، و لا يصادف منكم قلباً لاهية وأسماعاً معرضةً ، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع ، وهو هذا : ﴿ إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ : مثل كل ما يدعي من دون الله ، ﴿ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾ : الذي هو من أحقر المخلوقات وأخسها ؛ فليس في قدرتهم خلق هذا المخلوق الضعيف ؛ فما فوقه من باب أولى ، ﴿ يَسْلُبُهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ : وهذا غاية ما يصير من العجز ﴿ ضَعُفَ الطَّلِبُ ﴾ : الذي هو المعبود من دون الله ،

﴿ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ الذي هو الذباب ؛ فكل منهما ضعيف ، وأضعف منهما من يتعلق بهذا الضعيف ويتزله منزلة رب العالمين ؛ فهذا ما قدر الله حق قدره ، حيث سوى الفقير العاجز من جميع الوجوه بالغني القوي من جميع الوجوه سوى من لا يملك لنفسه و لا لغيره نفعاً ولا ضراً ولا موتاً و لا

١-سورة الروم جزء من آية ٢٧ .

٢-سورة البروج الآيتان : ١٢ ، ١٣ .

٣-سورة النازيات جزء من الآية : ٥٨ .

٤-تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، (٣ / ٣٧٦ ، ٣٧٧) . بتصريف .



حياةً و لا نشوراً بمن هو النافع الضار المعطي المانع مالك الملك والمتصرف فيه بجميع أنواع التصرف ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾؛ أي : كامل القوة ، كامل العزة ، من كمال قوته وعزته : أن نواصي الخلق بيديه ، وأنه لا يتحرك متحرك و لا يسكن ساكن إلا بإرادته ومشيعته ؛ فما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ومن كمال قوته ، أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا ، ومن كمال قوته : أنه يبعث الخلق كلهم ، أولهم وآخرهم بصيحة واحدة ، ومن كمال قوته أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية بشيء يسير وسوط من عذابه " (١).

المطلب الثالث : بيان نوع المثل والغرض الذي ضرب له :

أولاً : بيان نوع المثل :

هذا المثل من الأمثال التشبيهية ، التي يتم إيضاح المراد بها عن طريق القياس التمثيلي وهو يقوم على تشبيه أمر من الأمور المعنوية بأمر مشاهد محسوس ، وهو عجز كل ما يعبد من دون الله تعالى ، بحال من سلبه الذباب شيئاً لا يستطيع إرجاعه منه ، و مقياسه هذا بهذا ، وإلحاق أحكام الممثل به بالممثل له وكل من الممثل به والممثل له عبارة عن هيئة مركبة " (٢).

ثانياً : الغرض الذي ضرب له :

إنَّ الغرض الذي ضرب من أجله المثل هو إقناع المخاطب واستثارة تفكيره . فلاشك إن من الأغراض التربوية للأمثال شحذ الذهن واستثارة كافة العمليات العقلية ومنها التفكير والقياس والتذكير والتخيل والتأمل ... وهذا المثل من الأمثال القرآنية ، التي تتحدى عقول الكفار والملحدين ، بما لله من قوة وقدرة على الخلق ، لا يملكها من دونه من الآلهة الباطلة ، فالذين من دونه من الآلهة أضعف من أنيقدروا على خلق أضعف المخلوقات في هذا الكون وهو الذباب ، فمن باب أولى هم أعجز عن خلق ما هو أعظم من الذباب كالسماوات والأرض والشمس والقمر والكواكب وغيرها ، فالله يخاطب عقول الكفار والملحدين و يقيم عليهم الحجة والبرهان، وهو

١- تفسير السعدي ص ٦٣٥.

٢- الأمثال المتعلقة بالتوحيد ص ١٩٦.



مثل يدعوهم إلى التفكير المنطقي الرصين والتدبير في حال ضعفهم وضعف ما يعبدونه من دون الله . في مطلع المثل فائدة أخرى فقد نبه الله الكفار وغيرهم أنه سيضرب لهم المثل ، فدعاهم إلى الاستماع لمثله ، والاستماع أحد أهم الوسائل لإدراك المعرفة حسيًا ثم معنويًا ، فكأن الله بدعوته للاستماع يهيئ الجو والمناخ الملائم للتعلم ، حتى يشد الانتباه ويثير الحواس ، التي تعين على تلقي العلم الذي يصبح الفهم عن الله والتطبيق ، وعلماء الاتصال والتربية يدركون ما للاستماع الفعال ، من أهمية في أدراك الرسائل والانتباه في تلقي المعلومة واستيعابها " (١) .

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: قال " ابن عاشور " - رحمه الله - " والخطاب ——— ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ﴾ للمشركين لأنهم المقصود بالرد والزجر وبقرينة قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ ﴾ على قراءة الجمهور ﴿ تَدْعُونَ ﴾ ببناء الخطاب فالمراد ب——— ﴿ النَّاسُ ﴾ هذا المشركون على ما هو المصطلح الغالب في القرآن . ويجوز أن يكون المراد ب——— ﴿ النَّاسُ ﴾ جميع الناس من مسلمين ومشركين " (٢) .

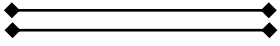
ثانياً: ومن الفوائد البلاغية في افتتاح السورة ب——— ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ﴾ وتنتهيتها بمثل ذلك شبه برد العجز على الصدر . ومما يزيده حسناً أن يكون العجز جامعاً لما في الصدر وما بعده . حتى يكون كالنتيجة للاستدلال والخلاصة للخطبة والحوصلة للدرس " (٣) .

ثالثاً: ومن الفوائد التربوية قال " ابن عاشور " : " ذكر الذباب لأنه من أحقر المخلوقات التي فيها الحياة المشاهدة وأما ما في الحديث في المصورين قال الله تعالى " فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة " فهو

١- المدلولات التربوية للأمثال القرآنية ص ٥٨ ، ٥٩ .

٢- التحرير والتنوير (١٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) .

٣- التحرير والتنوير (١٧ / ٣٣٨) .



في سياق التعجيز لأن الحبة لا حياة فيها والذرة فيها حياة ضعيفة"^(١).

رابعاً: الاستنقاذ مبالغة في الإنقاذ مثل الاستحياء والاستجابة .

خامساً: ومن الفوائد البلاغية ما ذكره "ابن عاشور"^(٢) وجملة ﴿ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾ تذييل وفذلكة للغرض من التمثيل ، أي ضعف الداعي والمدعو . إشارة إلى قوله: ﴿ إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا ﴾ إلخ أي ضعفتم أنتم في دعوتهم آلهة وضعفت الأصنام عن صفات الإله"^(٢).

سادساً: ومن الفوائد البلاغية قال "الهري" - رحمه الله - " لما كان المثل في الأكثر نكته عجيبة غريبة ، جاز أن يسمى كل كلام كان كذلك مثلاً . وقال في "الكشاة" قد سميت الصفة والقصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلاً تشبيهاً لها ببعض الأمثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة"^(٣).

سابعاً: ومن الفوائد البلاغية والتربوية ما قاله "الشوكاني" : - رحمه الله - " قال الأخفش : ليس ثم مثل ، وإنما المعنى ضربوا لي مثلاً ﴿ فَأَسْتَمِعُوا ﴾ بقولهم ، يعني : إن الكفار جعلوا لله مثلاً بعبادتهم غيره ، فكأنه قال " جعلوا لي شبيهاً في عبادتي فاستمعوا خبر هذا الشبه قال النحاس : المعنى : ضرب الله - عز وجل - لما يعبدونه من دونه مثلاً ، قال : وهذا من أحسن ما قيل فيه ، أي بين الله لكم شبيهاً ولعبودكم وأصل المثل : جملة من الكلام متلقاة بالرضا والقبول ، مثيرة في الناس مستغربة عندهم ، وجعلوا مضرها مثلاً لموردها ، ثم قد يستعبرونها للقصة أو الحالة أو الصفة المستغربة ، لكونها مماثلة لها في الغرابة كهذه القصة المذكورة في هذه الآية"^(٤).

ثامناً: ومن الفوائد التربوية ما قاله "ابن القيم" : " حقيق على كل عبد أن يستمع قلبه لهذا المثل ،

١-التحريير والتنوير (١٧ / ٣٣٧ ، ٣٣٨) .

٢-التحريير والتنوير (١٧ / ٣٤١) .

٣-تفسير حدائق الروح والريحان (١٨ / ٤١٨ ، ٤١٩) .

٤-تفسير فتح القدير (٣ / ٤٦٩) .



ويتدبره حق تدبره ، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه . وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده وإعدام ما يضره ، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ، ولو اجتمعوا كلهم لخلقهم ، فكيف بما هو أكبر منه ، بل لا يقدر على الانتصار من الذباب إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه ، فيستنقذوه منه ، فلا هم قادرين على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوانات ، ولا على الانتصار منه ، واسترجاع ما سلبهم إياه فلا أعجز من هذه الآلهة ، ولا أضعف منها فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟^(١).

تاسعاً: ومن الفوائد التربوية ما ذكره "الماوردي" : - رحمه الله - " وخص الذباب لأربعة أمور تخصه : لمهانتة وضعفه واستقذاره وكثرته ، وسُمي ذباباً لأنه يُذَبُّ احتقاراً واستقذاراً " ^(٢).

عاشرًا : " ما أثبتته الأبحاث العلمية أيضاً من طبيعة امتصاص الذباب للغذاء ، فالذباب يتميز بطريقة فريدة في امتصاص الغذاء ، فالسوائل تمتص عن طريق الخرطوم (الراشف) ثم تتحلل داخل تجويف الفم و لاتصل إلى الجهاز الهضمي إلا وقد تحللت جميع أجزائها ، وأما الأغذية الصلبة فإن الذباب يغرز مواد لعابية تذيبها ومن ثم يتم امتصاصها ، فتكون قد تحللت قبل أن تدخل إلى الجوف ، ثم يتم امتصاصها ، فتكون قد تحللت قبل أن تدخل إلى الجوف ، وفي كلا الحالين لا يمكن استلاب ما أخذه الذباب لكونه تحلل قبل الوصول إلى جوفه " ^(٣).

حادي عشر : ومن الفوائد الإيمانية المستفادة من المثل دلالة المثل على ضلال النصارى في تأليه المسيح عليه السلام لكونه يخلق ، وبيان المراد بالخلق المسند إليه عليه السلام فإن الخلق الذي أضيف إلى المسيح عليه السلام كما في آية آل عمران وآية المائدة على مرحلتين :

الأولى : خلق الطين كهيئة الطير ، بمعنى تصويره على صورة الطير ، أنه هذا لا معجزة فيه ، لأن

١- التفسير القيم ص ٣٦٨ .

٢- الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضافه من الشرك ص ٣٣٠ .

٣- كتاب : مشهد الأحياء المستصغرة في النظر السطحي للعثمان (٦٠-٦٣) ، دار الندلس للنشر والتوزيع ، حائل ،

السعودية ، ١٤١٨هـ .



عامّة الناس يقدرّون عليه .

الثاني : أن ينفخ فيه الروح فيصبح طيراً وهذا هو المعجز ، ولكن لا يدل على أن من فعله أصبح خالقاً يستقل بالخلق كالرب تعالى وذلك من وجوه :

١- أن الله تعالى هو الذي أقدره على ذلك وأذن له ، فلا يقدر على ما فعل ذلك بغير إذن الله .
٢- أن الله سبحانه أقدره على أن يخلق وينفخ الروح في أشياء خاصة أذن له فيها فلا يتمكن من خلق كل شيء .

٣- أن الإذن بنفخ الروح في بعض المخلوقات ليس خاصاً بعبسى عليه السلام بل الملك الموكل بالأجنة مكّنه الله من أن ينفخ فيها الروح كما في حديث ابن مسعود ومما تقدم أن المسيح عليه السلام لا يستقل بالخلق الذي من اتصف به استحق أن يكون إلهاً معبوداً ، وإتّما أذن له سبحانه بتصوير بعض المخلوقات وأقدره على نفخ الروح فيها ، وهذا من المعجزات التي لعبسى عليه السلام ولكن لا يصح أن يوصف بالقدرة على الاستقلال بالخلق كما تزعم النصارى .

ثان عشر : ومن الفوائد الإيمانية والعقدية دلالة المثل على ضلال المعتزلة في زعمهم أن العبد يخلق فعل نفسه . قال شيخ الإسلام -رحمه الله - " وأما القدرية من الأمامية والمعتزلة وغيرهم فإذا قالوا : إنه قادر على كل المقدورات لم يريدوا بذلك ما يزيده أهل الإثبات، وإتّما يريدون بذلك أنه قادرٌ على كل ما هو مقدور له ، وأما نفس أفعال العباد من الملائكة والجن والإنس فإن الله لا يقدر عليها عند القدرية " ^(١). وقد ضل المعتزلة في قولهم هذا حيث أثبتوا خالقين مع الله تبارك وتعالى وقد رد عليهم المثبتون لعموم خلق الله تعالى للأشياء سواء كانت أفعال العباد أو غيرها ، والآيات والأحاديث الدالة على عموم الخلق تنقض قولهم .

ثالث عشر : ومن الفوائد الإيمانية والعقدية دلالة المثل على استمرار التحدي بالخلق إلى يوم القيامة ، وأن اللجوء إلى الهندسة الوراثية دليل على عجز العاملين في مجال الاستنساخ عن الخلق والحقيقة

١- منهاج السنة (٢ / ٢٩١) .



إنَّ التحدي مازال قائماً ، فليخلقوا ذباباً (الذي هو من أقل المخلوقات في عدد الكروموزمات ، وأقل المخلوقات تعقيداً في مورثاته - كما يقولون -) : وليخلقوا حبة أو شعيرة ، تنبت وتنمو وتتكاثر ! بل فليخلقوا خلية ، أو كروموزوماً واحداً ! إنهم لن يستطيعوا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً. وهذا الحقيقة التي قررها القرآن الكريم (تفرد الله بالخلق ، والتحدي على ذلك) ، قيل أكثر من ألف وأربعمائة سنة ، تأتي العلوم والعاملون بها ليؤكدوا ما دلَّ عليه القرآن ، ويسطروا أنَّ الإنسان اليوم - وهو في أوج تقدمه العلمي - أبعد ما يكون عن القدرة على الخلق ، ويسجلوا بذلك معجزة علمية لهذا الكتاب العزيز ^(١).

رابع عشر : قال " سيد قطب " - رحمه الله - : " ثم يخطو خطوة أوسع في إبراز الضعف المزري :

﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ﴾ .. والآلهة المدعاة لا تملك استنقاذ شيء من الذباب حين يسلبها إياه ، سواء كانت أصناماً أو أوثاناً أو أشخاصاً ! وكم من عزيز يسلبه الذباب من الناس فلا يملكون رده . وقد اختير الذباب بالذات وهو ضعيف حقير . وهو في الوقت ذاته يحمل أخطر الأمراض و يسلب أغلى النفائس يسلب العيون والجوارح ، وقد يسلب الحياة والأرواح .. إنه يحمل ميكروب السل والتيفود والدوستاريا والرمم .. ويسلب ما لا سبيل إلى استنقاذه وهو الضعيف الحقير ^(٢).

خامس عشر : وهذه حقيقة أخرى كذلك يستخدمها الأسلوب القرآني المعجز .. ولو قال : وإن تسلبهم السباع شيئاً لا يستنقذوه منها لأوحى ذلك بالقوة بدل الضعف والسباع لا تسلب شيئاً أعظم مما يسلبه الذباب ! ولكنه الأسلوب القرآني العجيب ! ويختتم ذلك المثل المصور الموحى بهذا التعقيب : ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ ليقدر ما ألقاه المثل من ظلال ، وما أوحى به إلى

١- الجربوع ، عبد الله ، استنساخ الأجنة من الخلايا الهندسة وراثياً في ضوء العقيدة الإسلامية ، بحث غير منشور ص



المشاعر والقلوب" (١).

سادس عشر: ومن الفوائد الإيمانية في قوله تعالى: ﴿ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ما قدروا الله حق قدره ، وهم يشركون به تلك الآلهة الكليمة العاجزة التي لا تخلق ذباباً ولو تجمعت له بل لا تستنقذ ما يسلبها الذباب إياه ! ما قدروا الله حق قدره ، وهم يرون آثار قدرته ، وبدائع مخلوقاته ، ثم يشركون به من لا يستطيعون خلق الذباب الحقيق ! ما قدروا الله حق قدره ، وهم يستعينون بتلك الآلهة العاجزة الكلية عن استنقاذ ما يسلبها إياه الذباب ، ويدعون الله القوى العزيزة إنه تقرير وتقريع في أشد المواقف مناسبة للخشوع والخضوع" (٢).

سابع عشر: قال " الميداني " - رحمه الله - : " وقد أعجبنى في هذا تنبيه ذكره الدكتور " مصطفى محمود " في بعض أحاديثه " التلفزيونية " استناداً إلى ما توصلت إليه الدراسات العلمية على الذباب ، إذ ذكر أن الذباب قد انفرد عن سائر الحيوان بأنه يُفرزُ الهواضم على جزئيات طعامه فيهضمه في مكانه قبل أن يمتصه بخرطومه ، فهو لا يمتصه بخرطومه إلا متحولاً مهضوماً ، وبسبب ذلك فإنه متى سلب شيئاً وامتصه فعلاً فقد سلبه متغيراً متحولاً ، تعجز كل وسائل العلماء مهما كانت متقدمة عن استنقاذه منه ، لقد صار مهضوم طعام الذباب ، ولم يعد جزئية من سكر أو دقيق أو دم أو غير ذلك مثلاً فالآية بهذا شاهد من شواهد الإعجاز العلمي في القرآن " (٣).

١- تفسير الظلال (٤ / ٢٤٤٤).

٢- تفسير الظلال (٤ / ٢٤٤٤).

٣- أمثال القرآن ، وصور من أدبه الرفيع ص ١٩٣ .



المبحث الثامن : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ

الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(١).

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات وما بعده من الآيات :

أولاً : مناسبة المثل لما قبله :

إنَّ الله سبحانه لما أسلف أنَّه أهلك من أشرك به بعاجل العقاب ، وسيعذبه بشديد العذاب ، ولا ينفعه في الدارين معبوده ، و لا يجديه ركوعه وسجوده ،... أردف هذا بتمثيل حال من اتخذ معبوداً دون الله بحال العنكبوت ، وقد اتخذت لها بيتاً لا يريحها إذا هي أوت ، و لا يجيرها من حر وبرد إذا هي ثوت ، ثم زاد الإنكار توكيداً ، فذكر أنَّ ما يدعونه ليس بشيء فكيف يتسنى للعاقل أن يترك القادر الحكيم ويشغل بعبادة من ليس بشيء ، ثم أردف هذا ببيان فائدة ضرب الأمثال للناس ، فإنه لا يُدرك مغزاها إلا ذوو الأبواب الذين يفهمون حبيء الكلام ، وظاهره وسره وعلايته^(٢).

وقال "الطاهر بن عاشور" -رحمه الله- : " لما بُينت لهم الأشباه والأمثال من الأمم التي اتخذت الأصنام من دون الله ، فما أغنت عنهم أصنامهم لما جاءهم عذاب الله ، أعقب ذلك بضرب المثل لحال جميع أولئك وحال من ماثلهم من مشركي قريش ، في اتخاذهم ما يحبونه دافعاً عنهم وهو أضعف من أن يدفع عن نفسه ، بحال العنكبوت تتخذ لنفسها بيتاً تحسب أنها تعتصم به من المعتدي عليها ، فإذا هو لا يصمد و لا يثبت لأضعف تحريك فيسقط ويتمزق"^(٣).

ثانياً : مناسبة المثل لما بعده :

بعد أن ضُربَ الله هذا المثل بين القضية التي من أجلها ضرب المثل وهي بيان أنَّ المشركين في عبادتهم لهذه الأصنام ليسوا على شيء ، وإنَّ الله حين ضرب هذا المثل لها ، ضربه وهو العليم

١-سورة العنكبوت آية : ٤١ .

٢-تفسير حقائق الروح والريحان (٢١ / ٣٩٣).

٣-تفسير التحرير والتنوير (٨ / ٢٥٢).



بجها المدرك لحقيقة ما يتعلق به المشركون حين عبادتهم لها ، فقال جل شأنه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(١).

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه :

وقال "الطبري" -رحمه الله - في قوله تعالى - " ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ
كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾^(٤١) مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرهما ونفعها عند حاجتهم
لأنفسهم ، ﴿ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ في ضعفها ، وقلة احتياها لنفسها ، ﴿ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ لنفسها
، كيما يكتننها ، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه ، فكذلك هؤلاء المشركين لم يغن عنهم حين
نزل بهم أمر الله ، وحل بهم سخط أوليائهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً ، ولم يدفعوا عنهم
ما أحل الله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم وأورد بإسناد حسن عن قتادة : قوله :

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ قال : هذا مثل ضربه الله
للمشرك مثل إلهه الذي يدعوهم من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه وقوله ﴿
وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ يقول إن أضعف البيوت ﴿ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ يقول
تعالى ذكره : لو كان هؤلاء الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم
من دون الله أولياء ، يعلمون أن أولياءهم الذين اتخذوهم من دون الله في قلة في قلة غنائهم عنهم ،
كغناء بيت العنكبوت عنها ، ولكنهم يجهلون ذلك ، فيحسبون أنهم ينفعونهم ويقربونهم إلى الله
زلفى " (٢).

قال " ابن كثير " - رحمه الله - " هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله

١- سورة العنكبوت آية : ٤٢

٢- تفسير الطبري (١٨ / ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥) بتصريف .



، يرجون نصرهم ورزقهم ، ويتمسكون بهم في الشدائد ، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ، ووهنه فليس في أيدي هؤلاء من آلتهم إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت ، فإنه لا يجدي عنه شيئاً ، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء ، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله ، وهو مع ذلك يحسن العمل في إتباع الشرع فإنه مستمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، لقوتها وثباتها " (١) .

وقال "القرطبي" - رحمه الله - : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (لو) متعلقة ببيت العنكبوت أي : لو علموا إنَّ عبادة الأوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيئاً وإنَّ هذا مثلهم لما عبدوها ؛ لا أنهم يعلمون انَّ بيت العنكبوت ضعيف " (٢) .

وقال "ابن القيم" - رحمه الله - : " فذكر سبحانه أنهم ضعفاء ، وأن الذين اتخذوهم أولياءهم أضعف منهم فهم في ضعفهم ، وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وهو أوهن البيوت وأضعفها وتحت هذا المثل أن هؤلاء المشركين أضعف ما كانوا حين اتخذوا من دون الله أولياء فلم يستفيدوا بم اتخذوهم أولياء إلا ضعفاً على ضعفهم " (٣) .

قال "السعدي" - رحمه الله - : " هذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوى والنفع ، وأنَّ الأمر بخلاف مقصوده ، فإنَّ مثله كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً يقيها من الحر والبرد والآفات ، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ : أضعفها وأوهاها ﴿لَبِئْسَ الْبُيُوتُ﴾ : فالعنكبوت من الحيوانات الضعيفة ، وبيتها من أضعف البيوت ؛ فما ازدادت باتخاذها إلا ضعفاً " (٤) .

١- تفسير ابن كثير (٣ / ٦٥٩) .

٢- تفسير القرطبي (١٦ / ٣٦٤) .

٣- التفسير القيم ص ٤٠٣ .

٤- تفسير السعدي ص ٧٤١ .



المطلب الثالث : نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله :

أولاً نوع المثل : هو من الأمثال التشبيهية المركبة :

أما كونه من الأمثال التشبيهية فقد شبه الله سبحانه المشرك في عبادته لغير الله بالعنكبوت حين اتخذت بيتاً ، بجامع : قلة النفع وانعدام الفائدة المرجوة في كل .

وهو من الأمثال المركبة ، فيكون المعنى : مثل العنكبوت عندما اتخذت بيتاً ضعيفاً واهناً كمثل المشرك عندما اتخذ معبوداً باطلاً لأنه الضعيفة و لا يضره .

قال "الألوسي" - رحمه الله - : " مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء فيما اتخذوه معتمداً ومُتكلاً في دينهم ، وتولوه من دون الله تعالى ، كمثل العنكبوت فيما نسجته واتخذته بيتاً والتشبيه على هذا من المركب " (١) .

والتشبيه في هذا المثل من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس ، فإن العنكبوت ونسجها أمر مدرك بالحس ، أما الشرك وعبادة الأوثان فهو أمر معنوي غير محسوس .

ثانياً : الغرض الذي ضرب من أجله المثل :

إنَّ الغرض التربوي من ضرب هذا المثل هو شحذ الذهن واستثارة العمليات العقلية المختلفة ، كالتفكير والتخيل والقياس والتذكر والاستنباط وغيرها ، بهدف إقامة الحجة والبرهان والإقناع . وهذا المثل من أعظم الأمثال القرآنية الدافعة إلى التأمل والتفكير ، ومثل العنكبوت يتحدى به الله العلماء ، فيقول لو كانوا يعملون ما في هذا المثل من علم لأمنوا بالله سبحانه وتعالى ، ثم يقول الله تعالى إنَّ هذه الأمثال ما يعقلها إلا العالمون ، لذلك ثبت عن بعض السلف الصالح أنَّه كلما قرأ مثلاً ولم يفهمه بكى ، وقال إنني من الجاهلين ولست من العالمين وإنَّ هذا المثل الذي يتحدى العقول ، هو من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، ويبين لنا فهد العامر الأحمدى في مقالة العلمي : إنَّ من ناحية الإعجاز المادي نلاحظ أنَّ كلمة العنكبوت وردت في الآية الكريمة بصيغة التأنيث

١- تفسير روح المعاني (٢٠ / ١٦٠) .



لا التذكير اتخذت بيتاً فعلماء الحشرات لم يكتشفوا إلا مؤخراً أن أنثى العنكبوت ، هي من يقوم بفرز المادة الحريرية وجدل الخيوط وغزل الشبكة ، وكلمة اتخذت لا تشير فقط إلى أنثى العنكبوت ، بل وإلى وجود عملية بناء حقيقة تقوم بها بغرض السكن والتفريخ ، وفي المقابل يقتصر دون الذكر على التلقيح والارتقاء عند قد مي الأنثى كي تأكله ، بعد انتهاء عملية التزاوج ، وهذا المصير المخيف جعل بعض المفسرين يرون أن المقصود من المثل ليس وهن خيوط العنكبوت من الناحية الاجتماعية والأخلاقية والمادية ، وبالمقارنة مع علم الحشرات بعد بيت العنكبوت من أوهي البيوت ، من الناحية الأسرية وأكثرها أنانية وشراسة ، فالأنثى تأكل الذكر بعد التلقيح وتأكل أبنائها بعد خروجهم من البويضة ، إلا من نجا وفر ، وهذا البيت العنكبوتي يشبه في وهنه وهن الروابط والأوشاج والصلات ، التي تربط الكفار بأهتهم الوثنية المزيفة ، والتي ستنقطع تلك الصلات بينهم في الدنيا قبل الآخرة" (١).

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: من الفوائد البلاغية ما قاله " محمود صافي " : " عوداً إلى المثل والتمثيل في القرآن الكريم ، رغم أننا نوهنا بهذا الفن الكريم مراراً ، ومن علماء البلاغة من اعتبره من الاستعارة التمثيلية القائمة على التشبيه التمثيلي : قال عبد القاهر الجرجاني : وهل تشك في أن التمثيل يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين ، حتى يختصر بُعد ما بين المشرق والمغرب ، وهو يريك المعاني الممثلة في الأشخاص الماثلة ، وينطلق لك الأخرس ، ويعطيك البيان من الأعجم ، ويريك الحياة في الجماد ، ويريك التمام عين الأضداد ، ويجعل الشيء قريباً بعيداً معاً" (٢).

ثانياً : ومن الفوائد البلاغية قال " الهري " - رحمه الله - : " التشبيه التمثيلي في قوله : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا ﴾ حيث شبه حال من

١- المدلولات التربوية للأمثال القرآنية ص ٥٨ .

٢- الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (١٠ / ٣٤٢) .



اتخذ الأصنام أولياء وعبيدا ، واعتمد عليها واجبا نفعها وشفاعتها ، بحال العنكبوت التي اتخذت بيتاً ، فكما أن بيتها لا يدفع عنها حراً ، ولا برداً ، ولا مطراً ، ولا أذى ، ولا خيراً ، ولا شراً ، فالآية من قبيل تشبيه الهيئة بالهيئة ، لتشبيه حال الكفار بحال العنكبوت ، وسمى تمثيلاً ، لأن وجه المشبه فيه صورة منتزعة من متعدد ^(١).

ثالثاً : ومن الفوائد البلاغية أيضاً قال " المهري - رحمه الله - " والعنكبوت يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، والغالب في الاستعمال التأنيث ، وتأوه كطاء طاغوت ؛ أي زائدة لا للتأنيث ، وهي دويبة معروفة تنسج من لعابها خيوطاً ، وتصيد بذلك النسيج طعامها ، والجمع عنكب وعنكبوتات ، والعنكب ذكرها والجمع عنكب وعناكب والعنكبة والعنكبة والعنكبة و العنكبة أنثاها ، والجمع عنكب وعناكب. " ^(٢).

رابعاً : من الفوائد التربوية لهذا المثل " إنه كما صح أن أوهن البيوت بيت العنكبوت فقد صح أن دين كل من عبد شيئاً من دون الله تعالى هو أضعف الأديان وأوهنها ، وبهذا المثل أصبح المثل له كالصورة المحسوسة الملموسة لكي ينتزع الحكم من السامع " ^(٣).

خامساً : ومن الفوائد أيضاً " بيان أن المشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له به من النفع . وهو لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع : إما مالك لما يريد عابده منه ، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً كان معيناً له وظهيراً ، فإن لم يكن معيناً و لا ظهيراً كان شقيقاً عنده ، فنفي سبحانه مراتب الأربع نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه " ^(٤).

سادساً : ومن الفوائد الإيمانية " قطع الله تعالى بهذه الآيات جميع الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعاً قطعاً يعلم من تأمله ويحقق من تدبره أن من اتخذ من دون الله ولياً أو شقيقاً فهو كمثل

١- تفسير حدائق الروح والريحان (٢١ / ٤٤٢).

٢- تفسير حدائق الروح والريحان (٢١ / ٤٣٩).

٣- الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة ص ٢٠٢ .

٤- حمد ، أحمد بن إبراهيم ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإيتام لابن القيم (٢ / ٢٦٧) ،

الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن .



العنكبوت اتخذت بيتاً وإنَّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، فمن استمسك بغير الله في حال شدته وكربه وغمه فدعاه ورجاه بما لا يقدر عليه إلا الله فليس في يده ممن استمسك به سواه تعالى إلا كمن يستمسك بيت العنكبوت فإنه لا يجدي عنه شيئاً ، فلو علم المستمسك هذا الحال لما اتخذ من دون الله ولياً ولا شفيعاً ، وهذا بخلاف أهل القبلة فإنهم لله مخلصون وله في العمل مستسلمون ومحسنون وإتباع ما جاد من الله على لسان رسوله منقادون وباللَّه معتمدون وبالعروة الوثقى مستمسكون وهي العقد الوثيق المحكم في الدين لا انفصام لها لقوتها وثباتها" (١).

سابعاً: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على شدة العداء بين الشيطان وبني آدم وقد نصب الشيطان لإضلال الناس وإغوائهم حبائل ومصائد كثيرة جداً ، من أعظمها وأشدّها إضلالاً لهم وإبعاداً عن الحق : تلك الأوثان والأصنام والمعبودات الباطلة التي علق الناس بها وصرفهم عن التوحيد إلى الشرك ، وعن الإيمان إلى الكفر ، فجعل لكل قوم ولياً يتعلقون به يطلبون نفعه ونصره ، ويتقربون إليه بأنواع القرب ، فمنهم من علقه بالكواكب ، والنجوم ، ومنهم من علقه بالأصنام والأحجار ، ومنهم من علقه بالملائكة ومنهم من علقه بالأنبياء ، ومنهم من علقه بالأولياء والصالحين وقطع عليهم بذلك باب الهداية والنجاة من النار .

ثامناً: ومن الفوائد التربوية " بيان أنَّ من أغراض ضرب المثل التأثير ، والبلاغة تقتضي أنَّ تضرب الأمثال لما يراد تحقيره والتنفير عنه بحال الأشياء التي جرى العرف بتحقيرها ، واعتادت النفوس النفور منها . لذلك شبه ما يراد تحقيره بالأشياء التي عرفت حقارتها كما هو واضح في هذا المثل من تشبيه معبودات المشركين وأوليائهم ببيت العنكبوت " (٢).

تاسعاً: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على إنَّ المشرك يتحصل من الشرك على ضده مقصوده قال "ابن القيم" - رحمه الله - : " فأعظم الناس خُدلاناً من تعلق بغير الله ، فإن ما فاتته من مصالحه

١- الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن ص ٢٠٢ .

٢- النحلوي ، عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والاجتمع ، دار الفكر ، الطبعة

الخامسة والعشرين ١٤٢٨ ، ٢٠٠٧ ، ص ١٩٩ .



وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به ، وهو معرض للزوال والفوات ، ومثل المتعلق :

بغير الله : كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أو هن البيوت ^(١).

وقال أيضاً " ابن القيم " - رحمه الله - : " وهذا من أحسن الأمثال ، وأدلها على بطلان الشرك ، وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده " ^(٢).

عاشراً : ومن الفوائد التربوية أيضاً قال " ابن القيم " - رحمه الله - : " فإن قيل : فهم يعلمون أن

أوهن البيوت بيت العنكبوت ، فكيف عنهم علم ذلك بقوله : ﴿ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ فالجواب

: أنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت ، وإنما نفى عنهم علمهم بأن اتخاذهم

الموتى أولياء من دونه كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، فلو علموا ذلك ما فعلوه ، ولكن ظنوا أن اتخاذهم

الأولياء من دونه يفيدهم عزاً وقدرة والأمر في الواقع بخلاف ما ظنوه " ^(٣).

حادي عشر : ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على إن المشرك لا عقل له لقد نفى الله سبحانه

وتعالى العقل عن المشركين في عدد من الآيات ، منها قوله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ

الَّذِي يَدْعُو بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عَمًى فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ^(٤).

وليس المراد من نفى العقل ؛ نفى العقل العزيمي الذي يتميز به الإنسان عن البهائم ، وإنما المراد

ثمرة ذلك العقل الذي به يسمى المرء عاقلاً ، فمن كان له عقل لا يستعمله في ما فيه مصلحته

ومنفعته فهو ومن لا عقل له سواء ولهذا نفى الله عن المشركين السمع والكلام والبصر ، مع أنهم

يسمعون ويبصرون ويتكلمون ، وذلك لعدم انتفاعهم بتلك الحواس .

ثان عشر : ومن القيم والفوائد التربوية ما بينه " ابن عاشور " - رحمه الله - : في قوله تعالى : ﴿

إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ " لما نفى عنهم العلم بما

١- مدارج السالكين (١ / ٤٥٨) .

٢- إعلام الموقعين (١ / ١٥٤) .

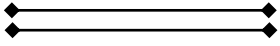
٣- التفسير القيم ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

٤- سورة البقرة آية : ١٧١ .



تضمنه التمثيل من حقارة أصنامهم التي يعبدونها وقلة جدواها بقوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١) المفيد أنهم لا يعلمون ، أعقبه بإعلامهم بعلمه بدقائق أحوال تلك الأصنام على اختلافها واختلاف معتقدات القبائل التي عبدتها ، وأن من آثار علمه بها ضرب ذلك المثل لحال من عبدوها وحالها أيضاً دفعاً بهم إلى أن يتهموا عقولهم وأن عليهم النظر في حقائق الأشياء تعريضاً بقصور علمهم كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٢) فهذا توقيف لهم على تفریطهم في علم حقائق الأمور التي علمها الله وأبلغهم دلائلها النظرية ونظائرها التاريخية ، وقربها إليهم بالتمثيلات الحسية فعموا وصموا عن هذا وذاك"^(١).

١- تفسير التحرير والتنوير (٢١ / ٢٥٣) .



المبحث التاسع دراسة المثل في **قَالَ تَعَالَى: ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ**

أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ

نُفِصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ (١)

المطلب الأول: سبب نزول المثل ودلالة السياق الذي ورد فيه

أولاً : سبب النزول:

قال "ابن كثير" - رحمه الله - "قال "الطبراني": حدثنا محمود بن الفرج الأصبهاني ، حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي ، حدثنا حماد بن شعيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : كان يلي أهل الشرك ؛ لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (٢) وأخرج جويبر مثله عن داود بن أبي هند، عن أبي جعفر محمد بن علي عن أبيه (٣)

ثانياً مناسبة المثل لما قبله :

أن الله سبحانه لما بين قدرته على الإعادة ، بإقامة الأدلة عليها ، ثم ضرب لذلك مثلاً أعقب ذلك بذكر المثل على الوجدانية ، بعد إقامة الدليل عليها " (٤)

ثالثاً مناسبة المثل لما بعده :

أن الله سبحانه لما عدد البيّنات والأدلة على وحدانيته ، وأثبت الحشر ، وضرب لذلك المثل ، وسلى رسوله ، ووطن عزيمته على اليأس من إيمانهم ، لأن الله تعالى قد ختم على قلوبهم ، فلا مخلص لهم مما فيه ، ولا ينقذهم من ذلك ، لا هو ولا غيره ، ﴿ فَلَا نَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ

١- سورة الروم آية: ٢٨

٢- ابن كثير (٦٨٧/٣)

٣- تفسير حدائق الروح والريحان (١٢٧/٢٢)

٤- تفسير حدائق الروح والريحان (١٢٤/٢٢)



حَسْرَتٍ ﴿١﴾... أعقب ذلك بأمره بالاهتمام بنفسه ، وعدم المبالاة بأمرهم ، وإقامة وجهه لهذا الدين غير ملتفت عنه يمينة ولا يسرة ، فهو فطرة الله التي خلق العقول معترفة بما "﴿٢﴾".

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال "الطبري" - رحمه الله - يقول تعالى ذكره : مثل لكم أيها القوم ربكم مثلاً من أنفسكم ، ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ يقول : من ممالئكم من شركاء ، فيما رزقناكم من مال ، فأنتم فيه سواء وهم . يقول : فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي ، وأنتم وهم عبيدي وممالئكي ، وأنا مالك جميعكم .

وأورد بإسناد حسن عن قتادة قوله : ﴿ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ قال : مثل ضربه الله لمن عمل به شيئاً من خلقه ، يقول : أكان أحدكم مشاركاً مملوكه في فراشه وزوجته؟! وكذلك الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه .

قال "الطبري" : واختلف أهل التأويل في تأويل قوله : ﴿ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ فقال بعضهم : معنى ذلك ، تخافون هؤلاء الشركاء ، مما ملكت أيماكم ، أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم ، كما يرث بعضهم بعضاً . وقال آخرون : بل معنى ذلك : تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيماكم أن يقاسموكم أموالكم ، كما يقاسم بعضهم بعضاً "﴿٣﴾".

وقال "الطبري" : وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك ، القول الثاني؛ لأنه أشبهها بما دل عليه ظاهر الكلام ، وذلك أن الله جل ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين ، الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها ، وأشركوهم في عبادتهم إياه ، وهم مع ذلك يقرون بأنه خلقهم وهم عبيده ، وعيرهم بفعلهم ذلك ، فقال لهم : هل لكم من عبيدكم شركاء فيما حولناكم من نعمنا ، فهم سواء ،

١-سورة فاطر جزء من آية : ٨.

٢- تفسير حدائق الروح والريحان (١٢٤/٢٢)

٣- تفسير الطبري (٤٩٠/٤٨٩/١٨) بتصرف



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسمكم ذلك المال الذي هو بينكم وبينه كخيفة بعضكم بعضاً أن يقاسمه ما بينكم وبينه من المال شركة ، فالخيفة التي ذكرها - تعالى ذكره - خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذي بينهما إياه ، أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه ؛ لأن ذكر الشركة لا يدل على خيفة الوراثة ، وقد يدل على خيفة الفراق والمقاسمة ^(١)

قال "القرطبي" : -رحمه الله - " قال بعض العلماء : هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه وذلك أنه لما قال جل وعز : ﴿ صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ الآية فيجب أن يقولوا : ليس عبیدنا شركاء فيما رزقتنا ! فيقال لهم : فكيف يتصور أن تزهدوا نفوسكم عن مشاركة عبیدكم وتجعلوا عبیدی شركائي في خلقي فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب ! فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة. والخلق كلهم عبید لله تعالى فيبطل أن يكون شيء من العالم شريك لله تعالى في شيء من أفعاله فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك إذ الشركة تقتضي المعاونة ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضاً بالمال والعمل والقديم الأزلي متره عن ذلك جل وعز وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك ."

وقال "ابن كثير" : -رحمه الله - " هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به ، العابدين معه غيره ، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبید له ، ملك له ، كما كانوا يقولون : لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك ، فقال تعالى : ﴿ صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي : تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم ؛ ﴿ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَإِنَّهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ أي : لا يرتضي أحد منكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله ، فهو وهو فيه على السواء ﴿ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ ﴾ أي :

١ - تفسير الطبري (٤٩٠/١٨) .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



تخافونهم أن يقاسموكم الأموال . وقال - رحمه الله - : والمعنى أن أحدكم يأنف من ذلك ، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه وهذا كقوله تعالى : ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾^(١) أي: من البنات ، حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، وجعلوها بنات الله ، وكان أحدهم إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هونٍ أم يدسه في التراب ، فهم يأنفون من البنات . وجعلوا الملائكة بنات الله ، فنسبوا إليه مالا يرتضونه لأنفسهم ، فهذا أغلظ الكفر . وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء له من عباده ، وخلقهم ، وأحدهم يأبي غاية الإباء وأنف غاية الأنف من ذلك ، أن يكون عبده وشريكه في ماله ، ويساويه فيه ، ولو شاء لقسامه عليه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال "ابن القيم" - رحمه الله - قول الله تعالى ذكره ﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾^(٢) هذا دليل قياسي . احتج الله سبحانه به على المشركين ، حيث جعلوا له من عباده . وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم ، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم . ومن ابلغ الحجج أن يأخذ الإنسان من نفسه ، و يحتج عليها بما هو في نفسه مقرر عندها ، معلوم لها فقال : ﴿ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل ؟ أي : هل يشاركم عبيدكم في أموالكم و أهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء ؟ تخافون أن يقاسموكم أموالكم ، ويشاطروكم إياها ويستأثرون ببعضها عليكم ، كما يخاف الشريك شريكه وقال "ابن عباس" : تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً^(٢)

قال "سيد قطب" : - رحمه الله - " ضرب هذا المثل لمن كانوا يتخذون من دون الله شركاء خلقا

١- سورة النحل جزء من آية : ٦٢ .

٢- التفسير القيم ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ .



من خلقه : جنأً أو ملائكة أو أصناماً وأشجاراً وهم لا يرتضون أن يشاركهم مواليتهم في شيء مما تحت أيديهم من مال . ولا يسوون عبيدهم بأنفسهم في شيء من الاعتبار ؛ فيبدو أمرهم عجباً . يجعلون لله شركاء من عبده وهو الخالق الرازق وحده . ويأنفون أن يجعلوا لأنفسهم من عبدهم شركاء في مالهم . ومالهم ليس من خلقهم إنما هو من رزق الله وهو تناقض غريب في التصور والتقدير ^(١)

المطلب الثالث نوع المثل والغرض الذي ضرب من أجله

نوع المثل : قال "ابن عاشور" " وهذا المثل تشبيه هيئة مركبة بهيئة مركبة ؛ شبهت الهيئة المنتزعة من زعم المشركين أن الأصنام شركاء لله في التصرف ودافعون عن أوليائهم ما يريد الله من تسلط عقاب أو نحوه إذ زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله وهم مع ذلك يعترفون بأنها مخلوقة لله فإنهم يقولون في تلبيتهم " لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك " هذه الهيئة شبهت بهيئة ناس لهم عبيد صاروا شركاء في أرزاق سادتهم شركة على السواء فصار سادتهم يحذرون إذا أرادوا أن يتصرفوا في تلك الأرزاق أن يكون تصرفهم غير مرض لعبيدهم. وهذا التشبيه وإن كان منصرفاً لمجموع المركب من الهيأتين قد بلغ غاية كمال نظائره إذ هو قابل للتفريق في أجزاء ذلك المركب بتشبيه مالك الخلق كلهم بالذين يملكون عبيداً ، وتشبيه الأصنام التي هي مخلوقة لله تعالى بمالك الناس ، وتشبيه تشريك الأصنام ، في التصرف مع الخالق في ملكه بتشريك العبيد في التصرف في أرزاق سادتهم ، وتشبيه زعمهم عدول الله عن بعض ما يريد في الخلق لأجل تلك الأصنام وشفاعتها ، يحذر أصحاب الأرزاق من التصرف في حظوظ عبدهم الشركاء تصرفاً يابونه ، فهذه الهيئة المشبهة بها هيئة قبيحة مشوهة في العادة لا وجود لأمثالها في عرفهم فكانت الهيئة المشبهة منفية منكراً ، ولذلك أدخل عليها استفهام الإنكار والجحود لينتج أن الصورة المزعومة للأصنام صورة باطلة بطريق التصوير والتشكيل إبرازاً لذلك المعنى الاعتقادي الباطل في الصورة المحسوسة المشوهة الباطلة



الغرض الذي من أجله المثل :-

إن الغرض الذي من أجله ضرب المثل هو إثارة التفكير بأسلوب الاستفهام الحواري في الأمثال القرآنية ، فقد وردت العديد من الأمثال القرآنية بصيغة الاستفهام ، وهو في القرآن أسلوب رائع ، كما أنه أحد أبلغ الأساليب اللغوية في إيصال المعاني للمخاطبين .

قال "ابن تيمية" -رحمه الله - : "كثير من الأمثال جاءت على شكل الاستفهام الإنكاري الذي يدل على الذم والنهي" (٢)

ويرى علماء البلاغة أن الاستفهام يفيد في تنبيه السامع ، حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويستبين الجوابومن الاستفهام ما يأتي للإفحام والرد وآخر يهدف إلى النفي والتوبيخ والاستغراب والتعجب ، ليس تسوية بين أمرين في الحكم والنتيجة ، والمعقول يثبت أحدهم وينقض الآخر ، بدليل من العقل والحس ، والاستفهام يدفع بالمخاطب إلى الحكم الصحيح ، ويشير فيه التنبيه إلى الحقائق في غير عوج بل بطريق مستقيم .

يقول "النحلاوي" -رحمه الله - : "فالاستفهام إذا مؤداه الحث على النظر والاستدلال وتوجيه الأنظار إلى الكون وما فيه وما يجري بين الناس" (٣)

والاستفهام الحواري الراسخ في القرآن يضاهيه أسلوب الاستفهام في المدرسة الحديثة ، ويزيد عليه ، فالاستفهام المدرسي مقصور على أمور عادية علمية خاصة ، أما الحوار القرآني أو النبوي فهو يتحدى عقول السامعين وأفكارهم بأمر جديدة أو غامضة ، ثم يشرحها لهم ، ويوجههم إلى الأخذ بخيرها وترك شرها ، فغاياته وجدانية سلوكية بحيث يكره إلى السامع أو المخاطب الشر ويجب إليه الخير ، ويشير عواطفه وانفعالاته في سبيل تحقيق سلوك طيب والابتعاد عن سلوك شرير"

١- تفسير التحرير والتنوير (٨٦/٢١)

٢- مجموع الفتاوى (٦٤/١٤)

٣- النحلاوي ، عبد الرحمن ، أصول التربية الإسلامية وأساليبها ص ٢١٤ .



المطلب الرابع : القيم الإيمانية والتربوية للمثل :

أولاً:- ومن الفوائد البلاغية للمثل جناس الاشتقاق الموجود في قوله تعالى: ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾.

ثانياً:- "ومن الفوائد البلاغية وضع الظاهر موضع الضمير في قوله تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ للتسجيل عليهم بوصف الظلم؛ أي بأنهم في ذلك الاتباع ظالمون ، وفيه أيضاً الالتفات من الخطاب إلى الغيبة إهانة لهم ، وإيداناً لهم بأنهم لا يستحقون الخطاب " (٢)

ثالثاً:- من الفوائد البلاغية "الاستفهام مستعمل في الإنكار ومناط الإنكار قوله تعالى: ﴿فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ إلى آخره أي من شركاء لهم هذا الشأن " (٣)

رابعاً:- ومن الفوائد البلاغية " واللام في "لَكُمْ" لام التعليل ، أي ضرب مثلاً لأجلكم ، أي لأجل إفهامكم " (٤)

خامساً:- ومن الفوائد البلاغية أيضاً ما جاء في "التحرير و التنوير " (مِّن) في قوله : ﴿مِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ تبعيضية ، (مِّن) في قوله " مِّنْ شُرَكَاءَ " زائدة مؤكدة لمعنى النفي المستفاد من الاستفهام الإنكاري فالجمع بين هذه الحروف في كلام واحد من قبيل الجنس التام " (٥)

سادساً:- ومن الفوائد أيضاً " يقال ضرب الدرهم اعتباراً بضربه بالمطرقة ، وقيل له : الطبع اعتباراً بتأثر السكة فيه ، وضرب المثل : هو من ضرب الدرهم ، وهو ذكر شيء أثره يظهر في

١- المدلولات التربوية ص ٦٤

٢- تفسير حدائق الروح والريحان (١٧٨/٢٢)

٣- تفسير التحرير والتنوير (٨٥/٢١)

٤- تفسير التحرير والتنوير (٨٥/٢١)

٥- تفسير التحرير والتنوير (٨٥/٢١)



غيره ، والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة ، ليتبين أحدهما بالآخر وتصويره " (١)

سابعاً: - ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على حجة عقلية تدل على إبطال الشرك ، وذلك أنه قد استقر في بدائه العقول أن مشاركة العبد المملوك لسيده في ملكه ما تحت يده من المال والمتاع أمر تنفر منه الطباع ، وذلك لأن العبد بمثلة المتاع يباع ويشترى ، وما ملك فهو لسيده فكيف يصح أن يكون مشاركاً له وهو لا يملك نفسه أصلاً .

ثامناً: - ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على قاعدة قياس الأولى قال شيخ الإسلام - رحمه الله - " فإن الله سبحانه لا يماثله شيء من الموجودات في قياس التمثيل ولا أن يدخل في قياس شمول تماثل أفراده ، بل ما ثبت لغيره من الكمال الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه فهو أحق به ، وما نزه عنه غيره من النقائص فهو أحق بالترتبه منه ، كما قال تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوِّءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ " (٢) (٣) .

تاسعاً: - ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على ضلال المشركين في تسويتهم بين المالك والمملوك لقد احتج الله على المشركين تسويتهم بينه وبين عبده في الاستحقاق ، وذلك أن المشركين عبدوه سبحانه وعبدوا معه غيره وأحبوه وأحبوا غيره .

عاشراً: - ومن الفوائد التربوية بيان أن الشركة بين المتفاوتين في الدرجة مرفوضة ، كالشركة بين السيد والعبد ، ولما كان الخلق كلهم عبيداً لله فلا يمكن أن يكون العبد شريكاً لله في العبودية .

حادي عشر: - ومن الفوائد التربوية والإيمانية أن الإسلام دين الفطرة السوية التي فطر الله الناس عليها ، وهي فطرة التوحيد ، الإيمان بوجود إله واحد لا شريك له فيجب على الإنسان اتباع هذا الدين وعدم تغييره .

١- حدائق الروح والريحان (١٧٥/٢٢)

٢- مجموع الفتاوى (٣٤٧/١٢)

٣- النحل آية : ٦٠



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



ثان عشر: -ومن الفوائد الإيمانية " أن أمر الله بإخلاص العبودية له ، والرجوع إليه بالتوبة من الذنوب ، والإخلاص في العمل والطاعة له سبحانه ، والخوف منه بامثال أوامره ، واجتناب نواهيه وطلباً لرضاه ."^(١)

ثالث عشر: " ومن الفوائد الإيمانية الإقناع بعقيدة التوحيد الإسلامية وبأنه لا إله إلا الله ، وبأنه ليس لله ند ولا شريك ، جاء في القرآن أدلة برهانية كثيرة ، وجاء فيه أيضاً أدلة خطابية قد يكون لها تأثير على بعض النفوس أكثر من تأثير الأدلة البرهانية ، لما فيها من تأثير على المشاعر النفسية ، أما البراهين فقد تكون أدلة عقلية بحتة لا تحرك بعض مشاعر النفوس ولا تهزها "^(٢) .

١-التفسير الموضوعي(٦/١٢).

٢-أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع ، الميداني ص٧١



المبحث العاشر: -دراسة المثل في قوله تعالى ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا

سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(١)

المطلب الأول : مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها وارتباطها بسياق السورة:

أولاً : مناسبة المثل لما قبله : فقد جاء قبل المثل بيان حال المشركين وأنهم يخلصون لله تعالى في

الشدة ويشركون في الرخاء فقال : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً

مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ

أَصْحَابِ النَّارِ ﴾^(٢) ثم جاءت الآيات التي أكد فيها النبي - صلى الله عليه وسلم - ما أمره به ربه

من إخلاص العبادة ، حيث قال ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾^(٣) وبين التزامه بذلك

، وخاطب الكفار على سبيل التهديد بأن يعبدوا ما يشاءون من الأوثان ، فلن يكون في ذلك خير

لهم يوم القيامة ، حين يخسر الواحد منهم نفسه وأهله أما خسران نفسه فلأنه أوردتها العذاب ،

وأما خسرانه لأهله فلأنه لا يستطيع الاجتماع بهم ، سواء كانوا معه في العذاب أو دخلوا الجنة ،

فالاجتماع والأنس بهم غير ممكن في الحالين قال تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾^(٤) ثم بين الله

تعالى حال عباد الله المؤمنين ، وأنهم اجتنبوا الطاغوت وتركوا عبادتها ، وأخلصوا عبادتهم لله ،

وبشرهم بالثواب في الدنيا ، والنعيم في الآخرة ، وأمر نبيه أن يبشرهم بذلك ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ

أَجْتَنَبُوا الظَّالِمَاتِ أَنْ يَعْبُدُونَهَا وَانَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْأَلْبَابِ ﴾^(٥) .

١-سورة الزمر آية :٢٩ .

٢-سورة الزمر آية :٨ .

٣-سورة الزمر آية :١١ .

٤-سورة الزمر آية :١٤ .

٥-سورة الزمر آيتان :١٧، ١٨ .



ثانياً: مناسبة المثل لما بعده :

بعد أن ضرب الله المثل للشرك خاطبهم سبحانه بأسلوب من أساليب المحاجة ، وذلك بإلزامهم بالإقرار بتوحيد الإلهية إذا أقروا بتوحيد الربوبية ، وهم مقرون بذلك فيلزمهم الإقرار بلازمه وهو توحيد العبادة ، ثم زادت الآية في البيان ، لتؤكد عجز الآلهة الباطلة عن أهم ما يطلبه المشركون مما له تعلق بالربوبية على سبيل التنبيه ، فإذا كانت عاجزة عن دفع الضر عنكم ، وإنزال الرحمة بكم ، فعجزهم عما سوى ذلك أولى ، قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ ۗ اَللّٰهُ ۗ ﴾^(١)

علاقة المثل بمحور السورة :

فمن خلال ما سبق ندرك القضية الكبرى التي يدور حولها سياق هذا المثل ، وأن جميع السور التي ورد هذا المثل في ثناياها تتحدث عن التوحيد وإفراد الله جل شأنه بالعبادة ، وأنه هذه السورة قد حوت من الدلائل على ذلك والشواهد ما لا تبقى معه حجة لأحد من المشركين في تبرير شركه والبقاء عليه ، فليس بعد الحق إلا الضلال ، وليس بعد الهدى إلا العمى .

قال "ابن عاشور" -رحمه الله - : " وأغراضها -أي هذه السورة- كثيرة تحوم حول إثبات تفرده بالإلهية ، وإبطال الشرك فيها ، وإبطال تعليقات المشركين لإشراكهم وأكاذيبهم " ^(٢)

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم فيه :

قال "الطبري" -رحمه الله - : " يقول تعالى ذكره : "مثل الله مثلاً للكافر ، الذي يعبد آلهة ، ويطيع جماعة من الشياطين ، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد . يقول تعالى ذكره : ﴿ ضَرَبَ اللّٰهُ ۗ لِهٰذَا الْكٰفِرِ ﴿ رَجُلًا فِيْهِ شُرَكَاءُ ۗ ﴾ يقول : هو بين جماعة مالكين متشاكسين ، يعني مختلفين ومتنازعين ، سيئة أخلاقهم ، من قولهم : رجل شكس إذا كان سيء الخلق ، وكل واحد منهم

١-سورة الزمر آية : ٣٨

٢-التحرير والتنوير (٢٤ / ١٨ - ١٩) بتصرف.



يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾. يقول: ورجلا خلوصاً لرجل، يعني المؤمن الموحد، الذي أخلص عبادته لله وحده لا يعبد غيره، ولا يدين لشيء سواه بالربوبية^(١) وقال "ابن كثير" - رحمه الله - : " ثم قال : ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ أي : يتنازعون في ذلك العبد المشترك بينهم ، ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ أي : خالصاً لرجل لا يملكه أحد غيره ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ أي : لا يستوي هذا وهذا . وكذلك لا يستوي المشرك الذي يعبد آلهة مع الله ، والمؤمن المخلص الذي لا يعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فأين هذا من هذا ؟ قال "ابن عباس" "ومجاهد" وغير واحد : هذه الآية ضربت مثلاً للمشرك والمخلص ، ولما كان هذا المثل ظاهر بيناً جلياً ، قال : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ أي : على إقامة الحجة عليهم ، ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي : فلهذا يشركون بالله^(٢) .

قال "السعدي" - رحمه الله - : - " ثم ضرب الله مثلاً للشرك والتوحيد ، فقال ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ أي : عبداً ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ﴾ : فهم كثيرون ، وليسوا متفقين على أمر من الأمور وحالة من الحالات حتى تمكن راحته ، بل هم متشاكسون متنازعون فيه ، كل له مطلب يريد تنفيذه ويريد الآخر غيره ؛ فما تظن حال هذا الرجل مع هؤلاء الشركاء المتشاكسين؟! ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ أي خالصاً له قد عرف مقصود سيده وحصلت له الراحة التامة . ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ أي : هذان الرجلان ﴿مَثَلًا﴾ لا يستويان . كذلك المشرك فيه شركاء متشاكسون ، يدعو هذا ثم يدعو هذا ، فتراه لا يستقر له قرار ولا يطمئن قلبه في موضع . والموحد مخلص لربه ، قد خلصه الله من الشركة لغيره ، فهو في أتم راحة وأكمل طمأنينة " — ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾

١- تفسير الطبري (١٩٧/٢٠)

٢- تفسير ابن كثير هو الحافظ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - (١٢٦/١٢)



أَحْمَدُ لِلَّهِ: على تبيين الحق من الباطل وإرشاد الجهال ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)

قال "سيد قطب" - رحمه الله - : "يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضاً فيه ، وهو بينهم موزع ، ولكل منهم فيه توجيه ، ولكل منهم عليه تكليف ؛ وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق ، ولا يملك أن يرضي أهوائهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه ! وعبد يملكه سيد واحد ، وهو يعلم ما يطلبه منه ، ويكلفه به ، فهو مستريح مستقر على منهج واحد صريح " هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟" إنهما لا يستويان . فالذي يخضع لسيد واحد ينعم براحة الاستقامة والمعرفة اليقين . وتجمع الطاقة ووحدة الاتجاه ، ووضوح الطريق . والذي يخضع لسادة متشاكسين معذب مقلقل لا يستقر على حال ولا يرضي واحدا منهم فضلا عن أن يرضي الجميع!^(٢)

قال العلامة "ابن عثيمين" - رحمه الله - " لما قال الله تعالى: (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) ذكر هذا المثل ضربه لنا ، فبين الله عز وجل هذا المثل العظيم ، فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ ؛ أي متنازعون مختلفون ، كل واحد منهم يقول: أنا صاحبه ، أنا الذي أريد أن أستخدمه ، وما أشبه ذلك ، فهم دائماً في نزاع ، وفي خصومة ؛ لأن كل واحد منهم يريد أن ينفرد به عن الآخر ، والرجل الثاني رجلاً سلماً لرجل ، سلماً أي : سلماً لهذا الرجل ، لا يشاركه فيه أحداً"^(٣)

١- تفسير السعدي ص ٨٥٥

٢- الظلال (٢٠٤٩/٥)

٣- تفسير القرآن الكريم ابن عثيمين (٥/٩).



المطلب الثالث: نوع المثل والغرض الذي من أجله ضرب المثل :-

أولاً : نوع المثل :-

وهذا التشبيه من حيث التشبيه هو تشبيه مركب وذلك أن كلا من الممثل به والممثل له عبارة عن صورة مركبة من جملة أفراد تعطى في مجموعها الوصف المعترف والحكم المشترك بين المشبه والمشبه به .

حيث شبهت أعمال المشركين وتخبطهم وحيرتهم في محاولة إرضاء ما أشركوهم بالله وعجزهم عن إرضائهم بحال العبد الذي يحاول أن يرضي أكثر من سيد . وحال الموحد الذي يملكه سيد واحد . ومن حيث القياس هو قياس تمثيلي حيث جعلت صورة الكافر والمشارك بالله تعالى في عبادته غير الله والمحاول كسب رضاه ؛ بحال العبد المملوك لأكثر من شخص في صعوبة رضاهم ، وبينما صورت حال الموحد بحال العبد المملوك لشخص واحد ."^(١)

الغرض الذي من أجله ضرب المثل :-

ضرب المثل لإقناع المخاطب واستثارة تفكيره وذلك عن طريق القياس ففي المثل تقرير لعقيدة التوحيد ونبذ للشرك ، بتقديمه نموذجين من الناس وأمره بالقياس بينهما ، وقد جاء المثل بصيغة استفهامية تثير العقل ليجيب الإجابة المعقولة والصحيحة ، وهذا المثل قياس بين عبد يملكه سيدان متخاصمان ، هذا يأمره بشيء والآخر بعكسه ، فليتصور كيف سيكون تذبذب العبد المسكين بين إرضاء سيديه ، وفي المقابل عبد ملك لسيد واحد مطيع له ، فهل يستويان مثلاً؟ ، لا شك أنهما لا يستويان ، كذلك من يشرك بالله أكثر من إله باطل ، وهذا المثل من أبلغ أنواع التربية والتعليم والتوجيه"^(٢)

١- الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة ص ٩٥/٩٤

٢- المدلولات التربوية للأمثال القرآنية ص ٦٨.



المطلب الرابع: القيم التربوية والإيمانية للمثل:

أولاً: من الفوائد البلاغية في هذا المثل " فن إرسال المثل ، فقد شبه حال من يعبد آلهة شتى ، بمملوك اشترك فيه شركاء شجر بينهم خلاف شديد ، وخصام مبین ، وهم يتجاذبون ، وهو يقف متحيراً لا يدري لأيهم ينحاز ، ولأيهم ينصاع ، وأيهم أجدر بأن يطيعه ؛ وحال من يعبد إلهاً واحداً فهو متوفر على خدمته ، يلي كل حاجته ، ويصيخ سماعاً لكل ما ينتدبه إليه ويطلبه منه " (١)

ثانياً: ومن الفوائد التربوية " أن الله تعالى يذكر في الآية تباين الأوصاف التي يعرف العقلاء بالبداهة التفاوت بينها ويدع التصريح بالمفاضلة للعقلاء ، فهذه القاعدة في القرآن كثيراً ما يذكرها في المقابلة بين الإيمان والكفر والتوحيد والشرك ، وبين إلهية الحق وإلهية من سواه " (٢).

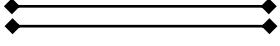
ثالثاً: ومنم الفوائد البلاغية تذكير (رَجُلًا) في الموضوعين للإفراد ؛ أي : فرداً من الأشخاص لفرد من الأشخاص وتخصيص الرجل ؛ لأنه أفطن لما يجري عليه من الضر أو النفع ؛ لأن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك " (٣).

رابعاً: ومن الفوائد البلاغية أيضاً : الاستفهام الإنكاري في قوله ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ ومنها أيضاً : الاعتراض بجملة ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ في قوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿ فَإِنْ جَمَلَةٌ ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿ اعْتَرَضِيَّة ، لاعتراضها بين الكلاميين ، المرتبط أحدهم بالآخر ، فإن قوله : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ إضراب انتقالي ، مرتبط بقوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ فإنه انتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثرهم لا يعلمون ذلك ، مع كمال ظهوره ، فيقعون في ورطة

١-الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه (١٢/١٧٨).

٢-الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة ص—٢٩.

٣-تفسير حدائق الروح والريحان (٤٤/٥٦١).



الشرك والضلال ، لفرط جهالتهم" (١).

خامساً: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على أثر التوحيد في طمأنينة الموحد واستقرار قلبه وعلى أثر الشرك في قلق المشرك وحيرته واضطرابه قال "ابن القيم" - رحمه الله - " قضى الله سبحانه وتعالى قضاء لا مرد له أن من اطمأن إلى شيء سواه أتاه القلق والانزعاج والاضطراب من جهته كائنا من كان" (٢)

سادساً: ومن الفوائد الإيمانية ما قاله ابن القيم " هذا مثل ضربه الله سبحانه للمشرك والموحد ؛ فالمشرك بمرتلة عبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون متشاكسون ، والرجل المشاكس : الضيق الخلق . فالمشرك ، لما كان يعبد آلهة شتى شبه بعبد يملكه جماعة متنافسون في خدمته ، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين " (٣) .

سابعاً: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك وإبطال التسوية بينهما .

ثامناً: ومن الفوائد في المثل بيان أن الموحد مرتاح الضمير مطمئن البال لتعبده لإله واحد يعرف ما يطلبه منه وما يرضيه وما يسخطه منه ، فيتجه بكل حاجاته لإله واحد يرجوه ويخافه ويتقي غضبه ويطلب رضاه ؛ لأنه وحده هو المالك الخالق الرازق المانع المانع ، فلا تصادم عند الموحد بين عقيدته وفطرته كما هو حال المشرك .

تاسعاً: ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على جهل المشركين بما ينفعهم قال "ابن عاشور" - رحمه الله - : " ولا شك أن أقل الناس عقلاً: المشركون ، لأنهم طرحوا ما هو سبب نجاحهم لغير معارض يعارضه في دينهم ، إذ ليس في دين أهل الشرك وعيد على ما يخالف الشرك من معتقدات ، ولا على ما خالف أعمال أهله من الأعمال ، فكان حكم العقل قاضياً بأن يتلقوا ما يدعوهم إليه

١- تفسير حدائق الروح والريحان (٥٦١/٢٤).

٢- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لابن تيمية ص ٢٠٩.

٣- الضوء المنير على التفسير (١٩١/٥).



الرسول من الإنذار للامتثال إذ لا معارض له في دينهم لولا الأنفة والتكبر " (١)

عاشراً : ومن الفوائد الإيمانية دلالة المثل على الترغيب في حمد الله على نعمة الهداية إلى التوحيد يقول "سيد قطب" - رحمه الله - : "ويعقب على هذا المثل الناطق الموصي، بالحمد لله الذي اختار لعباده الراحة والأمن والطمأنينة والاستقامة والاستقرار . وهم مع هذا ينحرفون ، وأكثرهم لا يعلمون" (٢).

حادي عشر : ومن الفوائد البلاغية ما ذكره "ابن عاشور" - رحمه الله - : "وليلائم توجيه الاستفهام إليهم بقوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ فإنه سؤال تبكيت فتلتئم أطراف نظم الكلام ، فعدل عن مقتضى الظاهر من إلغاء ضرب المثل بصيغة الأمر إلى إلقائه بصيغة الماضي لإفادة صدق علم النبي - صلى الله عليه وسلم - وكل هذا أدق معنى وأنسب ببلاغة القرآن من قول من جعل الماضي في فعل

﴿ ضَرَبَ ﴾ على حقيقته وقال : إن معناه : ضرب المثل في علمه فأخبر به قومك " (٣).

١-التحرير والتنوير (٢٧/١٢).

٢-الظلال (٣٠٤٩/٥) ، (٣٠٥٠٠).

٣-التحرير والتنوير (٤٠٠/٢٣).



المبحث الحادي عشر : بيان خطر الشرك ومفاسده وأساليب القرآن في التحذير من الشرك

والوسائل التربوية النبوية لسد جميع أبواب الشرك :

المطلب الأول : بيان خطر الشرك ومفاسده :

لاشك أن الشرك له مخاطر ومفاسد عظيمة أهمها:

١- أنه تنقص للرب جل في علاه وإيذاء له ، فعن "أبي موسى الأشعري" - رضي الله عنه

- قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : " ما أحد أصبر أذى سمعه من الله ،

يدعون له الولد ثم يعافيههم ويرزقهم" (١).

٢- أنه من أعظم الظلم ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

٣- أنه من أعظم الكذب ، قال تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا

يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (٣).

٤- أن الله تعالى لا يغفر أن يشرك به ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ

مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٤).

٥- أنه سبب للنخلود في النار، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ

ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ

حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

أَنْصَارٍ﴾ (٥).

١- أخرجه البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى (إن الله هو الرزاق) الذاريات : ٥٨ حديث رقم (٧٣٧٨)

٢- سورة لقمان آية : ١٣ .

٣- سورة الكهف آية : ١٥ .

٤- سورة النساء آية : ٤٨ .

٥- سورة المائدة آية : ٧٢ .



٦- أنه محبط للأعمال الصالحة ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ

أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(١).

٧- أن الشرك سبب لخوف المشرك وعدم طمأنينته قال تعالى : ﴿ سَكُنْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ

كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴾^(٢). وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمْ

الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ. فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٣).

٨- أنه سبب لحلول العذاب العام والنكال في الدنيا والآخرة

ثانياً : أساليب القرآن في التحذير من الشرك :-

تنوعت الأساليب القرآنية المحذرة من الشرك ، فمن تلك الأساليب^(٤)

أولاً : الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾^(٥).

ثانياً: تسفيه المشركين في عبادتهم تلك الآلهة ، كقوله تعالى :

﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾^(٦) أَمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ

مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٦)

ثالثاً : ومنها تعجيزه لآلهة المشركين كقوله تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴾^(٧) قُلْ

١- سورة الزمر آية : ٦٥ .

٢- سورة آل عمران : ١٥١ .

٣- سورة آل عمران : ١٧٥ .

٤- طبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٤١٢هـ - بتصرف الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد

والرد على أهل الشرك والإلحاد صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان .

٥- سورة النحل : ٣٦ .

٦- سورة الأنبياء : ٦٦ : ٦٧ .

٧- سورة الأعراف : ١٩١ .



أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿١﴾. وقوله تعالى :

﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾^(١)، وقوله

تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبٌ مِثْلُ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ^٢ إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا

وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾^(١).

رابعاً : تسفيهه المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى كقوله تعالى : ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ

اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴾^(٦٦) أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَالْمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٣).

﴿ وَقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ

دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾^(٤).

خامساً : ومنها : بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله وبيان مآلهم مع من عبدوهم ، حيث

تتبرأ منهم تلك المعبودات في أخرج المواقف كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ

الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾^(١٦٥) إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا

الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾^(١٦٦) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِكُهُمْ لَسَخَّطْنَا لَهُمْ أَمْثَالَهُمُ مِمَّا

كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾^(٥).

سادساً : ومنها : رده سبحانه على المشركين في اتخاذهم الوسائط بينهم وبين الله بأن الشفاعة ملك

له سبحانه لا تطلب إلا منه ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه بعد رضاه عن المشفوع له ، قال سبحانه

:

١-سورة النحل :٧٣.

٢-سورة الحج آية :٧٣.

٣-سورة الأنبياء الآيات : ٦٦ ، ٦٧ .

٤-سورة الأحقاف آية : ٥ .

٥-سورة البقرة الآيات : ٦٦ ، ٦٧ .



﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوْلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١).

سابعًا : ومنها: أنه بين سبحانه أن هؤلاء المعبودين من دونه لا يحصل منهم نفع لمن عبدهم من جميع الوجوه ، ومن هذا شأنه لا يصلح للعبادة كما في قوله تعالى : (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له).

ثامنًا : ومنها : أنه سبحانه وتعالى ضرب أمثلة كثيرة في القرآن يتضح بها بطلان الشرك من ذلك

قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ

سَاحِقٍ ﴾^(٢). شبه سبحانه التوحيد في علوه وارتفاعه وسعته وشرفه بالسماء ، وشبه تارك التوحيد

بالساقط من السماء إلى أسفل سافلين لأنه سقط من أوج الإيمان إلى حضيض الكفر ، وشبه

الشياطين التي تقلعه بالطير الذي تمزق أعضائه ، وشبه هواه الذي يبغده عن الحق بالريح التي ترمي

به في مكان بعيد ، هذا مثال واحد من أمثلة كثيرة في القرآن ذكرها الله سبحانه وتعالى لبيان

بطلان الشرك وخسارة المشرك في الدنيا والآخرة ، وما سقناه في هذا الدرس من أساليب القرآن

في الدعوة إلى توحيد الألوهية وإبطال الشرك قليل من كثير وما على المسلم إلا أن يقرأ القرآن

بتدبر ليجد الخير الكثير والأدلة المقنعة والبراهين الساطعة التي ترسخ عقيدة التوحيد في قلب المؤمن

وتقتلع منه كل شبهة .

ثالثًا : الوسائل التربوية النبوية لسد جميع أبواب الشرك^٣

لقد جاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لحماية جناب التوحيد وسد أبواب الشرك وقد اتبع النبي

-صلى الله عليه وسلم - في ذلك مسالك متعددة ومنها:

١-سورة الزمر آية : ٤٣ .

٢-سورة الحج آية : ٢٢ .

٣ زكريا أبو بكر محمد ، الشرك في القديم والحديث ، مكتبة الرشيد الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ -)

٢/٦٠٥/٦٢٢ بتصرف



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



أولاً : سده -صلى الله عليه وسلم - جميع أبواب الشرك الذي يتعلق بذات المعبود وأسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذلك مطلبان هما: المطلب الأول : سده جميع أبواب شرك التعطيل وقد بين الرسول - صلى الله عليه وسلم- الشرك ، وحذر منه ، ونهى عنه ، وبين أنواعه ، وخطورته على الناس وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة ، وذلك : لما خافه - النبي صلى الله عليه وسلم- على أمته من الوقوع فيه كما بين -عليه الصلاة والسلام- ونهى عن كل ما يقارب الشرك أو يكون ذريعة للشرك بالله سبحانه وتعالى ، وحماية لجناب التوحيد ، وسداً لجميع أبواب الشرك بكافة أنواعه ومن الأمثلة لحماية النبي -صلى الله عليه وسلم - حمى التوحيد وسده جميع أبواب شرك التعطيل في الربوبية : ذكره الآيات القرآنية الدالة على ذلك ، فقال: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾^(١).

ثانياً : سده - صلى الله عليه وسلم - لجميع أبواب شرك الأنداد في الربوبية وخصائصها : ومن أمثله ما يلي :- أ- بيانه صلى الله عليه وسلم -خصائص الربوبية ، ونفيها - صلى الله عليه وسلم- عن نفسه وعن أي خلق من المخلوقات ، سواء كان ذلك في الآيات القرآنية أو الأحاديث النبوية . فمن ذلك : قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾^(٢) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا^(٣) . وقوله تعالى : ﴿ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾^(٤).

ثالثاً : في سده -صلى الله عليه وسلم- جميع أبواب الشرك الذي يتعلق بعبادة الله تعالى ومعاملته ومن ملامح هذا السد ما يلي :

أ-إن الرسول -صلى الله عليه وسلم -قد نهى عن الغلو في مدحه بما قد يفضي إلى عبادته فقال :

١- سورة الطور آية : ٣٥.

٢- سورة الجن الآيتان : ٢١ ، ٢٢.

٣- سورة الفتح آية : ١١.



(لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله " (١)
ب - نهي الرسول - صلى الله عليه وسلم - البناء على القبور وعن اتخاذها عيدا ، وعن اتخاذها مساجد ، فقال لما ذكرت له "أم سلمة" - رضي الله عنها - أنها رأت كنيسة بأرض الحبشة وما فيها من الصور . قال : (أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصورا فيه تلك الصور ، أولئك هم شرار الخلق عند الله) (٢)

رابعاً : سده الوسائل القولية والفعلية التي تؤدي إلى الشرك - خصوصاً إلى الشرك الأصغر - وصدور التحذير منه - صلى الله عليه وسلم - ومن ذلك:

أ- تحذير النبي - صلى الله عليه وسلم - من وقوع أمتة في الشرك الأصغر باللسان فمن أفرادة الحلف بغير الله تعالى ومن ذلك الشرك مع الله أحداً ولو بمجرد القول وكذلك التحذير عن الشرك الأصغر الذي يتضمن التزاع في خصوصية الرب سبحانه على الظاهر ، وإن كان لا يقصده المتلفظ .

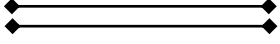
ب - تحذير النبي - صلى الله عليه وسلم - أمتة من الوقوع في الشرك الأصغر العملي وأفرادة كثيرة منها التطير ، وتصديق الكاهن ، والعرافين ولبس الحلقة والخيط .

١- البخاري في الصحيح برقم : ٣٤٤٥ ، ٤٧٨/٦ كتاب أحاديث الأنبياء ، (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من

أهلها)

٢- البخاري في الصحيح : كتاب الصلاة ، باب الصلاة في البيعة برقم ٤٣٤ ومسلم برقم ٥٢٨ ، كتاب المساجد ، باب

النهي عن بناء المساجد على القبور : ١/١٣٧٥



الباب الثاني : الفصل الثاني

القيم التربوية والإيمانية المضروبة للمؤمنين



المبحث الأول : تعريف الإيمان لغةً وشرعاً :

أولاً : الإيمان لغةً :

قال "الأزهري" : " مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن " ^(١). وأصل آمن آمن بهمزتين لُينت الثانية ^(٢). "وهو من الأمن ضد الخوف" ^(٣). قال الراغب : " أصل الأمن من طمأنينة النفس وزوال الخوف " ^(٤).

وقال "الأزهري" : " والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها ، فإذا اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه ، فقد أدى الأمانة وهو مؤمن ، ومن لم يعتقد التصديق بقلبه فهو غير مؤدٍ للأمانة التي ائتمنه الله عليها وهو منافق " ^(٥).

وقد اختار شيخ الإسلام في تعريف الإيمان اللغوي أنه بمعنى الإقرار ، لأنه رأى لفظه " أقر " أصدق في الدلالة على معنى الإيمان من غيرها من الألفاظ التي فسر بها الإيمان ، لأمر وأسباب ذكرها -رحمه الله - يأتي الإشارة لبعضها ، ثم إنه ناقش باستفاضة وافية وبتحقيق متين قول من ادعى أن الإيمان مرادف للتصديق ، وذكر فروقاً بين التصديق والإيمان تمنع دعوى الترادف بينهما ، ثم خلص من ذلك إلى أن أولى تفسير لغوي للإيمان هو الإقرار .

وقال - رحمه الله - : " ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار لا مجرد التصديق ، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق وعمل القلب الذي هو الانقياد " ^(٦).

وقال - رحمه الله - : " ... فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق ، مع

١-تمهيد اللغة للأزهري (١٥ / ٥١٣) .

٢-الصحاح للجوهري (٥ / ٢٠٧١) .

٣-الصحاح للجوهري (٥ / ٢٠٧١) .

٤-الأصفهاني ، أبي القاسم الحسين بن محمد ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان

ص ٢٥ .

٥-تمهيد اللغة (١٥ / ٥١٤) .

٦-البدر ، عبد الرزاق عبد المحسن ، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ، دار كنوز إشبيلية ، ط ٢ لعام

١٤٢٧ ، ص ٣٣ .



أن بينهما فرقاً" (١).

يقول الشيخ " عبد الرزاق " : " فالمختار إذا أن لفظة " آمن " لغة بمعنى " أقر " والإيمان لغة هو

الإقرار القلبي وهذا الإقرار مشتمل على أمرين :

١- اعتقاد القلب ، وهو تصديقه بالأخبار .

١ - عمل القلب ، وهو إذعانه وانقياده للأوامر هذا من جهة اللغة " (٢).

تعريف : الإيمان اصطلاحاً:

تعريف الإيمان شرعاً : فهو عند أهل السنة والجماعة قول وعمل .

قال شيخ الإسلام " ابن تيمية " في معرض بيانه لعقيدة أهل السنة والجماعة وأصولهم التي اتفقوا

عليها : " ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل ، قول القلب واللسان

، وعمل القلب واللسان والجوارح " (٣).

فهذه خمسة أمور اشتمل عليها مسمى الإيمان عند أهل السنة والجماعة : قول القلب ، وعمله ،

وقول اللسان ، وعمله ، وعمل الجوارح . والأدلة على دخول هذه الأمور في مسمى الإيمان

كثيرة وفيرة ، وفيما يلي ذكر بعضها :

أولاً: قول القلب : وهو تصديقه وإيقانه ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ

أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ (٥).

ثانياً : قول اللسان : وهو النطق بالشهادتين ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،

١-الفتاوى (٧ / ٢٩١).

٢-زيادة الإيمان ، ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ص ٣٧ .

٣-هراس ، محمد خليل ، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ط

٤ ، ص ١١٣ .

٤-سورة الزمر الآيتان : ٣٣ - ٣٤ .

٥-سورة الحجرات الآية : ١٥ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



والإقرار بلوازمها ، قال الله تعالى : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾^(١). وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَيْنَلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ ﴾^(٢).

ثالثاً : عمل القلب : وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾^(٣). وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾^(٤). وغير ذلك من النصوص الدالة على وجوب التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع والإنابة وغير ذلك من أعمال القلوب ، وهي كثيرة جداً في الكتاب والسنة .

رابعاً : عمل اللسان : وهو العمل الذي لا يؤدي إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح ، والتحميد ، والتكبير ، والدعاء ، والاستغفار ، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدي باللسان ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾^(٥). وقال تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾^(٦) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا . وغير ذلك من نصوص الشرع الدالة على أعمال اللسان والطاعات التي تؤدي به .

خامساً : عمل الجوارح : وهو العمل الذي لا يؤدي إلا بها مثل القيام ، والركوع ، والسجود ،

١- سورة البقرة الآية : ١٣٦ .

٢- سورة القصص جزء من آية : ٥٣ .

٣- سورة الأنعام الآية : ٥٢ .

٤- سورة الأنفال آية : ٢ .

٥- سورة فاطر آية : ٢٩ .

٦- سورة الأحزاب الآيتان : ٤١ ، ٤٢ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



والمشي في مرضاة الله ، كنقل الخطأ إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله ، وغير ذلك من الأعمال التي تؤدي بالجوارح ، قال الله - تعالى - ﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا ﴾^(١). وقال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعِبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢)

﴿ ٧٧ ﴾  وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِتْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۗ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾^(٣). قال "محمد بن حسين الأجرى" في باب القول بأن الإيمان تصديق بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالجوارح ، لا يكون مؤمناً إلا أن يجتمع فيه هذه الخصال الثلاث قال : "اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الذي عليه علماء المسلمين أن الإيمان واجب على جميع الخلق ، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح . ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً ، و لا تجزئ معرفة القلب ونطق اللسان حتى يكون عمل بالجوارح ، فإذا كملت فيه هذه الثلاث الخصال كان مؤمناً دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين"^(٣).

١-سورة البقرة جزء من الآية :٢٣٨.

٢-سورة الحج الآيتان : ٧٧ ، ٧٨.

٣-الأجرى ، أبو بكر محمد بن حسين ، الشريعة ، دار الوطن للنشر ، ط٢ لعام ١٤٢٠ ، (٣ / ٦١١) .



المبحث الثاني : دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ

رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْبَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمِثْلَهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾^(١)

المطلب الأول : مناسبة المثل لما قبله من الآيات ومناسبة المثل لما بعده من افتتاحية سورة الحجرات :

أولاً : مناسبة المثل لما قبله من الآيات :

قال " المراغي " - رحمه الله - : " بعد أن ذكر أنه أرسل رسوله بالهدى ودين الإسلام ، ليعلي شأنه على سائر الأديان .. أردف هذا بيان حال الرسول ، والمرسل إليهم ، فوصفهم كلها مدائح لهم ، وذكرى لمن بعدهم ، وبها سادوا الأمم ، وامتلكوا الدول ، وقبضوا على ناصية العالم أجمع ، وهي :

- ١- أنهم غلاظ على من خالف دينهم ، وناوهم العداة رحماء فيما بينهم .
- ٢- أنهم جعلوا الصلاة والإخلاص لله ديدنهم في أكثر أوقاتهم .
- ٣- أنهم يرجون بعملهم الثواب من ربهم ، والزلفي إليه ، ورضاه عنهم .
- ٤- أنهم لهم سيماء ، يعرفون بها ، فلهم نور في وجوههم ، وخشوع وخضوع يعرفه أولو الفطن .
- ٥- أن الإنجيل ضرب بشأنهم المثل ، فقال : سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع ، يأمرهم بالمعروف ، وينهون عن المنكر .

ذلك أنهم في بدء الإسلام كانوا قليلي العدد ، ثم كثروا واستحكموا ، وترقى أمرهم يوماً

١- سورة الفتح آية : ٢٩ .



فيوماً، حتى أعجب الناس بهم ، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم - قام وحده ، ثم قواه الله بمن معه ، كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحيف بها مما يتوالد منها"^(١).

ثانياً: مناسبة المثل لما بعده من افتتاحية سورة الحجرات :

وقد ذكر العلماء أكثر من مناسبة فيما بين السورتين ، نذكر منها :

قال "أبو حيان" : " ومناسبتها لأخر ما قبلها ظاهرة ، لأنه ذكر رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - وأصحابه ، ثم قال : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ ، فربما صدر

من المؤمن عامل الصالحات بعض شيء مما ينبغي عنه ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٢) وكانت عادة العرب وهي إلى الآن الاشتراك في الآراء"^(٣).

ومنها: "أن الله تعالى لما بين محل النبي - عليه الصلاة والسلام - وعلو درجته ، بكونه

رسوله الذي يظهر دينه ، وذكره بأنه رحيم بالمؤمنين بقوله : ﴿ رَحِيمٌ ﴾ ، قال : لا تتركوا

من احترامه شيئاً ، لا بالفعل ولا بالقول ، و لا تغتروا برأفته ، وانظروا إلى رفعة درجته .

ومنها: أن الله تعالى وصف المؤمنين بكونهم أشداء ﴿ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ ورحماء فيما بينهم ،

راكعين ساجدين نظراً إلى جانب الله تعالى ، وذكر أن لهم من الحرمة عند الله ما أورثهم

حسن الثناء في الكتب المتقدمة بقوله : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ ، فإن

الملك العظيم لا يذكر أحد في غيبته إلا إذا كان عنده محترماً ، ووعدهم بالأجر العظيم ،

فقال في هذه السورة : لا تفعلوا ما يوجب انحطاط درجتكم وإحباط حسناتكم و لا

تقدموا"^(٤).

١-المراغي ، أحمد مصطفى ، تفسير المراغي ، مكتبة ومطبعة الباوي الحلبي ، الطبعة الأولى ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م ، (٢٦/

١١٤ ، ١١٥).

٢-سورة الحجرات : جزء من آية : ١.

٣-البحر المحيط ، أبو حيان (١٠٥ / ٨).

٤-الرازي ، محمد الرازي ابن العلامة ضياء الدين عمر ، التفسير الكبير ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ١٤٠١ ، ١٩٨١



لما ختمت سورة الفتح باسم محمد - صلى الله عليه وسلم - ومدح الصحابة - رضوان الله تعالى - عليهم لأجله ، افتتحت هذه السورة بعدم التقدم عليه ، واشترط الأدب معه في القول والفعل ، للعد من حزبه والفوز بقربه .

ورد في خاتمة سورة الفتح ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ، وفي سورة الحجرات ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ فكأن هذه الآية تبين أن غض الصوت بحضرة النبي - صلى الله عليه وسلم - من مقتضيات الإيمان ، كما أنه جزء من العمل الصالح ^(١) .

المطلوب الثاني : تفسير آية المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال "محمد نسيب الرفاعي" - رحمه الله - في كتابه تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير: " يخبر تعالى عن محمد - صلى الله عليه وسلم - أنه رسول الله حقاً بلا شك و لا ريب فقال سبحانه ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﴾ وهذا مشتمل على كل وصف كريم جميل ، ثم ثنى بالثناء على أصحابه - رضي الله عنهم - فقال عز من قائل ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ ^(٢) . وهذه صفة عامة يدخل فيها كل مؤمن ورسول الله محمد والأنبياء جميعاً من باب أولى هم أشداء على الكفار رحماء بارون بالأخيار ، غاضبون في وجوه الكفار باشون في وجوه المؤمنين كما قال جل وعلا: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَتَلُوا الَّذِينَ يُلُونَكُمْ مِنْ الْكُفَّارِ وَلَيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ ^(٣) . وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى

م ، (٢٨ / ١١٠) .

١- التفسير الموضوعي (٧ / ٣٣٨ ، ٣٣٩) .

٢- سورة المائدة جزء من آية : ٥٤ .

٣- سورة التوبة جزء من آية : ١٢٣ .



له سائر الجسد بالحمى والسهر^(١) . وقال عليه الصلاة والسلام " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " وشبك - صلى الله عليه وسلم - بين أصابعه^(٢) . كلا الحديثين في الصحيح . وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ وصفهم بكثرته العمل ، وإن الصلاة خير الأعمال ، وبالإخلاص له تعالى واحتساب الأجر عنده ، وهو الجنة المشتملة على الفضل وسعة الرزق ، ورضاه تعالى وهذا هو الأكبر كقوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾^(٣) . وقوله جل جلاله : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ والسيما هو السميت الحسن وأثر الخشوع لله تعالى . قال بعض السلف : من كثرت صلواته بالليل حسن وجهه بالنهار ، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس كما روي عن " عمر بن الخطاب " - رضي الله عنه - " من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته " . إلى أن قال الشيخ " محمد نسيب الرفاعي " وقال " مالك " - رضي الله عنه - : بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة - رضي الله عنهم - الذين فتحوا الشام يقولون : والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا . وصدقوا في ذلك فإن هذه الأمة معظمة في الكتب المتقدمة وأعظمها وأفضلها أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وقد نوه الله تعالى بذكرهم في الكتب المتزلة . ولهذا قال سبحانه وتعالى ههنا : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ ثم قال عز من قائل : ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ ﴾ أي فراخه

﴿ فَازْرَهُ ﴾ أي شدّه ﴿ فَاسْتَعْلَظَ ﴾ أي شب و طال ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يُعْجِبُ الزَّرْعَ ﴾ أي فكذلك أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آزره وأيدوه ونصروه فهم معه كالشطاء : مع الزرع ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ . ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك - رحمه الله - في رواية عنه

١-صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب باب تراحم المؤمنين وتعطفهم ، حديث رقم ٤٦٩١ . .

٢-صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، رقم الحديث ٢٥٨٥ .

٣-سورة التوبة جزء من آية : ٧٢ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



بتكفير كل من يبغض الصحابة - رضي الله عنهم - .^(١)

قال " السعدي " - رحمه الله - : " يخبر تعالى عن رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه من المهاجرين والأنصار ؛ أنهم بأكمل الصفات وأجل الأحوال ، وأنهم ﴿ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ ؛ أي: جادين ومجتهدين في عداوتهم ، وساعين في ذلك بغاية جهدهم ، فلم يروا منهم إلا الغلظة والشدّة ؛ فلذلك ذل أعداؤهم لهم وانكسروا وقهرهم المسلمون ، ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ متحابون متراحمون متعاطفون كالجسد الواحد ، يحب أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه ، هذه معاملتهم مع الخلق ، وأما معاملتهم مع الخالق ؛ فتراهم ﴿ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ ؛ أي : وصفهم كثرة الصلاة التي أجلُّ أركانها الركوع والسجود ، ﴿ يَبْتَغُونَ ﴾ : بتلك العبادة ﴿ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ ؛ أي : هذا مقصودهم ، بلوغ رضا ربهم والوصول إلى ثوابه ﴿ سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ ؛ أي : قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت ، لما استنارت بالصلاة بواطنهم ؛ استنارت ظواهرهم .

﴿ ذَلِكَ ﴾ : المذكور ﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ ؛ أي : هذا وصفهم الذي وصفهم الله به مذكور بالتوراة هكذا . وأما ﴿ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ ؛ فإنهم موصوفون بوصف آخر ، وأنهم في كمالهم وتعاونهم ﴿ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ ﴾ ؛ أي : أخرج فراخه فوازرته فراخه في الشباب والاستواء ، ﴿ فَاسْتَغْلَظَ ﴾ : ذلك الزرع ؛ أي : قوي وغلظ ، ﴿ فَاسْتَوَى عَلَى سَوْقِهِ ﴾ : جمع ساق ، ﴿ يَعْجِبُ الزُّرْعَ ﴾ من كماله واستوائه وحسنه واعتداله ، كذلك الصحابة - رضي الله عنهم - هم كالزرع في نفعهم للخلق واحتياج الناس إليهم ، فقوة إيمانهم وأعمالهم بمتزلة قوة عروق الزرع وسوقه ، وكون الصغير والمتأخر إسلامه قد لحق الكبير السابق ، ووازره وعاونه على ما هو عليه من إقامة دين الله والدعوة إليه ، كالزرع الذي أخرج شطأه فآزره فاستغلظ ، ولهذا قال : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ :

١- الرفاعي ، محمد نسيب ، تيسير العلي القدير ، مكتبة ابن كثير ، مكتبة المعارف ، الرياض (٤ / ٢١٢) .



حين يرون اجتماعهم وشدتهم على دينهم ، وحين يتصادمون معهم وهم في معارك التزال ومعامع القتال ، ﴿وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ : فالصحابه - رضي الله عنهم - ، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ، قد جمع الله لهم بين المغفرة التي من لوازمها وقاية شرور الدنيا والآخرة والأجر العظيم في الدنيا والآخرة .^(١)

قال "الباز" في كتابه التفسير التربوي للقرآن الكريم "نجيء إلى ختام السورة بتلك الصورة الوضيئة التي يرسمها القرآن لواقع صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وبذلك الثناء الكريم على تلك الجماعة الفريدة السعيدة التي رضي الله عنها ، وبلغها رضاه فرداً فرداً ، صورة عجيبة مؤلفة من عدة لقطات لأبرز حالات هذه الجماعة المختارة ؛ فلقطة تصور حالتهم مع الكفار ومع أنفسهم ، فهم أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم وصحابتهم ولكنهم قطعوا هذه الوشائج كلها ، رحماء فيما بينهم وهم فقط إخوة دين ، فهي الشدة لله والرحمة لله ، وهي الحمية للعقيدة ، والسماحة للعقيدة ، فليس لهم في أنفسهم شيء ، وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها . ثم يختار هيئاتهم وحالاتهم ، هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة ، وكأنما هذه هيئاتهم الدائمة التي يراها الرائي حينما رآهم ، وتأتي اللقطة الثالثة لبواطن نفوسهم وأعماق سرائرهم ، وهي صورة لمشاعرهم الدائمة الثابتة ، فكل ما يشغل بالهم وكل ما تتطلع إليه أشواقهم هو فضل الله ورضوانه ، ولا شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشغلون به .

واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمحل في ملامحهم ، ونضحها على سماتهم ؛ سيماهم في وجوههم من الوضوء والإشراق والصفاء والشفافية ، ومن ذبول الحي الوضيء اللطيف ، وليست هي هذه سيما هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن ، فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة ، وهذه الصورة الوضيئة ليست مستحدثة ، إنما هي ثابتة لهم في لوحة

١- تفسير السعدي ص ٩٤٦ ، ٩٤٧ .



القدر وجاء ذكرها في التوراة .

وصفتهم في بشارة الإنجيل بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ومن معه ؛ كزرع نامي قوي أخرج أول ما ينشق عنه من الفروع ، والنبت الطري في جوانبه من قوته وخصوبته ، وهذه الفروع لا تضعف العود بل تشده ، فاستغلظ الزرع وضخمت ساقه وامتألت ، فاستوى لا معوجاً ومحنياً ، ولكن مستقيماً قوياً سويماً ، هذه صورته في ذاته ، أما وقعه في نفوس أهل الخبرة في الزرع فهو وقع البهجة والإعجاب ، وأما وقعه في نفوس الكفار على العكس : فهو وقع الغيظ والكمد ، وهكذا يثبت الله في كتابه الخالد صفة هذه الجماعة المختارة حتى تبقى نموذجاً للأجيال تحاول أن تحققها ، لتحقق معنى الإيمان في أعلى الدرجات ، وفوق هذا التكريم كله وعد الله بالمغفرة والأجر العظيم " (١)

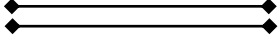
المطلب الثالث: نوع المثل والغرض الذي من أجله المثل :-

نوع المثل : "هذا المثل مكون من مثلين الأول وصفي والثاني قياسي : لأمر حسي بأخر حسي ، وهو تشبيهي ويتم إيضاح كل من الممثل به والممثل له عن طريق القياس التمثيلي . وهذان مثالان ضربا لبيان صورة أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وكل من تبعه ، في نشأتهم التي عرفوا الله تعالى بها حق معرفته فكانت عبادتهم أفضل ما يكون وقرنهم خير القرون ، ونماءهم وتكاثرهم بصورة النبات يكون ضعيفاً فيقوى . والممثل به والممثل له كلاهما عبارة عن حياة مركبة

١ - بيان صورة الممثل به

وتظهر من قوله تعالى : ﴿ كَزَرَاعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ، فَفَازَرَهُ، فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ معنى أخرج شطأه : أي أخرج نباته ، وقيل قوائمه ، وقيل سنبله وهو فرخ الزرع . ومعنى فازره فاستغلظ : أي فازره الصغار الكبار حتى استوى بعضه مع بعض . أي أعانه وتقوى

١- التفسير التربوي للقرآن الكريم، أنور الباز (٣ / ٣١٧ ، ٣١٨) .



صورة الممثل به :

أي هو الزرع النامي القوي ، يخرج فرخه من قوته وخصوبته . ولكن هذا الفرخ لا يضعف العود بل يشده ويقويه . أو أن العود هو الذي آزر فرخه فشد أزره . فصار الزرع غليظاً وضخمت ساقه وامتلاً بعد ما كان دقيقاً . فاستقام على قصبه أي لا معوجاً و لا منحياً . وهو يعجب زارعيه بقوته وغلظته وحسن منظره .

٢- بيان صورة الممثل له :

وتظهر من قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ﴾ ومن قوله تعالى : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ . وهو مثل ضربه الله تعالى للنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - بعثه الله وحيداً ثم اجتمع إليه ناس قليل يؤمنون به ، وهو يازرهم ويعرفهم برهم ليقوي إيمانهم ويخلصوا العبادة لله تعالى وحده ، ثم يكثرون ، وهم أيضاً الذين يدخلون في الإسلام إلى يوم القيامة ، والذين يوازروهم الداعون إلى المعروف والناهون عن المنكر فيكثرون فيغيظ الله تعالى بهم الكفار ، وذلك لكثرتهم ولصفتهم التي وصفهم الله بها في الآية " (١) .

الغرض من المثل :

"الغرض من هذا المثل الذي ضربه الله في هذا المثل هو من باب المدح والتعظيم فما ضربه الله من مثل لأصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - في التوراة والإنجيل ، وذكره لنا القرآن بقوله تعالى ﴿ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ أي : وصفهم في التوراة .

من الظاهر أن الله تبارك وتعالى كما بشر بمحمد وأصحابه في التوراة والإنجيل بذكر صفاتهم ،



فقد مدحهم فيهما ببيان أوصافهم الرفيعة السامية .

فمثلهم في التوراة جاء بذكر صفاتهم دون تشبيهه .

ومثلهم في الإنجيل جاء عن طريق تشبيههم بالزرع الذي ينمو ويتعاضم بسرعة عجيبة .^(١)

وبيان هذه الصفات التي تكون نبراس للمهتدي وقدوة للساعي فمن أغراض هذه الأمثال بيان القدوة والتأسي بها .

المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً : من الفوائد البلاغية" التشبيه التمثيلي في قوله تعالى : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ

ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ

الزُّرْعَانَ لِيَعْطِيَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۚ ﴾ شبههم بالزرع الذي يستمر في نمائه حتى يستوي على سوقه ، يعجب

الزرع فيغيط الكافر الحاسر ، فوجه الشبه مركب من التدرج في النمو ، والتحول من القلة إلى

الكثرة إلى الاستحكام والقوة .^(٢)

ثانياً : ومن الفوائد البلاغية لكلمة "من" (لبيان الجنس)

تأتي (من) لبيان الجنس ، وكثيراً ما تقع بعد (ما) و (مهما) وهما بها أولى ، لإفراط إبهامها ،

كقوله تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۚ ﴾^(٣) . ﴿ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ ۚ ﴾^(٤) .. ومن

وقوعها بعد غيرهما قوله تعالى : ﴿ يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

﴾^(٥) . وفي كتاب "المصاحف" لابن الأنباري أن بعض الزنادقة تمسك بقوله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۚ ﴾ في الطعن على بعض الصحابة ، لأن منهم -

١- أمثال القرآن ، للميداني ، ص ٩٩ .

٢- الجداول في إعراب القرآن (١٣ / ٢٧٢) .

٣- سورة فاطر جزء من آية : ٢ .

٤- سورة البقرة جزء من آية : ١٠٦ .

٥- سورة الكهف جزء من آية : ٣١ .



بزعمه - تفيد التبويض ، وهي ليست كذلك ، بل هي للتبين ، أي الذين آمنوا هم هؤلاء .^(١)

ثالثاً: ومن الفوائد البلاغية : "أسلوب التكميل في قوله: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ ، لأنه لو

اكتفى بقوله: ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لربما أوهم الفظاظ والغلظة فيما بينهم ، فكمل بقوله :

﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ رفعاً لذلك الوهم ، فيكون من أسلوب التكميل "^(٢).

رابعاً: قال "الهرري" : " وقد اجتمعت حروف الهجاء التسعة والعشرون في هذه الآية ، وهي ﴿

تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ﴾ إلى آخر السورة ، أول حرف المعجم فيها ميم من محمد ، وآخرها صاد من

الصالحات ، وتقدم نظير ذلك في سورة آل عمران في قوله : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً

نُعَاسًا يَعْنِي طَآئِفَةً مِّنْكُمْ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ

يَقُولُونَ هَلْ لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ

كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ

وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٣). وليس في

القرآن آية جمعت فيها حروف المعجم غيرها "^(٤).

خامساً: ومن الفوائد الإيمانية في قوله تعالى: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ﴾ فهذا كله شهادة منه لرسوله ، قد

أظهرها وبينها ، وبين صحتها غاية البيان ، بحيث قطع العذر بينه وبين عباده ، وأقام الحجة عليهم

. فكونه سبحانه شاهداً لرسوله : معلوم بسائر أنواع الأدلة : عقليها ونقلها وفطريها وضروريها

ونظريها . ومن نظر في ذلك وتأمله : علم أن الله سبحانه شهد لرسوله أصدق الشهادة ، وأعد لها

وأظهرها . وصدقه بسائر أنواع التصديق : بقوله الذي أقام البراهين على صدقه فيه ، وبفعله

١-الجداول في إعراب القرآن (١٣ / ٢٧٢ ، ٢٧٣).

٢-تفسير الروح والريحان (٢٧ / ٣٢٧).

٣-سورة آل عمران آية: ١٥٤ .

٤-تفسير الروح والريحان (٢٧ / ٣٢٨).



وإقراره ، وبما فطر عليه عباده : من الإقرار بكماله ، وتزيهه عن القبائح ، وعملا لا يليق به " (١) .

سادساً : ومن الفوائد التربوية ما قاله "المهرري" - رحمه الله - " في قوله تعالى : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ تعليل لما تضمنه تمثيلهم بالزرع الموصوف من نمائهم وترقيهم في الزيادة والقوة لأن كونهم بتلك الحالة من تقدير الله لهم أن يكونوا عليها فمثل بأنه فعل ذلك ليغيب بهم الكفار " (٢) .

سابعاً : قال الدكتور "مصطفى مسلم" : " استنبط الإمام مالك من الآية تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة - رضي الله عنهم - ، فإنهم يغيظونهم ، ومن غاظ الصحابة فهو كافر . ووافقه كثير من العلماء ، والظاهر أنهم فسّاق . وقد ذكر عنده رجل ينتقص الصحابة فقراً مالك هذه الآية ، وقال : ومن أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد أصابته هذه الآية . قال بعض العلماء عن خلافات الصحابة والاقتيال الذي حدث بينهم : تلك دماء قد طهر الله منها أدينا ، فلا نلوث بها ألسنتنا ، وسبيل ما جرى بينهم كسبيل ما جرى بين يوسف وإخوته " (٣) .

ثامناً : ومن الفوائد الإيمانية : أن هذا المثل كذلك ليس مستحدثاً ، فهو ثابت في صفحة القدر . ومن ثم ورد ذكره قبل أن يجيء محمد - صلى الله عليه وسلم - ومن معه إلى هذه الأرض . ثابت في الإنجيل في بشارته بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ومن معه حين يجيئون وهكذا يثبت الله في كتابه الخالد صفة الجماعة المختارة .. صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فثبت في صلب الوجود كله ، وتتجاوب بها أرجاؤه ، وهو يتسمع إليها من باري الوجود وتبقى نموذجاً للأجيال ، تحاول ان تحققها ، لتحقيق معنى الإيمان في أعلى الدرجات .

تاسعاً : ومن الفوائد الإيمانية أيضاً أن الصحابة كلهم عدول ، أولياء الله تعالى وأصفياءه ، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسوله . هذا مذهب أهل السنة ، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة .

١-الضوء المنير على التفسير (٥ / ٤٠٥ ، ٤٠٦) .

٢-تفسير التحرير والتنوير (٢٦ / ٢١٠) .

٣-التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٧ / ٣٣٢) .



وقد ذهبت شردمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم ، فيلزم البحث عن عدالتهم ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر فقال : إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك ، ثم تغيرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء فلا بد من البحث .

وهذا مردود، فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم - رضي الله عنهم - ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم، ووعدهم بالجنة بقوله تعالى: ﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبئهم بإخباره لهم بذلك . وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم ، إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد ، وكل مجتهد مصيب ^(١).

عاشراً: ومن الفوائد التربوية والإيمانية ما قاله الشيخ الدكتور " محمد بكر إسماعيل " : "هذه صورة وضيئة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه الكرام البررة ، يرسمها القرآن الكريم بأسلوبه البديع المقنع الممتع . صورة تنبئ به من خلق فاضل ، وكمال وافر ، وقوة في الحق ، وشدة في حماية الدين ونصرته ، وما جبلوا عليه من رحمة وسماحة فيما بينهم . إنها صورة تعبر عن حسن صلتهم بالله وكمال إخلاصهم في طاعته وعبادته ، على نحو لم يسبق إليه ، وعلى درجة من الصدق لم يبلغها غيرهم من الأمم السابقة ، إلى الحد الذي جعل أهل الكتاب يشهدون لهم بذلك ، لأن أوصافهم هذه مذكورة في كتبهم ^(٢).

حادي عشر: ومن الفوائد التربوية والإيمانية ما قاله الدكتور " محمد بكر إسماعيل " : " قال الرازي : قوله تعالى: ﴿يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم ، وركوع المرئي وسجوده فإنه لا يتبغي به ذلك ثم قال: " وفي معنى لطيف ، وهو أن الله - عز وجل - لم يقل يتبعون أجراً من الله ورضواناً، وإنما قال " يتبعون فضلاً " اعترافاً منهم

١- الجامع لأحكام القرآن القرطبي (١٦ / ٢٩٧) .

٢- الأمثال القرآنية دراسة تحليلية ، محمد بكر إسماعيل ص ٢٤٣ .



بالعجز عن القيام بحقه سبحانه ، والتقصير في شكره ، فهم من أجل ذلك يطلبون فضل الله ، لأنهم يرون أن عملهم هذا لا يستحقون عليه أجراً ، فإن منحهم الله الأجر على عبادتهم فذلك محض تفضل منه وإحسان ."^(١)

ثان عشر : ومن الفوائد التربوية في قوله تعالى : ﴿ تَرْتَهُم مَّرْغاً سَجْدًا ﴾ والتعبير بقوله يشعر بأن هذه هيأتم الدائمة التي يراها الرائي حيثما رآهم ، حتى كأنهم يقضون زمانهم لله ركعاً سجداً .

المبحث الثالث :- وفيه دراسة المثل في قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ

إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخِيٍّ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ وَبِخِيٍّ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُنْتِ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾^(٢)

المطلب الأول : المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها وهو المثل وكذا مناسبة المثل مع المثل السابق وكذا المناسبة بين المثل ومحور السورة :

المناسبة بين افتتاحية السورة وخاتمتها :

يقول " البقاعي " : " وقد أتم سبحانه الأمثال في الآداب بالثبات والأبكار الأخيار والأشرار فانعطف آخر السورة على أولها في المعاني والآداب ، وزاد ذلك حسناً كونها في النساء في الذوات والأعيان بزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- لآسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران في الجنة دار القرار السالمة عن الأكدار ، الزواج الأبدي ، فصار أول السورة وآخرها في أزواجه -صلى الله عليه وسلم- وفي ختامها بالقنوت الذي هو خلاصة الأوصاف الماضية في الإبدال المذكورات أعظم مناسبة والله الهادي "^(٣)

مناسبة المثل لما قبله من الآيات وهو مثل أيضاً :

قال " ابن عاشور " : " لما ضرب المثل للذين كفروا أعقب بضرب مثل للذين آمنوا لتحصل المقابلة

١-المصدر السابق ص ٢٤٦ .

٢-سورة التحريم آية: ١١ ، ١٢ .

٣-نظم الدرر (٢٠ / ٢١٥) .



فيتضح مقصود المثلين معاً ، وجرى على عادة القرآن في إتباع الترهيب بالترغيب .

وجعل المثل للذين آمنوا بحال امرأتين لتحصل المقابلة للمثليين السابقين ، فهذا من مراعاة النظر في المثليين . وجاء أحد المثليين للذين آمنوا مثلاً لإخلاص الإيمان . والمثل الثاني لشدة التقوى . فكانت امرأة فرعون مثلاً لمتانة إيمان المؤمنين ومريم مثلاً للقانتين لأن المؤمنين تبرعوا من ذوي قرابتهم الذي بقوا على الكفر بمكة ^(١) .

المناسبة بين المثل ومحور السورة :

"إن أكثر مزالق المرأة بالمال والزينة والجاه والتباهي بالمكانة الاجتماعية أو تكون بشهوة الفرج و الانسياق وراء الغريزة البهيمية في الجنس .

والأممذجان الصالحان يمثلان المترفعات عن هذين المتزلقين فاستحقا التكريم وخلود الذكر والثناء إلى يوم الدين . فالمناسبة بين المقطع ومحور السورة واضحة وثيقة ، حيث التربية بضرب المثل بالنماذج المنحرفة لاجتناب التشبه بها . وضرب بالنماذج الصالحة للإقتداء به ."^(٢)

المطلب الثاني : تفسير المثل وبيان أقوال أهل العلم :

قال " الطبري " -رحمه الله - : "القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ أَبْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِحْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِيهِ وَبِحْنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ يقول تعالى ذكره : وضرب الله مثلاً للذين صدقوا الله ووحده امرأة فرعون ، التي آمنت بالله ووحده ، وصدقت رسوله موسى ، وهي تحت عدوٍّ من أعداء الله كافر ، فلم يضربها كفر زوجها ، إذ كانت مؤمنة بالله ، وكان من قضاء الله في خلقه ألا تزر وازرةٌ وزرٌ أخرى ، وأنَّ لكلِّ نفسٍ ما كسبت ، إذ قالت : ﴿ رَبِّ أَبْنِي لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ . فاستجاب الله لها ،

١- تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ٣٧٦) .

٢- التفسير الموضوعي (٨ / ٢٥٨) .



فبنى لها بيتاً في الجنة ."^(١).

وقال " الطبري " - رحمه الله - : " القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُهَا وَقَدَّرْنَا بِهَا نَفْسًا سَوِيًّا وَإِذْ خَلَقْنَا نَارًا وَقَدَّرْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ لِدَارٍ أَلَمْ تَكُنْ مِنْ الْغَاثِلِينَ ﴾ . يقول تعالى ذكره : وضرب الله مثلاً للذين آمنوا مريم ابنة عمران ، ﴿ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ . يقول: التي منعت جيبَ دَرْعِهَا جبريل - عليه السلام - . وكلُّ ما كان في الدرع من خرق أو فتق يُسمَّى فَرْجًا ، وكذلك كلُّ صدعٍ وشقٍّ في حائط ، أو فرج سقف ، فهو فرج .

وقوله : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾ . يقول : فنفخنا فيه في جيبِ درعها ، وذلك فرجها ،

﴿ مِنْ رُوحِنَا ﴾ : من جبريل ، وهو الروح . وبنحو ذلك قلنا في ذلك قال أهل التأويل ."^(٢).

قال العلامة "أحمد شاكر" - رحمه الله - في كتابه عمدة التفسير : " وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين

أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذ كانوا محتاجين إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ

الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَ ﴾

^(٣) . قال قتادة : كان فرعون أعتى أهل الأرض وأبعده ، فوالله ما ضُر امرأته كُفِر زوجها حين

أطاعت ربها لتعلموا أن الله حكم عدل ، لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه . فقولها : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ

بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ أي : بواسطة الملك ، وهو جبريل ، فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر

سوي ، وأمره الله تعالى أن ينفخ في جيب درعها ، فترلت النفخة فوجلّت في فرجها ، فكان منه

الحمل بعيسى ، - عليه السلام - ولهذا قال : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا

وَكَتُبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُهَا وَقَدَّرْنَا بِهَا نَفْسًا سَوِيًّا ﴾ أي : بقدره وشرعه ﴿ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِنِينَ ﴾ روى الإمام أحمد عن "ابن عباس" - رضي الله

١- تفسير الطبري (٢٣ / ١١٤) .

٢- تفسير الطبري (٢٣ / ١١٦) .

٣- سورة آل عمران جزء من آية : ٢٨ .



عنهما- قال: خط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الأرض أربعة خطوط ، وقال : " أتدرون ما هذا ؟" قالوا : الله ورسوله أعلم ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، ومريم ابنة عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون "^(١). وثبت في الصحيحين عن " أبي موسى الأشعري " - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " كَمُلَ من الرجال كثير ، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران ، وخديجة بنت خُوَيْلِد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام "^{(٢)(٣)}.

قال "الباز" - رحمه الله - : " وها هي ذي امرأة فرعون ، لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه ، في قصر فرعون ، عن طلب النجاة وحدها ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتاً في الجنة ، وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربها النجاة منه ، وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها منه شيء ، وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم ، ومريم ابنة عمران كانت كذلك مثلاً للتجرد لله منذ نشأتها ، ويذكر هنا تطهرها وإيمانها الكامل وطاعتها ، فإن الله بعث إليها جبريل فتمثل لها صورة بشر سوى ، وأمره الله أن ينفخ فيه : في جيب درعها ، فتزلت النفخة فوجلت في فرجها بقدره وشرعه . "^(٤).

قال " المراغي " - رحمه الله - : " أي وجعل الله حال امرأة فرعون مثلاً يبين به أن وصلة المؤمنين بالكافرين لا تضرهم شيئاً إذا كانت النفوس خالصة من الأكدار ، فقد كانت تحت أعدى أعداء الله في الدنيا ، وطلبت النجاة منه ومن عمله ، وقالت في دعائها : رب اجعلني قريباً من رحمتك ، وابن لي بيتاً في الجنة ، وخلصني من أعمال فرعون الخبيثة ، وأنقذني من قومه الظالمين . وفي هذا

١- المسند (٢٦٦٨) وقال الهيثمي في الزوائد (٩ / ٢٢٣) : " رجاله رجال صحيح " و صحح إسناده الشيخ أحمد

شاکر .

٢- البخاري (٥٤١٨) ومسلم (٢٤٣١) .

٣- شاکر ، أحمد ، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، دار الوفاء ، الطبعة الثانية ١٤٢٦ هـ ، (٣ / ٥٥٠) .

٤- التفسير التربوي (٣ / ٤٥٧) .



دليل على أنها كانت مؤمنة مصدقة بالبعث ، ومن سنن الله أن لا تزر وازرة وزر أخرى ، وأن لكل نفس ما كسبت ، وعليها ما اكتسبت . ﴿ وَمَرْيَمُ ابْنْتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْإِسْلَامِ وَذِكْرُ اللَّهِ عَالِيًّا لَهَا وَإِذْ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا ﴾^(١) . فأثبتت بذلك عفتها وكمال طهارتها ، فنفخ جبريل في جيب درعها فحملت بنبي الله وكلمته عيسى - صلوات الله عليه - ، وصدقت بشرائع الله وكتبه التي أنزلها على أنبيائه ، وكانت في عداد القانتين العابدين المحبتين لربهم المطيعين له .^(٢)

المطلب الثالث : الغرض الذي من أجله ضرب المثل : الغرض الذي من أجله ضرب هذا المثل هو (التربية بإبراز القدوة الحسنة ، والحث على الاقتداء بها ، والتنفير من ضدها).

"الأمثال من أفضل السبل للتربية ، وتقويم المسالك ، وإصلاح النفوس ، وصقل الضمائر ، وتهذيب الأخلاق ، وتنمية الفضائل السامية " ويكون ذلك بتقديم النماذج البشرية الصالحة والنماذج البشرية الطالحة ، بقصد توجيه النفوس المخاطبة إلى الاقتداء بالصالحين وتنفيرها من الطالحين . قال "الجربوع " : " ومما تقدم يتبين أن من أغراض ضرب الأمثال في القرآن الكريم غرضاً تربوياً يتجلى في إبراز النماذج الخيرة الصالحة وبيان أعمالهم وأحوالهم وما آل إليه مصيرهم في الدنيا والآخرة لتكون قدوة صالحة يُرغب ويُحث على الاقتداء بهم ، وإبراز النماذج الشريرة الضالة وتجليه صفاتهم وأعمالهم وأحوالهم وكيف كانت عاقبتهم ، ليحذر منهم ومن طريقهم ؛ ولا شك أن هذا الأسلوب من أهم أساليب التربية وأكثرها تأثيراً"^(٣) .

١- سورة مريم جزء من آية : ١٨ .

٢- تفسير المراغي (٢٨ / ١٦٩) .

٣- الجربوع ، عبد الله بن عبد الرحمن ، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ، طبعة الجامعة الإسلامية



المطلب الرابع : القيم التربوية والإيمانية للمثل :

أولاً: من الفوائد البلاغية الإطناب في قوله: ﴿وَجَنَى مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بعد قوله :

﴿وَجَنَى مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ مبالغة في الدعاء .

ثانياً : ومن الفوائد البلاغية ما ذكره "الهرري" - رحمه الله - : "الاستخدام في قوله: ﴿فَنفَخْنَا﴾؛

لأن المراد بلفظ الفرج، العضو، وأريد بضميره معنى آخر، وهو: الجيب ، وهو من المحسنات البديعية .

وفيه أيضاً الإسناد المجازي ، حيث أسند النفخ إلى الضمير مع أن النافخ هو جبريل - عليه السلام

- " (١) .

ثالثاً : ومن الفوائد البلاغية أيضاً ما ذكره " ابن عاشور " - رحمه الله - : " وتفريع ﴿فَنفَخْنَا

فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ تفريع العطية على العمل لأجله . أي جزيناها على إحصان فرجها ، أي بأن

كَوَّنَ اللهُ فِيهِ نَبِيئًا بِصِفَةِ خَارِقَةٍ لِلْعَادَةِ فَخَلَدَ بِذَلِكَ ذِكْرَهَا فِي الصَّالِحَاتِ .

والنفخ : مستعار لسرعة إبداع الحياة في المكون في رحمها . وإضافة الروح إلى ضمير الجلالة لأن

تكوين المخلوق الحي في رحمها كان دون الأسباب المعتادة ، أو أريد بالروح الملك الذي يؤمر

بنفخ الأرواح في الأجنة ، فعلى الأول تكون (من) تبعيضية ، وعلى الثاني تكون ابتدائية ، وتقدم

قوله تعالى: ﴿فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ (٢) (٣) .

رابعاً : ومن الفوائد البلاغية والتربوية ما قاله "الهرري" - رحمه الله - : " الإضافة في قوله

تعالى : ﴿ مِنْ رُوحِنَا ﴾ . ومنها تغليب الذكور في قوله: ﴿مِنَ الْقَتَنِينَ﴾ إشعاراً بأن طاعتها لم

١٤٢٤هـ ، (٣ / ١٧٠) .

١- تفسير حدائق الروح والريحان (٢٩ / ٥٠٣) .

٢- سورة الأنبياء جزء من آية : ٩١ .

٣- تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ٣٧٨) .



تقصر عن طاعة الرجال حتى عدت من حملتهم".^(١).

خامساً : ومن الفوائد البلاغية والإيمانية ما ذكره " ابن عاشور " في تفسيره في قوله تعالى : ﴿ مِنْ أَلْفَيْنِ ﴾ " ويجوز أن تجعل ﴿ مِنْ ﴾ للتبعيض ، أي هي بعض من قنت لله . وغلبت صيغة جمع الذكور ولم يقل : من القانتات ، جرياً على طريقة التغليب وهو من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر . وهذه الآية مثال في علم المعاني . ونكته هنا الإشارة إلى أنها في عداد أهل الإكثار من العبادة وأن شأن ذلك أن يكون للرجال لأن نساء بني إسرائيل كن معفيات من عبادات كثيرة . ووصفت مريم بالموصول وصلته لأنها عُرِفَت بتلك الصلة من قصتها المعروفة من تكرر ذكرها فيما نزل من القرآن قبل هذه السورة ."^(٢).

سادساً : ومن الفوائد التربوية والإيمانية ما قاله " ابن القيم " : قال " يحيى بن سلام " : ضرب الله المثل يحذر عائشة وحفصة ، ثم ضرب لهما المثل الثاني يجرهما على التمسك بالطاعة"^(٣).

سابعاً : ومن الفوائد التربوية والإيمانية ما قاله " ابن القيم " : " وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم أيضاً اعتبار آخر ، وهو أنها لم يضرها عند الله شيئاً قَدَفُ أعداء الله : اليهود لها ، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برأهما الله عنه ، مع كونها الصديقة الكبرى المصطفاة على نساء العالمين ؛ فلا يضر الرجل الصالح قَدْحُ الفجار و الفساد فيه ، وفي هذا تسلية لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصة الإفك، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها كما في ذكر التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذير لها ولحفصة مما اعتمدته في حق النبي -صلى الله عليه وسلم- ، فتضمنت هذه الأمثال التحذير لهن والتخويف ، والتحريض لهن على الطاعة والتوحيد ، والتسلية وتوطين النفس لمن أودى منهن وكذب عليه ! وأسرار التزليل فوق هذا وأجل منه ، و لا سيما أسرار الأمثال التي

١- تفسير حدائق الروح والريحان (٢٩ / ٥٠٣ ، ٥٠٤) .

٢- تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ٣٧٩) .

٣- الضوء المنير على التفسير (٦ / ١١٢) .



لا يعقلها إلا العالمون ."^(١).

ثامناً : من الفوائد التربوية والإيمانية ما ذكره " محمود صافي " - رحمه الله - : " التعريض : في قوله تعالى : ﴿ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ الآية في ضرب هذين التمثيلين تعريض بأمر المؤمنين ، المذكورتين في أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما كرهه ، وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه ، لما في التمثيل من ذكر الكفر ؛ وإشارة إلى أن من حقهما أن تكونا في الإخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين ، وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله والتعريض بحفصة أرجح ، لأن امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " ^(٢).

تاسعاً : ومن الفوائد التربوية والإيمانية ما ذكره الدكتور " محمد بكر إسماعيل " : ومريم ابنة عمران قد عطف على امرأة فرعون لتشابههما في الإيمان ، والإخلاص لله ، والطهر والعفاف ، وغير ذلك من الصفات الحميدة . وقد أفرد الله كلا من هاتين المرأتين الصالحتين بالذكر تنبيها على أن كل امرأة منهما فريدة في نوعها ، وحيدة في إيمانها وطهرها وعفافها وفي أهل عصرها . وأيضاً لاختلافهما في الشأن والحال ، فهذه مؤمنة تحت كافر لعين ، وتلك لا زوج لها بخلاف امرأة نوح وامرأة لوط ."^(٣).

عاشراً : ومن الفوائد التربوية والإيمانية أيضاً " وقد يقال أيضاً : أن السر في افراد كل منهما هو التفاوت في الفضل ، فمريم ابنة عمران أم نبي مرسل ، وفيها كانت النفخة ، لهذا وصفت بما لم توصف به امرأة فرعون ، ولعله السر في تأخير ذكرها لتكون مسك الختام فإن قلت : لم ذكرها هنا باسمها ، واسم أبيها قلت لأن كلا من تقدم من النساء قد عرفت بالإضافة إلى زوجها ، ومريم

١-المصدر السابق (٦/ ١١٢).

٢-الجداول في إعراب القرآن و صرفه وبيانه (١٥ / ١١).

٣-الأمثال القرآنية ، محمد بكر إسماعيل ص _____ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ .



ليس لها زوج فعرفت باسم أبيها ، وإن كانت علماً في ذاتها .^(١)

حادي عشر : ومن الفوائد التربوية والإيمانية أيضاً " فإن قلت : لم قال الله هناك : ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾^(٢) . وقال هنا ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا ﴾؟! قلت : لأن المقصود هناك إثبات براءتها بالأصالة ، واثبات أنها يحملها من غير أن يمسه بشر آية في حد ذاتها ، مضاف إليها آية أخرى هي عيسى - عليه السلام - ولما كانت هي وابنها موضعاً واحداً للإعجاز والإبداع جعلهما الله كآية واحدة . أما هنا فالمقصود الأصلي إثبات طهرها وعفتها وتحصين فرجها من النكاح بقسميه^(٣) .

ثان عشر : ومن الفوائد التربوية ما قاله الشيخ " مصطفى العدوي " - حفظه الله - في الاستفادة من قوله: ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ﴾ " ذكر بعض العلماء بعض الاستفادة من ذلك، وهو الحرص على اختيار الجار قبل الدار ، فإذا ذهبت لشراء بيت أو استجاره فانظر إلى الجار هل هو من الصالحين أم من الأشرار الفجار ، فهو الذي سيستدعي عند المصائب ، وهو الذي يؤدي أو يسعد بإذن الله ، فهل ستستمع منه إلى قرآن يتلى وصلوات تقام ، وهدى ونور وثقى . فلا ينبغي من ثم أن تذهب وتنظر إلى أسقف الغرف كيف هي ، قبل نظرك إلى الجيران وكيف أخلاقهم ، وقد علم أن الصالحين لا يشقى بهم جليسهم ، والموفق من وفقه الله .^(٤)

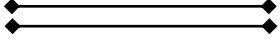
ثالث عشر : ومن الفوائد التربوية ما قاله الشيخ " مصطفى العدوي " - حفظه الله - : ووجه الاستفادة من المثل المضروب لامرأة فرعون ووجه ذلك : بيان أن أحداً لا يملك إغواء أحد إلا بإذن الله، فها هو فرعون من أكبر الطغاة الذين عرفهم التاريخ ، مع كونه يذبح الأبناء ويسوم الناس سوء العذاب ، إلا أنه لم يملك قلب امرأته و لا تحويلها و لا صرفها عما هي عليه من إيمان

١-المصدر السابق ص ٢٧١ .

٢-سورة الأنبياء جزء من آية : ٩١ .

٣-سورة الأنبياء جزء من آية : ٩١ .

٤-التسهيل لتأويل الترتيل (جزء قد سمع) ، الشيخ مصطفى العدوي ص ٣٨١ .



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



وهدى .

ووجه آخر : أن التذكير بامرأة فرعون فيه حثٌ للمؤمنين على الصبر كما صبرت ، فهي امرأة

ضعيفة في بيت جبار من الجبابرة ، وصبرت بتصبير الله لها .^(١)

١-التسهيل لتأويل الترتيل ص ٣٨١.



المبحث الرابع :- بيان الصفات الجامعة للمؤمنين من خلال الأمثال القرآنية المتقدمة ،

وأسباب زيادة الإيمان .

المطلب الأول : الصفات الجامعة للمؤمنين من خلال الأمثال القرآنية المتقدمة ، وبيان أسباب زيادة الإيمان:

لاشك أن صفات المؤمنين في كتاب الله تعالى كثيرة ومتنوعة صدع بها كتاب الله تعالى وجهرت بها سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ولكن في هذا المبحث نعرض لأهم الصفات التي جاءت في المثيلين السابقين في المؤمنين وهي :

الصفة الأولى : أشداء على الكفار رحماء بينهم :

إن المؤمنين تعلموا من النبي - صلى الله عليه وسلم - كيف يعاملون الكفار، وكيف يشتدون عليهم ، ويصدقون الله عند لقائهم ، وكيف يثبتون أمامهم على قلة عددهم وعتادهم ، وتعلموا منه كيف تكون الرحمة ، ومتى وأين ، ولن تكون ، حتى تطيعوا - صلى الله عليه وسلم - ونهجو على فحج الصافي في عاداتهم وعبادتهم ومعاملاتهم . والشدة على الكافر والرحمة بالمؤمنين صفتان يتميز بهما المجتمع المسلم في كل زمان ومكان ، إلا أن أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ضربوا فيه بسهم وافر ، وكانوا مثلاً لمن بعدهم . قال " الهرري " : في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ أسلوب التكميل ، لأنه لو اكتفى بقوله : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ لربما أوهم الفظاظة والغلظة فيما بينهم ، فكمّل بقوله : ﴿ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ رفعاً لذلك الوهم ، فيكون من أسلوب التكميل .^(١)

وفي هذه الصفة يقول " سيد قطب " : " إرادة التكريم واضحة ، وهو يسجل لهم اللقطة الأولى أنهم

١- تفسير الروح والريحان (٢٧ / ٣٢٧) .



: ﴿أَشْدَاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ .. أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوانهم وذوو قرابتهم وصحابتهم ، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعاً . رحماء بينهم وهم فقط إخوة دين . فهي الشدة لله والرحمة لله . وهي الحمية للعقيدة ، والسماحة للعقيدة . فليس لهم في أنفسهم شيء ، ولا لأنفسهم فيهم شيء . وهم يقيمون عواطفهم ومشاعرهم ، كما يقيمون سلوكهم وروابطهم على أساس عقيدتهم وحدها . يشتدون على أعدائهم فيها ، ويلينون لإخوانهم فيها . قد تجردوا من الأنانية ومن الهوى ، ومن الانفعال لغير الله ، والوشيجة التي تربطهم بالله .^(١)

الصفة الثانية : مداومتهم على العبادة :

وكيف لا تكون العبادة هي همهم وهم العباد فرسان النهار، رهبان الليل وقدوتهم النبي - صلى الله عليه وسلم - كانت قرّة عينه في الصلاة فالعبادة على رؤوس العباد أحلى من التيجان على رؤوس الملوك ... وإذا سئم البطالون من بطالتهم ، فلن يسأم العباد من عبادة ربهم ومناجاتهم له ... فهي دواء الجنون، كما قال أبو مسلم الخولاني لرجل لما رآه كثير الذكر ، فقال له الرجل : أجنون أنت ؟ فقال أبو مسلم : هذا دواء الجنون . ولاشك أن أعظم العبادات هي الصلاة بروكعها وسجودها ولذا هذه الصفة التي جاءت في المثل وهي تعبر عن الصلاة فعبر عن العبادة عموماً والصلاة خصوصاً بالركوع والسجود كما قال الله تعالى : ﴿تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا﴾ وكما قال " صلى الله عليه وسلم " : " الصلاة خير موضوع ، فمن استطاع أن يستكثر فليستكثر "^(٢) لأن بها تبدو قوة الإيمان في شهود ملازمة خدمة الأركان ، ومن كان أقواهم إيماناً كان أكثرهم وأطولهم صلاة وقنوتاً وإيقاناً.

قال "الراشد" : " وسجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة : سيماء يحتكرها المؤمنون ..

١- تفسير الظلال (٦ / ٣٣٣٢) .

٢- حسن . رواه أحمد وابن حبان والحاكم في صحيحه عن أبي ذر . ورواه الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة ، وحسن

الحديث الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٧٦٤) .



ولئن توهم الدنيوي جناته في الدينار ، والنساء ، والقصر المنيف ، فإن جنة المؤمن في محرابه ^(١) . قال : " سيد قطب " - رحمه الله - : " وإرادة التكريم واضحة وهو يختار من هيئاتهم وحالاتهم ، هيئة الركوع والسجود وحالة العبادة : ﴿ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا ﴾ ... والتعبير يوحي كأنما هذه هيئاتهم الدائمة التي يراها الرائي حينما رآهم . ذلك أن هيئة الركوع والسجود تمثل حالة العبادة ، وهي الحالة الأصيلة لهم في حقيقة نفوسهم ؛ فعبر عنها تعبيراً يشبهها كذلك في زمانهم ، حتى لكأنهم يقضون زمانهم كله ركعاً سجداً. ^(٢) ولاشك أن آيات سورة المؤمنين تبين صفات المؤمنين ومنها الخشوع في الصلاة قال الله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ ^(٣) .

الصفة الثالثة: ابتغواهم ما عند الله :

واستمدت هذه الصفة من قوله تعالى : ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ والمقصود هنا هو الإخلاص وطلب ما عند الله تعالى قال " سيد قطب " - رحمه الله - : " فهذه هي صورة مشاعرهم الدائمة الثابتة . كلما يشغل بالهم ، وكل ما تتطلع إليه أشواقهم ، هو فضل الله ورضوانه . و لا شيء وراء الفضل والرضوان يتطلعون إليه ويشغلون به ^(٤) .

وقال " الرازي " - رحمه الله - " قوله تعالى : ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ لتمييز ركوعهم وسجودهم عن ركوع الكفار وسجودهم ، وركوع المرائي وسجوده فإنه لا يبتغي به ذلك ^(٥) . " وفيه معنى لطيف ، وهو أن الله عز وجل لم يقل يبتغون أجراً من الله ورضوان ، وإنما قال :

﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا ﴾ اعترافاً منهم بالعجز عن القيام بحقه سبحانه ، والتقصير في شكره ، فهم من أجل ذلك يطلبون فضل الله ، لأنهم يرون أن عملهم هذا لا يستحقون عليه أجراً ، فإن منحهم الله

١- الرقائق لمحمد أحمد الراشد ص ١٥ .

٢- تفسير الظلال (٦ / ٣٣٢) .

٣- سورة المؤمنون الآيتان : ١ ، ٢ .

٤- تفسير الظلال (٦ / ٣٣٣٢) .

٥- التفسير الكبير (٢٨ / ١٠٧) .



الأجر على عبادتكم فذلك محض تفضل منه وإحسان.^(١) ولا شك أن ذلك من عظيم الإخلاص وهضم حق النفس الذي هو شعار أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - والأمثلة على تمام إخلاص الصحابة نكتفي بذكر نموذج لإمام من أئمة الهدى لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وهو يعتق العبيد في بداية الدعوة، فقد كان يشتري العبيد بكثرة ويدفع أموالاً كثيرة لذلك، وكان - رضي الله - عنه يشتري العبيد الضعفاء والفقراء، من الرجال ومن النساء على السواء، فقال له أبوه أبو قحافة وكان لا يزال مشركاً: يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنك أعتقت رجالاً أشداء يمنعونك، فقال الصديق - رضي الله عنه - وأرضاه: "يا أبت إنما أبتغي وجه الله عز وجل، أي: أنا لا أريد غير رضا الله سبحانه وتعالى، وهذا هو الإخلاص، فأنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَسَيَجْزِيهَا الْأَنْفَى﴾^(٢). وهذه من أعظم مناقب الصديق - رضي الله عنه - وأرضاه بأن الله عز وجل يشهد له بأنه الأتقى، ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾^(٣) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٨﴾^(٤). أي: لا يريد غير رضا الله سبحانه وتعالى فقط، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾^(٥) وهذه هي نتيجة الإخلاص أن يرضى الله عنه .

كيفية الإخلاص وهنا من الممكن أن يقول أحدهم: والله إن هذا الكلام سهل، لكن التطبيق صعب بل عسير، فأقول له: صدقت، فهو شيء صعب فعلاً، وأحد التابعين كان يقول: ما عاجلت شيئاً أشد عليّ من نيبي. أي: أكثر شيء صعب عليّ النية والإخلاص، لكن لا بد أن تكون هناك طريقة لزرع الإخلاص، فالله سبحانه وتعالى لم يطلب منا شيئاً إلا وهو يعلم أنا نقدر على فعله، فمن الممكن أن يقول شخص: قل لي طريقة عملية إذا فعلتها زرعت الإخلاص في قلبي، سأقول له: أعط الله قدره تخلص له، فأبرز هذه العبارة واجعلها دائماً صورة في خيالك، لأننا إذا عرفنا قدر الله عز وجل فليس من الممكن أن نشغل بغيره، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

١- الأمثال القرآنية ، محمد بكر إسماعيل ص ٢٤٦.

٢- سورة الليل آية: ١٧.

٣- سورة الليل الآيات: ١٨ - ٢٠.

٤- سورة الليل آية: ٢٩.



﴿^(١) فهذا المرض: أن الناس لم يعطوا الله عز وجل قدره، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(٢)، وهذه بعض علامات قدرة الله عز وجل، وهذا الذي يمكن أن نفعله: تعظيم وتقدير وإجلال الله عز وجل، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣). فالذين لم يعطوا الله عز وجل قدره فقد أشركوا معه غيره ، لأن الشرك لا يأتي إلا عندما لا يعطي العبد الله عز وجل قدره، لكن عندما عرف الصحابة هذا القدر لله عز وجل أخلصوا في أعمالهم، ولذلك علموا أن مَنْ يعطي الله قدره ويعمل لإرضاء غيره أنه نوع من السفه وال حماقة. والمثل الآخر أيضا نموذج في الإخلاص هو ما طلبته امرأة فرعون مما عند الله سبحانه وتعالى حيث قالت: ﴿رَبِّ أَيْنَ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ يقول " ابن عاشور " - رحمه الله - : " والظاهر أن قولها: ﴿رَبِّ أَيْنَ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ مؤذن بأن فرعون وقومه صدوها عن الإيمان به وزينوا لها أنها إن آمنت بموسى تضيع ملكاً عظيماً وقصراً فخيماً أو أن فرعون وعظها بأنها إن أصرت على ذلك تقتل ، فلا يكون مدفنها الهرم الذي بناه فرعون لنفسه في بادئ الملوك . ويؤيد هذا ما رواه المفسرون أن بيتها في الجنة من درة واحدة فتكون مشابهة الهرم الذي كان معداً لحفظ جثتها بعد موتها وزوجها . فقول ذلك كقول السحرة الذين آمنوا جواباً عن تهديد فرعون ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيْتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾^(٤) .^(٥)

الصفة الرابعة: صلاح الظاهر :

وتظهر هذه الصفة جلية من خلال قوله تعالى: ﴿ تَرَنَّهُمْ زُكَّاءً سَجْدًا ﴾ قال " سيد قطب " - رحمه

١-سورة الزمر جزء من آية: ٦٧.

٢-سورة الزمر جزء من آية: ٦٧.

٣-سورة الزمر جزء من آية: ٦٧.

٤-سورة طه جزء من آية: ٧٢.

٥-تفسير التحرير والتنوير (٢٨ / ٣٧٧).



الله - : واللقطة الرابعة تثبت أثر العبادة الظاهرة والتطلع المضمر في ملاحظهم ، ونضحها على سماهم : ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرَ السُّجُودِ ﴾ .. سيماهم في وجوههم من الوضوء والإشراق والصفاء والشفافية ، ومن ذبول العبادة الحي الوضيء اللطيف . وليست هذه السيمة هي النكتة المعروفة في الوجه كما يتبادر إلى الذهن عند سماع قوله : ﴿ أَثَرَ السُّجُودِ ﴾ .. فالمقصود بأثر السجود هو أثر العبادة . واختار لفظ السجود لأنه يمثل حالة الخشوع والخضوع والعبودية لله في أكمل صورها . فهو أثر هذا الخشوع . أثره في ملامح الوجه ، حيث تتوارى الخيلاء والكبرياء والفراهة . ويحل مكانها التواضع النبيل ، والشفافية الصافية ، والوضوء الهادئة ، والذبول الخفيف الذي يزيد وجه المؤمن وضوءاً وصباحة ونبلاً . وهذه الصورة الوضيئة التي تمثلها هذه اللقطات ليست مستحدثة . إنما هي ثابتة لهم في لوحة القدر ؛ ومن ثم فهي قديمة جاء ذكرها في التوراة : ﴿ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ﴾ .. وصفتهم التي عرفهم الله بها في كتاب موسى ، وبشر الأرض بما قبل أن يجيئوا إليها . "

هذا الصلاح الظاهر كما في الآية هو السميت وقد اختلفت أقوال أهل العلم في ذلك وهذا ما نقله الشيخ " مصطفى العدوي " - حفظه الله - " لأهل العلم في ذلك أقوال :
أحدها : أنها علامات يجعلها الله يوم القيامة في وجوه أهل الإيمان الذين كانوا يسجدون له في الدنيا ، فيعرفون بها يوم القيامة ، أي : أن علامات سجودهم تبدو في وجوههم يوم القيامة . ومن العلماء من قال : إن ذلك نورٌ وبياضٌ في الوجوه يوم القيامة ، ومنهم من قال : إنها نضرة في الوجوه يوم القيامة .

القول الثاني : أن المراد بذلك علامات الإسلام ، وسمت الإسلام ، وأثر الإسلام يبدو على الوجوه ويظهر عليها كذلك أثر الخشوع لله عز وجل . فيُعرف المسلم بسمته وهيأته ومنظره وطريقته في الدنيا ، فيرى على المؤمنين سمت الإسلام الحسن في دنياهم .

القول الثالث : أنه أثر العبادة يبدو على وجوههم في الدنيا ، أثر قيام الليل ، أثر السهر والتعب



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



والنصب لله عز وجل كالصفرة التي تكون في الوجوه من السهر والعبادة .

القول الرابع : أنها العلامات التي يكون في الجباه من أثر السجود على الأرض .

قال "الطبري" - رحمه الله - : " وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يُقال : إن الله - تعالى ذكره - أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود ، ولم يخص ذلك على وقت دون وقت وإذ كان ذلك كذلك ، فذلك على كل الأوقات ، فكان سيماهم الذي كانوا يُعرفون به في الدنيا آثار الإسلام ، وذلك خشوعه وهديه وسمته ، وآثارُ عناءِ فرائضه وتطوعه ، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يُعرفون به ، وذلك العُرَّةُ في الوجوه والتحجيلُ في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء ، وبياض الوجوه من أثر السجود . وبنحو الذي قلنا في معنى السَّيما قال أهل التأويل." (١).

الصفة الخامسة : البراءة من المشركين :

وقد جاء ذلك في المثل الأول في قوله تعالى : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ كيف لا وهذه صفات أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿ يَتَأَيَّمُوا عَلَى آلِ النَّبِيِّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ (٢). وكذا عموم الأوامر الواردة في ذلك ومنها قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (٣). وأيضاً ما جاء في المثل الثاني من قول الله تعالى : ﴿ وَيَخِنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَيَخِنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ وهذا كمال البراءة من المشركين : امرأة تترأ من زوجها ومن مغريات الحياة من القصور والنعيم . قال " سيد قطب " - رحمه الله - : " وها هي ذي امرأة فرعون ، لم يصدها طوفان الكفر الذي تعيش فيه في قصر فرعون عن طلب النجاة وحدها ، وقد تبرأت من قصر فرعون طالبة إلى ربها بيتاً في الجنة

١- تفسير الطبري (٢١ / ٣٢٦) .

٢- سورة التوبة آية : ٧٣ .

٣- سورة المائدة آية : ٥٤ .



وتبرأت من صلتها بفرعون فسألت ربهما النجاة منه . وتبرأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شيء وهي ألصق الناس به : ﴿ وَجَنِّي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ ﴾ .. وتبرأت من قوم فرعون وهي تعيش بينهم ﴿ وَجَنِّي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ . ودعاء امرأة فرعون وموقفها مثل للاستعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صورته . فقد كانت امرأة فرعون أعظم ملوك الأرض يومئذ . في قصر فرعون أمتع مكان تجدد فيه امرأة ما تشتهي ... ولكنها استعلت على هذا بالإيمان ^(١) . وقد أجمع العلماء سلفاً وخلفاً من الصحابة والتابعين والأئمة ، وجميع أهل السنة ، أن المرء لا يكون مسلماً إلا بالتجرد من الشرك الأكبر ، والبراءة منه وممن فعله وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة ، وإخلاص الأعمال كلها لله ، كما في حديث " معاذ " - رضي الله عنه في الصحيحين " فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً " ^(٢) .

ومن أروع ما تقف عليه في ذلك كلام " سيد قطب " - رحمه الله - : " أشداء على الكفار وفيهم آباؤهم وإخوانهم وذوو قرابتهم وصحابتهم ، ولكنهم قطعوا هذه الوشائج جميعاً " ^(٣) .

المطلب الثاني : أسباب زيادة الإيمان ^(٤) :

اعلم أخي المبارك أن الإيمان يزيد بأمور وبضدها ينقص الإيمان ، فلزيادة الإيمان أسباب أسوق بعضها لك مع أدلتها :

أولاً : معرفة الله جل وعلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى :

ومما يدل على ذلك : قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(٥) . ووجه ذلك

١- تفسير الظلال (٦ / ٣٦٢٢) .

٢- متفق عليه .

٣- تفسير الظلال (٦ / ٣٣٣٢) .

٤- استفدت هذا البحث من مقال للدكتور عبد الله بن حمود الفريح بموقع صيد الفوائد عنوان

الموقع : www.said.net/doat/alfaih/5.htm .

٥- سورة فاطر جزء من آية : ٢٨ .



أن العلماء أعرف الناس بأسماء الله تعالى وصفاته ، فاستحضروها في دعائهم وفي جميع شؤون حياتهم حتى كانوا أخشى الناس ، والخشية أثر لقوة الإيمان في قلوبهم ، وإلا فالعلم الذي لا يورث هذه الخشية علم مدخول نسأل الله السلامة والعافية .

قال "ابن رجب" : " العلم النافع يدل على أمرين : أحدهما : على معرفة الله وما يستحقه من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الباهرة ، وذلك يستلزم إجلاله وإعظامه وخشيته ومهابته ، ومحبته ، ورجاءه والتوكل عليه والرضاء بقضائه والصبر على بلائه .

الأمر الثاني : المعرفة بما يحبه ويرضاه ، وما يكرهه وما يسخطه من الاعتقادات والأعمال الظاهرة والباطنة والأقوال ، فيوجب ذلك لمن علمه المسارعة إلى ما فيه محبة الله ورضاه والتباعد عما يكرهه ويسخطه فإذا أثمر العلم لصاحبه هذا فهو علم نافع ، فمتى كان العلم نافعاً ووقر في القلب فقد خشع القلب لله وانكسر له ، وذل هيبة وإجلالاً وخشية ومحبة وتعظيماً" ^(١) وقال أيضاً " فالعلم النافع ما عرّف العبد برّبّه ، ودلّه عليه حتى عرفه ووحدّه وأنس به واستحى من قربه وعبدّه كأنه يراه " ^(٢) وإذا وصل العبد إلى عبادة ربه كأنه يراه لا شك أنه وصل إلى مرتبة عظيمة من الإيمان لأنه وصل إلى أعظم المراتب وهي الإحسان .

ثانياً : طلب العلم الشرعي :

ويدل عليه ما تقدم من قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فالعلم طريق للخشية التي هي علامة لما وقر في القلب من إيمان وذلك يأتي بالعلم النافع كما تقدم ، ولذا يقول " الإمام أحمد " : " أصل العلم الخشية " . وأيضاً لما تكلم أحد الناس عن الإمام الزاهد العابد " معروف الكرخي " - رحمه الله - في مجلس الإمام أحمد وقال عنه : " إنه قصير العلم " فهره الإمام أحمد وقال : " أمسك عافاك الله وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف " ولذا جعله النبي

١- ابن رجب الحنبلي ، فضل علم السلف على الخلف ، نسخة PDF من موقع الكتروني <http://www.al-mostafa.com> ص ١١، ١٠.

٢- المصدر السابق ص ١١.



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



طريقاً إلى الجنة فقال : " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة " ^(١) رواه مسلم .

ثالثاً: التأمل في آيات الله الكونية ومخلوقاته جل وعلا :

ويدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ^(٢) وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ^(٣) وقوله ﴿قُلِ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^(٤) فإن العبد إذا تفكر في آيات الله تعالى في هذا الكون عرف عظمة الله تعالى فازداد إيمانه قال "عامر بن عبد قيس" : " سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم - يقولون : " إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر " ^(٥).

ففي قراءته وتلاوته يزداد الإيمان ويدل على ذلك قول الله عز وجل في وصف المؤمنين الصادقين : ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ ^(٦) وكذلك تدبره ففيه أعظم النفع لزيادة الإيمان وأما القلوب الغافلة فلا تتدبره ، ويدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ^(٧) قال " ابن القيم " رحمه الله : " قراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى في حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن " وقال أيضاً : " فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده ، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن ،

١-صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والأدب ، حديث رقم ٢٥٨٥ .

٢-سورة آل عمران آية : ١٩٠ .

٣-سورة الناريات آية : ٢١ .

٤-سورة يونس آية : ١٠١ .

٥-السيوطي ، جلال الدين ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية ط ١

، ١٤٢٤ هـ (١٨٢/٤) .

٦-سورة الأنفال جزء من آية : ٢ .

٧-سورة محمد جزء من آية : ٢٤ .



وإطالة التأمل ، وجمع الفكر على معاني آياته ، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها ... وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيّد بنيانه وتوطّد أركانه ؛ فإذا تدبر العبد آيات الله تعالى وما فيها من وعد ووعد وجنة ونار والأعمال التي تسوق إليهما زاد إيمانه ويقينه بوعد ربه ووعيده .

رابعاً: الإكثار من ذكر الله تعالى :

ويدل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَنَطَمَنُوا قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾^(١) وقول النبي -صلى الله عليه وسلم- كما في حديث أبي موسى : " مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت " ^(٢)، فذكر الله عز وجل فيه حياة للقلب فيزداد إيمان العبد كلما أكثر من ذكر ربه ، ويموت القلب وينقص إيمان العبد كلما كان بعيداً عن ذكر ربه وفي هذا علامة على الغفلة قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(٣) وقال في وصف المنافقين الذين ملئت قلوبهم كفراً وبعداً عن الله تعالى : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٤) قال "أبو الدرداء" -رضي الله عنه- " : لكل شيء جلاء ، وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل . قال "عمير بن حبيب" : " الإيمان يزيد وينقص . فقليل فما زيادته وما نقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا ربنا وخشيناه فذلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسيناه وضعنا فذلك نقصانه " ^(٥) وقال شيخ الإسلام "ابن تيمية" : " الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء " ^(٦).

خامساً: تقديم ما يحبه الله ورسوله على هوى النفس :

١-سورة الرعد آية : ٢٨ .

٢-رواه البخاري في باب الدعوات برقم ٦٤٠٧

٣-سورة الجمعة آية : ٩ .

٤-سورة النساء جزء من آية : ١٤٢ .

٥-ابن أبي شيبة ، الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ، كتاب الإيمان ، المكتب الإسلامي ط ٢ ، ٥١٤٠٣ ، ص ٢٠ .

ص ٢٠ .

٦-الوابل الصيب ص ٦٣



ويدل على ذلك حديث أنس قال -صلى الله عليه وسلم- : " ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار" (١). متفق عليه، قال "ابن حجر" : " قال البيضاوي : وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال الإيمان لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله تعالى ، وأن لا مانع ولا مانع في الحقيقة سواه ، وأن ما عداه وسائط ، وأن الرسول هو الذي يبين مراد ربه ، اقتضى ذلك أن يتوجه بكلية نحوه : فلا يجب إلا ما يجب ، ولا يجب من يجب إلا من أجله ... " (٢). ومن أعظم علامات محبة الله ورسوله تقديم ما يحبه الله ورسوله على هوى نفسه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣). وكذا مما يزيد الإيمان الحب في الله ، وكرهة الوقوع في الكفر فيبتعد عن كل ما يهوي به إلى ذلك.

سادساً : حضور مجالس الذكر والحرص عليها:

ويدل على ذلك حديث "حنظلة الأسيدي" - رضي الله عنه - قال : " قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال -صلى الله عليه وسلم- : " وما ذاك ؟ " قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة ، حتى كأننا رأينا عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيراً ، فقال -صلى الله عليه وسلم- : " والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة " (٤). والضيعات : هي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة . وقال "معاذ بن جبل" لأحد أصحابه يتذاكر معه : " اجلس بنا نؤمن ساعة " (٥). وقال "ابن حجر" في الفتح : " وهو عن الأسود بن هلال قال : قال لي معاذ بن جبل : " اجلس بنا نؤمن ساعة " وفي رواية : " كان

١-رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب خصال الخير (٣ / ٢)

٢-الفتح المجلد الأول كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان (٤٨ / ١١).

٣-سورة آل عمران : ٣١.

٤-رواه مسلم ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة (٦٥ / ١٧ ، ٦٦).

٥-رواه البخاري في صحيحه معلقاً،الفتح (٤٨ / ١).



معاذ بن جبل يقول للرجل من إخوانه : " اجلس بنا نؤمن ساعة فيجلسان فيذكران الله تعالى ويحمدانه " ^(١) قال " أبو الدرداء " : " كان ابن رواحة يأخذ بيدي ويقول : " تعال نؤمن ساعة ، إن القلب أسرع تقلباً من القدر إذا استجمعت غليانها " وفي شعب الإيمان " للبيهقي " : " عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن رواحة قال لصاحب له : " تعال حتى نؤمن ساعة " قال أو لسنا مؤمنين ؟ قال : " بلى ولكننا نذكر الله فترداد إيماناً " قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى : " كان الصحابة رضي الله عنهم يجتمعون أحياناً : يأمرهم أحدهم يقرأ والباقون يستمعون . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : يا أبا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون " ولأن العبد في مجالس الذكر يسمع ما يحثه على طاعة غفل عنها وما يذكره في معصية وقع فيها لينتهي . - ويدخل تحت هذا السبب سبب آخر من مقويات الإيمان وهو مصاحبة الأخيار ، وتقدم نماذج للصحابة في ذلك ويدل عليه : قول الله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ^(٢) ، وحديث "أبي هريرة" - رضي الله عنه - عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل " ^(٣) قال المباركفوري : " (على دين خليله) أي على عادة صاحبه وطريقته وسيرته (فلينظر) أي فليتأمل وليتدبر (من يخالل) من المخاللة وهي المصادقة والإخاء ، فمن رضي دينه وخلقه خالله ومن لا تجنبه ، فإن الطباع سراقة والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال وإفساده . قال الغزالي : مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص ومجالسة الزاهد ومخالطته تزهد في الدنيا لأن الطباع مجبولة على التشبه والافتداء "

١-الفتح المجلد الأول كتاب الإيمان باب بني الإسلام على الخمس .

٢-سورة الكهف آية :٢٨ .

٣-رواه أبو داود (٤١٩٣) والترمذي (٢٣٠٠) وأحمد (٧٦٨٥ - ٨٠٦٥) وصححه الترمذي والحاكم وحسنه الألباني

، صحيح الجامع برقم (٦٦٨٩) ، (٢ / ١١٣٢) .



قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي^(١)
وقال آخر :

فصاحب تقياً عالماً تنتفع به فصحبة أهل الخير ترجى وتطلبُ
وإياك والفساق لاتصحبهم فقرهم يُعدي وهذا مجربُ

فإننا رأينا المرء يسرق طبعه من الألف ثم الشرُّ للناس أغلبُ

وفي المثل (الصاحب صاحب) فصاحب الإيمان يسحبه إلى ما فيه زيادة الإيمان والعكس بالعكس .
وفي الصحيحين من حديث "أبي موسى" -رضي الله عنه -عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال :
" مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك ، وإما
أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما تجد ريحاً خبيثة
" ^(٢) . ويحذيك أي يعطيك ، والأدلة وأقوال السلف كثيرة في أثر الصحبة الصالحة في زيادة الإيمان .

سابعاً: البعد عن المعاصي:

لا شك أن اعتراف المعاصي سبب في نقصان الإيمان والبعد عنها ومدافعتها سبب زيادته فمن
عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وإن من طاعة الله تعالى أن
يبتعد الإنسان عن المعاصي ، والفتن ، فأبي عبد أراد أن يعيش قلبه سليماً من الأمراض لا تضره
الفتن ما دامت السماوات والأرض فليبتعد عنها ولينكرها . ويدل عليه : حديث "حذيفة" -رضي
الله عنه- قال : سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول : " تعرض الفتن على القلوب
كالحصير عوداً عوداً ، فأبي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة
بيضاء حتى تصير على قلبين ، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة مادامت السموات والأرض ،

١-مصدر سابق ، الحيوان قول صاحب الفيل (٢/ ١٤٠).

٢-البيخاري ، محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح ، المطبعة السلفية ، ط١عام ١٤٠٣هـ - حديث رقم (٢١٠١) (٢/٢).



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



والآخر أسود مُرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه " (١)،
ومرباداً أي: مخلوطاً حمرة بسواد ، كالكوز مجخياً أي: كالكأس المنكوس المقلوب الذي إذا انصب
فيه شيء لا يدخل فيه .

قال القاضي "عياض" : "ليستشبيهه بالصفاء بيانياً لبياضه، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان
وسلامته من الخلل ، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفاء وهو الحجر الأملس " (٢) . وهكذا
المؤمن كلما كان من الفتن والمعاصي أبعد؛ كان حفاظه على سلامة قلبه وازدياد إيمانه أكثر،
وكلما تهاون بالذنوب وتعرض للفتن ؛ كلما نقص إيمانه . قال شيخ الإسلام "ابن تيمية" : " غض
البصر يورث ثلاث فوائد : حلاوة الإيمان ولذته ، نور القلب والفراسة ... قوة القلب وثباته
وشجاعته " (٣) .

قال "ابن المبارك" :

رأيت الذنوب تमित القلوب وقد يورث الذل إدامتها

وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها (٤)

ثامناً: الإكثار من النوافل والطاعات :

فكلما أكثر العبد من النوافل نال ثمرات كثيرة منها محبة الله له ومعيته فلا يصدر من جوارحه إلا ما
يرضيه الله جل وعلا ، وأيضاً يكون مجاب الدعوة ، وإذا نال العبد هذه الثمرات زاد إيمانه لأنه نال
محبة الله ورضاه عنه مع ما في النوافل من ثمرات . ويدل عليه : حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند
البخاري قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال الله - عز وجل - : " وما يزال عبدي يقترب
إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي

١- رواه مسلم باب الإيمان.

٢- انظر شرح مسلم للنووي المجلد الأول كتاب الإيمان

٣- مجموع الفتاوى (١٠ / ٢٥٢) .

٤- ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله ، بجهة المجالس وأنس المجالس ، الجزء الأول ص ٢٤٦ الموسوعة



ييطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ^(١) . فليجتهد العبد ويكثر من النوافل في الصيام والصلاة والذكر وسائر أعمال البر .

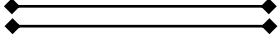
تاسعاً: سؤال الله تعالى زيادة الإيمان وتجديده:

ويدل عليه : حديث "عبد الله بن عمرو" - رضي الله عنه - و "عبد الله بن عمر" - رضي الله عنه - قالوا : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : " إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب ، فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم " ^(٢) ، وقوله : " إن الإيمان ليخلق " أي إنه ليلى ، فالمؤمن إذا أحس بقسوة في قلبه وفتور ونقص في الإيمان سأل الله تعالى أن يجدد الإيمان ويزيده في قلبه ، فقد كان السلف يحرصون على هذا الجانب فيسألون الله عز وجل زيادة الإيمان ، فهذا "عبد الله بن مسعود" - رضي الله عنه - يقول : " اللهم زدنا إيماناً و يقيناً وفقهاً " ^(٣) . وتقدم قول "معاذ" لبعض أصحابه : " اجلس بنا نؤمن ساعة " وكذلك قول "ابن رواحة" " لأبي الدرداء " : " تعال نؤمن ساعة " وكان "أبو الدرداء" يقول : " من فقه العبد أن يعلم أمزداد هو أو منتقص - أي من الإيمان - وإن من فقه العبد أن يعلم نزغات الشيطان أنى تأتية . " ما تقدم من الأسباب هي من أهم أسباب زيادة الإيمان ، وهناك أسباب أخرى : كالأمر بالمعروف والنهي عن النكر ، وزيارة القبور ، وتأمل سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، والقراءة في سير السلف ، والاهتمام بأعمال القلوب كالخوف والرجاء والمحبة والتوكل وغيرها ، والدعوة إلى الله تعالى ، والتقلل من الدنيا ومن المباحات والفضول في الطعام والكلام والنظر ، وتنويع العبادة ، وتذكر منازل الآخرة ، ومناجاة الله تعالى والانكسار بين يديه ، وتعظيم حرماته ، والولاء والبراء " وبضد أسباب زيادة الإيمان نعرف أسباب نقصانه ، أسأل الله أن يزيدنا إيماناً ويجدده في قلوبنا .

١- رواه البخاري كتاب الرقاق ، باب التواضع برقم (٦٥٠٢) (٤ / ١٩٢) .

٢- رواه الطبراني عن ابن عمر وقال الهيثمي : " إسناده حسن " ورواه الحاكم عن ابن عمرو وقال : " رواه ثقات " وأقره الذهبي وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٨٥) .

٣- قال الحافظ في الفتح (٤٨/١) " رواه أحمد في الإيمان وإسناده صحيح .



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات فله الحمد في الأولى والآخرة وله الشكر على عظيم فضله ومنته وله الحمد على ما أنعم علينا من نعمة الطلب والإقبال على كتاب الله تعالى نحمده حمد الشاكرين فلقد عشت ساعات ممتعة مباركة بصحبة كتاب الله تعالى أغوص في معانيه العظيمة وأهل من كلام رب كريم منان ، وأطوف بين بساتين أهل العلم اقطف منها فوائد نادرة فله الحمد أولاً وأخيراً . واعرض لأهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة وهي كالآتي :

أولاً: إبراز تفاسير الصحابة ومن بعدهم من أئمة السلف والسائرين على منهج الصحابة للأمثال القرآنية ، والاعتماد على أقوالهم في تحديد المعنى والتعريفات ومن ذلك تحديد معنى المثل لغةً، واصطلاحاً ، والعلاقة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي .

ثانياً: بيان ما للأمثال من أهمية تربوية ، وإيمانية وتأثير ذلك في حياة الفرد والمجتمع فإن الحقائق السامية في معانيها وأهدافها تأخذ صورتها الرائعة إذا صيغت في قالب حتى يُقربها إلى الأفهام بقياسها على المعلوم اليقيني ، والتمثيل هو الغالب الذي يبرز المعاني في صورة حية تستقر في الأذهان ، بتشبيه الغائب بالحاضر ، والمعقول بالمحسوس ، وقياس النظير بالنظير .

ثالثاً: إبراز ما تضمنت الأمثال القرآنية الواردة في المنافقين من صورة حسية وذلك بغرض ذكر قبائح الباطل والتنفير منه فكثيرٌ من الناس قد ينخدع بظواهر الأمر دون أن يسبر غوره ، ويتعرف على خطاياهم ، فإذا كشفت له تلك المساوئ المستورة ومثلت له بمثال معقول مطابق ظهر له الأمر.

رابعاً: إبراز أهم الصفات التي اشتملت عليها الأمثال الواردة في المنافقين ومن ذلك على سبيل البيان ادعاء الإيمان كذباً .

خامساً: تضمنت التحذير من خبث منهج المنافقين بإظهار حسن المظهر مع سوء المخبر .

سادساً: تضمنت الأمثال بيان التذبذب في المواقف وعدم الثبات على الرأي .

سابعاً: إبراز الوسائل التربوية والإيمانية لمواجهة النفاق ومنها

١ - وسائل وقائية: منها التنفير من النفاق والمنافقين والتحذير من الاغترار بهم .



٢- وسائل علاجية لظاهرة النفاق ومنها وعظهم وتذكيرهم وتخويفهم بالله ، والبراءة منهم

، وهجرهم ومقاطعة مجالسهم ، وعدم موالاةهم ، أو محبتهم ، وحرمانهم من قبول

مشاركتهم مع المسلمين ، وعدم الرضا عنهم .

ثامناً : تضمنت الأمثال التنفير من الكفر والكافرين وذلك بنفي العقل والسمع والبصر عنهم فهم أشر من الأنعام .

تاسعاً : إبراز التنفير من القدوة السيئة وبيان الصفات المذمومة لهم .

عشراً : إبراز سبل وركائز دعوة الكافرين للإسلام وذلك ببيان محاسن الدين الإسلامي وكماله وجمال في عقائده وعباداته وآدابه وبيان البراهين الدالة على رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - لتهددي من قصده الحق والإنصاف وإبطال شبهات الكفار في الدين إلى غير ذلك من السبل المقترحة لدعوة الكافرين للإسلام .

حادي عشر : إبراز ما تضمنته الأمثال من التنفير من الشرك ، ببيان سقوط المشرك من ولاية الله .
ثان عشر : إبراز ما تضمنته الأمثال ببيان ضعف ما يتمسك به المشركون .

ثالث عشر : إبراز ما تضمنته الأمثال لقبح الشرك بشيء يعهده المخاطبون من أنفسهم ، وهو كراهة السيد مشاركة عبده فيما يملك .

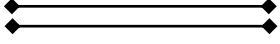
رابع عشر : بيان أساليب القرآن الكريم في التحذير من الشرك وهي متنوعة من ذلك الأمر بعبادة الله وحده واجتناب الطاغوت .

خامس عشر : إبراز ما تضمنته الوسائل التربوية من حماية جناب التوحيد وبيان النصوص النبوية ومن ذلك بيانه - صلى الله عليه وسلم - خصائص الربوبية ونفيها .

سادس عشر : إبراز ما تضمنته الأمثال القرآنية من الإقناع بذكر محاسن أهل الحق وصفاتهم .

سابع عشر : إبراز ما تضمنته الأمثال من صفات المؤمنين ومن ذلك كالولاء والبراء والمداومة على العيادة وصلاح الظاهر والباطن .

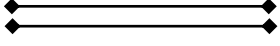
ثامن عشر : إبراز الأسباب الجالبة لزيادة الإيمان ومن أهمها:



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



- ١- معرفة الله جل وعلا بأسمائه الحسنی وصفاته العلی.
 - ٢- طلب العلم الشرعی.
 - ٣- التأمل فی آیات الله الكونية ومخلوقاته جل وعلا.
 - ٤- الإكثار من ذكر الله تعالى .
 - ٦- تقديم ما یجبه الله ورسوله علی هوی النفس .
- ونكتفي بهذه الأسباب والله الموفق



أهم المقترحات

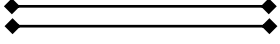
أولاً: أن تجمع الأمثال القرآنية في موسوعة علمية واحدة ، بحيث يجد الراغب في فهم جميع ما يحتاجه في كتاب واحد وحبذا لو كان ذلك بمشروع تتبناه الجامعة المباركة .

ثانياً: دراسة الأمثال القرآنية والتي لم تدرس والتركيز على دراستها وتناولها بإبراز القيم التربوية والإيمانية للأمثال لأهمية هذه القيم في مجال الدعوة وزيادة الإيمان .

ثالثاً: الاستفادة من الأمثال القرآنية في مجالات الدعوة إلى الله كافة وأوصي بأن تلخص معاني الأمثال في مطويات واستخدام التقنيات الحديثة ومن ذلك إنشاء مواقع تكون هذه القيم تغريدات مختصرة لبث العلم النافع وتغذية الروح .

وفي الختام الحمد لله أولاً وأخيراً على ما أنعم به من تمام هذه الرسالة والله أسأل أن يتقبل منا صالح العمل . وما كان من صواب فمن الله وما كان من نقص أو خلل فمني ومن الشيطان وأسأل الله تعالى أن يتجاوز عنا .

الحمد لله على ما أنعم حمداً يجلو به عن القلب العمى ثم الصلاة والسلام على نبي دينه
الإسلام محمد خاتم رسل ربه وآله من بعده وصحبه



الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث والآثار

ثبت المصادر والمراجع.



فهرس الآيات القرآنية.

رقم الآية	رقم الصفحة	الآية	السورة
٦	٢٣٥	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	البقرة
٨	٥٢، ٥٩، ١٣٤	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ	
٩	١٣٥	يُخَدِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ	
١٠	١٣٦، ٥٢، ١٥١	فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا	
١١، ١٢	١٣٧	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ	
١٣، ١٤	١٣٨، ١٤٢، ١٤٧	وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ	
١٧-١٨	١١، ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٦٠،	مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ	
١٩: ٢٠	٥٨، ٦٢	أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ	
٢٠	٦٣	يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ	
٢٢	٢٢٠	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً	
٢٦	٣٠	إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ	
٦٦، ٦٧	٣١٦	فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ	
٦٨	٢٧	قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ	



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



٣٣٣	١٠٦	مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا	
٣٢٣	١٣٦	قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا	
٧٣	١٥٣	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ	
٢١٩	١٦٥	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ	
٢٠٩ ، ١٧٠	١٧٠	وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا	
١٦٢ ، ١٢ ، ٢٩٥	١٧١	وَمَثَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً	
٢١	٢١٤	أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ	
٣٢٤	٢٣٨	حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ	
٤٤	٢٥٦	لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ	
	٢٥٧	اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ	
٢٧	٢٦٠	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ	
٣٨	٢٦١	مَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ	
٢٦	٢٧٥	الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ	
٣٣٩	٢٨	لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ	آل عمران
٣٥٧	٣١	قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ	
٩٧	٣٤	ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ	
٢٥	٥٩	إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۗ	



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



١	١٠٢	يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ	
٣١٥	١٥١	سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ	
٣٣٤	١٥٤	ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا	
٣١٥	١٧٥	إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ	
٣٥٥	١٩٠	إِنَّا فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ	
١	١	يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن نَفْسٍ وَجَدٍ	النساء
٣١٦، ٢١٤	٤٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ	
١٩٩	٨٧	اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ	
١٥٢	٨٩ ، ٨٨	فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنٰفِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرٰكُسُهُمْ بِمَا كَسَبُوا	
٢٧	١٢٣	لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ	
١٤٨	١٣٨	بَشِيرِ الْمُنٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا	
١٥٢، ١٤٨	١٤٠	وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ	
٣٥٦	١٤٢	إِنَّ الْمُنٰفِقِينَ يُخٰدِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خٰدِعُهُمْ	
١٤٨ ، ٥٣	١٤٥	إِنَّ الْمُنٰفِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ	
١٤٤	١٦٨	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ	
٣٥٢ ، ٣٢٧	٥٤	يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوِيٍّ مُّجِبِّهِمْ	المائدة
		وَيُجِبُّونَهُ	
٣١٤ ، ٢١٦	٧٢	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ	
١٣	١٠	وَلَقَدْ أَسْنَهَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ	الأَنْعَامِ



١٦٥	٣٩	وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايُنِنَا صُمْ وَبُكْمٍ فِي الظُّلُمَاتِ	
٣٢٣	٥٢	وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ	
٢٢٢	٧١	قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا	
٧٤	٨٢	الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ	
٧٥ ، ٦٩	١٥٣	وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ	
٤٣٤ ، ١٣	١٧٦ ، ١٧٥	وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا	الأعراف
٢٣٢ ، ٤٥			
٢١١	١٧٩	وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ	
٣١٥	١٩١	أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ	
٣٥٥ ، ٢٢٣	٢	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ	الأَنْعَامُ
٧٤	٢١	وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ	
٢١١	٢٢	إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبُكْمُ	
١٧٥	٢٣	وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ	
		مُعْرِضُونَ	
٤٧	٤٢	إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى	
١٠٤	٤٨	وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَانَهُمْ	
٢١١	٥٥	إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	
١٤٨	٦٠	وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ	
٢١٨	٣١	اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ	التوبة



٧٤	٤٠	لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا	التوبة
٨٠	٤١	انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ	
١٥٣	٤٨، ٤٧	لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا	
١٤٧، ٩٦	٥٤، ٥٣	قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا	
٩٦	٥٥	فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ	
٩٢، ٦٣	٥٦	وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ	
١٣٩			
١٤٥	٦١	وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ	
١٤٠، ٩٢	٦٤	يَحْذَرُ الْمُنَافِقِينَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ	
١٥٧			
١٥٥، ٩٢	٦٥	وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ	
٩٤، ٥٣	٦٧	الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ	
١٤٠، ٩٩			
١٤٧			
٩٣، ٨٥	٦٩، ٦٨	وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ	
٩٨			
٩٥، ٩٤	٧٠	أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ	
٩٧	٧١	وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ	
٣٢٨، ٩٨	٧٢	وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ	
١٤٨، ٩٨	٧٣	يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ	



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



٣٥٢ ، ١٥٥			
١٤٥ ، ٩٦	٧٨ : ٧٥	وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اِلٰهَ لَيْتٍ ؕ اٰتٰنَا مِنْ فَضْلِهٖ ؕ	
١٥٨	٨٠	اَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ	
١٥٣ ، ١٤٩	٨٣	فَاِنْ رَجَعَكَ اِلٰهٌ اِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاَسْتَدْنُوْكَ لِخُرُوْجٍ	
١٥٨	٨٤	وَلَا تُصَلِّ عَلٰى اَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّاتَ اَبَدًا وَلَا نَفْسًا عَلٰى قَبْرِهٖ	
٩١	٩١	لَيْسَ عَلٰى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلٰى الْمَرْضٰى وَلَا عَلٰى الَّذِيْنَ لَا	
١٤٩	٩٥	سِيَحْلِفُوْنَ بِاِلٰهِ لَكُمْ اِذَا اَنْقَلَبْتُمْ اِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوْا عَنْهُمْ	
١٥٥	٩٦	يَحْلِفُوْنَ لَكُمْ لِيَرْضَوْا عَنْهُمْ	
١٥٤ ، ١٤٧	١٠٧	وَالَّذِيْنَ اٰخَذُوْا مَسْجِدًا ضِرَارًا	
١٥٤	١٠٨	لَا نَفْسًا فِيْهِ اَبَدًا لَّمَسْجِدٍ اُسِّسَ عَلٰى التَّقْوٰى مِنْ اَوَّلِ يَوْمٍ	
١٥٨	١١٣	مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اَنْ يَسْتَغْفِرُوْا لِلْمُشْرِكِيْنَ	
١٧١	١١٤	وَمَا كَانِ اَسْتَغْفَارُ اِبْرٰهِيْمَ	
٣٢٧	١٢٣	يَتَّيْمِيْنَ الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا قَبْلُوهٗ الَّذِيْنَ يَلُوْنَكُمْ مِنَ الْكٰفِرِ	
٢٣١	١٨	وَيَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اِلٰهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ	يونس
١٥٢	٥٧	يَتَّيْمِيْنَ النَّاسَ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ	
٢٠٧	١٠٠	وَمَا كَانِ لِنَفْسٍ اَنْ تُؤْمِنَ اِلَّا بِاِذْنِ اِلٰهِ	
٣٥٥ ، ١٨٧	١٠١	قُلْ اَنْظُرُوْا مَاذَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ	
٢٣١	١٠٦	وَلَا تَدْعُ مِنْ دُوْنِ اِلٰهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ	
٣٤ ، ١٢	٢٤	مَثَلُ الْفَرِيْقَيْنِ كَالْاَعْمٰى وَالْاَصْمٰى وَالْبَصِيْرِ وَالسَّمِيْعِ	هود



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



١٧٣			
١٧١	٤٥	وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنِّي أَهْلِي	
١٧١	٤٦	قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنِّي أَهْلِكَ	
١٥٠	٥٥	قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ	يوسف
٢٧	٦٤	قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا ءَامَنُتُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ	
١٧٣	١٠٥	وَكَايِنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّنَّ عَلَيْهَا	
٢٤٦	١٠٩	وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ	
٢٤٣	٤ : ٢	اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا	
٢٤٣	٥	وَإِن تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوَّأْنَا لِفِي خَلْقِ جَدِيدٍ	
٢٤	٦	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ	
٢٤٤	١٣ : ٨	اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ	
٢٤٣ ، ١٤	١٤	لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ	الرحمة
٢٤٥	١٦	قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ	
٢٤٦	٢٧	وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ	
٢٥٦	٢٨	الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ	
٢٣	٣٥	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ	
٣٨ ، ٣٤	١٨	مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ	إبراهيم
١١٤	٢٢	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً	



٤٤	٢٥ ، ٢٤	أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً	
٢٢٤	٣٧	رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْنِكَ الْمُحَرَّمِ	
٢٩ ، ٢٢ ٤١ ، ٣٠	٤٥	وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ	
١٩٦	٤	خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ	
٢٥٤	٢٢ : ١٧	أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ	
٣١٥ ، ٢٥٤	٣٦ : ٣٥	وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ	
٧٥	٤٨	أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيئُوا ظِلَالَهُ	
٢٥٤	٥١	وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارِهِبُونَ	
٢٣ ، ١٩ ٣٠٤ ، ٢٥٤	٦٠	لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ	المنزل
٣٠٠	٦٢	وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ	
٣١٦	٧٣	وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	
٢٥٤	٧٤	فَلَا تَضُرُّوهُ اللَّهُ الْأَمْثَالُ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ	
٢٥٣ ، ١٤	٧٦ ، ٧٥	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ	
١٩٨	١٢٥	أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ	
٧٣	١٢٨	إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ	
٢٧٤	٢٢	لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا	الإسراء
١٨٤	٤٤	نُسِخَ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ	



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



١٧٣	٧٧	سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا	
١٥٢	٨٢	وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ^٧	
٤١ ، ٣٨	٨٩	وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ	
٢٧	١١٠	قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ	
١٢٨	١٨	وَتَحْسَبُهُمْ آيْكَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ	الكمون
٣١٤	١٥	هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً	
٣٥٨	٢٨	وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ	
٣٣٣	٣١	أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ	
٢٣٩	٧٩	أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ	
٣٤١	١٨	قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا	مريم
١٦٩	٤٢	إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ يَتَّابِتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنكَ شَيْئًا	
٩٤	٤٤	يَتَّابِتْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا	
١٩٦	٦٦	وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَءِذَا مَاتُ لَسَوْفَ أُخْرَجَ حَيًّا	
٣٥٠	٧٢	قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلٰى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا	طه
١٧٩	٩٦	قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً	
٣١٦ ، ٣١٥	٦٦	قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا	الأنبياء
٢٠	٩٨	إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ	
٣٤٤	٩١	وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْحَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا	
٤٣	١٠٤	يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ	



رقم الآية	رقم الآية	الآية	السورة
٢٧٦	٧ : ٥	ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يظَلِمَ	العجم
٦٤	١١	وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ	
٢٦٦	٢٤ : ١٩	هَذَا خِصْمًا أَخْصَمُوا فِي رَبِّهِمْ	
٣١٧	٢٢	كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا	
٢٦٧	٢٥	إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	
٢٦٧	٢٦	وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ	
٢٦٧	٣٠	ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ حُرْمَتِ اللَّهِ	
٢٦٦ ، ١٤	٣١	حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ	
٢٦٨	٣٢	ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعْتِرَ اللَّهِ	
٢٦٨	٣٥ - ٣٤	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا	
٢٦٨	٣٧	لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَائُهَا	
٢٧٥	٧١	وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا	
٢٠٠ ، ١٤ ٣١٦ ، ٢٧٦	٧٣	يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ	
٣٢٤	٧٨ - ٧٧	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا	
٣٤٨	٢ - ١	قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ	المؤمنون
٢٤٥	١١٧	وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ	



رقم الآية	رقم الصفحة	السورة
١٩	١٤١	النور
٣٥	٣٥، ٢	النور
٤١	١٨٤	النور
٣٩	٢٢	الفرقان
٤٢	١٨٦	الفرقان
٤٤	١٨٣، ١٢	الفرقان
٦	٢٣٨	الشعراء
٦٢	٧٤	الشعراء
٢٦	١٥٠	القصص
٥٣	٣٢٣	القصص
١٢	٢٢٥	العنكبوت
٤١	٢٨٨، ١٤	العنكبوت
٤٢	٢٨٩	العنكبوت
٤٣	٢١، ٤، ٢، ٣٠، ٢٩، ٦٨	العنكبوت
٢٧	٢٧٩	الروم



رقم الآية	رقم الآية	الآية	المسورة	
٢٨	٢٨	صَبَّ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ		
٣٨، ٢٩	٥٨	وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ		
٣١٤	١٣	وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ	لقمان	
٢٠٧	٢١	لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	الأحزاب	
٣٢٣	٤٢- ٤١	يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا		
٧٥	٥٠	يَتَّيِبُهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَعْلَلْنَا لَكَ آزُوجَكَ		
٩١	٥٣	يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا		
١٥٧	٦٢ - ٦٠	لِّئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ		
٢٠٩	٦٧	وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلًا		
١	٧١ - ٧٠	يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ		
٣٣٣	٢	مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا		فاطر
١٠٥	٦	إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا		
٢٩٨	٨	أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا		
١٧٥	٢٤ : ١٩	وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ		
٢٥٣	٢٨	وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ		
٣٢٣	٢٩	إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ		
٩٨	٥٢	قَالُوا يَنْوِيلُنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَّرْقَدِنَا	يس	



رقم الآية	رقم الآية	الآية	المسورة
١٣	٧٩ : ٧٨	وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ.	
١٩٠ ، ٤٣	٨٢ : ٧٧	أَوْلَعِيرِ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ	
١٣٠	٦٠	قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرَجًا بَكُمْ	ص
٢١٦	٣	أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ	الزهر
٣٠٦	٨	وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ	
٣٠٦	١١	قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ	
٣٠٦	١٤	قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي	
٣٠٦	١٧ : ١٨	وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطُّغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى	
٦١	٢٢	أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ	
٣٠ ، ٢	٢٧	وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ	
٤٤ ، ١٥	٢٩	ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّمُونَ	
٣٢٢	٣٤ ، ٣٣	وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ	
٣٠٧	٣٨	وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ	
٣١٧ ، ٢١٧	٤٣	أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ	
٣١٥	٦٥	وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ	
٣٥٠ ، ٣٤٩	٦٧	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ	



رقم الآية	رقم الآية	الآية	المسورة
١٥٢	٤٤	وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا مَّجْمُوعًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۗ	فصلت
٣٠	١٧	اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ	الشورى
٢١، ٢٠	٥٦	فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ	الزخرف
٢٠	٥٧	وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ	
٢١، ٢٠	٥٩	إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ	
٣١٦	٥	وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ	الأحقاف
٤٧	٣	ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ	محمد
٢١١	١٢	إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ	
١٩	١٥	مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ ۗ	
٣٥٥	٢٤	أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ	
١٥٧، ١٥	٣٠ : ٢٩	أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ	
٣١٨	١١	سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا	الفتح
١٥٤	١٥	سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا	
٣٢٥، ٤٥	٢٩	مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۗ	
٣٢٦	١	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ	الحجرات
٩١	٢	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ	
١٧٠	١٠	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ	



رقم الآية	رقم الآية	السورة
٢٦	١٢	يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَنُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّك بِبَعْضِ الظَّنِّ إِثْمٌ
٣٢٢	١٥	إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
٣٥٥	٢١	وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ
٢٧٩	٥٨	إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ
٢٠٦	٢١	وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ
٣١٨	٣٥	أَمْ خُلِقُوا مِن غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ
٢٨	٥٨	لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ
٤١	١٧	وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَكِّيرٍ
٤٢	٢٣ ، ٢٢	وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ اللَّوْلُوبِ الْمَكُونِ
١٥٩	٢٠	أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَلْهُم زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ
١٤٦	١٤	أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ
١٤٧	١٨	يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ
٢١٠	٧	مَا آفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي
١٤٧ ، ١١٠	١١	الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ
١٠٧	١٣	لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِّنَ اللَّهِ
١٠٠ ، ١١١ ، ١٠٨	١٧ : ١٤	لَا يُقَنِّطُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ



رقم الآية	رقم الآية	السورة
١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١١٣	١٦ : ١٥	كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
١٧٥	٢٠	لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ
٤٦	٢١	لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا
١٧١	٤	قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ
٤٤	٥	مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ
٣٥٦	٩	يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ
١٤٦، ٥٢	١	إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ
١٣٩	٢	اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
٧٢، ١٤٤	٣	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ
٥٢، ١٢، ١٣٦، ١١٥، ١٤٢، ١٤٠، ١٥٠	٥ : ٤	وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ
١٥٨	٦	سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ
١٣١، ٩٧، ١٤٣	٧	هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا



رقم الآية	رقم الآية	السورة
١٣، ٤٥، ٢٠٣	١٠	التحرير
٣٣٧، ١٥	١١ : ١٢	الملك
٢٧٠	١١	نوح
٢٧	٢٧	الجن
٣١٨	٢١ : ٢٢	المدثر
٢٦	٤٩ : ٥٠	القيامة
١٩٦	٣	الإنسان
١٩٢	٢	البروج
٦٤	٢٤	الطارق
٢٧٩	١٢، ١٣	الليل
٦٣	١٧ : ٢٠	المقارعة
١٩٢	٦، ٧	الكافرون
٣٤٩	١٧	
٣٤٩	١٨ : ٢٠	
٢٦	٤	
٢٨، ٢٧	٦	



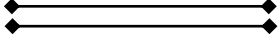
فهرس الأحاديث والآثار

أولاً: فهرست الأحاديث

رقم الصفحة	الحديث
٣٣٥	أتدري ما حق الله
٢١٩	أخوف ما أخاف
١٥٠	إذا أوتمن خان
٣٣٩	أفضل نساء أهل الجنة
٢٢١	ألا أنبؤكم بما هو أخوف عليكم
٣٦١	إن الإيمان ليخلق بأجوف أحدكم
١	إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره
١٩٠	إن العاص بن وائل أخذ عظماً
٢	إن القرآن نزل على خمسة أوجه
١٩٣	إن رجلاً حضره الموت
٣١٩	إنها رأت كنيسة بأرض الحبشة
٣٥٩	تعرض الفتن على القلوب كالخصير
٣٥٧	ثلاث من كن فيه
١٩٠	جاء العاص بن وائل السهمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم هائل
٣٣٩	خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط
١١٧ - ١١٦	غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان منا أناس من الأعراب
٣٤٧	الصلاة خير موضوع
٣٥٣	فإن حق الله على العباد



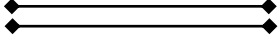
١١٦	قال كنت في غزاة
٣٤٠	كامل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء
٨٨	لا تأخذن كما أخذ الأمم
٣١٨	لا تطروني كما أطرت النصارى
٢٢٠	لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان
٣٩	لقد أوتيت مزامرا من مزامير آل داود
٣١٤	ما أحد أصبر أذى سمعه من الله
٣٦٥	ما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل
٧٤	متعنا بأسماعنا وأبصارنا
٣٥٩	مثل الجليس الصالح
٣٥٦	مثل الذي يذكر ربه
٣٠٨	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
٣٥٨	المرء على دين خليله
٢٢٠	من حلف بغير الله
٢٢٠	من كان حالفاً فليحلف
ل	من لا يشكر الناس
٣٥٧	والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون
١١٧	ودعاهم رسول الله ليستغفر لهم
ثانياً: فهرست الآثار	
رقم الصفحة	الأثر



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



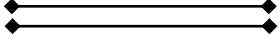
٣٥٧	اجلس بنا نؤمن ساعة
٨٧	استمتعوا بنصيبهم من الآخرة
٣٥٥	إن ضياء الإيمان
٣٥٦	الإيمان يزيد وينقص
٨٠	التي تسمون في سورة التوبة
٣٦١	اللهم زدنا إيماناً و يقيناً
٣٠٠	تخافونهم أن يرثوكم كما يرث
٧٩	قلت لابن عباس سورة التوبة قال:
٣٥٨	كان ابن رواحة يأخذ
١٠٢	كانت امرأة ترعى الغنم
٢٠٤	كانت امرأة نوح
٧٩	كانت براءة تسمى
٧٩	كانت براءة تسمى في زمان
٨٠	كانت هذه السورة تسمى الفاضحة
٣٣٩	كان فرعون أعتى أهل الأرض
٣٠١	كان يلي أهل الشرك
١٠٦	كفار قريش ببدر
١٦٦	كمثل البعير
١٦٦	لا يسمعون الهدى ولا ينصرونه
٣٣٦	لكل شيء جلاء
٨٠	لو قعدت العام عن الغزو



القيم التربوية والإيمانية للأمثال القرآنية



٨٨	ما أشبه الليلة بالبارحة
٣٤٧	هذا دواء الجنون
١٧٦	هذا مثل ضربه الله للكافر
٢٢٠	هو الشرك في هذه الأمة
٢٤٣	وإن تعجب من تكذيبهم إياك
٧٩	وما كانوا يدعون
١٠٦	يعني بني قينقاع



ثبت المراجع والمصادر

مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي الإصدار ١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف

الأجري :	أبو بكر محمد بن حسين ، الشريعة ، دار الوطن للنشر ، ط ٢ لعام ١٤٢٠هـ
الأزهري :	أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة لعام ١٣٨٤ .
إسماعيل :	محمد بكر ، الأمثال القرآنية دراسة تحليلية ، مطبعة الأمانة ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ
الألباني:	محمد ناصر الدين ، صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، ط ١٤٠٨هـ ،
الألوسي:	أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود ، روح المعاني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، بدون تاريخ وبدون ذكر الطبعة .
الأندلسي	أحمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١٤٠٤ .
إيميل و بسام ، مي	يعقوب وبركة وشيخاني ، قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية ، دار العلم للملايين ، ط ١ ، ١٩٩٨ .
الباز :	أنور ، التفسير التربوي للقرآن الكريم ، دار النشر للجامعات مصر ، بدون ذكر الطبعة لعام ١٤٢٨هـ .



ابن باز :	عبد العزيز بن عبد الله ، مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ، مؤسسة الحرمين الخيرية ط ٣ ، ١٤٢٣هـ .
البخاري	محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح ، المطبعة السلفية ط ١ لعام ١٤٠٣ .
البدري :	عبد الرزاق بن عبد المحسن ، مكانة الدعوة إلى الله وأسس دعوة غير المسلمين ، دار الفضيلة بدون تاريخ .
البدري :	عبد الرزاق بن عبد المحسن ، زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه ، دار كنوز ، إشبيلية للنشر والتوزيع ، ط ٢ لعام ١٤٢٧هـ .
البقاعي :	برهان الدين ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ، توزيع دار الباز ، مكة .
البيانوني :	عبد المجيد البيانوني ، ضرب الأمثال في القرآن أهدافه التربوية وآثاره ، دار القلم ، ط ١ لعام ١٤١١هـ .
البيضاوي :	أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي ، أنوار التزليل مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده مصر ، ط ٢ لعام ١٩٥٥ م .
الترمذي :	أبو عبد الله محمد بن علي ، الأمثال من الكتاب والسنة ، ت مصطفى عبد القادر عطا ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط ١ لعام ١٤٠٩هـ .
الترمذي :	أبو عبد الله محمد بن علي ، الجامع الكبير ، تحقيق بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط ١ عام ١٩٩٦ .
ابن تيمية :	أحمد بن عبد الحلیم ، اقتضاء الصراط المستقیم مخالفة أصحاب الجحيم ، عام



١٩٨٤م، بدون ذكر الطبعة.	
أحمد بن عبد الحلیم ، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عام ١٤٢٥هـ.	ابن تيمية :
أحمد بن عبد الحلیم ، محمد ، مجموعة التوحيد ، طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، طبعة خاصة	ابن تيمية و عبد الوهاب :
عبد الرحمن محمد بن مخلوف ، تفسير الثعالبي ، دار إحياء التراث ، بيروت ط ١ لعام ١٤١٨هـ.	الثعالبي
أبو عثمان عمرو بن بحر ، الحيوان ، مكتبة الحلبي ط ٢ ، بدون تاريخ	الجاحظ
إبراهيم بن عبد الله ، الأمثال القرآنية المضروبة لتوحيد العبادة وما يضادها من الشرك ، رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية قسم العقيدة عام ١٤٢٩ / ١٤٣٠هـ.	الجربوع :
عبد الله بن عبد الرحمن ، استنساخ الأجنة من الخلايا الهندسية وراثياً في ضوء العقيدة الإسلامية ، بحث غير منشور .	الجربوع :
عبد الله بن عبد الرحمن ، الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله ط الجامعة الإسلامية عام ١٤٢٤هـ.	الجربوع
أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد ، زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، بدون تاريخ أو طبعة	الجوزي :
إسماعيل بن حماد ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، دار العلم للملايين ، ط ٣ لعام ١٤٠٤هـ.	الجوهري :



ابن حجر :	الإمام الحافظ أحمد بن علي العسقلاني ،فتح الباري بشرح صحيح البخاري دار طيبة ، ط ١ عام ١٤٢٦هـ
حمد:	أحمد بن إبراهيم ، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الأيتام لأبن القيم ، بدون تاريخ .
حمزاوي	يزيد ، المدلولات التربوية للأمثال القرآنية ، دراسة تحليلية للنصوص القرآن ، رسالة ماجستير ، جامعة الجزائر لعام ٢٠٠٥ .
الحميدي:	عبد العزيز عبد الله ، المنافقون في القرآن الكريم ، دار المجتمع للنشر ، ط ١ لعام ١٤٠٩هـ .
أبو حيان :	محمد بن يوسف الأندلسي ، تفسير المحيط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ١ العام ١٤١٣هـ
الدوسري :	منيرة محمد ناصر ، أسماء سور القرآن وفضائلها ، دار ابن الجوزي عام ١٤٢٦هـ
الرازي :	فخر الدين ، مفاتيح الغيب ، دار الطباعة العامرة ، اسطنبول عام ١٣٠٧ .
الراغب :	أبو القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعرفة ، بيروت لبنان .
الرحيلي :	إبراهيم بن عامر ، التكفير وضوابطه ، دار الأمام أحمد ، ط ٢ ، بدون تاريخ .
رزق :	سميرة عدلي محمد ، وجوه البيان في أمثال القرآن ، رسالة دكتوراه في الأدب ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة كلية اللغة العربية ، عام ١٤٠٦ / ١٠٤٧هـ .

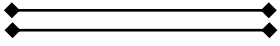


الرفاعي :	محمد نسيب ، تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ، مكتبة المعارف ، الرياض ، طبعة جديدة ، ١٤١٠هـ.
الزيدي :	السيد محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس ، طبعة التراث العربي الكويت عام ١٤٢١هـ.
الزركشي :	بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث القاهرة ، بدون تاريخ .
زكريا :	أبو بكر محمد ، الشرك في القديم والحديث ، مكتبة الرشد الرياض ، ط١ ، لعام ١٤٢٢هـ.
الزمخشري :	أبو القاسم جار الله محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل في وجوه التأويل ، حقق الرواية محمد الصادق قمحاوي . ١٩٧٢
الزين :	سميح عاطف ، الأمثال والمثل والمثالات في القرآن الكريم ، دار الكتاب اللبناني بيروت للمصري القاهرة ط٢ عام ١٤٢١هـ
السبحاني :	جعفر ، مفاهيم القرآن ، مؤسسة الإمام الصادق ، بدون تاريخ
السعدي :	عبد الرحمن ناصر ، القول السديد في مقاصد التوحيد ، مجموعة التحف النفائس الدولية ط١ عام ١٤١٦هـ.
السعدي :	عبد الرحمن ناصر ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، ط١ عام ١٤٢٣هـ .
السكري :	أبو سعيد ، شرح ديوان كعب بن زهير ، طبعة دار الكتب المصرية عام ١٩٥٠م.

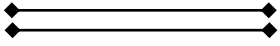


سندي :	هند بنت إبراهيم ، الأمثال المتعلقة بالتوحيد في القرآن والسنة، رسالة ماجستير، جامعة ام القرى، كلية الدعوة، قسم العقيدة عام ١٤٣٣هـ.
--------	---

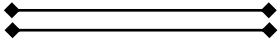
السيوطي :	جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مركز هجر للبحوث ، ط١ (١٤٢٤-٢٠٠٣).
السيوطي:	جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، الإتيان في علوم القرآن ، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف عام ١٤٢٦هـ.
شاكر :	أبو الأشبال أحمد ، عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير ، دار الوفاء ، ط٢ ، ١٤٢٦.
شبية :	الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد ، كتاب الإيمان ، المكتب الإسلامي ط٢ لعام ١٤٠٣.
الشدي :	عادل علي ، دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط١ عام ١٤٢٤هـ.
الشوكاني :	محمد بن علي بن محمد ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، مطبعة مصطفى الحلبي ، مصر ، ط٢ لعام ١٣٨٣.
صافي :	محمود بن عبد الرحيم ، الجدول في إعراب القرآن و صرفاً ، دار الرشيد ط٣ عام ١٤١٦.
الصالحى :	علي الحمد المحمد ، الضوء المنير ، مؤسسة النور للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .



الصاوي : أحمد، حاشية الصاوي على تفسير الجلالين، مكتبة محمد علي صبح وأولاده بدون تاريخ	
طاحون : أحمد بن محمد، أمثال ونماذج بشرية من القرآن العظيم، مكتبة القرآن الإسلامي، ط ١ عام ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.	
الطبرسي : أبو علي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، مطبعة الفرقان، صيدا، عام ١٣٣٣هـ.	
الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، دار هجر للطباعة والنشر، ط ١ عام ١٤٢٢هـ.	
الطحاوي : محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم بتفسير أبي السعود على حاشية التفسير الكبير للفخر الرازي، المطبعة المصرية ببولاق ١٢٨٩هـ.	
ابن عاشور : محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤م.	
عبد الدائم : عبد الله، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥ عام ١٩٨٦م.	
عبد الوهاب : سليمان بن عبد الله بن محمد، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، المكتب الإسلامي، ط ٣ عام ١٣٩٧هـ.	
ابن عثيمين : محمد بن صالح ، تفسير القرآن الكريم ، دار ابن الجوزي، ط ١ عام ١٤٢٣هـ.	
ابن عثيمين : محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم، دار الهداية، ط ١ عام ٢٠٠٩هـ.	
العدوي : أبو عبد الله مصطفى ، التسهيل لتأويل التزويل ، مكتبة الهدى ط ١ عام ١٤١٦هـ.	



أبو عبد الله مصطفى ، التسهيل لتأويل التتريل ، مكتبة مكة ، بدون تاريخ	العدوي :
ناصر بن عبد الكريم ، التقليد والتبعية وأثرها في كيان الأمة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية الشريعة بالرياض، عام ١٣٩٣ / ١٣٩٤ هـ.	العقل :
أبو الحسن العاملي، مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، طهران، مطبعة الافتاب عام ١٣٧٣ هـ.	الفتوني :
صالح بن فوزان بن عبد الله، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، طبعة الرئاسة العامة لإدارة البحوث والإفتاء والدعوة ١٤١٢ هـ.	الفوزان :
محمد جابر، الأمثال في القرآن الكريم، طبعة المعهد العالمي للفكر الإسلامي، لعام ١٤١٥ / ١٩٩٥ م.	الفياض :
محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن ، مؤسسة الرسالة، ط١ العام ٥١٤٢٧ هـ.	القرطبي :
مناج، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف ، الرياض، ط٣ لعام ١٤٢١ هـ.	القطان :
سيد ، في ظلال القرآن ، دار الشروق، ط٣٢ لعام ١٤٢٤ هـ.	قطب :
أبو علي الحسن بن رشيق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، العمدة في صناعة الشعر ونقده، دار الجليل بيروت، ط٤ لعام ١٩٧٢ م.	القيرواني :
شمس الدين محمد بن أبي بكر، بدائع التفسير، دار ابن الجوزي، ط١ لعام ١٤٢٧ هـ.	ابن القيم :
شمس الدين محمد بن أبي بكر، شفاء العليل ، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ.	ابن القيم :
شمس الدين محمد بن أبي بكر ، طريق المهجرتين وباب السعادتين، مكتبة المتنبي ،	ابن القيم :



القاهرة، بدون تاريخ .	
الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر، ط ١ عام ١٤٠٨ هـ .	ابن كثير :
الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، مؤسسة قرطبة، ط ١ عام ١٤٢١ هـ .	ابن كثير :
علي بن محمد بن حبيب، الأمثال والحكم، طبعة دار الوطن للنشر، ط ١ عام ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .	الماوردي :
أبو الطيب أحمد بن حسين ، ديوان أبي الطيب المتنبي ، بشرح العكبري دار المعرفة	المتنبي :
أحمد بن محمد بن قاسم، المناسبة وأثرها في تفسير التحرير والتنوير، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين عام ١٤٢٩ هـ .	مذكور :
أحمد مصطفى، تفسير المراغي، شركة ومكتبة مصطفى الحلبي، لعام ١٣٦٥ هـ .	المراغي :
أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الريان للتراث، ط ١ لعام ١٤٠٧ هـ .	مسلم :
مصطفى ، ونخبة من علماء التفسير، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، طبعة كلية الدراسات العلمية والبحث العلمي جامعة الشارقة عام ١٤٣٠ هـ	مسلم :
جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، طبعة المعارف .	ابن منظور:
عبد الرحمن حسن حنبكة، الأمثال القرآنية وصور من أدبه الرفيع، دار القلم، ط ٢ عام ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .	الميداني :
مصطفى، نظرية المعنى في النقد العربي، دار القلم، القاهرة ١٩٦٥ م .	ناصر :
عبد الرحمن، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، دار الفكر، ط ١٤٢٨، ٢٥ .	النحلوي:



نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، ت إبراهيم عطوة عوض، مطبعة مصطفى البابي الحلبي القاهرة، عام ١٩٦٤م.	النيسابوري :
السيد أحمد ، جواهر الأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ.	الهاشمي
محمد، لمحات نفسية في القرآن الكريم، مكتبة رحاب باتته، ط ١ بدون تاريخ.	الهاشمي:
محمد خليل ، شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط الجامعة الإسلامية ط ٤	هراس:
محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، دار طوق النجاة ، ط ١ عام ١٤٢١هـ.	الهرري :
عبد الملك ، سيرة النبي ، مكتبة الصحابة ط ١ ، ١٤١٦.	ابن هشام
<u>المواقع الالكترونية</u>	
أبو عثمان ، البيان والتبيان ، الموسوعة الشاملة	الجاحظ
عبد الله بن حمود الفريح ، موقع صيد الفوائد www.said.net	حمود :
ابن حجة ، خزانة الأدب ، الموسوعة الشاملة	الحموي
محمد أحمد، الرقائق، نسخة الكترونية pdf نشر الكتب العربية	الراشد :
الحنبلي، فضل علم السلف على الخلف، نسخة pdf من موقع www.al-mostafa.com	ابن رجب :
أبو عمر يوسف بن عبد الله ، بهجة المجالس وأنس المجالس ، الموسوعة الشاملة	ابن عبد البر ،